
الملحمة الإسلامية الكبرى
عمر
الثاني
تأليف
علي أحمد باكثير
الناشر
مكتبة مصر
@ketab_n
Follow Me
5.3.2016

ملحمة عمر

أبطالُ القادِسيَّة

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

أبطالُ القَادِسِيَّة

المشهد الأول

قصر قُدَيس . حجرة تطل على الميدان يتصل بها سطح .
يرى سعد بن أبي وقاص مضطجعا وعنده زوجته سلمى .

سعد : (**يدعو مبتهلا**) اللهم لك الحمد فى السراء والضراء ، ولك الحمد فى العافية والسقم . إن كنت عنى راضيا فلا أبالى .
(**يحاول الجلوس فتساعده سلمى حتى يجلس**) سلمى .

سلمى : نعم يا سعد .

سعد : ماذا ترين لو تلحقين بالعذيب مع من بقى من نساء المسلمين هناك ؟

سلمى : فيم يا سعد ؟ أكرهت أن أكون بجوارك ؟

سعد : أخاف عليك يا سلمى . إن هؤلاء الأعاجم قد بلغهم أنى محصور فى هذا القصر لا أستطيع الحراك فسيجعلون همهم الظفر بالقصر .

سلمى : ويحك يا أبا إسحاق ماذا تظننى ؟ معاذ الله أن أرغب بحياتى عن حياتك ولعل الله أن يشفيك من علتك هذه فتخرج إلى الناس على فرسك .

سعد : سمع الله منك ! وددت والله يا سلمى لو أفقد كل ما تملك يدى بنزوة أنزوها اليوم على ظهر البلقاء .

سلمى : ستركبها وشيكاً إن شاء الله دون أن ترزأ شيئا مما تملك .

سعد : (**مداعبا**) أبالزيت الحار الذى دهنت به ساقى ؟

سلمى : هذا علاج عرق النسا عندنا . ألم تجد ألَم ساقك قد خف اليوم ؟

سعد : بلى ... خف قليلا يا سلمى ولكن ما حيلتى فى الدماميل التى فى فخذى فهى التى تمنعنى من الركوب ؟

سلمى : قاتل الله هؤلاء الأعاجم . أحجموا عنك طويلا إذ أنت معافى حتى إذا أصابتك هذه العلة بادروا إلى الحرب .

سعد : مشيئة الله سبحانه هو القادر على أن ينزل نصره على عباده المؤمنين ولو هلك سعد ابن أم سعد .

(**يدخل ميمون غلام سعد**)

سلمى : ماذا وراءك يا ميمون ؟

ميمون : سلمان الفارسى يستأذن ومعه خالد بن عرفطة .

سعد : قل لهما يصعدا يا ميمون .

سلمى : أأبقى عندك يا أبا إسحاق أم أخرج ؟

سعد : بل ابقى إن شئت ... لا سرًّ عليك .

سلمى : ادخل يا أبا عبد الله ... ادخل يا خالد .

(**يدخل سلمان وخالد بن عُرفُطة**) .

سعد : خيرا يا أبا عبد الله ... إنى أرى فى وجهك سيماء الظفر ، فهل اهتديت إلى شىء؟.

سلمان : نعم يا أبا إسحاق من عندِهم .

سعد : من عند مَن ؟

سلمان : من عند هؤلاء المشركين .

سعد : كيف يا سلمان؟

سلمان : علمت أنهم قد اتخذوا لهم بريدا ينقل الخبر بالصوت ما بين الميدان هنا وبين المدائن بحيث تصل أنباء القتال إلى ملكهم ساعة فساعة بل لحظة فلحظة حتى كأنه حاضر بينهم.

سعد : وتريدنا أن نصنع مثلهم؟

سلمان : أجل... تبقى أنت يا سعد على هذا السطح، ويقف خالد بن عرفطة على المصطبة أسفل القصر، ونقيم ثلاثة صفوف من الرجال لا يبرحون مكانهم أبدا ليصلوا بين خالد وبين كل من الميمنة والقلب والميسرة فإذا ألقيت أمرك إلى خالد ألقاه خالد إلى أولئك المبلغين وأنت فى مكانك هذا لا تبرحه.

خالد : هذه خطة حسنة.

سعد : بوركت يا أبا عبد الله. هذه والله أخت الخندق الذى أشرت به على رسول الله ﷺ. الآن اطمأنت نفسى.

سلمان : وأنت يا سلمى كيف حالك؟

سلمى : بحمد الله يا أبا عبد الله.

سلمان : هل لك فى رفيقة صالحة من بنات الملوك تساعدك وتؤانسينها وتؤانسك؟

سلمى : من بنات الملوك؟

سلمان : ملوك كندة لا ملوك فارس. عربية لا فارسية.

سعد : يعنى امرأته يا سلمى.

سلمى : عَفيرة؟

سلمان : عَفيرة . أما علمت يا سلمى أنها من كندة ؟

سلمى : ما علمت إلا الساعة .

سلمان : فما رأيك ؟ أبعثها إليك ؟

سلمى : إن كنت لا تخاف عليها من كلب العدو على القصر فإنهم يعلمون أن أميركم محصور فيه ...

سلمان : امرأة سلمان ليست خيرا من امرأة سعد ، وأنا كما ترين أتردد كثيرا علي زوجك فيسرنى ويسر عَفيرة أن أراها وترانى .

سلمى : إذن فأهلًا بها وسهلًا .

سلمان : هلم بنا يا خالد لنختار الرجال للصفوف الثلاثة (**ينهضان للانصراف**) .

سعد : ألم تر أبا أيوب الأنصارى يا خالد ؟

خالد : إنه يطوف فى الناس يذكرهم بأيام الله .

سعد : فقل له يقول لك سعد : اقرأ عليهم سورة الأنفال حتى تهش قلوبهم وتنزل عليهم السكينة . (**يخرجان**) . (**تسمع جلبة وضوضاء**) . ما هذا يا سلمى ؟

سلمى : (**تنظر من السطح**) هذا رجل يدفعونه دفعا ناحيتنا وهو يعافِس ويقاوم .

سعد : لعله صاحب فتنة جديد . ميمون . قل لهم يصعدوا به إلىّ ! (**يخرج ميمون**) قاتلهم الله كيف يظنون أننى أعتصم داخل هذا القصر جبنا وخيفة ؟ أليس فيهم رجل رشيد ؟ لا والله إنهم ليعلمون الحق ولكنهم يقولونها رياء وسمعة وابتغاء الفتنة .

(تنسل سلمى خارجة) . (يدخل ثلاثة من رجال الشرطة يسوقون أبا محجن الثقفى) .

أبو محجن : خلوا عنى ويلكم .

الشرطة : كلا لا نخلى عنك حتى يأمرنا الأمير .

سعد : من ؟ أبو محجن . أنت أيضا يا أبا محجن ؟

أبو محجن : يا أبا إسحاق ألا تكف عن الناس شر رجالك هؤلاء ؟

سعد : ويلك هؤلاء رجال شرطتى .

أبو محجن : ما سمعنا بأمير جيش يقاتل فى سبيل الله يتخذ فى جيشه شرطة . ليس هذا من هدى رسول الله .

سعد : قبحك الله . ما علمك بهدى رسول الله يا فويسق ثقيف ؟ ما كنت لأتخذ شرطة فى جيش المسلمين لولا وجود أمثالك من أهل الفتنة والشغب .

أبو محجن : ألا تسأل أولا ما جريرتى ؟

سعد : ما جريرته يا قوم ؟

الشرطة : بينما كان الشماخ والحُطيئة وعبدة بن الطيب وأوس بن مغراء وغيرهم من الشعراء يحمسون الناس بأشعارهم إذ قام هذا فيهم فجعل يترنم بشعر له فى الخمر .

سعد : فى الخمر ؟ .

أبو محجن : أجل فى الخمر يا سعد ، وليس فى هجوك أو التعريض بك كما لعلك قد ظننت .

سعد : ماذا قال ؟ ألا تذكرون بعض ما قال ؟

الشرطة : نعم .

إذا مت فادفنى بجانب كرمة
تروى عظامى فى التراب عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فإننى
أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

سعد : ويلك أما تستحى أن تلقى على المسلمين فى موقف كهذا مثل هذا الباطل ؟

أبو محجن : إنما أردت أن أنوع يا أمير الجيش حتى لا تسأم نفوس الناس ، فقد سمعوا من الشعراء الآخرين أشعارا كثيرة فى التحريض على الجهاد .

سعد : بل أردت أن تلهى الناس عن الجهاد يا عدو الله .

أبو محجن : أنا ألهى الناس عن الجهاد ؟ سَلْ بى وبهؤلاء الشعراء غداً ، فلتجدنى أول الأسنة ، ولتجدنهم قوالين غير فعالين .

سعد : (**يحد النظر إليه**) ما هذا الترنح فى عِطفيك ؟ وهذا الاحمرار فى عينيك ؟ أجئتنى شاربا يا عدو الله ؟ هلم ادن منى ؟

أبو محجن : من الخير ألا تشم فمى يا سعد ، فعسى أن تجد فيه عبقا من طول ما شربتها فيما سلف .

سعد : دعنى من اعتذاراتك . ادن منى . (**يدنو منه أبو محجن**) لقد والله شربتها اليوم ولم تتب وقد حددت فيها مرة بعد مرة .

أبو محجن : إى والله لقد باكرتها اليوم مشعشعة صافية ، وستقيم علىّ الحد فأشربها غداً وتقيم الحد فأشربها بعد غد .

سعد : ويلك ما أجرأك على الله أتعتقد حلها ؟

أبو محجن : أعتقد حلها؟ لا والله لأن تخطفنى الطير أو تنزل على رأسى صاعقة من السماء أهون علىّ من أن أحل ما حرم الله ولكنى أرجو مغفرة ربى سبحانه ورحمته التى وسعت كل شىء فلا تضيقها يا سعد.

سعد : لقد شغلتنى وشغلت المسلمين لحاك الله ... خذوه فألقوه فى الحبس.

أبو محجن : فى الحبس والمعركة توشك أن تدور؟ ألا تقيم علىّ الحد وتطلقنى؟

سعد : كلا لا أدعك تشغل المسلمين بترهاتك.خذوه.

أبو محجن : يا سعد سعدَ بني وهيب، يا خالَ رسول الله، نشدتك الله إلا ما أعفيتنى من الحبس وتركتنى أقاتل مع المسلمين، ثم اصنع بى بعد ذلك ما تشاء.

سعد : عاهدنى ألا تعود إلى الخمر أبدا ما حييت وأنا أعفيك من الحبس.

أبو محجن : لا أُكذب اللهَ والناس. أما التوبة عن الصهباء فلا.

سعد : إذن فإلى الحبس.

أبو محجن : إذن تحرم المسلمين بلاء سيفى.

سعد : لا حاجة بهم إلى سيفك ... أين أنت من عاصم بن عمرو وطليحة بن خويلد وحمال بن مالك وعمرو بن معدى كرب وأولئك الأبطال؟ خذوه.

(يخرجون بأبى محجن).

(تدخل سلمى ومعها عَفيرة).

سلمى : هذه عفيرة يا أبا إسحاق قد حضرت .

سعد : مرحبا بك يا أم عبد الله كيف أنت ؟

عفيرة : بحمد الله يا أبا إسحاق . شفاك الله وعافاك ولا رحم من عاداك .

ميمون : (**يدخل**) . جرير بن عبد الله وعاصم بن عمرو والمغيرة بن شعبة ... يستأذنون عليك يا مولاى .

سعد : ائذن لهم .

(يخرج ميمون وتنسحب سلمى وعفيرة إلى الداخل ثم يدخل جرير وعاصم والمغيرة) .

جرير : السلام عليك يا أمير الجيش .

سعد : وعليكم السلام . ما جاء بكم ؟ خير إن شاء الله ؟

المغيرة : جئنا شافعين يا سعد .

سعد : لقريبك أبى محجن الشارب ؟

المغيرة : لا شأن لنا بأبى محجن ولكن للخمسة الذين حبستهم منذ أول من أمس .

سعد : أولئك الذين عيرونى بالجبن وافتروا علىّ الكذب ؟

عاصم : يا أبا إسحاق إن العدو قد جعل يصف صفوفه ويكتب كتائبه ويوشك أن ينشب القتال اليوم أو غدا فلو استتبت هؤلاء وأطلقتهم فلا ينبغى أن يحجز أحد منا عن القتال فى مثل هذا اليوم .

جرير : اقبل شفاعتنا فيهم يا أبا إسحاق .

سعد : يا غلام قل لهم يطلقوا سراح الخمسة وليصعدوا إلينا .

(يخرج ميمون).

جرير : جزيت خيرا يا سعد .

سعد : إنى والله الذى يعلم السر وأخفى ما غضبت تلك الغضبة لذات نفسى ، بل لما خشيت على المسلمين من الفتنة وهم بإزاء عدوهم .

(يدخل الرجال الخمسة).

الخمسة : شكر الله لك يا أبا إسحاق . جزاك الله خيرا .

سعد : أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم .

عاصم : ويلكم يا قوم أما تعلمون أن الذى اجترحتموه عظيم ؟ أما تعلمون أن ذلك يشد عزائم عدوكم ويوهن عزائم المسلمين ؟

المغيرة : لحاكم الله كيف ترمون سعدا بالجبن وهو أول من رمى بسهم فى الإسلام ؟ وقال له النبى : (ارم أيها الغلام الحزور فداك أبى وأمى) وما جمع أبويه قط لأحد غير سعد .

جرير : كبرت كلمة تخرج من أفواهكم . أأنتم أعرف به من عمر بن الخطاب ؟ أفيختاره عمر لإمرة هذا الجيش وهو جبان ؟

سعد : ويحكم لقد كنت أريد أن أدير دفة القتال من مكانى هذا دون أن يدرى أحد إلا من خلصائى أننى مريض عاجز عن الخروج ، فإذا أنتم تعلنون ذلك حتى بلغ عدوكم .

الخمسة : قد تبنا يا صاحب رسول الله وندمنا على ما كان منا فى حقك .

أحدهم : لكنى والله يا أمير الجيش ما قلت شيئا فيك .

سعد : أنت الذى شغبت على خالد بن عرفطة وقلت فيه ما قلت .

أحدهم : لقد ألقى فى روعى أن لو ولىَّ غيره من أبطال المسلمين كان أجدرَ أن يقودنا مكانك .

سعد : ويلك إنما اخترته ليكون على كثب منى يبلغ أوامرى للناس وليس له غير ذلك .

جرير : هب أنك جعلته مكانك يا سعد فعلينا الطاعة له حينئذ مثلما علينا الطاعة لك(**للخمسة**) أتدرون على ماذا بايعت رسول الله ﷺ ؟ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبدا حبشيا .

سعد : اشهدوا يا قوم قسما بالله ألية صادق لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سننت به سنة يؤخذ بها من بعدى !

الخمسة : كلا لا نعود إلى مثلها أبدا فاعف عنا يا أمير الجيش .

سعد : قد فعلت فاخرجوا إلى إخوانكم غفر الله لكم .
(**يخرج الخمسة**) .

سعد : (**للثلاثة**) هل لكم أن تعينونى حتى أشرف على الناس من هذا السطح ؟

الثلاثة : حبا وكرامة (**يحملونه إلى حيث أراد**) .

سعد : أيها الناس .. أيها الناس .

صوت : استمعوا أيها الناس إلى ما يقول أميركم سعد .

سعد : أيها الناس إنى قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة ، وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجعى الذى يعودنى . إنى كما ترون

مكب على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمرى .

أصوات : سمعنا وأطعنا يا سعد .

سعد : يا معشر المسلمين قد جاءكم هذا الجمع الحاشد من جنود فارس ، وأنتم وجوه العرب ، وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة ، جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرّب ذلك أحدا من أجله ، وإن تهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم .
أيها المسلمون هذا ميراثكم وموعود ربكم ، وإن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خُلْف . قال جل ثناؤه ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ .

(ستـــار)

المشهد الثاني

جانب من ساحة القتال . رستم على سريره فى القلب وقد ضرب على السرير طيارة وعلى يمينه الجالينوس وعلى يساره الفيرزان وبجانب رستم ترجمان عربى .

رستم : (**يميل نحو الجالينوس**) تدرى لِمَ جُعلتك بينى وبين الميمنة ؟

الجالينوس : لا ...

رستم : لتراقب لى الهرمزان على الميمنة فإنى لا أثق به .

الجالينوس : والفيرزان ؟

رستم : جعلته بينى وبين الميسرة لأراقبه بنفسى . (**تسمع تكبيرة من ناحية المسلمين**) . هذه التكبيرة الثالثة ؟ استعدوا يا قوم . عجبا إنهم لم يهجموا.أين أنت يا عبود ؟

الترجمان : نعم يا سيدى .

رستم : ألم تقل لى إنهم سيهجمون عند التكبيرة الثالثة ؟

الترجمان : بلى . هكذا أمرهم أميرهم .

رستم : فما بالهم لم يهجموا؟

الجالينوس : هذا فارس منهم تقدم يطلب المبارزة .

رستم : من هذا يا عبود ؟ أتعرفه ؟

الترجمان : لا يا سيدى ... ليس هذا ممن أعرف من أبطالهم .

رستم : ألا تستطيع أن تعرف قدره من شارة فيه أو علامة ؟

الترجمان : إنهم لا يتمايزون بحلية ولا بشارة . كلهم فى العين سواء وإنما يتفاوتون فى المخبر .

رستم : سله إذن ما اسمه لعلنا نعرف اسمه .

الترجمان : أيها الفارس العربى ما اسمك ؟

صوت : (**من بعيد**) أنا غالب بن عبد الله الأسدى .

الترجمان : (**لرستم**) هذا الذى كان يحرس عيالهم فى العُذَيب .

رستم : يحرس عيالهم فى العذيب ويقاتل هنا ؟

الفيرزان : ألا تخرج إليه من يبارزه يا رستم ؟

رستم : إنا نريد حسن الفأل . فلا يخرجن له إلا من يثق فى نفسه أنه سيغلبه . هل لك أن تخرج له يا فيرزان ؟

الفيرزان : أخرج لحارس عيالهم هذا ؟

رستم : إنى أرجو أن تقتلَه فنضمنَ حسن الفأل .

الفيرزان : أخرج له أى فارس غيرى .

هرمز : (**يتقدم نحو رستم**) أنا أخرج له .

رستم : تذكر يا هرمز أنك متوج من ملوك الباب فإن لم تقهره وقهرك كان علينا أسوأ فأل .

هرمز : لآتينك به أسيرا .

رستم : كلا بل يكفينى أن تقتله .

هرمز : قتله أيسر علىّ من أسره ولكنى سآسره .

رستم : إن استطعت ذلك كان أوقع وأهيب فى صدورهم .

غالب : (**صوته يرتجز**) .

قد علـــــمت واردة المسَّايح
ذات اللَّبَـانِ والبنـان الـــواضح
أنى سِمام البطـــــــل المشايح
وفـارج الأمـر المهـم الفـــادح

رستم : ماذا يقول هذا العربى ؟

الترجمان : يذكر حبيبته بالشعر لتشهد أنه شجاع .

رستم : اقتله يا هرمز حتى لا يرى حبيبته البدوية ثانية !

(**يتقدم هرمز إلى موضع المبارزة حيث يغيب**) .

(**يسمع صليل الحديد بين المتبارزين**) .

الفيرزان : عجبا لقد طال البراز ولم يغلب أحدهما الآخر .

رستم : لعل ذلك لأن هرمز لا يريد أن يقتله .

الفيرزان : والعربى أيضا كأنه لا ير يد أن يقتل هرمز .

الجالينوس : وىْ ! وثب أحدهما على فرس الآخر !

الفيرزان : العربى هو الذى وثب وساق هرمز إلى معسكره !

رستم : تبا لكم . هلا خرج إليه فارس أثبت من هرمز ؟ حارس العيال !! فانظروا ماذا فعل حارس العيال !

الجالينوس : لو أمرتنى لخرجت له .

الفيرزان : أخشى أن يكون هرمز قد خاننا واتفق مع العربى .

رستم : (**فى غيظ**) الجبن أسوأ من الخيانة يا فيرزان . والحقد شر من الجبن !

الجالينوس : لا بأس يا رستم إن غلبونا فى المبارزة فلن يغلبونا فى المعركة .

رستم : صدقت يا جالينوس . الهجوم أيها الرجال ! الهجوم ! الهجوم !

(**ستار**)

المشهد الثالث

قصر قديس . سعد على سطح القصر يرقب المعركة ويلقى أوامره لخالد بن عرفطة الواقف على المصطبة أسفل القصر وعند سعد سلمى وعفيرة وبعض غلمانه .

سلمى : ألا تكبر الرابعة فإن الناس ينتظرون تكبيرتك .

سعد : ليس بعد يا سلمى .

سلمى : تلك بجيلة تطحنها الفيلة يا سعد ، وقد نفرت خيلها وكادت تهلِك !

سعد : خالد ! قل لبنى أسد يدفعوا عن بجيلة . أين طلبحة وحمّالُ بن مالك ؟

خالد : الأمير يقول : على بنى أسد أن يدفعوا عن بَجيلة . أين طليحة وحمّال بن مالك ؟

طليحة : (**صوته من بعيد**) يا بنى أسد يا عشيرتاه . لو علم أميرنا أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منكم لاستغاثهم . اقدموا على العدو وفِيَلتِه إقدام الليوث الحرية ، فإنما سميتم أسدا لتفعلوا فعله . قولوا جميعا : لبيك يا سعد !

بنو أسد : (**فى صوت واحد**) لبيك يا سعد .

سلمى : لله درُّ بنى أسد . لقد روعوا الفيلة بهجمتهم فتقهقرت عن بجيلة .

سعد : اللهم اغفر لطليحة بن خويلد !

عفيرة : لكن الفيلة مالت على أسد تطحنها طحنا .

سلمى : استغِث ببنى تميم ليعالجوا أمر الفيلة .

عفيرة : لمَ لا يستغيث بكندة ؟

سلمى : بنو تميم أعرف بذلك فهم أصحاب الخيل والإبل .

سعد : يا خالد قل لعاصم بن عمرو وكتيبته أن يدعوا الطّراد ويكفونا الفيلة .

خالد : يقول أمير المؤمنين : على عاصم بن عمرو وكتيبتِه أن يدَعوا الطِّراد ويكفونا الفيلة .

سلمى : ألا تكبّر الرابعة يا سعد ليهجم الناس هجمة رجل واحد ؟

سعد : صبرا يا سلمى حتى نجد لهذه الفيلة حيلة .

سلمى : إن الرحى تدور على أسدٍ . فإن لم تفعل يوشك أن تبيد أسدٌ .

سعد : ويحك لأن تبيد أسدٌ خير من أن يهزم المسلمون . اسمعى ... هذا صوت عاصم بن عمرو .

عاصم : (**صوته من بعيد**) يا معشر تميم لقد كلفنا سعد أن نكفى المسلمين شر هذه الفيول ... فعلى أهل الثقافة منكم أن يستدبروا الفيلة فيقطعوا وُضُنَها ، وعلى الرماة منكم أن يذُبُّوا ركبان الفيلة بالنبل حتى تشغلوهم عن إخوانكم . قولوا جميعا لبيك يا سعد !

تميم : (**بصوت واحد**) لبيك يا سعد !

سعد : الساعة أُكَبِّرُ الرابعة . الله أكبر !

خالد : الأمير كبر الرابعة ... الله أكبر !

(**يتجاوب الميدان بالتكبير ويلتحم الجيشان**) .

سلمى : (**بعد قليل**) يا ويح أسد ! ما زالت الرحى تدور على أسد .

عفيرة : لو استغثتم بكندة .

سلمى : (**تصيح فى غير وعى**) وامثنياه . ولا مثنى للخيل اليوم !

سعد : (**فى شىء من الحِدة**) أين المثنى ويلك من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى ؟

سلمى : لو كان المثنى فى الخيل لما دارت الرحى إلا على العدو . وامثنياه !

سعد : (**يلطم وجهها فى غضب**) اسكتى .

سلمى : (**فى تحد وكبرياء**) هل رأيت المثنى قَطّ ؟

سعد : لا ما رأيته .

سلمى : فسل عنه من شئت يخبروك عن فِعَاله . أغيرة وجُبنا ؟

سعد : (**فى ألم**) جبنا ؟ أنت أيضا ؟

سلمى : بئس الخَلّتان الجبن والغيرة .

سعد : (**يتنهد**) كيف يعذرنى الناس إن لم تعذرينى أنت وأنت ترين ما بى ؟

سلمى : والله لا أكلمك أبدا .

سعد : انظرى يا سلمى ... تلك الفيلة تلقى بركبانها ولها عُواء .

عفيرة : سلمى يا أختاه ، إن بعلك يكلمك .

سلمى : (**صامتة لا تُجيب**) ...

سعد : لله درُّ عاصمٍ بن عمرو لقد بَرَّ والله وَبَرَّ قومه . انظرى إلى أسد ! لقد نُفِّسَ عن أسد !

(**ستــار**)

المشهد الرابع

فناء خيمة كبيرة نصبت لتمريض الجرحى وعلاجهم.
شيرين وجهدمة تتناجيان فى جانب من فناء الخيمة، وهنيدة والخنساء فى جانب آخر.

الخنساء : ألست أسمع أنينا من الداخل؟

هنيدة : من بعض الجرحى.

الخنساء : تفقدنهم يا بناتى. لعل أحدهم أن يكون عطشان لا يصح أن نتركهم وحدهم.

هنيدة : ليسوا وحدهم يا خالة... عندهم ثلاث منا أم عمرو سِلفتى، وأروى أختى، والنوار امرأة طليحة.

الخنساء : اذن فلعل أحدهم اشتد عليه الوجع مما به. آه من قلب الأم.. لقد خُيّل إلىّ أنه صوت أحد أبنائى الأربعة.

هنيدة : ويحك يا خالة أما زلت فى شك أن أحدا منهم ليس فى هؤلاء؟

الخنساء : أو تظنين يا بنيتى أنهم فى القتلى؟

هنيدة : لعلهم مع الذين يطاردون العدو.

الخنساء : لكن الأمير قد نهى عن مطاردة العدو.

هنيدة : فلعلهم أمروا بحراسة موقع من المواقع.

الخنساء : كل ذلك جائز يا هنيدة.

هنيدة : فاصبرى يا خالة.. وتجلدى فإن أبناءك يجاهدون فى سبيل الله.

الخنساء : والله ما أدرى ماذا دهانى يا هنيدة .. لقد كان قلبى جلدا قبل اليوم . لو جاء أحدهم فأخبرنى عن الثلاثة الآخرين !

هنيدة : أليس خيرا من ذلك أن يجيء الأربعة جميعا إليك ؟

الخنساء : بلى ولكن أين هم ؟

هنيدة : (**تنظر جهة اليمين**) ربيعة ! يا ربيعةُ !

ربيعة : (**صوته**) نعم يا أمه .

هنيدة : تعال .. (**يظهر ربيعة من جهة اليمين**) ويلك ألم أنهك عن الرمى بالحصى ؟

ربيعة : إنما أرمى العدو يا أمه .

هنيدة : لا أحد من العدو هنا الساعة .

ربيعة : إنى أرمى ناحيتهم لعلى أصيب أحدا منهم .

هنيدة : بل عسى أن تصيب أحدا من المسلمين ، اجلس هنا بين يدى .

ربيعة : (**يجلس**) آه إنى أريد أن أكبر سريعا يا أمه لأقاتل الروم والفرس .

الخنساء : (**تضحك**) الروم والفرس معا يا بنى ؟

ربيعة : مثل أبى يا خالة .. ألم تسمعى عن القعقاع بن عمرو التميمى ؟ إنه الآن فى الشام يقاتل الروم هناك وكان من قبل هنا يقاتل هؤلاء الفرس .. متىَ يحضر أبى يا أمه .

هنيدة : عما قريب .

ربيعة : عما قريب ، عما قريب .. سمعت هذا منك ومن عمى عاصم منذ زمن .

هنيدة : لا بد أنهم الآن فى الطريق.

شيرين : (**تلتفت نحو هنيدة**) من هم يا هنيدة ؟

هنيدة : القعقاع زوجى وأصحابه.

شيرين : هل من نبأ جديد عنهم ؟

هنيدة : (**تقترب منها وتسارّها**) إنما أعلل ابنى هذا.

شيرين : أبشر يا ربيعة فإن أباك فى الطريق.

ربيعة : أتعرفين أبى يا خالتى شيرين ؟

شيرين : أعرفه جيدا.

جهدمة : وأنا أعرفه كذلك يا ربيعة. إنه فارس عظيم.

ربيعة : (**مزهوا**) يا ويل الفرس منه إذا حضر. (**يتناول عصاً له فيمسك طرفها بيديه ويخط بطرفها الآخر على الأرض بين رجليه كأنما يركب حصاناً ثم يجرى بها منطلقا حول الخيمة**) أيها الفرس ! أنا القعقاع بن عمرو ! أنا فارس العرب ! (**يتضاحك النسوة عن فعل ربيعة**).

هنيدة : فيم كنتما تتناجيان بمعزل عنا ؟ هل من سر علينا ؟

شيرين : لا ... لا سر عليكما.

الخنساء : إن بلغكما شيء عن أبنائى الأربعة فلا تشفقا أن تخبرانى به.

جهدمة : أوَقد خُيل إليك ذلك يا خالة ؟ والله ما كان حديثنا عن أبنائك وإنهم لبخير إن شاء الله، وإنما نتحدث فيما جرى اليوم بين أمير الجيش وامرأته.

شيرين : فى هذا الذى فعله أمير الجيش اليوم بامرأته. ألا ترين يا خالة أنه أساء إليها إساءة بالغة ؟

الخنساء : ليس لك أن تقضى بينهما حتى تسمعى من الرجل مثل ما سمعت من امرأته .

شيرين : إن سلمى بنت خصفة لا تكذب أبدا .

هنيدة : فقد جانبها الصواب إذ هتفت أمامه باسم زوجها الأول كأنما توازن بينهما وتفضل الأول عليه .

الخنساء : أجل ليس من الكياسة أن تذكر إحدانا اسم زوجها الأول أمام زوجها ، بَلْهَ أن تُنَوّهَ به وتتحسر عليه !

جهدمة : كلا يا خالة إن سلمى ما قصدت أن تُسيء إلى سعد وإنما هالها أن ترى خيل المسلمين تفر من خيل العدو فندت من لسانها تلك الكلمة .

شيرين : والمثنى بن حارثة بطل معروف وليس برجل مغمور ، وليس من حق سعد أن يكره ذكر اسمه لأنه تزوج أرملته ، وهو ما تزوجها إلا رعاية له .

(تدخل سلمى وعفيرة من خلف الخيمة) .

سلمى : هذا جزائى إذ تزوجته .

هنيدة : وىْ ! أَوَقد سمعت حديثنا يا سلمى ؟

سلمى : سمعته كله . يا ليتنى بقيت أرملة ... إذن لما مسنى هذا الهوان !

عفيرة : لا حق لك يا سلمى أن تقولى ذلك . لقد ندم الرجل على ما فعل ، وخجل من نفسه ، فكان ينبغى عليك أن تعذريه .

هنيدة : هل كنت معهما يا عفيرة ؟

عفيرة : نعم لقد رأيت وجهه وهو يصفار ويحمار من الأسى والخجل حتى رحمته .

سلمى : لكنى لا أرحم من لا يرحمنى ولا أحترم من لا يحترمنى .

الخنساء : يا سلمى يا بنت خصفة ألم يبلغك ما لغط به السفهاء عنه إذ قال قائلهم :

نقاتل حتى أنـزل الله نصره
وسعد بباب القادسية معصِم
فأبنا وقـد آمت نساء كثيرة
ونسوة سعـد ليس فيهن أيم

سلمى : كيف لا وقد شاع ذلك فى الناس عامة ؟

الخنساء : فلعله ظن أنك تُعرضين بما قاله السفهاء عنه ؟

سلمى : معاذ الله أن يكون منى ذلك ... كيف أشك فى شجاعته وبسالته وأنا أراه جَلْداً على المرض صابراً على البلاء لا يضطرب له قلب ولا يرتاب لحظة فى النصر ، وهو يعلم علم اليقين أن لو أعراه الصف فُواقَ ناقة لأخذه العدو برُمّتِه ، ولكنى لا أحتمل أن يلطمنى أحد ولو كان أبى !

شيرين : (**فى سخرية**) ولو كان الذى لطمك من قريش .

سلمى : إن كان هو من قريش فإن لنا نحن أحسابنا كذلك .

الخنساء : ويحك يا سلمى لو كان قرشياً فحسب فليس لقريش علينا من فضل منذ سوى بيننا الإسلام ولكنه من جِلّة أصحاب النبى ﷺ وهذا فضل لا يمكن إنكاره .

جهدمة : وهل كان النبى ﷺ يلطم زوجاته .

سلمى : يا أخواتى أنشدكن الله لما تركتن هذا الحديث .

شيرين : دعينا نتوجع لك يا سلمى ففى ذلك مواساة لك .

سلمى : كلا لا أريد أن يتوجع لى أحد ، وما جئت أنا لذلك وإنما جئت من أجل جَرْحَى المسلمين .

شيرين : ما بالهم .

سلمى : لقد مررنا قبل خيمتكم هذه على خيام كندة وبنى أسد وبجيلة وعبد القيس فوجدنا عدد الجرحى أقل مما توقعنا ، فلا بد أن كثيرا منهم مازالوا منتشرين فى غمار القتلى يترددون بين الحياة والموت . فلو خرجنا معشر النساء نبحث عنهم فإن رجالنا قد نهكهم القتال طول النهار ، وغداً سيصبحون فى حرب ثانية .

الخنساء : إى والله إن هذا لخير ما تقدمن بين أيديكن فى مثل هذا اليوم .

شيرين : ما أحسبكن تجدن أحداً إلا أن يكون على كثب من مواقع العدو وفى ذلك خطر عليكن .

سلمى : أى خطر ، سنحمل معنا خناجرنا فإن تعرض لنا عِلْجٌ بقَرْنَا بطنه .

عفيرة : ثم إننا إن لم نجد أحداً من الجرحى فلنساعد الرجال فى حمل القتلى ودفنهم فإن عددهم كبير .

جهدمة : صدقت .. هيا بنا .

الخنساء : خذننى يا بناتى معكن .

سلمى : لا خير فى خروجك معنا يا خالة فهلًا بقيت هنا مع الباقيات .

الخنساء : ألأنّنى لا أرى ، لكننى أسمع ! خذننى لعلى أسمع صوت أحد من أبنائى الأربعة !

(ستــار)

المشهد الخامس

فناء خيمة آل القعقاع بن عمرو .

هنيدة : (**على باب خيمتها**) مَنْ ؟

القعقاع : أنا القعقاع يا هنيدة .

هنيدة : (**فى دهش وفرح**) القعقاع ! لا أكاد أصدق أذنى ولا عينى .

القعقاع : (**يقترب منها**) أيتها الحبيبة !

هنيدة : أيها الحبيب (**يتعانقان**) .

القعقاع : كيف لبنى وربيعة ؟

هنيدة : بخير .. لن تعرفهما إذا رأيتهما اليوم .

القعقاع : كبرا ؟

هنيدة : جداً .. هل أوقظهما لك الساعة ؟

القعقاع : بل دعيهما نائمين . إنى ما قضيت الشوق منك .

هنيدة : هيهات .. لو حضرت ولمّا ينشب القتال .

القعقاع : فى سبيل الله ما لقينا من فراق ، وفى سبيل الله ما نلقى من حرمان .

هنيدة : لكن كيف اهتديت إلينا يا أبا ربيعة ؟

القعقاع : هدانى الشوق يا هنيدة .

هنيدة : ومن دلك على خيمتنا ؟

القعقاع : عاصم بن عمرو .
هنيدة : فأين ذهب عاصم؟
القعقاع : ويحك لم يشأ أن يقوم رقيبا بينى وبينك .
أروى : (**صوتها من داخل الخيمة**) هنيدة .. يا هنيدة ...
هنيدة : هذه أروى أختى .
القعقاع : (**متمتما**) هدَمتِ يا أروى ما بنى عاصم !
أروى : هنيدة ! أين أنت ؟
هنيدة : أنا هنا يا أروى ...
(**تظهر أروى على باب الخيمة**) هذا القعقاع زوجى قد حضر .
أروى : أهلًا وسهلًا .
القعقاع : (**يصافحها**) كيف أنت يا أروى؟
أروى : الحمد لله (**تنطلق داخل الخيمة**) لبنى . ربيعة !.. قومى يا لبنى .. قم يا ربيعة ...
هنيدة : لَا لَا توقظيهما الآن .. رقيب بعينين كرقيب بست أعين !
(**يدخل ربيعة ولبنى يستبقان فيحتضنهما أبوهما**) .
لبنى : الحمد لله يا أبى إذ حضرت .
ربيعة : غداً يا أبى ينتصر العرب على الفُرس .
القعقاع : أيها الجاهلى الصغير .. قل ينتصر المسلمون على المشركين !
أروى : كيف أنت يا ربيعة ؟
القعقاع : بحمد الله .. إنى أراك نموت كثيراً يا أخت بنى هلال .

هنيدة : هذه تنتظرك على جمر الغضا .. لقد خطبها ثلاثة من فرسان المسلمين فلم تشأ أن تختار أحدهم حتى تكون أنت الذى تختار لها ...

القعقاع : أحقا يا أروى ؟

أروى : نعم .

القعقاع : فمن هم الثلاثة ؟

هنيدة : بكير بن عبد الله الليثى وعقبة بن فرقد السلمى وسِماكُ بن خرشة الأنصارى .

القعقاع : كلهم فارس بطل ولكن أشجعهم بكير وأغناهم سِماكٌ وأوسعهم عتبة فاختارى لنفسك .

أروى : قد اخترت الأول .

القعقاع : أصبت ما فى نفسى .. ويلكن .. هل جئتن للجهاد فى سبيل الله أم للزواج ؟

أروى : لهذا ولهذا .. ألا تعلم يا قعقاع أن عندنا ألف امرأة من النَّخع وخمسمائة امرأة من بجيلة قد خرجن للجهاد وللزواج من المجاهدين ؟

القعقاع : آه لو تأذن لى هنيدة !

هنيدة : أتريد يا رجل أن تتزوج ؟

القعقاع : لو وجدت أفضل منك .. وهيهات أن أجد (**يهتف فجأة**) الله أكبر قد وجدتها يا هنيدة !!

هنيدة : ما خطبك ؟

القعقاع : وجدتها ..

هنيدة : وجدت مَنْ .. ويلك ؟

القعقاع : فِيلَة العرب .

هنيدة : فِيلَة العرب ؟

القعقاع : أجل .. انطلقى يا لبنى إلى عمك عاصم فليحضر على الفور .

لبنى : سمعاً يا أبى .. (**تخرج**) .

ربيعة : وأنا معك . (**يخرج**) .

هنيدة : إنى لست أدرك شيئا مما تقول .

أروى : ولا أنا .

القعقاع : علىّ بما عندكما من الملاء السود .

الأختان : المُلاء السّود ؟

القعقاع : نعم أليس عندكما منها شىء؟

الأختان : بلى ماذا تصنع بها ؟

القعقاع : ستريان ماذا أصنع بها .

(تخرج هنيدة وأروى) .

(يخط القعقاع بيده على الجو كأنه يرسم ما تمثل فى ذهنه) .

الأختان : (**تعودان بما طلب**) هاك المُلاء السّود التى طلبت .

(يدخل عاصم وزوجته أم عمرو وخلفهما الصبيان الثلاثة لبنى وربيعة وعمرو بن عاصم) .

القعقاع : أبشر يا عاصم .. قد وجدت السبيل .

عاصم : حقاً ؟

القعقاع : نعم .. (**يلتفت إلى أم عمرو**) أهلا أم عمرو .. (**يصافحها**) .

أم عمرو : مرحباً أبا ربيعة .. على الطائر الميمون قدمت .

عمرو : أهلًا بك يا عمى ..

القعقاع : (**يحتضنه ويقبله**) أهلًا عمرو بن عاصم .

(تتجه عيون الجميع إلى المُلاء السُود الموضوعة أمامهم) .

أم عمرو : ما هذه المُلاء؟

هنيدة : طلبها منا دون أن نعرف ما يريد .

القعقاع : لأجعلن للعرب فِيلة كما للفُرس فِيلة .

الجميع : كيف ؟

القعقاع : (**يقيس المُلاء ويضم بعضها إلى بعض**) ثلاث تكفى لِجَمَل واحد .

هنيدة : لجمل واحد؟

القعقاع : أريد ألفا من هذه المُلاء فأكثر .

عاصم : تريد أن تكسو بها الإبل؟

القعقاع : أجل أجل وأبرقعها حتى تبدو كالأغوال السود .

عاصم : بُوركت يا أخى .. أما والله لتنفرن منها خيلهم كما نفرت خيلنا من فِيلتهم أمس .

القعقاع : هل لنا أن نعتمد عليكن فى جمع المُلاء؟

هنيدة : نعم لأجمعن أنا وأختى أروى من نساء النخع .

أم عمرو : ولأجمعن أنا من نساء تميم .

(ستـــار)

المشهد السادس

سعد على السطح يرقب الميدان وعنده بعض غلمانه .

سعد : (**لخالد بن عرفطة على المصطبة أسفل**) لقد أبطأ عنى سلمان يا خالد ألا تبعث من يبحث لنا عنه ؟

خالد : سأفعل يا سعد . (**ينزل من المصطبة ويغيب**) .

(**يدخل أبو محجن الثقفى يرسف فى قيوده وأمامه ميمون الغلام**) .

أبو محجن : السلام عليك يا أمير الجيش .

سعد : وعليك السلام .

أبو محجن : جزاك الله خيراً إذ أذنت لى بالصعود إليك .

سعد : فهيا قل وأوجز ... ماذا تريد ؟

أبو محجن : بالله عليك خل عنى اليوم لأقاتل مع المسلمين ، فكفى ما حرمتنى شرف القتال فى اليوم الأول .

سعد : كلا لن تنال شرف القتال اليوم ولا غداً ولا بعد غد .

أبو محجن : والله لئن بقيت اليوم فى حبسى لأموتن هما وكمدا .

سعد : فلتمت هما وكمدا لا أبالك .

أبو محجن : لا تحرم المسلمين بلائى يا سعد .

سعد : المسلمون فى غنى عن بلائك . ارجع إلى محبسك ولا تشغلنى عن ملاحظة الميدان ويلك .

أبو محجن : دعنى ألاحظ الميدان معك وأنظر إلى القتال فإن نفسى تشتهيه .
سعد : لا تَشغلنى ويلك ... اخرج !

(يعود خالد إلى مكانه ويدخل سلمان عند سعد) .

أبو محجن : اشفع لى يا صاحب رسول الله يشفع الله فيك يوم القيامة .
سعد : إياك أن تفعل يا سلمان فإنى لن أقبل شفاعتك . اخرج يا فويسق ثقيف !
سلمان : أطع أمير الجيش يا أبا محجن . وسيجعل الله لك مخرجا إن شاء الله .
أبو محجن : اليوم يا سلمان !!
سلمان : انزل الآن .

(يخرج أبو محجن) .

سعد : أين كنت يا أبا عبد الله ؟
سلمان : كنت أتنطس أخبار القوم ... كبر الثالثة الآن يا أبا إسحاق فإنهم سيهجمون علينا بعد قليل فقد يئسوا من إصلاح توابيت الفِيلة وضَنُّوا بها اليوم .
سعد : فلن يقاتلونا بها اليوم ؟
سلمان : لا إلا أن تتيح لهم المزيد من الوقت .
سعد : لن نتيح لهم ذلك إن شاء الله .
سلمان : فماذا تنتظر بعد ؟
سعد : أنتظر حتى ينتهى القعقاع من صنع فِيلة العرب .
سلمان : دع القعقاع يتم صنعها على إذلاله ، ولكن لا تؤجل الهجوم . انظر ذلك رستم قد خرج !

سعد : أين يا سلمان ؟ إنك أحدّ بصرا منى فأشر لى إلى الجهة التى فيها رستم .

سلمان : انظر هذا النحو أترى شيئا ثم يخطف البصر ؟

سعد : نعم ويحك .

سلمان : فهو ذاك محمولا فوق سريره وعلى رأسه التاج يلمع وفوقه طيارة .

سعد : فلأكبر الثالثة إذن ... يا خالد آذنهم بالتكبيرة الثالثة .

خالد : إن الأمير مُكَبِّرٌ الآن تكبيرته الثالثة فإذا كبر فليبرز أولو النجدة من الفرسان أمام الصف ، فإنما أول القتال المبارزة .

سعد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

خالد : الله أكبر !

(**الميدان يتجاوب كله**) الله أكبر !.. الله أكبر !..

سلمان : إن فارس تأخذ بالفأل فاختاروا عمرا بن معدى كرب ليكون أول مبارز أو طليحة بن خويلد فقد صار لهما مكان فى قلوبهم .

سعد : يا خالد مُرْ عمرا بن معدى كرب أو طليحة بن خويلد ليكون أول مبارز .

خالد : أيها الأمير ... هذا فارس قد ندر أمام الصف يطلب المبارزة ...

سعد : من يكون ؟

خالد : هذا القعقاع بن عمرو التميمى !

سلمان : إذن فقد فرغ من فِيَلته .

سعد : الحمد لله .

خالدة : هل آمره بشيء؟

سعد : دعه فقد اختاره الله وهو أعلم بما يختار . أشهد أن أبا بكر قال فيه : إنه فى الجيش خير من ألف رجل . ها قد برز له فارسهم المُعلم كأنه سَارية !

سلمان : هذا ذو الحاجب بهمن جاذويه .

سعد : صاحب يوم الجسر؟

سلمان : صاحب يوم الجسر .

سعد : اللهم ثبت القعقاع .

سلمان : اللهم أهلك ذا الحاجب .

القعقاع : (صوته) أيها المسلمون ! هذا ذو الحاجب الذى تعرفون . يا لثَارَات أبى عُبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر ! الله أكبر !

المسلمون : (أصواتهم) الله أكبر . هلك ذو الحاجب !

سلمان : هذان فارسان قد برزا للقعقاع .

سعد : ويحه أيقاتلهما وحده؟

سلمان : هذا فارس قد انضم إليه .

سعد : من هو يا خالد؟

خالد : هذا الحارث بن ظُبيان من تَيْم اللّات .

سعد : اللهم انصر القعقاع وصاحبه .

الحارث : (صوته) قتلتُ أخا رستم ورب الكعبة ! قتلت البندوان !

المسلمون : (أصواتهم) الله أكبر !

سلمان : هذا والله من أعلام أبطالهم .. الله هو الذى قتله لا ابن ظبيان .

القعقاع : (صوته يرتجز) .

قد علمت مصقولة الترائب
ذات العيون السود والحواجب
أنِّىَ سُمُّ البطـــــل المحارب
حملت بالسيف على ذى الحاجب
فأصبح اليوم كأمس الذاهب
والبيرزان رعتــه بالقــاضب
ماض الفرار كالقضاء الغالب

سعد : البيرزان ! أهو الذى كان يُسامى رستم وينافسه ؟

سلمان : لا هذا غير ذاك . ذاك اسمه الفيرزان .

القعقاع : (صوته) يا معشر فارس إن ذا الحاجب كان أقواكم فقتلته ، والبيرزان من أعلامكم فصرعته ولست بأقوى قومى فإن شئتم أن تأخذوا بثأرهما منى فليبرز أبطالكم واحد بعد واحد !

سلمان : لقد طلب والله أمرا عظيما .

سعد : لا عظيم على فارس تميم !

سلمان : ها قد برز له فارس منهم .

القعقاع : (صوته) أيها المسلمون عِدُّوا من ثلاثة .

سعد : يتصاولان ! اللهم ثبّت القعقاع !

المسلمون : (أصواتهم) الله أكبر !!

سعد
وسلمان : ثلاثة ...

القعقاع : أيها المسلمون ليقتلن أخوكم الثلاثين بإذن الله فعدوا ولا تكبروا إلا عند تمام العِدة ، فإنما الثلاثون من هؤلاء كواحد منكم !

(ستــار)

المشهد السابع

حجرة فى قصر قديس .

سلمى زوج سعد وعندها عفيرة وجهدمة وشيرين والخنساء . وهن ينظرن إلى الميدان من كُوىً فى الحجرة .

الخنساء : (**جالسة وحدها لا تنظر إلى الميدان لضعف بصرها**) اللهم انصر القعقاع ، واحفظه لامرأته وولديه فليس لهم سواه .. واحفظ لى أبنائى الأربعة فليس لى سواهم . اللهم كما حفظتهم فى اليوم الأول فاحفظهم اليوم أيضا وأعدهم إلىّ سالمين .

أبو محجن : (**يسمع صوته من أسفل الحجرة من الفناء**) وامثنياه ! ولا مثنى للخيل اليوم !

النسوة : (**ينظر بعضهن إلى بعض**) هذا أبو محجن الحبيس ..

أبو محجن : وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم !

سلمى : (**تطل عليه من الكوة التى تشرف على الفناء**) ماذا أردت بهذا الذى قلت ؟ أتسخر منى يا فاسق ؟

أبو محجن : (**صوته**) معاذ الله يا بنت أبى خصفة .. ولكنى أطمع منك فى معروف .

سلمى : ماذا تريد ؟

أبو محجن : وا أبا محجناه ! ولا أبا محجن للخيل اليوم ! إن المثنى بن حارثة قد استشهد فلا عليه ألا يشهد هذا اليوم ، ولكنى أنا حى

بعد ويحال بينى وبين القتال كأنما أنا من الأطفال أو من ربات الحجال .

جهدمة : هذا من جرائرك وبوائقك ولولاها ما حبسك الأمير .

أبو محجن : يرحمك الله من تكونين ؟

جهدمة : أنا جهدمة امرأة بشير بن الخصاصية .

أبو محجن : امرأة صاحب رسول الله أنعم وأكرم . نشدتك إن لم تُعينينى فلا تُعينى علىّ .

جهدمة : إنى أعرفك يا رجل .. ألست أنت الذى شربت يوم الجسر لكيلا تشهد المعركة .

أبو محجن : كلّا والله إنما شربت لأحضر المعركة فأصول فيها وأجول .

جهدمة : فهل شهدتها ويلك ؟ ألم تترك بنى أبيك من ثقيف يتّساقطون على أشلاء أبى عُبيد وأنت مخمور لا تفقه ولا تعى ؟

أبو محجن : صدقت يا أخت العرب .. لقد ظلّت تلك السيئة حسرة فى قلبى باقية ما حييت .

جهدمة : وأخرى يا فاسق .. ألم تعهد لدومة امرأة أبى عُبيد فطفِقْت تغازلها وتشبّبُ بها ولما يجف دم زوجها الشهيد ؟

أبو محجن : والله ما كنت فى وعْى إذ فعلت .

جهدمة : إذن فخير لك أن تحبس هكذا حتى يبقى لك وعيك .

أبو محجن : يا جهدمة يا عقيلة بنى شيبان دعينى أستعطف سلمى بنت آل خصفة لعلها ترق لما بى .

سلمى : أتريد منى أن أشفع لك عند الأمير ؟

أبو محجن : لا ياسلمى .. قد علمت أنك له مغاضبة ، والحق فى جانبك فليس له أن يلطم وجهك لكلمة حق قلتها .

جهدمة : ويلك يا فاسق أتريد أن توغر صدرها على بعلها ؟

أبو محجن : كلا لا شأن لى بما بينها وبين بعلها ولكنى أطمع منها فى خير تسديه إلىّ .

سلمى : وما ذاك ؟

أبو محجن : تأمرين غلامك فيخلى عنى ويعيرنى البلقاء المربوطة فى الإصطبل .

سلمى : أتريد أن تهرب من الحبس ؟

أبو محجن : لا والذى نفس أبى محجن بيده ما الهرب قصدى وإنما أريد القتال مع المسلمين ، ولك علىّ عهد الله وميثاقه لئن سلمنى الله لأرجعن حتى أضع رجلى فى القيد حيث أنا .

عفيرة : **(بصوت خافض)** إياك يا سلمى أن تزيدى غضب زوجك .

سلمى : يا أبا محجن لا أستطيع .

أبو محجن : إن كنت تخافين من غضب سعد فلن يدرى سعد بشىء من أمرى .

سلمى : قد يتفقدك فلا يجدك حيث أنت .

أبو محجن : إنه عنّى لفى شغل شاغل فأنى يتفقدنى ؟

سلمى : كلا يا أبا محجن .. لا أستطيع .

أبو محجن : آه إن لم تفعلى فويح أبى محجن أبد الدهر ! ألا أسمعك شِعراً قلته فى ذلك ؟

جهدمة : ما عندنا وقت لسماع باطلك .

الخنساء : دعينا يا جهدمة نسمع ما يقول :

أبو محجن : (**يترنم بصوت حزين مؤثر**) .

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا

وأُتْــرك مشدودا على وثاقيــا

إذا قمت عنَّانى الحديد ، وغُلقت

مصاريع من دونى تصم المناديا

يقطع قلبى حسرة أن أرى الوغى

ولا سامع صوتى ولا من يرانيا

وإن أشهد الإسلام يدعو مغوّثا

فلا أُنجد الإسلام حين دعانيا

فيا ليتنى لم أشرب الخمر مرّة

حياتى .. فمنها قد لقيت الدواهيا

نهانى عنها الدين دين محمـــد

فيـا ليتنى لم أعصه إذ نهانيــا

ولله عهـد لا أخيس بعهــده

لئن فُرِجَت أن لا أزور الحوانيا

سليمى دعينى أرو سيفى من العِدا

فسيفى أضحى ونْحه اليوم صاديا

دعينى أُجل فى حومة الخيل جولة

تفـرج من همى وتحيى فؤاديـا

ولله عهْدٌ حين أنجُو من الرّدَى

أُعيـدُ لرجْلىَّ الوَثــاق مكانيــا

الخنساء : والله يا سلمى ما يقول هذا القول إلا صادق .

سلمى : وإنى لأظنه كذلك .

أبو محجن : الحمد لله .

سلمى : ولكن أخشى أن يتفقده سعد فلا يجده فيظن إنى أطلقته تحديا له وبينى وبينه هذه الخصومة .

أبو محجن : فمُرى غلامك فليكن فى الحبس مكانى حتى أعود .

سلمى : سيرونك فى الميدان فيعرفونك .

أبو محجن : كلا لن يعرفنى أحد . سأغير هيئتى وأُلَوثُ عمامتى على وجْهٍ لا يعرفنى فيه حتى ابن عمّى .

سلمى : مرجان يا مرجان .. قم يا غلام قم يا نُومة .

مرجان : (**ينهض من مجلسه فى الركن**) لبيك يا مولاتى .

سلمى : ألا تشبع من النوم أبداً ؟

مرجان : ما كنت نائما يا مولاتى . إنما كنت أنعس .

سلمى : تحب أن تنام نوما طويلا ؟

مرجان : مَنْ لى بذلك يا مولاتى ؟

سلمى : انزل الساعة إلى هذا الرجل فى المحبس فأطلق سراحه ونم أنت مكانه حتى يعود .

مرجان : جزاك الله خيرا يا مولاتى فإنى فى حاجة شديدة إلى النوم ... ولكن نبهينى إذا حدث شيء فإنى لا أريد أن يقتلنى العدو وأنا نائم .

سلمى : لا تخف يا مرجان !

(**يخرج مرجان**)

(**ستــار**)

المشهد الثامن

على سطح القصر ... نفس المنظر كما فى المشهد السادس .

المسلمون : (**أصواتهم**) الله أكبر !

سعد : تسعة وعشرون .. بقى واحد ... اللهم أبرّ قسم عبدك القعقاع .

سلمان : انتحى القعقاع جانبا .

سعد : ما خطبه ؟ أتراه أصيب ؟

سلمان : لا أدرى .

القعقاع : (**صوته**) يا معاشر فارس ... إنه ما بقى لكم إلا فارس واحد ليقتلنى أو أقتله ... أفلا يخرج لى كبيركم رستم ليحول بينى وبين القسم الذى أقسمته .

سعد : ليت شِعْرى أيبرز له رستم ؟

سلمان : ما أظنه فاعلا . كبرياؤه تمنعه من ذلك .

سعد : ها قد خرج له فارس عربى الزى والهيئة .

سلمان : هذا ترجمانهم ليقول شيئا .

الترجمان : (**صوته**) يا معاشر العرب ليس بينكم رجل هو كفء لرستم ، فإن أبيتم إلا أن تروا بأسه فليخرج له أميركم سعد من مخبئه فى قصر قديس .

سعد : أنصف والله رستم! ويح ابن أم سعد! قبّح الله يوما أُدْعَى للنزال فلا أجيب. يا ليتنى مت قبل هذا اليوم.

القعقاع : (**صوته**) أبلغ رستم عنا أننا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا مثلكم فكلنا عند كلنا سواء. ولكنك يا رستم إنما طلبت سعدا للخروج لأنك تعلم عذره ولو أقلّته فرسُه لأجابك إلى ما سألت.

سلمان : أقبل الفارس الذى بعثه رستم... هذا بزرجمهر.

القعقاع : (**صوته**) أيها المسلمون... هذا تمام الثلاثين فكبروا.

المسلمون : الله أكبر !!.

سلمان : هذا أبو ثَور قد برز كأنه جبل على فرس!

سعد : وها هم أولاء قد اختاروا له جبلا مثله.

عمرو : (**صوته**) يا معشر العرب. أترون هذا الثّور الضخم؟ انظروا ماذا أصنع به.

سلمان : عجبا.. ليس مع عمرو سيف.. إنما بيده الترس وحدها.

سعد : لعله يريد أن يحتضنه.

سلمان : أجل.. وثب إليه!. أنزله من جواده! أقلّه عاليا بيديه! جَلَدَ به الأرض!

المسلمون : الله أكبر!

عمرو : (**صوته**) أيها المسلمون اصنعوا كما أصنع واذبحوهم هكذا ذبح الشاة.

سعد : قاتلك الله يا أبا ثور.. جاهلى فى كل شىء حتى فى جهادك.

سلمان : والله ليهجنهم بما صنع.. كبّر يا سعد.

سعد : خالد .. آذنهم بالتكبيرة الرابعة .

خالد : أيها المسلمون سيكبر أميركم الرابعة فإذا كبّر فاحملوا على القوم والله ناصركم .

سعد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

خالد : الله أكبر !

المسلمون : الله أكبر !! الله أكبر !!

سعد : اللهم نصرك وعونك .

سلمان : اللهم نصرا كنصر الشام .

سعد : ليت البلقاء تحملني ... ويح لي مكبا على وجهي كالشيخ الهَرِمِ .كيف ترى الناس يا أبا عبد الله ؟

سلمان : الميمنة غالبة على ميسرة العدو .

سعد : لله دَرُّ بني أسد ... هناك طليحة بن خويلد وحمّال بن مالك .

سلمان : وهذا القلب بخير .

سعد : حيّا الله بني تميم ، هناك القعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو .

سلمان : انظر يا سعد .. هذا فارس ملثم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين كأنه شعلة نار .. إنه يقاتل وحده ولا ينتمي إلى أحد .

سعد : خالد .. ألا تعرف ذاك الفارس الملثم ؟

خالد : لا يا سعد ... لكن الفرس تشبه البلقاء فرسك .

سعد : والراكب يشبه قدُّه قدّ أبي محجن . ويل له أتراه خرج من المحبس واستاق الفرس ؟ ميمون !.

ميمون : نعم يا سيدى .

سعد : انزل إلى المحبس فانظر هل ترى به أحداً (**يخرج الغلام**) . أين ذهب الفارس الملثم ؟

سلمان : غاص فى ميمنة العدو يقصف جنودهم قصفا .

سعد : والله لئن كان هو أبا محجن الثقفى ..

سلمان : انظر ... هؤلاء الثلاثون ألفا المسلسلون قد زحفوا على القلب فزحزحوه .

سعد : لا حول ولا قوة إلا بالله ... أين أبطال تميم ؟ أين القعقاع بن عمرو ؟ ماذا ترى يا خالد ؟

خالد : أنهم لا ريب يريدون هذا القصر لمكانك يا سعد فإن شئت برحته إلى مكان آمن .

سعد : (**غاضبا**) ثكلتك أمك يا ابن عرفطة .. أتدعونى للفرار ويلك ؟ لا والله لا أبرح موضعى هذا حتى أقتل .. أين القعقاع بن عمرو ؟ وعاصم بن عمرو .. سل عنهما يا خالد أين هما ؟ (**يعود ميمون**) . ما عندك يا ميمون هل وجدته فى المحبس ؟

ميمون : نعم وجدته نائما يغط .

سعد : قبحه الله ... يغط نائما والمسلمون فى بأس شديد .

سلمان : اللهم الطف بالمسلمين .

سعد : اللهم نصرك ووعدك .

سلمان : تلك فرسان العدو يا سعد قد اخترقوا الصفوف من جانبى المسلمين .

سعد : اللهم حمى الوطيس ... اللهم وعدك ونصرك .

خالد : تميم لا تعرف أين غاب القعقاع وعاصم .

سعد : أتراهما استشهدا لم يرهما أحد ؟

سلمان : انظر ... هذان فارسان من العدو قد أقبلا نحونا منطلقين .

سعد : جرد سيفك ياخالد وصحْ بالمسلمين النجدة ...

خالد : (**بأعلى صوته شاهراً سيفه**) النجدة النجدة يا أبطال المسلمين ! القصر القصر !!

سلمان : أئذن لى أخرج لهما .

سعد : لا تفعل ... بل تبقى عندى يا أبا عبد الله .

صوت : لبيك ياسعد !.. أنا عِلبْاء بن جحش !.

سلمان : شدّ على أحدهما فأطار رأسه ... أواه ... طعنه الآخر فى بطنه وفر . ويح عِلبَاء انتشرت أمعاؤه فى الأرض وهو يجمعها .

علباء : (**صوته**) رحم الله مسلما أعاننى فأدخل لى أمعائى .

سلمان : هذا رجل من المسلمين قد أعانه .

علباء : (**صوته**) أرجو بها من ربنا ثوابا ... قد كنت ممن أحسن الضرابا .

سلمان : لله ما أثبت جنانه ... ركض إلى الميدان ... ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف .

سعد : اللهم ارحم علباء بن جحش !

سلمان : ما تزال جنود العدو تتقدم وجنودنا تتقهقر فى القلب والميسرة .

سعد : اليست تلك الكتيبة المسلسلة كأنها قطعة صماء من الحديد هى التى زحزحت المسلمين القهقرى ؟

سلمان : بلى وفرسانهم يحمونها من حفَافِيها .

سعد : واها على القعقاع لو شهد !

سلمان : الله أكبر ... ما هذه الأغوال السود قد مرقت من صفوف المسلمين إلى قلب الميدان ؟

سعد : الله أكبر ... لم يمت القعقاع ... هذه أغواله السود ... هذه إبله المبرقعة بالسواد ... هذه فيلة العرب !

سلمان : الله أكبر ... انظر يا أبا إسحاق ... أجفلت خيول العدو وولت منهزمة لا تلوى على شيء ... ارتطم بعضها فى الكتيبة المسلسلة .

سعد : الحمد لله ... كرّت خيول المسلمين تطارد خيول العدو .

سلمان : انظر ... تلك الكتيبة المسلسلة تنهزم يَطَأ بعضها بعضا .

المسلمون : (**يضجون بالتكبير**) الله أكبر .. الله أكبر .

سعد : مُرهم يا خالد ألا يتعقبوا العدو وراء المَعْبَر ...

خالد : أيها المسلمون يأمركم سعد ألا تتعقبوا العدو وراء المعبر .

سعد : الحمد لله قد نفّس الله عن المسلمين وهزم العدو إلى حين .

سلمان : (**يدعو مبتهلًا**) اللهم كما هديتنا فاهدهم إلى سبيلك واجعلهم لنا صديقا يا رب العالمين ...

سعد : آمين .

(ستار)

المشهد التاسع

قصر قديس ... حجرة سعد.

يظهر سعد قاعدا على سريره وحوله سلمان والمغيرة بن شعبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو.

سعد : جاءنى الساعة رسول أمير المؤمنين بأربعة أسياف وأربعة أفراس لأقسمها فيمن انتهى إليهم البلاء من أبطال المسلمين، وقد دعوتكم وأنتم أهل الرأى والمشورة فمن ترون أحق بها من سواهم؟

عاصم : ألا تؤجل ذلك يا أبا إسحاق حتى يحكم الله بيننا وبين القوم؟

المغيرة : أجل يا أبا إسحاق وأنت الآن متعب فلو نمت قليلا قبل أن يكُرَّ القوم علينا كرةً ثانية؟

سعد : لا والله لا أعطل هذه الأفراس والأسياف عن أهلها ليلة واحدة.

المغيرة : إن أهلها لم يُعيَّنوا بعد حتى الآن.

سعد : فقد دعوتكم لتعيينهم.

المغيرة : تكلم يا قعقاع ... تكلم يا عاصم ...

عاصم : لا والله لا نتقدمك.

المغيرة : أخشيتما ألا تذكرانى بين المستحقين؟ والله لو علمت أنى أحدهم لطالبت بحقى من تكرمة أمير المؤمنين، ولكنى أرى

أن تعطى هذه التكرمة لكما ولطليحة بن خويلد وحمّال بن مالك والربيل بن عمرو وعمرو بن معدى كرب وأضيفوا اثنين آخرين.

القعقاع : أين أنتم من الأبطال اليربوعيين الثلاثة فوالله إنهم لأحق الناس؟

سعد : إذاً يزيد عددهم واحدا ليس له شيء.

القعقاع : فليكن نصيبى لذلك الواحد...

سعد : حياك الله يا أبا ربيعة.

عاصم : وأين أنتم من الفارس الملثم فقد أبلى والله بلاء كبيرا اليوم؟

القعقاع : أجل ولكنا لا نعرف من هو...

عاصم : إنه ليشبه أبا محجن الثقفى.

سعد : صدقت وفرسه تشبه فرسى البلقاء ولكن أبا محجن فى الحبس وفرسى فى الإصطبل.

القعقاع : سمعت قوما يحسبونه من الملائكة.

عاصم : وأنا سمعت مثل ذلك.

سعد : فيما سكت يا ابن شعبة ما تقول أنت فيه؟

المغيرة : أما أنا فإنى والله لا أخدع... إنه أبو محجن الثقفى نفسه بلحمه ودمه والفرس فرسك يا سعد.

سعد : لكنى بعثت غلامى يتفقده حينئذ فوجده نائما فى المحبس يغط.

المغيرة : هل بعثته أيضا فتفقد الفرس فى الإصطبل؟

سعد : لا...

المغيرة : فلا ريب أنه انطلق وأقام مكانه غيره وخلفك على الفرس ، مُرْ باحضاره إن شئت .

سعد : انزل يا غلام فأتنى بأبى محجن .

(**يخرج الغلام**) .

المغيرة : ما كان ينبغى أن تحبسه عن القتال يا سعد .

سعد : دعنى من هنيهاتك يا مغيرة .. ما كنت لأدعه يرى المسلمين يتحاضّون على الجهاد فى سبيل الله ... فيتغنى بينهم بأم الخبائث .

(**يعود الغلام بأبى محجن يرسف فى قيوده**) .

أبو محجن : ماذا تريد منى بعد يا سعد ؟

سعد : قل لى فاصدقنى أبرحت المحبس وانطلقت بالبلقاء ساعة البأس ؟

أبو محجن : أنّى لى ذلك ودونى المصراع الحديد وهذه القيود فى يدى ورجلى ؟

عاصم : ولكنا رأينا فارسا يشبهك تمام الشبه يقاتل على البلقاء .

أبو محجن : ما أكثر ما يشبه الناس بعضهم بعضا .

المغيرة : لا تخف يا أبا محجن ... فإن الأمير يريد أن يعطيك جائزة من جوائز أمير المؤمنين ... إن كنت أنت الفارس الملثم .

أبو محجن : أحقا يا سعد ..

سعد : إى والله أفأنت هو ؟

أبو محجن : (**بعد صمت يسير**) لعل الله شاء ألا يحرمنى ثواب القتال وقد نويته فأرسل ملكا على صورتى ليقاتل مكانى ...

المغيرة : (**ينظر إلى أبي محجن مليا ثم يلتفت إلى سعد**) أين الغلام الذى أرسلته يتفقده ؟

سعد : (**يشير إلى الغلام**) ميمون هذا .

المغيرة : هل يعمل معك هنا غلام آخر يا ميمون ؟

ميمون : نعم غلام مولاتى ... مرجان .

المغيرة : اذهب فأحضره .

(**يخرج ميمون ثم يعود سريعا ومعه مرجان**) .

ميمون : هو ذا مرجان .

المغيرة : (**يجرد سيفه على الغلام فيصيح الغلام**) لتقولن الصدق أو لأذبحنك .

(**تدخل سلمى منتقبة**) .

سلمى : مهلا يا أمير الجيش لا ذنب للغلام ... أنا التى أمرته بإطلاق أبى محجن بعد أن وثقت بعهده أن يعود بعد القتال إلى المحبس والقيد ... وقد فعل والله وأوفى بعهده .

(**ينظر القوم إلى المغيرة كأنهم يقولون له قد عرفنا حيلتك**) .

سعد : والبلقاء فرسى ؟

أبو محجن : لا والله لا أظلم صاحبة الفضل علىّ فيما صنعت لله ما هى أهله . لقد سألت سلمى أن تأذن لى بالفرس فلم تفعل فسطوت على البلقاء غصبا فإن كنت معاقبى على شيء فعاقبنى على أخذى الفرس دون إذن ذويها ...

سعد : كلا والله لا أعاقبك ... لقد أبى الله أن تقاتل خيول المسلمين وتبقى البلقاء مربوطة فى الإصطبل ... خذها إليك يا أبا محجن مكافأة لك على حسن بلائك .

أبو محجن : ماذا أصنع بالبلقاء وأنا مقيد فى المحبس؟.

سعد : حلّ القيود عنه يا غلام .

(يحل ميمون القيود عن يديه ورجليه) .

أبو محجن : جزيت الخير يا سعد إنك لأمير كريم ..

سعد : لا تشكرنى واشكر صاحبة الفضل عليك سلمى بنت آل خصفة .. لا كنت ابنْ حرة إن أغضبتها أو عتبت عليها بعد اليوم .

سلمى : غفر الله لك يا سعد .. لئن كنت أغضبتنى لأنا الجانية عليك الظالمة لك إذ لمتك وأنت على حالك لا تستطيع النهوض والحركة .

سعد : يغفر الله لك يا سلمى .. هل نهض عندك عذرى الآن ؟

سلمى : يشهد الله إنها لكلمة أرسلتها عن غير قصد منى فهبها لى يا صاحب رسول الله فوالله ما اكتحلت عينى بنوم ولا قر لى قرار منذ قلتها .

سعد : لا عليك يا سلمى بل سامحينى أنت إذ لطمتك فقد ترين ما أنا فيه من الكرب وضيق العطن .

سلمى : عافاك الله يا سعد .. لئن كنت لطمتنى لَبيَدٍ بايعت يمين رسول الله وذَبّتْ عنه فهي شرف لى .

سعد : لا عدمتك يا سلمى .

أبو محجن : إى والله يا بنت آل خصفة إنك لكريمة عند بعل كريم .

سعد : أحسنت إذ شكرتها يا أبا محجن .

أبو محجن : لقد نسيتَ أمراً يا سعد .

سعد : وما هو ويحك ؟

أبو محجن : أن تقيم حد الخمر عليّ .

سعد : هيهات يا أبا محجن هيهات أن أكون أكرم من ربى فأعفو عنك ولا يغفر الله لك عز وجل .

أبو محجن : لكنها كفارة أطهر بها من ذنبى .

سعد : إنى لأرجو أن قد غفر الله لك وكفّر عن خطيئتك بما دفعت عن المسلمين اليوم،ولعل الله يتوب عليك فلا تعود لشربها ابداً .

أبو محجن : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) أفلا تدعو الله لى بذلك يا سعد فإنك لمجاب الدعوة ؟

سعد : (**رافعا يديه**) اللهم اغفر لعبدك أبى محجن وتب عليه .. اللهم بغّضْها إلى نفسه كما حببت إليه الجهاد فى سبيلك .

أبو محجن : (**فرحا**) فزت بدعوة سعد ورب الكعبة !

يا خمر لاحظ لى فى ... تبْـرك أو فى لجينـك
لقد صحِبتُك حتى ... قضيت كامل دينك
وكنت قرة عينى ... وكنت قرة عينك
فودعى اليوم، هذا ... فراق بينى وبينك

(ستـار)

المشهد العاشر

خيمة القعقاع بن عمرو.
هنيدة جالسة وإلى جانبها ابنها ربيعة يغط فى النوم.
(يدخل القعقاع وعاصم).

القعقاع : أنت وحدك يا هنيدة؟
هنيدة : الحمد لله إذ أنتما بخير.
عاصم : أين أم عمرو وعمرو فإنى لم أجدهما فى الخباء؟
القعقاع : وأين لبنى؟
هنيدة : هكذا أنتم تلوموننا إذا قلقنا عليكم وأنتم فى بأس وقتال ولا تلومون أنفسكم إذا قلقتم علينا ونحن فى أمن وعافية.
القعقاع : أين لبنى؟؟
عاصم : وأين عمرو وأم عمرو؟
هنيدة : (**تلمح أثر الدم فى كتف زوجها**) ويحك ما هذا؟
القعقاع : جرح صغير، أين لبنى؟
هنيدة : (**تنهض**) انتظر حتى أرى هذا الجرح (**تكشف عنه**) أنت الذى ربطته؟
القعقاع : نعم.. أين لبنى؟
هنيدة : (**تغسل الدم عنه وتعيد رباطه**) كيف أصابك هذا يا أبا ربيعة.

عاصم : ألم تعلمى يا أم ربيعة أنه بارز اليوم ثلاثين فارسا من العدو فقتلهم ؟

هنيدة : بلى قد علمت .

عاصم : وتسألينه كيف أصابه هذا ؟

هنيدة : نعم ...

القعقاع : هذا من ضربة ذى الحاجب فهل لك أن تخبرينى الآن أين لبنى ؟

عاصم : وأين عمرو وأم عمرو ؟

هنيدة : خرجوا مع حاجب بن زيد ليعاونوه .

القعقاع : من حاجب بن زيد هذا ؟

عاصم : شيخ من الأنصار جعله أمير المؤمنين صاحب الشهداء ووكل إليه حمل القتلى ودفنهم .

القعقاع : (مداعبا) ويحك يا هنيدة تركت أم عمرو تخرج للنصَب والكبَد وبقيت أنت فى الخباء . هذا ليس من العدل .

هنيدة : لا شأن لك بما بيننا نحن نقوم بذلك على التناوب . فاليوم نوبتها وغدا نوبتى .ها هم قد أقبلوا .

(يدخل عمرو وأم عمرو ولبنى ويقف حاجب بن زيد فى فناء الخيمة وخلفه جمهرة من صبيان المسلمين ونسائهم) .

حاجب : السلام عليكم ورحمة الله .

القعقاع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

عاصم : مرحبا بك يا حاجب . هذا القعقاع أخى .

حاجب : (**يصافحه فى احتفال**) مرحبا بالفارس الذى صرع منهم عِدّة أيام الشهر .

هنيدة : اجلس قليلا معنا يا أخا الأنصار .

حاجب : ما جئت إلا لأوصل أم عمرو والأولاد .

عاصم : لا بأس أن تجلس قليلا معنا .

حاجب : علىّ أن أوصل هؤلاء واحدا واحدا إلى خيام أهليهم ... ثم أمضى بعد ذلك إلى أمير الجيش لأخبره بعدد قتلى المسلمين حتى يكتب بذلك إلى أمير المؤمنين .

عاصم : ترى كم عددهم؟

حاجب : زهاء ألف وخمسمائة .

هنيدة : لا حول ولا قوة إلا بالله . رُبَّ أمّ ثَكِلَتْ . وامرأة ترملت وطفل تيتم وبيت تهدم .

حاجب : فى سبيل الله يا أم ربيعة وفى سبيل المستضعفين من الناس .

القعقاع : أوَقد دفنتم هؤلاء جميعا؟

حاجب : نعم .

القعقاع : طوبى لك يا صاحب رسول الله . إنك بعملك هذا لتفضلنا جميعا فقد أكرمت الشهداء بدفنهم وقويت قلوب المسلمين فلن يروا أشلاء أصحابهم ممزقة فى الميدان .

حاجب : بارك الله للمسلمين فى نسائهم وأطفالهم فإنما بمعونة هؤلاء أنجزنا الذى أنجزناه .

(**يلتفت إلى جمهرة الأطفال والنساء**) . هيا بنا يا رفاق .(**يخرج ويخرجون**) .

أم عمرو : ألا نرجع إلى خبائنا يا عاصم؟
عاصم : لم لا تبقين هنا مع آل أخى فإننا ماضيان الساعة.
أم عمرو : إلى أين؟
عاصم : هذا سر يا أم عمرو.
هنيدة : سر علينا نحن؟ ألا تثقان بنا؟
أم عمرو : ألا تثق بى يا عاصم؟
هنيدة : ألا تثق بى يا قعقاع.
القعقاع : بلى والله. أبعد فيلة العرب نضن عليكما بسر؟
هنيدة : بحسبنا هذا فإن شئتما أن تكتما السر عنا فاكتماه.
عاصم : لا والله لا نكتم عنكما مذ اليوم شيئا.
القعقاع : أنا ذاهب لأسرب أصحابى فى طريق الشام حتى إذا طلعت الشمس غدا أقبلوا مائة مائة فإن جاء أميرنا هاشم بن عتبة فذاك وإلا جددوا للمسلمين رجاء وللمشركين يأسا وخذلانا.
عاصم : وأنا فاعل مثل ذلك بأصحابى فأسر بهم إلى ما وراء العذيب ليقبلوا مع طلوع الشمس مائة مائة حتى يظن المسلمون والمشركون على السواء أننا مدد آخر من عند أمير المؤمنين.

(ستــار)

المشهد الحادي عشر

قصر قديس.

سعد وسلمان وعندهما مُسلمة الفرس: ضخم ومسلم ورافع وعشنق وقباذ والزّفيل.

سعد : هل أرسلت فى طلب الأربعة يا خالد؟

خالد : نعم ها هم أولاء قد أقبلوا.

سعد : دعهم يصعدوا إلىّ.

(يظهر عاصم والقعقاع وحمّال بن مالك والربيل بن عمرو عند خالد ثم عند سعد على السطح).

سعد : مرحبا بفارسى تميم وفارسى أسد.

عاصم : أرسلت فى طلبنا يا أبا إسحاق؟

سعد : نعم ماذا فعل الله بالفيلة؟

القعقاع : لم نجد لها سبيلا بعد.

عاصم : لم نستطع قطع وضنها كما فعلنا فى اليوم الأول فقد احتاطوا فجعلوا رَجالة يحمونها وفرسانا يحمون الرَّجالة.

سعد : قد وجدنا لكم سبيلا خيرا من قطع الوضن.

عاصم : هؤلاء الإخوة من مسلمة الفرس جاءونا الساعة فأخبرونى أن مقتل الفيلة فى عيونها ومشافرها لا ينتفع بها بعدها.

القعقاع : هذه إذن هى القاضية. لنجعلن عيونها مكاحل ورماحنا مراود!

حمال : لكنا أربعة وعدد الفيلة ثلاثة وثلاثون .

الرفيل : فليضف إلينا تسعة وعشرين رجلا من أهل النجدة والقوة .

قباذ : ليس لكم أن تفعلوا ذلك بالفيلة كلها وإنما عليكم بالفيل الأبيض والفيل الأجرب فالفيلة آلفة لهما تتبعهما أينما ذهبا فإذا نفرا نفرت الفيلة وراءهما .

عاصم : هان الأمر إذن .. أنا والقعقاع سنكفيكم الفيل الأبيض .

الربيل : وأنا وحمال سنكفيكم الفيل الأجرب .

قباذ : إياكم لا تنسوا أن تنخسوا الفيلين بعد ذلك حتى يفرا إلى ناحيتهم لا إلى ناحية المسلمين .

(يخرج الرجال التسعة منطلقين) .

(تدخل سلمى وعفيرة ومعهما الخنساء) .

سلمى : هذه الخنساء يا سعد .

سعد : أهلا بك يا أخت بنى سليم . أين كنت ؟ لماذا لم تبقَى فى خيمتكَ ؟

الخنساء : أحقا جاءوا عندك هنا هذا الصباح ؟

سعد : نعم ... قالوا إنهم مروا على خيمتك فلم يجدوك .

الخنساء : واأسفاه . لو كنت أعلم أنهم آتون فى الصباح ما خرجت ... لقد انتظرتهم البارحة طول الليل فلما طلع الصباح ولم يحضروا خرجت أسأل عنهم فى كل مكان حتى ساقتنى قدماى إليك .

سعد : هونى عليك فسوف ترينهم إن شاء الله آخر النهار .

الخنساء : آخر النهار ... وما يدرينى أنهم سيعيشون حتى آخر النهار ؟

سعد : ويحك يا خنساء أتجزعين كل هذا الجزع عليهم وأنت تعلمين أنهم مقاتلون فى سبيل الله ؟

الخنساء : والله ما أدرى ماذا دهانى أيها الأمير ... لقد كنت أنا التى حرضتهم على الخروج ثم أبيت إلا أن أخرج معهم تشجيعا لهم ، فلما شب القتال إذا قلبى يرجف عليهم خوفا ، فياليتنى بقيت فى ديار قومى وخرجوا هم دونى للجهاد .

سعد : أما وقد خرجت معهم فتشجعى وتجلدى ولا تظهرى لهم الجزع فيجزعوا وتخور نفوسهم . واعلمى أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم .

الخنساء : سأفعل أيها الأمير فخبرنى أين هم الآن ؟

سعد : قد رجعوا إلى الميدان .

الخنساء : ألا ترسل فى طلبهم لأراهم نظرة واحدة ثم ليعودوا إلى مواقعهم ؟

سعد : يا خالد أرسل فى طلب المسلمين الأربعة أبناء الخنساء .

الخنساء : جزاك الله خيرا أيها الأمير .

صوت : (**من الخارج**) انصفنى يا سعد ... انصفنى ممن ظلمنى .

سعد : من هذا ؟

خالد : هذا ابن أم مكتوم .

سعد : اصعدوا به إلىّ .

ابن أم مكتوم : (**صوته**) ابعث إلى جرير بن عبد الله البجلى والمغيرة بن شعبة فهما اللذان ظلمانى .

سعد : أرسل فى طلبهما يا خالد ليحضرا فى الحال .

(تنسحب النسوة الثلاث إلى حجرة سلمى ثم يدخل ابن أم مكتوم يقوده غلام سعد) .

سعد : مرحبا بك يا ابن أم مكتوم يا مؤذن رسول الله . هلا أجلت شكواك حتى تنتهى المعركة ؟

ابن أم مكتوم : إذا انتهت المعركة انتهى كل شيء . ،

سعد : ما مظلمتك ؟

ابن أم مكتوم : هذان الرجلان جرير بن عبد الله والمغيرة بن شعبة صدانى عن الجهاد فى سبيل الله .

سعد : إن أحدا لا يستطيع أن يصدك يا ابن أم مكتوم فأنت فى الجهاد أينما كنت .

ابن أم مكتوم : (**مغضبا**) آأنت أيضا ترى رأيهما يا سعد ؟ واخيبتاه إذن إن كنت أنت الخصم والحكم .

سعد : مَعاذ الله أن أراك مظلوما فلا أنصفك ممن ظلمك .

(يدخل أبناء الخنساء الأربعة يزيد وحزن وعمرو وسراقة فيومئ لهم سعد أن أجلسوا فيجلسون ثم يدخل خلفهم جرير بن عبدِ الله والمغيرة بن شعبة) .

المغيرة : ابن أم مكتوم هنا عندك يا أبا إسحاق ؟

جرير : من أجله أرسلت فى طلبنا ؟

سعد : أجل ... فيم أغضبتماه ؟

جرير : والله ما أردنا به إلا خيرا .

ابن أم مكتوم : الخير عندكما ألا أجاهد فى سبيل الله ؟

جرير : إننا نخشى يا سعد أن يصيب أحدا من المسلمين وهو يظنه من العدو .

ابن أم مكتوم: ويلكم والله ما أنتم بأبصر منى فى ذلك .. إنى لأحس بقرب العدو وأجد رائحته من بعيد . سلوا بى طليحة بن خويلد فقد كان يخرجنى معه فى سراياه .

المغيرة : يقول الله تبارك وتعالى ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ .

ابن أم مكتوم: ويحك ليس على هؤلاء حرج إن تركوا الجهاد ، ولكن ليس عليهم حرج كذلك إن رغبوا فيه فافقهوا يا أولى الأبصار !

سعد : صدق والله ابن أم مكتوم .

المغيرة : هل أخبرك يا سعد أنه أراد أن يحمل لواء المسلمين ؟

سعد : أحقا يا ابن أم مكتوم؟

ابن أم مكتوم: نعم ، أفى الحق يا ابن أبى وقاص أن يأمننى رسول الله ﷺ على المدينة فيستخلفنى عليها كلما خرج منها ولا يأمننى هؤلاء على خرقة أحملها بين يدى العدو ؟

المغيرة : شتان يا عبد الله بين هذا وذاك .

سعد : هلا تركت حمل اللواء لغيرك يا عبد الله ؟

ابن أم مكتوم: ألم أقل لك أنك أنت الخصم والحكم ؟

سعد : يا ابن أم مكتوم ... أتريد أن تأخذ اللواء ممن هو أحق به منك ؟

ابن أم مكتوم: كلا ليس فيهم من هو أحق به منى .

سعد : يا ابن أم مكتوم إن الله قد أعفاك من ذلك .

ابن أم مكتوم : ألأنى أعمى ؟ لم تخاف أن تدعونى كذلك ؟ أما والله إنه للّقب الذى أعتز به منذ ذكرنى به الله من فوق سبع سماوات !

سعد : أجل هو ذاك يا عبد الله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

ابن أم مكتوم : إنى أعمى لا أرى شيئا فلا أستطيع أن أقاتل العدو بسلاحى ولكننى أستطيع أن أرفع اللواء .

جرير : غيرك يستطيع أن يرفع اللواء خيرا منك .

ابن أم مكتوم : كلا إن غيرى يستطيع أن يفر إذا رأى ما يفزعه ، ولكننى لا أستطيع أن أفر ولو أردت ذلك ، فأقيمونى بين الصفين وخلاكم ذم .

سلمان : ما أراك يا ابن أم مكتوم إلا تطلب الشهادة .

ابن أم مكتوم : إى والله يا سلمان إياها أطلب ... تلك التى تجمعنى والأحبة ، محمدا وصحبه .

سعد : يا قوم سلّموه اللواء وأقيموه بين الصفين والله يفعل ما يشاء .

جرير : هلم يا ابن أم مكتوم (**يأخذ بيده فيخرجان ويخرج خلفهما المغيرة**) ...

(تدخل الخنساء فيقوم لها أبناؤها الأربعة فتحتضنهم ويحتضنونها) .

الخنساء : الحمد لله على لقائكم ... ماذا أخّركم عنى البارحة ؟

يزيد : احتاج زهرة بن الحوية إلى رجال ليرابطوا فى مسلحته بالقنطرة فانضممنا إلى رجاله ورابطنا معهم طول الليل فلما أصبح الصباح جئنا لنراك فلم نجدك فى خبائك .

الخنساء : خرجت حينئذ أبحث عنكم يا بنى.

يزيد : لِمَ فعلت ذلك يا أماه؟ ألا تقصرين عن جزعك هذا وإشفاقك؟.. أما كنت تحرضيننا على الجهاد؟ فها هو ذا الجهاد فما عدا مما بدا؟

الخنساء : صدقت يا بنى، والله لا أعود إلى مثلها أبدا ... لأربطن أمركم إلى ربى، وليكونن سواء عندى أن تعودوا إلى أمكم منصورين، أو تفيئوا إلى ربكم شهداء مبرورين.

الأربعة : (**فرحين**) بوركت يا أماه ... الآن سنمضى للقتال بنفس مطمئنة.

الخنساء : يا بنى أرأيتم ذلك الشيخ الضرير الذى كان هنا منذ الساعة؟

الأربعة : نعم ...

الخنساء : وسمعتم حديثه؟

الأربعة : نعم ...

الخنساء : فالحقوا به وقاتلوا من حوله وذُبُّوا عن اللواء الذى يحمله.

الأربعة : حبا وكرامة يا أماه.

الخنساء : يا بنى اسمعوا وصيتى. إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، لم تنب بكم البلاد، تقحمكم السَّنة ... والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ... انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره، واصبروا فإن الله مع الصابرين.

سعد : هيه يا خُنَاس. أتذكرين إذ قالها رسول الله ﷺ وأنت تنشدينه من شعرك؟

الخنساء : ويحك يا أبا إسحاق ومن ذا ينسى حديث رسول الله ﷺ ؟

سعد : فوالله لو سمع حديثك اليوم لكان أحب إليه من شِعْرِكِ !

(ستـــار)

المشهد الثاني عشر

جانب من المعسكر الفارسى .

رستم : (**بأعلى صوته**) امضوا فى دفع الفيلة صوب القصر حتى تحدقوا به فإذا وقع فى أيديكم فقد تم لكم النصر . (**ينظر إلى الأرض**) ويلكم .. هذه جثث قتلانا منذ البارحة تبا لكم ... هلا حملتموها ودفنتموها ؟ ماذا كان يعمل عبيدكم وخدمكم ؟

الفيرزان : غلبهم النوم فناموا من فرط التعب .

رستم : أجل من فرط ما تعبوا فى خدمتكم أنتم ... لقد أخرج كل واحد منكم خدمه وعبيده ليخدموه ويرفهوه ويكونوا برهانا على شرفه وجلالة قدره ... أما أن يعاونوا فى أمور القتال فلا ... شد والله ما ألقى منكم !

الفيرزان : هون عليك يا رستم فإنما هذه الجثث لأموات ، ولا تستطيع إعادتهم إلى الحياة .

رستم : لكن منظرهم يثير الرعب فى قلوب جنودنا فيضعف عزائمهم .

الفيرزان : ولم لا يثير فى قلوبهم الحمية وحب الانتقام والثأر من عدوهم؟ ألا ترى صفوفنا تتقدم وصفوفهم تتقهقر ؟

رستم : إنها الفيلة يا فيرزان تحميها الرّجالة والفرسان .

(يظهر الجالينوس ويقترب من رستم) .

الجالينوس : أبشر يا رستم ... جند شاهنشاه قد وصلوا .

رستم : أين هم ؟

الجالينوس : فى البر الآخر .

رستم : قل لهم يعبروا إلينا فى الحال .

الجالينوس : فى الحال (**يخرج**) .

رستم : (**بأعلى صوته**) أيها الجنود ... لقد جاءكم المدد من المدائن ! هذا شاهنشاه قد أرسل إليكم حرسه الخاص ... جند شاهنشاه الأقوياء ...

أصوات : عاش شاهنشاه !. المجد لشاهنشاه !.

رستم : وهذه الفيلة تقتتل بشدة وعنف فأيقنوا بالنصر وليكف كل واحد منكم من يليه .

الهرمزان : وَىْ ... انظر يا رستم ... هجم جماعة من فرسان العدو على الفيلة !

رستم : دعهم لتهرسنهم بأرجلها هرساً .

الهرمزان : وَىْ !.. قصدوا الفيل الأبيض والفيل الأجرب .

(يرتفع عواء الفيلين مثل قُباع الخنزير) .

رستم : انخسوا الفيلين حتى يتقدّما على صفوف العدو وتتبعهما الفيلة .

(ستــار)

المشهد الثالث عشر

قصر قديس.

سعد وسلمان على السطح وعندهما سلمى وعفيرة.

سلمان : انظر يا سعد... الفيلان يرتادان ما بين الصفين، إن ارتدا ناحية الفرس وخزوهما، وإن ارتدا ناحية المسلمين وخزوهما.

عفيرة : والفيلة الأخرى حائرة لا تدرى ما تفعل.

سعد : ويح الحيوانين المسكينين!. إن عواءهما ليقطع نياط القلب!

سلمان : الله أكبر... الفيلان أدبرا... ويمما صوب نهر العتيق.

سلمى : والفيلة وراءهما لا تلوى على شيء...

سعد : اللهم اغفر لعاصم والقعقاع ولحمال والربيل... اللهم اغفر لمسلم ورافع وضخم والرفيل وقَباذ وعشنق.

سلمان : وتنسى أخاك سلمان يا سعد؟

سعد : سلمان سيدنا... سلمان منا أهل البيت...

خالد : هذا ابن أخيك هاشم بن عتبة.

سعد : أهلا به ومرحبا... دعه يصعد إليّ...

(تنسحب سلمى وعفيرة إلى الداخل).

(يدخل هاشم بن عتبة ومعه قيس بن هبيرة)

هاشم : السلام عليكم.

سعد وسلمان : وعليكم السلام ورحمة الله .

هاشم : هذا قيس بن هبيرة المرادى .

سعد : أهلا بفارس العرب .

قيس : كيف تجدك اليوم يا أمير الجيش ؟

سعد : كما ترى مكبا على وجهى عاجزا عن الحركة ، والحمد لله على كل حال. هل بقى من جيشك أحد فى الطريق يا هاشم ؟

هاشم : لا يا عم .. كنت أنا وقيس فى آخر فوج .

قيس : واحسرتا ما كنا نظن أن القتال يوشك أن يبدأ ، وإلا لأغذذنا السير إليكم فلوصلنا مع القعقاع بن عمرو .

هاشم : أجل فاتنا خير كثير .

سعد : هوّنا عليكما فما زال القتال فى عنفوانه .

سلمان : ومجيئكم أرسالًا تَتْرَى كان له وقع حسن فى نفوس المسلمين ووقع سيىء فى نفوس المشركين .

سعد : خالد بشر المسلمين بقدوم جيش الشام وقدوم أميره هاشم بن عتبة .

خالد : أيها المسلمون ... أبشروا فقد قدم جيش الشام وقدم أميره هاشم بن عتبة !

المسلمون : (**تتردد أصواتهم فى الميدان**) الله أكبر .. الله أكبر !..

(**ستار**)

المشهد الرابع عشر

جانب من معسكر الفرس .

الفيرزان : ألم أقل لك يا رستم ؟

رستم : ألم تقل لى ماذا ؟

الفيرزان : إن الفيلة لا جدوى منها فى قتال هؤلاء الأجلاف فلم تسمع لقولى . ها هى ذى قد وطئت مئات من جنودنا وجرفتهم إلى النهر وعبرته مولية ولن تكف عن نفارها حتى تصل إلى المدائن ... ليراها شاهنشاه فيتأكد من سوء التدبير !

رستم : أشامِتٌ أنت يا فيرزان ؟

الفيرزان : بل آسف على ما لحقنا من الهزائم لسوء التدبير .

رستم : (**يتنهد**) آه !!.

الفيرزان : إنك لتشاركنى فى الأسف .

رستم : (**فى غيظ مكتوم**) قسما لولا أن الوطن فى خطر لطلبتك الساعة للمبارزة ، فما ينبغى لمثلك أن يعيش فى هذه الأمة .

الفيرزان : لمَ يا سيدى ؟ أيصح لمثلك وحدك أن يعيش ؟

رستم : إنك لا تنسى نفسك أبدا حتى فى ساعة العسرة .

الفيرزان : وأنت هل نسيت نفسك قط يا رستم ؟ أنسيت نفسك حين طمعت فى العرش مثلما فعل أبوك قبلك ؟

رستم : ويلك أما زلت تذكر هذا بعد ما توجنا يزدجرد ملكا علينا ... وأجلسناه على عرش آبائه ؟

الفيرزان : إنما رضيت وسكت لأنه ولاك مقاليد الأمور .

رستم : ويغضبك ذلك ؟

الفيرزان : ما أغضبنى إلا اليوم إذ رأيت سوء المصير .

رستم : كنت تطمع أن يوليك أنت القيادة ؟

الفيرزان : لو فعل لاختلف المصير .

رستم : يا فيرزان إننا لم نبدأ القتال بعد ... القتال الحق إنما يبدأ الآن ، وها نحن أولاء قد تخلصنا من الفيلة التى لا تعجبك فهيا أرنا شجاعتك وإقدامك . (**يومئ بيده للجنود كأنه يأمرهم أن يصغوا إليه**) أيها الجنود !

الجالينوس : (**بأعلى صوته**) أيها الجنود ... استمعوا إلى قائدكم فإنه يريد أن يخطبكم !..

رستم : أيها الجنود !.. إنا لن نضع السلاح اليوم حتى يفصل بيننا وبين هؤلاء العرب . إن مصير أمتنا يكتب فى هذه اللحظات ، فكونوا جديرين بدولة فارس ذات الحضارة والمجد ... أيها الجنود ! إنى لن أبرح هذا الميدان اليوم حتى يكون أحد أمرين لا ثالث لهما : فإما أن تنتصروا وإما أن أموت فداء وطنى ، ومليكى !. أيها الجنود !. إنى أناشد كل قائد أو جندى فيكم لا يجد فى نفسه الحماسة لقتال هؤلاء الغزاة ، إلا ما خرج من صفوفنا ، ورجع إلى أهله أو إلى إقطاعيته ، حتى يتحقق لنا النصر ، فإن وجوده معنا خذلان وتوهين ..

أيها الجنود البواسل .. إن مليكنا يزدجرد ينتظر فى المدائن ، وإن ملكهم أو أميرهم عمر ينتظر فى المدينة ، وفى وسعكم وحدكم أن تقرروا أيهما ينبغى أن يبكى ترحا ، وأيهما ينبغى أن يضحك فرحا .. لقد آليت أن أقاتل اليوم حتى يُفصل الأمر فهل أنتم معى ؟

الجنود : أجل نحن معك يا رستم !. قدنا يا رستم حيث تريد !..

رستم : أيها الجنود ... يظن هؤلاء العرب أنكم لا تستطيعون أن تقاتلوا إلا بالفيلة ، فكذبوا لهم هذا الظن ، وأثبتوا لهم أنكم من سليل أولئك الأبطال الذين دوخوا الممالك وفتحوا العالم !

(ستـــار)

المشهد الخامس عشر

قصر قديس .

سعد وسلمان وعندهما طليحة بن خويلد وعمرو بن معدى كرب .

سعد : ما أرى القوم إلا مستقتلين اليوم .

سلمان : أجل قد أمسى الليل وليس ما يدل على أنهم سيكفون عن القتال .

عمرو : إن أرادوا قتالا بالليل قاتلناهم .

طليحة : أبلغنى صاحبى مسلم بن عبد الله أن رستم قد استيأس واستقتل وأنه لا يريد الرجوع حيا إلا إذا انتصر .

سلمان : حقا إنهم ما قاتلوا كاليوم قطّ .

طليحة : ألا تذكر يا سعد كيف كان رستم يطاولك قبل وقوع الصدام لعلنا نضيق ذرعا فنعود من حيث جئنا ، ولكنك غلبته فاضطررته إلى القتال . فكذلك هو اليوم يرى المسلمين قد نهكهم القتال من الصباح ، فأراد أن يصابرنا بجنوده ، فالغلبة لأصبر الفريقين اليوم .

سعد : إن كان الأمر كما ذكرت فإنى سأنتظر حتى نصلى العشاء فأكبِّر تكبيراتى الأربع كأننا نقاتلهم فى يوم جديد لئلا يقع الاضطراب فى صفوفنا فماذا ترون ؟

سلمان : هذا حسن ليشعر المسلمون أنهم ماضون بعد صلاة العشاء إلى ملحمة جديدة .

عمرو : أليس جهاد الأعداء يا سلمان أفضل من صلاة العشاء ؟

سلمان : ويحك يا أبا ثور هل نصرنا الله على هؤلاء الأكاسرة إلا بصلاتنا وطاعتنا وتقوانا ؟

طليحة : يا ابن معدى كرب ألا تحمد الله أن لم تكن قُتلت فى الردة فجئت تجادل سعدا وسلمان فى الصلاة ؟

عمرو : أما أنى لأصلينها والله ، وإنما حديثى عن عامة المسلمين .

سعد : لا جناح عليك ... أصغيا إلىّ الآن ... قد علمت بوجود مخاضة أسفل من المعسكر ، وإنى أخشى أن يأتونا منها فيفاجئونا من الخلف ، فاذهبا إليها وسأندب معكما ثُلّة من الرجال ، فإن وجدتما القوم قد سبقونا إليها فانزلا بحيالهم ... وإن لم تجداها علموا بها فأقيما حتى يأتيكما أمرى .

طليحة : هلم يا أبا ثور الساعة ننطلق .

عمرو : ألا نصلى العشاء أولا ؟

طليحة : سنصليها فى المخاضة .

(**يخرجان**) .

(**ستار**)

المشهد السادس عشر

أمام المخاضة .

عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد ومعهما سبعة من الفرسان بينهم مسلم بن عبد الله .

مسلم : ها هى ذى المخاضة وليس بها أحد .

عمرو : عجبا كيف غفل عنها العدو ؟

طليحة : ما إخالهم غفلوا عنها ، ولكنها لا تبقى على حال فلا يؤمن جانبها . والردم الذى أقاموه أصلح منها وأسلم عاقبة .

عمرو : (**يقف على طرف المخاضة ويستقبل جهة الشمال**) إلام يفضى بنا هذا السبيل ؟ أليس إلى ما خلف جناحهم الأيسر ؟

مسلم : بلى يا أبا ثور .

عمرو : فلِمَ لا نُغِير عليهم من هذا السبيل فنقتل منهم ونغنم بعض متاعهم ؟

طليحة : لا ينبغى يا أبا ثور أن نخالف أمر سعد ، فقد أمرنا إذا لم نجد بها أحدًا أن نقيم حتى يأتينا أمره .

عمرو : ويلك يا كاهن بنى أسد ... أفكنت يوم تسللت إلى معسكر رستم كنت تطيع أمر سعد ؟ إن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب .

طليحة : إذن فإني أرى خيرا من ذلك أن نعبر المخاضة إلى البر الآخر حتى نقف من خلف الردم فنرفع أصواتنا بالتكبير .

عمرو : كلا ... ليس هذا خيرا مما اقترحت ... إنهم إن سمعوا التكبير نذروا بنا فلا نجد منهم مهربا .

طليحة : يا أبا ثور إن الذى يجد سبيل الذهاب لن يعدم سبيل العودة ، وأنت فارس العرب فلتكن أسوة حسنة لأصحابك .

عمرو : يا ابن خويلد ... إن هؤلاء ليسوا جميعا مثلى ومثلك ، فليس لك أن تركب بهم الشطط أو تتقحم بهم الخطر .

طليحة : إنهم حضور يا أبا ثور فدعهم ينطقوا بألسنتهم .

عمرو : لو كان من وراء هذا الذى اقترحته خير لما باليت بما يصيبنا أو يصيبهم ، ولكنها تكبيرة أو تكبيرتان ثم لا طائل بعد ذلك .

طليحة : رويدك يا أبا ثور .. إن تكبيرة يسمعونها بغتة من خلف الردم فى هذا الظلام الدامس من حيث لا يتوقع أحد منهم أو يخطر له على بال لتزلزلنهم زلزالا ولتبلبلنهم بلبالا ولتفعلن فيهم ما لا تفعله كتيبة مدججة !

عمرو : ويحك إن هذا الذى ترجوه من خطتك لأرجوه أنا من خطتى كذلك مع العافية وحسن العاقبة .

طليحة : كلا يا عمرو إنكم ستجدون حراسهم وديدباناتهم على حذر منكم ، فلن يروعهم منكم إلا ما يروعهم من غارة صغيرة على أطرافهم فأين هذا من ذاك ؟

عمرو : يا طليحة لك خطتك ولى خطتى ...

طليحة : أيها الرجال قد سمعتم ما دار بينى وبين أبى ثور فمن يتبعنى منكم ؟

عمرو : لا أحد ... حذار يا قوم أن يتبعه أحد منكم فإنما أنتم تحت إمرتى .

طليحة : كلا يا أبا ثور لم يجعلك سعد أميرا على أحد وإنما جعلك رائدا لهم ...

عمرو : أفجعلك أنت الأمير ؟

طليحة : بل جعلنى رائدا مثلك فأنا وأنت رائدان .

عمرو : ويحك ألست ترى أن ذلك ظلم على مثلى ومثلك ؟ فارس اليمن وفارس مضر لا يجوز لأحد منهما أن يُؤمر على سَرية ؟

طليحة : مَهْ يا أبا ثور تلك وصاة أمير المؤمنين ... ليس فينا خاصة بل فيمن كان من أهل الردة عامة .

عمرو : (**يشهد**) يا لها من زلة ما أقصرها أعقبت ندما ما أطوله !

طليحة : كل امرئ بما كسب رهين يا ثور ...

عمرو : لكنا تبنا وآمنا يا ابن خويلد .

طليحة : فالذى يتولى جزاءنا يا عمرو . هو الله رب العالمين وليس أمير الجيش ولا أمير المؤمنين .

عمرو : صدقت .

طليحة : فهيا اتبعنى .

عمرو : أتستدرجنى ويلك ؟..

طليحة : أليس فيكم من يريد أن يتبعنى ؟

عمرو : لا أحد ... اذهب وحدك .

طليحة : لأذهبن وحدى والله .

مسلم : وأنا معك .

طليحة : بوركت يا صاحبى هلم !!.

(ستــار)

المشهد السابع عشر

رستم فى معسكره إلى جانب العتيق وحوله بعض قواده .

رستم : هيا يا قوم حثوا الجنود على الإسراع لينتهوا من طعامهم وشرابهم وقضاء حاجَتِهم .

الفيرزان : لا تلق بالجنود إلى الهلكة يا رستم ولا تكلفهم فوق ما يطيقون. أرح الجيش الليلة حتى إذا كان الغد باكرنا العدو بالقتال ...

رستم : إن عدوكم يريد مواصلة القتال .

الفيرزان : بل ارتدوا إلى خيامهم وما بقى على المصاف إلا القليل .

رستم : إنما ارتدوا ليتعشوا ويصلوا ، ثم يعودون إليكم أقوى مما كانوا وأشد .

الفيرزان : اشهدوا يا قوم أننى قد نصحته وحذرته .

(**ينتبذ ناحية**) .

رستم : (**يتمتم**) حذرتنى نعم ... نصحتنى لا .

(**يدنو الجالينوس من رستم**) .

الجالينوس : (**متوددا**) هل تشك فى إخلاصى لك يا رستم؟

رستم : لا يا جالينوس .

الجالينوس : فإنى أرى أيضا مثل رأى الفيرزان ... أرحهم الليلة يا رستم حتى يقاتلوا غدا بروح وعزيمة .

رستم : (يتنهد) أواه لقد أكل عمر كبدى ... أكل عمر كبدى.
طاولتهم قبل القتال عسى أن يضيقوا ذرعا فيرجعوا عنا
فغلبونا واضطررنا لعبور النهر إلى ناحيتهم ... وها هم أولاء
يصابروننا الليلة فى القتال فالغلبة لأصبر الفريقين فتأتى أنت
يا صديقى وتنصحنى بالراحة !

الجالينوس : إنى لأعلم أنك تريد أن تموت فى هذه الساحة فاعلم يا رستم
أنك إن ذهبت ذهبت فارس .

رستم : كلا يا جالينوس لا تكن أنت أيضا مثل غيرك ... إن جنودنا
لحسن الحظ صابرون متحمسون للقتال ، وقد أقسموا لا
يضعون السلاح حتى يتم لهم النصر الليلة أو غدا أو بعد
غد .. ولكنهم لن يضعوا السلاح قبل النصر ولن يريحوا
عدوهم ساعة واحدة .

الجالينوس : إنما ألهبتهم أنت بخطبتك وكلامك ، وإلا فإنهم فى الحقيقة
متعبون يا رستم يحتاجون إلى قليل من الراحة والنوم .

رستم : (فى شىء من الحدة) لا تحاول أن تثبطنى يا جالينوس كما
فعل غيرك . ما أحسبك ذا آراب مثلهم !

الفيرزان : (يتقدم نحو رستم وهو ثائر) كفى تعريضا بى يا رستم !
لأذكرنك إن كنت ناسيا أنى فارسى أصيل خالص النسب
والحسب وليس فى آبائى دخيل أرمنى أو ديلمى !

رستم : من سوء حظ هذه الأمة أن الذين يزعمون أنهم أصلاء فيها لا
يخدمونها ولا يخلصون لها كما يخدمها ويخلص لها غيرهم .

الفيرزان : هذه دعوى لا برهان لك عليها .

رستم : لكأنى بك يا فيرزان إذا واتتك الفرصة للفرار من هذا الميدان تفرّ إلى نهاوند أو الأهواز فتنصب نفسك فيها ملكا ولا تبالى ما يصيب المدائن ولا ما يصيب شاهنشاه ... ولكن حذار يا مغرور فلئن انهزمنا فى هذه المعركة لتصلن إليك أيدى هؤلاء العرب ولو تحصنت بشواهق الجبال .

(**يظهر الهرمزان ليدخل بين الرجلين**) .

الهرمزان : مهلا مهلا ... أنتما قطبا فارس فإن لم تتحدا اليوم على عدو فارس فأين تتحدان ؟

رستم : إن كنت ترى لنفسك دالة عليه فانصحه لعله ينتصح لك وهيهات .

الهرمزان : ما كدت تطمعنى حتى أيأستنى .

رستم : ربما نجاك اليأس الصادق وأهلكك الرجاء الكاذب !

الفيرزان : لا تحاول يا هرمزان ما لا سبيل إليه .

رستم : (**معرضا عنهما**) اذهب يا جالينوس فانظر هل تم إعداد كل شىء ، وهل فرغ القوم من طعامهم وشرابهم وراحتهم ؟

(**يخرج الجالينوس**) .

صوت : (**يرن عاليا من وراء المعسكر خلف الردم**) الله أكبر !. الله أكبر !. الله أكبر !.

الهرمزان : وَىْ !. هذا الصوت آت من خلفنا فى البر الشرقى !

الصوت : الله أكبر !. الله أكبر !

رستم : هذه صيحة المسلمين قد عبروا النهر وأنتم تدعوننا إلى الراحة والنوم .

الهرمزان : ويلهم كيف عبروا النهر ؟..

رستم : سلهم كيف قطعوا إليها المفاوز والقفار من أرض الحجاز ومن أرض الشام ! (**يقبل جندى مسرعا**) .

الجندى : أيها القائد !

رستم : ماذا عندك ؟

الجندى : كتيبة من فرسان العرب قاموا بغارة علينا من أسفل المخاضة .

رستم : فماذا فعلتم ؟

الجندى : باغتونا فقتلوا منا ثم فروا تحت جنح الليل .

رستم : من أسفل المخاضة ومن خلف الردم ... إنهم يريدون أن يهاجمونا من كل جانب .

الجالينوس : (**يظهر**) الجنود استولى عليهم الفزع والهلع للصوت الذى سمعوه فى البر الآخر .

الصوت : الله أكبر !. الله أكبر !

رستم : (**بأعلى صوته**) أيها الجنود ... لا يرهبنكم هذا الصوت فعما قليل لنسكتنه إلى الأبد . أيها الجنود استعدوا للزحف على العدو ... إلى السلاح يا أبطال فارس ! إلى السلاح !. إلى السلاح ! ثم إلى الأمام ! ثم إلى النصر !

(**ستـــار**)

المشهد الثامن عشر

قصر قديس.
سعد وسلمى على السطح ... وخالد بن عرفطة فى موقفه على الدكة أسفل القصر الوقت ليل ... تسمع ضوضاء من بعيد.

القعقاع : (**صوته على جواده**) يا خالد بن عرفطة.

خالد : من؟ القعقاع بن عمرو؟

القعقاع : نعم ... قل لسعد إن القوم يزحفون علينا فليكبر تكبيراته الثلاث على التوالى.

سعد : قد سمعت صوتك يا أبا ربيعة ... لا تعجلوا يا قوم حتى يتم المسلمون صلاتهم العشاء.

القعقاع : (**يبتعد صوته قليلا**) يا قيس بن بصيرة.

قيس : (**صوته**) نعم يا قعقاع .. ماذا قال لك سعد؟

القعقاع : ألا نعجل حتى يتم المسلمون صلاتهم العشاء. فماذا ترى؟

قيس : الرأى رأى أميركم.

القعقاع : لكنى أرى ألا بأس ريثما يكبر أميرنا أن نحمل فى ثلة من فرساننا لنصد زحف العدو.

قيس : يا ابن عمرو ليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرَّجالة، فإن القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ولم يطيقوا أن يقدموا فتيسَّروا جميعا للحملة.

القعقاع : يا ابن أم مكتوم إنى ماض إليهم ... لا أستطيع أن أراهم يزحفون وأبقى واقفا .

قيس : إن مضيت أنت مضيت معك .

(**ينطلقان مع فرسانهما**) .

خالد : لقد حمل القعقاع يا سعد دون أن ينتظر التكبيرة منك !

سعد : اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنتِ له وإن لم يستأذنى .

أصوات : كبر يا سعد ... كبر يا سعد ...

سعد : إنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت الثالثة فاحملوا ... الله أكبر !

(**تسمع حركة زحف وانطلاق**) .

خالد : هذه أسد تزحف !

سعد : اللهم اغفرها لهم وانصرهم .

خالد : وهذه النخع تحمل !

سعد : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، الله أكبر !

خالد : وهذه بجيلة وتلك كِنْدة تزحفان .

سعد : اللهم اغفرها لبجيلة وكِندة وانصرهم ... أيها الناس إنى مكبر الثالثة فاحملوا ... الله أكبر ! (**يحمل الناس حملة واحدة وقد اعتكر الظلام فلا يرى شىء**) هل ترى شيئا يا خالد أو تسمع من شىء؟

خالد : لا ياسعد لا أرى شيئا ولا أسمع غير هذا الصوت صوت الحديد كأنه صوت القيوت .

سعد : ما أشوقنى إلى قتالهم !

خالد : أجل ولولا مكانك لانطلقت إليهم .

سعد : لو كان سلمان الليلة عندى لأذنت لك ، ولكنه خرج يقاتل فى الميدان .

خالد : لا والله لا أتركك وحدك أبدا .

سعد : جزاك الله خيرا يا ابن عرفطة ... إنك بوقوفك هنا لتقاتل معهم ... اللهم إنى لا أرى شيئا ولا أسمع شيئا فلا أستطيع أن آمر بشيء ولا أن أنهى عن شيء ، فإليك اللّهم أَكِلُ أمر هذا الجيش الذى يقاتل فى سبيلك . اللهم نصرك ووعدك !

خالد : هو الذى أرسلكم ؟

صوت : نعم .

سعد : من ذا الذى يكلمك يا خالد ؟

خالد : هؤلاء إخواننا مسلمة الفرس قد جاءوا ليحرسوك معى .

سعد : ليحرسونى ؟

خالد : أرسلهم سلمان خشية أن يتسلل أحد من العدو فى هذا الظلام لاغتيالك .

سعد : جزى الله سلمان عنى خيرا .. جزاكم الله عنى خيرا .

سلمى : إن رأسك ليخفق يا أبا إسحاق .

سعد : قاتل الله النوم !

سلمى : إنك لم تذق النوم منذ يومين أفلا تريح رأسك قليلا على فخذى .

سعد : ولا أعلم عن حال المسلمين شيئا ؟

سلمى : سأوقظك إن كان كَوْنٌ .

(يضع سعد رأسه على فخذ زوجته وينام قليلا ولكنه سرعان ما استيقظ) .

: ما فعل الناس يا سلمى ؟

: أنت لم تنم شيئا يا سعد .

: ما فعل الناس ؟

: على حالهم لم يجِدَّ جديد ... عد لنومك .

: الحمد لله ... قد ذهب النعاس ...

: ألا تدخل إلى الغرفة يا سعد فقد برد هواء الليل هنا فى السطح ؟

: إن أردت أنت الدخول إلى الغرفة فافعلى .

: لا والله بل من أجلك أنت .

: ليس لى أن أحتجب عن الميدان .

: ماذا يمكنك أن ترى فى هذه الدجنة ؟

: إنى أرى السماء يا سلمى . لا أريد فى هذه اللحظات أن يكون بينى وبين السماء حجاب !

(ستـــار)

المشهد التاسع عشر

على تل مرتفع فى جانب من ساحة المعركة فى ضحى اليوم التالى .

(يسرى ابن أم مكتوم وحده وهو يحمل اللواء وقد جلله غبار المعركة) .

ابن أم مكتوم : (**ينادى**) أيها المسلمون إلىّ إلىّ !. أيها المسلمون إلىّ إلىّ .. ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ﴾ . أيها المسلمون إلىّ !

أصوات : لبيك يا ابن أم مكتوم .

ابن أم مكتوم : الحمد لله ... أنتم هنا حولى .

أحدهم : (**يزيد**) إنما نحن أربعة وقد جئنا لنحميك حتى تنزل من هذا التل .

ابن أم مكتوم : ويحكم إلى أين أنزل ؟

ثانيهم : (**حزن**) هذا الجانب من الميدان قد انكشف وانحاز كل من فيه .

ابن أم مكتوم : ويحكم أما ترون إنى أعمى لا أقدر أن أنهزم أو أنحاز ؟

ثالثهم : (**عمرو**) سيردفك أحدنا على جواده فينطلق بك قبل أن يحيط بك العدو .

ابن أم مكتوم : يرحمكم الله ... ارجعوا إلى حيث كنتم ودعونى وحدى ؟

رابعهم : (**سراقة**) لا سبيل إلى ذلك .

ابن أم مكتوم : ما شأنكم لى ؟

يزيد : أوصتنا أمنا بأن نقاتل دونك ودون لوائك .

ابن أم مكتوم : ومن تكون أمكم ؟

الأربعة : أمنا الخنساء .

ابن أم مكتوم : الشاعرة ؟

الأربعة : نعم .

ابن أم مكتوم : غفر الله لها .. لقد كنت مع النبى ﷺ إذ استنشدها فأخذت تنشده من شِعرها وهو يقول لها هيه يا خناس !..

عمرو : هيا يا ابن أم مكتوم فإن العدو يوشك أن يزحف نحوك .

ابن أم مكتوم : مرحبا بالشهادة ... إنى لأجد ريح الأحبة منذ الآن .

سراقة : إنك ستلقاهم حين يشاء الله .

ابن أم مكتوم : ويحكم أما كفانى ما عشت أعمى ستين سنة ؟ أو ما آن لى أن أدخل الجنة فيعود لى بصرى فأرى النبى ﷺ بعينى هاتين ؟

يزيد : لقد شوقتنا والله إلى جنتك وأحبَّتِك !

حزن : فوالله لا يسقط هذا اللواء من يدك حتى نسقط نحن الأربعة .

عمرو : (**يصيح**) وىْ !. فزت ورب الكعبة !

يزيد : عمرو ... أصبت يا عمرو ؟

عمرو : ارمهم بنبلك يا يزيد .

(يسمع حفيف السهام) .

سراقة : دعونا نتفرق فذلك أحرى أن تخطئنا سهامهم . ويْ !. فزت ورب الكعبة !

حزن : أصبت أنت أيضا يا سراقة ؟

سراقة : الحمد لله ... دافعا عن اللواء يا أخو ى وعن حامل اللواء .

حزن : اطمئن يا سراقة ... فلن نسلمه أبدا . ويْ !. فزت ورب الكعبة .

يزيد : أصبت يا حزن ؟

حزن : ما بقى لأمنا غيرك يا يزيد ... فانحَزْ إلى المسلمين وابق لأمك .

يزيد : كلا والله لا أدع ابن أم مكتوم أبدا .

ابن أم مكتوم : أطع أخاك يا يزيد ودعنى .

يزيد : ويْ !. فزت ورب الكعبة !

ابن أم مكتوم : أصِبتَ يا يزيد ؟

يزيد : الحمد لله ... ارفع اللواء يا ابن أم مكتوم .. تلك كوكبة من فرسان المسلمين قد أقبلت لتنجدك .

(يسمع وقع حوافر الخيل من بعيد) .

ابن أم مكتوم : غفرانك اللهم ... أما كنت أحق بالشهادة من هؤلاء ؟ الله أكبر !. فزت ورب الكعبة !

يزيد : **(يظهر زاحفا على الأرض وهو جريح)** أعطنى اللواء يا ابن أم مكتوم .

ابن أم مكتوم : ألست جريحا مثلى يا بنى ؟

يزيد : بلى ...

ابن أم مكتوم : فماذا أنت صانع به ؟

يزيد : أريد أن أسلمه إلى أحد هؤلاء الفرسان حتى لا يقع فى يد العدو .(**يأخذ اللواء من ابن أم مكتوم ويحاول القيام فيقع على وجهه**) ويلتا لم أستطع الحراك ... لكن الحمد لله ها هى خيل المسلمين قد زحزحت العدو عن هذا الوجه فلن يقع اللواء فى أيدى المشركين .

ابن أم مكتوم : الحمد لله !

يزيد : إن عشت بعدى ولقيت الخنساء فأقرئها سلامنا نحن الأربعة (**يموت**) .

ابن أم مكتوم : إن عشت يا يزيد .

(**يسمع وقع حوافر خيل تقترب ثم تقف ثم يسمع صوت من قريب**) .

الصوت : أمسكوا جوادى لأصعد فأرى ماذا فعل ابن أم مكتوم .

صوت آخر : وأنا معك .

(**يظهر القعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة**) .

ابن أم مكتوم : (**وهو يجود بنفسه**) من هناك ؟

الاثنان : ابن أم مكتوم ؟

ابن أم مكتوم : من تكونان يرحمكما الله ؟

هاشم : أنا هاشم بن عتبة وهذا القعقاع بن عمرو التميمى .

ابن أم مكتوم : أصغيا إلىّ قبل أن أموت ... إذا لقيتما الخنساء الشاعرة فأقرئوها السلام من أبنائها الأربعة هؤلاء . (**يموت**) .

القعقاع : (**يدنو من ابن أم مكتوم**) قد مات يا هاشم .

هاشم : طُوبَى له .

القعقاع : (**يلتقط اللواء**) هاك يا هاشم ... هذا لواء رسول الله .

هاشم : بل أبقه معك .

القعقاع : أنت أميرنا .

هاشم : أميرى وأميركم اليوم عمى سعد بن مالك .

القعقاع : (**يرفع اللواء ويطل من جانب التل**) أيها الناس إنكم قاتلتم ثلاثين ساعة دون انقطاع ولكن عدوكم أيضا فعل ذلك. فلا يكونن أصبر منكم ولا أجرأ على الموت . ألا إن الدَبْرَةَ بعد ساعة لمن بدأ القوم . فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر .

صوت : يا قعقاع بن عمرو !

القعقاع : لبيك يا طليحة بن خويلد !

طليحة : هل لى أن أقترح عليكم ؟

القعقاع : قل ما عندك يرحمك الله .

طليحة : ما دام سرير رستم قائما وعلمهم الأكبر ورفش كابيان مرفوعا فما أرى القوم ينهزمون ، ومعنا اليوم هاشم بن عتبة وقيس بن هبيرة فهلموا بنا نخض إلى سرير رستم .

القعقاع : ماذا ترى يا قيس بن هبيرة ؟

قيس : إلى سرير رستم !

الجميع : إلى سرير رستم !

(**ستـــار**)

المشهد العشرون

جانب آخر من ساحة المعركة .

يرى رستم على سريره المحمول يقترب منه الجالينوس ...

الجالينوس : انظر يا رستم ... تلك الكوكبة من الفرسان ما أراها إلا تقصد سريرك .

رستم : دعهم يا جالينوس ... قسما ما أحببت الموت مثل حبى له اليوم .

الجالينوس : ألا تتقهقر قليلا لنفسح لجنودنا أن يسدوا بينك وبينهم ؟

رستم : ماذا يسدون يا جالينوس ؟ ولِمَ لا نسد نحن دونهم ؟

الجالينوس : إنك لتتكلم بلغة المستقبل يا رستم .

رستم : ألم يفر صاحباك الفيرزان والهرمزان ؟ أفتريدنى أن أفعل مثلهما ؟ أترضى يا جالينوس أن يقال غدا إنه ليس فى فارس قائد واحد شجاع ؟.

الجالينوس : لا تبتئس ... إنى سأبقى معك حتى النهاية ... لنعيش معا أو نموت معا .

رستم : كلا يا صاحبى لا تفعل ... إن الجيش سيحتاج بعدى إليك فلا تتركه بغير قائد ... انتح عنى جانبا إلى الجهة القصوى فإن يئست من النصر فقف على الردم ودع الناس يعبرون لعل لهم جولة أخرى .

الجالينوس : كلا بل سأبقى هنا معك ولن أفارقك .
رستم : ألم يبق لى سلطان عليك يا جالينوس ؟
الجالينوس : بلى ...
رستم : فافعل ما آمرك به .
الجالينوس : أمرك يا قائدى ويا سيدى .
رستم : وداعا يا جالينوس ...
الجالينوس : هذه الريح ! تبا لها .. تهب فى وجوهنا .
رستم : الريح تحارب هى أيضا يا جالينوس ... كل شىء يحارب !
الجالينوس : وىْ ! طارت الطيارة من فوق سريرك !
رستم : دعها يا جالينوس ... لقد ثبتت أطول مما ثبت بعض أشراف قومك !
الجالينوس : إنهم اقتربوا منا يا رستم .
رستم : أنزلونى من السرير ... سأقاتل راجلا (**ينزل من سريره**)
التابع : بل جوادك معد هنا يا مولاى ... سآتيك به .
رستم : انتظر يا هرمز . ادن منى . هل أستطيع أن أثق بك وأنا غير موجود ؟
التابع : أنا خادمك يا مولاى وعبدك .
رستم : (**يخلع قلنسوته**) خذ قلنسوتى هذه وسلمها لشاهنشاه وقل له : يرجوك عبدك رستم أن تحفظها تذكارا لحياته التى قدمها من أجلك .
التابع : (**فى أسى**) سأفعل يا مولاى ...

رستم : ثم قل له إن شاء أن يغلب هؤلاء العرب فليعمل بوصيتى التى بعثتها إليه مع شقيقى الفرخزاد .

التابع : سمعا وطاعة يا مولاى .

رستم : (ينزع خاتمه من يده) ... أما هذا الخاتم فسلمه ...

التابع : لمن يا مولاى ؟

رستم : (متجلدا) لمولاتك الأميرة بوران .

التابع : وماذا أقول لها يا مولاى ؟

رستم : لا تقل لها شيئا .. سلمه لها وكفى .. بل انتظر ! قل لها : يرجوك رستم أن تذكرى وديعته فى الأهواز . أنطلق الآن .

التابع : سأحضر لك الجواد أولا يا مولاى ...

رستم : ويلك خذ الجواد فامتطيه أنت ولا تلو على شىء حتى تصل إلى المدائن ...

التابع : لكن يا مولاى ...

رستم : أطع أمرى . وداعا يا خادمى الأمين .

التابع : وداعا يا مولاى .

(يخرج) .

الجالينوس : إذن فخذ جوادى يا رستم .

رستم : كلا .. انطلق أنت وخلنى وهؤلاء القوم .

الجالينوس : ذاك بطلهم القعقاع هو الذى يقود الحملة صوبنا .

رستم : الذى قتل بهمن جاذويه ؟

الجالينوس : والتسعة والعشرين من بعده .

رستم : أهلا به .. أرجو أن أنتصف لكم منه .

الجالينوس : كيف وأنت راجل وهو راكب ؟

رستم : سأترصد له خلف هذه العدول حتى إذا اقترب وثبت عليه فقتلته ، انطلق أنت .

الجالينوس : وداعا يا رستم (**يخرج ثم يسمع انطلا ، جواده**)

رستم : وداعا (**يتوجه ناحية اليمين فيغيب**)

القعقاع : (**صوته**) ذلك سرير رستم فأين ذهب رستم ؟

هاشم : (**صوته**) لعله ذلك الفارس الذى انطلق منذ هنيهة ؟

عاصم : (**صوته**) كلا قد عرفته . ذاك الجالينوس . وليس برستم هلموا بنا نبحث عنه . لا تدعنه يفوتكم .

(**يسمع انطلاق خيولهم**)

(**يظهر هلال بن علقمة**)

هلال : ما هذه العدول ؟ كيف انطلقوا وتركوها ؟

رستم : (**صوته فى ألم**) ارفعها عن ظهرى يا عربى .

هلال : من تكون ويلك ؟ (**يخرج إلى جهة اليمين**)

رستم : (**صوته**) ارفعها عنى . حتى العدول تحاربنا مع العرب ! هل تقضى لى حاجة يا أخا العرب ؟

هلال : ما تريد ؟ (**يظهر على المسرح متقهقرا والسيف فى يده كأنه يستعظم الرجل الذى أمامه**) .

رستم : (**يظهر متقدما نحوه وهو يترنح كالمخمور**) لا تخف منى فلن أضرك .

هلال : ماذا تريد ؟

رستم : اقترب منى لتسمعنى .

هلال : كلا قل ما عندك وإلا ضربتك .

رستم : أين صاحبكم الذى اسمه القعقاع ؟

هلال : ماذا تريد منه ؟

رستم : قل له إن رستم يدعوك لتقتله بيدك .

هلال : آأنت رستم ؟

رستم : نعم انطلق فقل له ذلك .

هلال : ولِمَ لا أقتلك أنا ؟ (**يتقدم نحوه فيتقهقر رستم حتى يتوارى الاثنان يمين المسرح**) .

رستم : بربك لا تفعل ... لا ينبغى أن يقتلنى مثلك . دعنى للقعقاع فهو أحق بقتلى منك .

هلال : (**صوته**) بل لأقتلنك أنا .

رستم : (**صوته**) تريد يا هذا أن تفخر بقتل رستم ؟ لا تفخر كثيرا فلولا تلك العدول التى سقطت علىّ فكسرت ظهرى لما وقفت أمامى طرفة عين ...

(**تسمع ضربات السيف ثم يظهر هلال ويثب فوق سرير رستم ويصيح بأعلى صوته**) .

هلال : قتلت رستم ورب الكعبة !! إلىّ إلىّ أيها الناس !! قتلت رستم ورب الكعبة !!

(**يسمع صوت آخر يرتفع من بعيد**) .

الصوت : إلىّ أيها المسلمون هذا علمهم الأكبر قد أخذته ! هذا درفش كاويان !

هلال : إلىّ إلىّ أيها المسلمون ... أنا هلال بن علقمة ... قتلت رستم ورب الكعبة .

الصوت : إلىّ أيها الناس ... أنا ضرار بن الخطاب استوليت على راية كسرى .. استوليت على درفش كاويان !

المسلمون : (**أصواتهم من نواح مختلفة**) الله أكبر !. قتل رستم ! الله أكبر !. وقعت راية كسرى فى يد مسلم !

(يتجمع الناس حول هلال ثم يظهر من بينهم القعقاع وهاشم وقيس بن هبيرة) .

القعقاع : أنت قتلته يا هلال ؟

هلال : نعم ...

هاشم : ما كان على سريره فأين وجدته ؟

هلال : وجدته مختبئا خلف تلك العدول فقتلته .

قيس : ولم يعنك أحد عليه ؟

هلال : الله هو الذى أعاننى .

القعقاع : أبشر يا هلال بن علقمة فإن الأمير سينفلك سلبه .

هلال : أما إنه قال لى شيئا عنك قبل قتلى إياه .

القعقاع : ماذا قال لك ؟

هلال : سألنى أن أدعوك له لتقتله بيدك .

القعقاع : وذكر اسمى ؟

هلال : نعم .. القعقاع : فقلت له بل سأقتلك .. قال لى لولا هذه العدول التى سقطت علىّ فكسرت فقار ظهرى ما وقفت أمامى لحظة .

قيس : الآن علمنا كيف قتلته .

هلال : قتلته بهذا السيف .

قيس : إنما أجهزت عليه بعد ما قتلتْه العدول .

هلال : ويلكم أتريدون أن تنكروا عليّ سلبه ؟

هاشم : كلا يا هلال ... العدول لا تستحق شيئا ... السلب كله لك .

هلال : تكلم أنت يا قعقاع بن عمرو . عجبا ... هذا الدمع فى عينيك ما خطبك ؟ أتبكى على هذا المشرك ؟

القعقاع : يا ويح رستم !.. قتله من لا يعرف قدره ! على من أبكى إن لم أبك على رستم ؟ إنما أبكى فيه القائد المُجرِّب الشجاع ... أبكى فيه بطل فارس !.

(ستـــار)

المشهد الحادي والعشرون

فناء خيمة سعد بجانب قصر قديس وقد برئ سعد من علته وعنده سلمان الفارسي .

(يدخل القعقاع بن عمرو وشرحبيل بن السمط وزهرة بن الحوية) .

سعد : مرحبا بأبطال المسلمين وليوث العرب .

القعقاع : الحمد لله إذ نراك اليوم بخير يا أبا إسحاق .

شرحبيل : استطعت أن تنهض وتمشي ؟

سعد : الحمد لله (**ينهض فرحا ويمشي خطوات**) انظروا .

زهرة : وتستطيع الركوب يا أبا إسحاق ؟

سعد : أما الركوب فلا ... ما زالت دماميلي تحول دون ذلك .

سلمان : ستبرأ منها وشيكا إن شاء الله فتركب بنا إلى المدائن .

سعد : لا تعجل على الله يا أبا عبد الله واذكر أن الحرب كما قال أمير المؤمنين لا يصلحها إلا الرجل المكيث .

سلمان : بل ينبغي يا سعد أن نعجل بغزو المدائن قبل أن يفيق يزدجرد من صدمة القادسية .

شرحبيل : لقد صدق سلمان يا أبا إسحاق ... اطرق الحديد قبل أن يبرد .

سعد : دعوني الآن من ذلك وخبرني إلى أين طاردتم فلول العدو ؟

القعقاع : طاردتها إلى حدود كسكر .

شرحبيل : وأنا طاردتها إلى النمارق .

سعد : وأنت يازهرة بن الحوية .

زهرة : طاردتهم حتى بلغت بابل حيث أدركت الجالينوس فقتلته .

سلمان : قتلت الجالينوس ؟

زهرة : نعم وهذا سلبه جئت به معى .

سلمان : الحمد لله ... لقد قتل الله طواغيت فارس .

سعد : أرنى السلب يا زهرة ... (**يُقرِّب زهرة السلب إليه فيقلبه سعد**) أما إنه لشيء عظيم ... أتريد يا زهرة أن تأخذه كله ؟

زهرة : إن كان لى أخذته ، وإن لم يكن لى فلا حاجة لى فيه .

سعد : ماذا ترى يا سلمان ؟ ألا ترى أنه شيء عظيم ؟

سلمان : شيء عظيم ولكنه من حق زهرة .

القعقاع : أجل هو من حقه .

شرحبيل : من قتل قتيلا فله سلبه .

سلمان : ومن قبل ما نفَّلت هلال بن علقمة سلب رستم .

سعد : أجل بيد أن زهرة بن الحوية ليس كهلال بن علقمة ... هذا كريم من بيت كريم ، وقد نزل عن ملك آله بهجر إيثارا لما عند الله على الدنيا ، فلعله أن ينزل للمسلمين عن هذا أيضا .

زهرة : يا ابن أبى وقاص أما إذ أطريتنى فى وجهى ، وعرضتنى لفتنة الشيطان ، فلا والله لا أنزل عنه لأحد .

سعد : والله ما قصدت ذلك يا زهرة وإنى لأعلم أن فى إيمانك ما يعصمك من الفتنة .

زهرة : هأنتذا قد زدتنى إطراءً على إطراءٍ .

سعد : أستغفر الله ... خذه إذن يبارك لك فيه .

زهرة : الآن بعد ما راجعتنى فيه ؟ لا والله لا آخذه .

سعد : عجبا لك لا تريد أن تأخذه ، ولا تريد أن تنزل عنه للمسلمين فكيف تصنع ؟

زهرة : لا آخذه ... إلا ببرهان .

سعد : أى برهان تريد ؟

زهرة : اكتب إلى أمير المؤمنين فى شأنه ليقضى فيه قضاءه .

سعد : ويلك أتريد أن تشكونى إلى أمير المؤمنين ؟

زهرة : لو أردت ذلك لكتبت أنا إليه .

سعد : فماذا أردت إذن إلى ذلك ؟

زهرة : أردت أن يعلم المسلمون قضاء عمر وأهل شوراه من صحابة رسول الله فى هذا الأمر وأمثاله ، حتى يكون المسلمون على بصيرة من أمرهم ، فإن هذه الحرب ستطول بعد .

سعد : إنى لأعلم أن عمر سيمضى لك سلبك ، فخذه الآن وأعفنى من الكتابة إليه .

زهرة : كلا لا بد أن تكتب إليه ليعلم المسلمون ألا حق لك ولا لأى أمير بعدك أن يستكثر على أحد حقا جعله الله له .

سعد : إنى ما استكثرته عليك وإنما اقترحت ما هو أفضل لك .

زهرة : لو لم تستكثره ما اقترحت ، فإنك تعلم أنى لو شئت لنزلت عنه للمسلمين من تلقاء نفسى .

سعد : ألا تخشى يا زهرة إلا يكون الشيطان هو الذى وسوس لك هذا ليكون رياء منك وسمعة ؟

زهرة : كلا يا سعد ... إنى لأعلم أن أمير المؤمنين لا يفوته شيء من علم ما يجرى هنا ، فسيبلغه لا محالة أننى قتلت الجالينوس ولو لم تستفته فى شأن سلبه ، بل عسى أن يظن بى الشح إذا ما كتبت إليه تستفتيه .

سلمان : والله يا أبا إسحاق ما سمعت كاليوم نصاعة حُجة .

سعد : صدقت يا أبا عبد الله ... لأكتبن يا زهرة إلى أمير المؤمنين فى هذا الشأن كما أردت ، وليكن لسعد ابن أم سعد من ذلك عظة !

زهرة : جزيت خيرا يا أبا إسحاق ... إياك أن تجد علىّ ، فإنى والله ما أردت إغضابك ولا إحراجك ، وما أردت إلا خير الإسلام والمسلمين .

سعد : لا أكذبك يا زهرة ... إن فى نفسى لشيئا عليك مما أحرجتنى ولكن لا جناح عليك فأنا كنت الملوم لا أنت .

سلمان : بوركتما من أخوين مسلمين ... يقول الله تبارك وتعالى ﴿ والعصر . إن الإنسان لفى خُسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

الجميع : صدق الله العظيم .

(يستأذن القعقاع وشرحبيل فيخرجان وهما يحركان رأسيهما إعجابا بزهرة) .

زهرة : الآن وليس عندك غير أبى عبد الله فخذ يا أبا إسحاق .

سعد : ما هذا؟

زهرة : هذا كتاب وجدته فى ثياب الجالينوس .

سعد : وماذا أصنع به ؟

زهرة : كتبه جاسوس للعدو مقيم بين أظهرنا يعرف اللغة الفارسية .

سعد : (**يربد وجهه**) انظره يا أبا عبد الله

(**يناوله لسلمان**) .

(**يتصفحه سلمان فيتغير وجهه ثم يدنو من سعد فيُسَارّه**) .

زهرة : ائذن لى الساعة يا أبا إسحاق .

(**ينهض**)

سعد : على رسلِكْ ... هل علم بهذا أحد غيرنا ؟

زهرة : لا ...

سعد : فلا تخبرن به أحدا .

زهرة : قد حرصت على ذلك .

سعد : أحسنت ... انتظر ... ألا تأخذ هذا السلب فتحفظه عندك ؟

زهرة : كلا لا مكان له عندى .(**يخرج**) .

سعد : لا حول ولا قوة إلا بالله ... علىّ أن أحفظه عندى حتى يجيء جواب أمير المؤمنين . (**يدنو من سلمان**) ماذا ترى يا أبا عبد الله ؟ لا شك عندى أن زوجها لا يعلم عن هذا شيئا .

سلمان : ولا ينبغى أن يعلم شيئا إلا بعد أن تثبت عليها التهمة .

سعد : وكيف السبيل إلى ذلك ؟

سلمان : ندعوها فنواجهها بخط يدها ونسمع ما تقول على ألا يشهد ذلك معنا غير سلمى بنت أبى خصفة .

سعد : صدقت ولتكن سلمى هى التى تذهب لتجىء بها .

سلمان : نعم ...

(يدخل سعد بالسلب إلى داخل الخيمة حيث يغيب مليا) .

(يقبل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وعمرو بن معدى كرب وبشر بن ربيعة الخثعمى وعلى وجوههم آثار الغضب) .

بشر : (**يسبق صاحبيه**) أين أمير الجيش؟ أين سعد؟

سلمان : ويحكم ألا تقولون أولا السلام عليكم؟

عبد الرحمن: السلام عليكم .

بشر : وعليكم السلام .

سلمان : (**مبتسما**) وعليكم السلام ورحمة الله .

(يعود سعد وتدخل خلفه سلمى وعليها عباءتها وتتوجه يمين المسرح حتى تغيب) .

سعد : ويحكم ما خطبكم؟

عمرو : يا أبا إسحاق أنصفنا من صاحب أقباضك هذا الظالم .

سعد : ويلك يا أبا ثور هذا صاحب أقباض أمير المؤمنين هو الذى ولاه .

عمرو : ما إخال أمير المؤمنين قد أمره أن يظلم الناس .

بشر : هل يرضيك يا سعد أن يتطاول هذا الباهلى علينا فيظلمنا باسمك وباسم أمير المؤمنين؟

سعد : (**مغضبا**) قبح الله هذه العنجهية الجاهلية . والله لا أسمع لكما ما لم تكفا عنها وتتكلما كلام المؤمنين .

عمرو : اسكت أنت يا بشر ودعنى أنا أتكلم.

بشر : تكلم.

عمرو : هذا عبد الرحمن بن ربيعة جار علينا بغير حق. رفض أن يكتب اسمينا مع علمه أننا من أهل البلاء..

بشر : وكتب اسم كل من هب ودب.

عبد الرحمن: أتدرى يا أبا إسحاق من ذا يعنى بقوله كل من هب ودب؟ يعنى حملة القرآن.

سعد : أحقا يا أبا ثور؟

عمرو : هذه لم أقلها أنا وإنما قالها هذا الأعرابى الجلف. قاتلك الله ألم آمرك أن تسكت؟

بشر : كيف أسكت ولى حق أطالب به مثل حقك، ولى لسان أحدُّ من لسانك وبيان أبلغ من بيانك؟

سعد : كأنكما تريدان أن يكتبكما عبد الرحمن فى حملة القرآن؟

عمرو : نعم...

بشر : كلا... لا عليه أن يكتبنا أو لا يكتبنا، وإنما عليه أن يعطينا حقنا من فضول الفىء أسوة بالآخرين.

عبد الرحمن: كيف أعطيكما ما لا حق لكما فيه؟

عمرو : نحن من أهل البلاء فكيف لا يكون لنا حق فيه؟

عبد الرحمن: قلت لكما هذا ليس لأهل البلاء وإنما هو لحملة القرآن.

بشر : لِمَ إذن كتبت أسماء هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو وزهرة بن الحوية وهؤلاء من أهل البلاء؟

عبد الرحمن: لأن هؤلاء من حملة القرآن أيضا وأن منهم من تقدم إلىّ لأسقط اسمه تكرما وتعففا .

بشر : لكنا لا نتكرم ولا نتعفف بل نريد حقنا برمته .

عبد الرحمن: لكنكما لستما من حملة القرآن فلا حق لكما .

بشر : وما يدريك ؟

عبد الرحمن: أتظنان أنى لا أعرفكما ؟

بشر : هل اختبرتنا ؟

عبد الرحمن: وما حاجتى إلى الاختبار ؟

لا بأس يا عبد الرحمن أن تختبرهما فلعلهما يحفظان وأنت لا تعلم .

عبد الرحمن: يا أبا إسحاق .

سعد : يا أبا ثور ماذا معك من القرآن ؟

عمرو : يا أبا إسحاق لا أريد أن أكذبك ... إنى أسلمت باليَمَن كما تعلم ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن .

بشر : لكنى أنا غزوت ولم أشغل .

سعد : ماذا عندك من كتاب الله يا بشر ؟

بشر : عندى : بسم الله الرحمن الرحيم (**يراهم ينظرون إليه**) ويحكم لماذا تنظرون هكذا إلىّ ؟

عبد الرحمن: أكمل ...

بشر : ويلك أتريد أن أكملها من عندى ؟ أو تحسبنى معاذ الله من المتنبئين ؟

سعد : ما عندك غير بسم الله الرحمن الرحيم يا بشر .

بشر : ما عندى غيرها .. أليست كافية ؟ **(يضج الحاضرون بالضحك)** . ويلكم مم تضحكون . أليست هذه من القرآن ؟

سعد : بلى يا بشر ... هذه من القرآن .

عمرو : **(مبادرا)** فأنا أيضا أعرفها ... بسم الله الرحمن الرحيم .

سعد : ولكنكما لا تعدان بها من حملة القرآن الذين أمر أمير المؤمنين أن توزع هذه الفضول عليهم .

بشر : أمن أجل أن هؤلاء يحركون ألسنتهم بكلمات يحفظونها تفضلونهم علينا نحن الأعنة وحملة السيوف والأسنة ؟

عمرو : إذن والله تذلوا وتهزموا ولن ينفعكم هؤلاء القراء شيئا يومئذ .

سعد : أيها الفارسان الباسلان لا ينبغى أن يعميكما الطمع عن مَهيَع العدل والإنصاف ... ألم يأخذ كل واحد منكما سهم الفارس ستة آلاف ؟

عمرو : بلى ...

سعد : ألم نزدكما لبلائكما خمسمائة خمسمائة ؟

عمرو : بلى ...

سعد : ألم يصب كل واحد منكما ألفا ومائتين من خمس الفئ الذى أمر به أمير المؤمنين برده على أهل القادسية ؟

عمرو : بلى ...

سعد : أفتريدون بعد أن تزاحموا أهل القرآن فيما جعله لهم أمير المؤمنين خاصة مما فضل من الفئ لأن كثيرا منهم لم يصيبوا مثل ما أصبتم لا من الغنيمة ولا من الخُمس ولا مما زيد لأهل البلاء ؟

عمرو : كلا لا نريد أن نزاحم هؤلاء ولكن المجال ذو سعة .

بشر : ونحن أحق الناس .

عمرو : إذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد .

قالت قريش ألا تلك المقادير

تعطى السوية من طعن على نفد

ولا سوية إذ تعطى الدنانير

بشر : أنخت بباب القادسية ناقتى ...

وسعد بن وقاص علىّ أمير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا

بباب قديس والمكر عسير

عشية رد القوم لو أن بعضهم

يعار جناحى طائر فيطير

سعد : سبحان الله .. قوم يؤثرون ما عند الله وقوم يؤثرون ما عند الناس .

بشر : نحن نريد ما عند الله وما عند الناس !

(**يضحك الحاضرون**) .

سعد : يا عبد الرحمن بن ربيعة أعط كلا منهما ألفى درهم وسأكتب إلى أمير المؤمنين فى أمرهما فإن هو وافق وإلا رجعت بذلك على .

عمرو : كلا يا أبا إسحاق ... إن لم يوافق أمير المؤمنين رددنا إليك ما أخذناه .

بشر : ويلك لِمَ هذا التنطح يا أبا ثور ؟

عمرو : لا تخف سيوافق أمير المؤمنين لا ريب .

بشر : ما يدريك ؟

(يخرج عبد الرحمن وعمرو وبشر)

(تعود سلمى وحدها وعلى وجهها كآبة) .

سعد : أين شيرين ؟ ما خطبك ؟

سلمى : **(فى أسى بالغ)** لم أجدها يا سعد . كأنما ابتلعتها الأرض .

سلمان : سألت عنها جاراتها يا سلمى ؟

سلمى : وجدت زوجها المعنى قد افتقدها لما رجع من مطاردة فلول العدو فسأل عنها جميع معارفها فقالوا له إنهم لم يروها منذ أيام ، وبحث عنها فى كل مكان فلم يقِف لها على أثر .

سلمان : فلعلها هربت خشية أن تنكشف لنا خيانتها .

سلمى : كلا كلا لا أصدق أبدا أنها كانت خائنة للمسلمين .

سلمان : هذا الكتاب بينة على خيانتها كافية .

سلمى : وما يدريكم أنها هى التى كتبته ؟

سلمان : خاتمها الممهور به الكتاب .

سلمى : لعلهم زوّروا باسمها الكتاب ، وتعمدوا أن يقع فى أيديكم نكاية بها ، لأنها لم تشأ أن تواطئهم على المسلمين .

سلمان : كلا يا سلمى إن الكتاب وجد فى ثياب الجالينوس إذ قتل وهو يجدّ هربا .

سلمى : وَىْ ... هذا المعنى بن حارثة قد أقبل !

سعد : هل أخبرته يا سلمى بشىء ؟

سلمى : لا ... إنك أمرتنى إلا أخبره .

سعد : فماذا ترى يا سلمان؟ نخبره أم لا نخبره؟

سلمان : الآن وجب أن نخبره.

(يدخل المعنى بن حارثة بادى الحيرة والكآبة).

سلمان : مرحبا بالمعنى بن حارثة.

سعد : أهلا بأبى حارثة ... اجلس ...

المعنى : (**يجلس**) أخبرتكما سلمى بأمر شيرين؟

سعد : نعم ... وقد تألمنا ياأخى من أجلك.

سلمان : تجلد يا أبا حارثة واستعن بالله فيما أصابك.

المعنى : والله لو قد عرفت مصرعها أو موتها لاحتسبتها عند الله وأجملت، ولكنى لا أدرى ماذا دهاها؟ أغتيلت فهى اليوم جيفة؟ أم اختطفت فهى الآن فى قعر مظلمة مخيفة؟

سلمان : إن كان هذا هو الذى يكربك فاطمئن، فإنها لم تغتل ولم تخطف.

المعنى : من أين لك أن تعرف؟

سلمان : أتعرف خط يدها؟

المعنى : نعم ...

سلمان : فهل هذا خطها؟ (**يناوله الكتاب**).

المعنى : (**يتصفح الكتاب فيتلون وجهه ويرفض عرقا ثم يصيح بصوت تخنقه العبرة**) كلا كلا لا يعقل أن تكتبه شيرين. لا يمكن أن يصدر هذا من شيرين. إياكم أن تصدقوا أن هذا من شيرين. شيرين! شيرين! أين أنت يا شيرين؟.

(ستـــار)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتي
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا

- الشـــيماء
- فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية
- أوزوريس
- نظام البردة - ذكرى محمد ﷺ
- من فوق سبع سموات
- التوراة الضائعة
- إله إسرائيل
- دار ابن لقمان
- قطط وفيران
- هاروت وماروت
- جلفدان هانم
- الفلاح الفصيح
- حبل الغسيل
- هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز)
- مسرح السياسة
- الدودة والثعبان
- مأساة زينب
- أحلام نابليون
- قضية أهل الربع
- الوطن الأكبر
- حرب البسوس
- الفارس الجميل
- همام فى بلاد الأحقاف

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ـ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٠١٥٨ ـ ١١ ـ ٩٧٧

مقاليدُ بَيتِ المقدِسِ

ملحمة عمر

مَقاليدُ بَيتِ المقدِسْ

على احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

عمر فى بيته بالمدينة وعنده عقبة بن عامر الجُهَنى رسولًا من عمرو بن العاص بفلسطين .

عمر : أنت ثالث رسول من عمرو بن العاص إلى . ما خطبكم ؟ ألم تقدروا على إيلياء والرملة ؟ انظروا ماذا فعل أبو عبيدة وخالد فى الشمال .

عقبة : يا أمير المؤمنين إن إيلياء ربوة حصينة عالية الأسوار ، وعليها حصون ترمى بالمجانيق ، وقد اعتصم بها داهية الروم الأطربون وهو يدفع أهلها وأهل فلسطين إلى أعمال عجيبة وخطط غريبة فى مقاومتنا والكيد لنا لا تخطر على بال .

عمر : قد كان فى الشمال صاحبهم ميناس ، وهو أقوى شكيمة وأشد بطشا من الأطربون ، وقلاعه فى قنسرين أمنع وأحصن من قلاع إيلياء ، فما أمهله خالد أن بطش به وأن فض قلاعه وهو يقول : والله لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم ولأنزلكم الله إلينا .

عقبة : يا أمير المؤمنين لا يقدر أحدٌ أن يغض من فعال خالد بن الوليد ، فإنه لنسيج وحده وإنه ليعز على النظراء ، ولكن حالنا فى فلسطين مختلف . نحن موزعون فى نواح شتى وعلى مسالح ذوات عدد ، وللأطربون فى كل منها قوة

وشوكة ، وأمره عليها جميعا نافذ . وهم يزاحفوننا فنصدهم ونردهم إلى حصونهم ، وليس فى وسعنا لقلة عددنا أن نترك بعضها ونتجمع فى بعض ، وإلا عرضنا أنفسنا للخطر ، وألقينا بأيدينا إلى الهلكة .

عمر : وهذا الصلح الذى عرضوه يا عقبة ؟

عقبة : لا يعدو عندنا يا أمير المؤمنين أن يكون مكيدة من الأطربون حتى نأمن جانبه أثناء انتظارنا لقدومك فيأخذنا على غرة .

عمر : ولكن عمرا يحرضنى على المسير إليهم .

عقبة : أجل يا أمير المؤمنين إنك إن قدمت إلينا قبل أن يبطش بنا الأطربون بطشته ، فربما انقلب أهل إيلياء عليه ، وأيدوا بِطريقَهم الكبير صِفرونيوس الذى يميل إلى عقد الصلح مع المسلمين ، ليجنب المدينة المقدسة أهوال الحرب ، ويقى أهلها سوء المنقلب .

عمر : (**ينظر إلى عقبة معجبا**) والله لقد عرف ابن العاص كيف يختار رسوله فماذا هو صانع إذا جاء المدد الذى طلبه ؟

عقبة : إذا جاء المدد يا أمير المؤمنين وزعناه على مخافرنا هناك ، وسحبنا منها رجالنا المدربين فنازلنا بهم إيلياء وظهورنا محمية حتى يفتحها الله علينا إن شاء .

عمر : (**يحرك رأسه كالمقتنع بما سمع**) هل رأيت يا أخا جهينة الجيش الذى جمعناه فى الجُرف ؟

عقبة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فذلك ما أعددته ليكون مددا لكم إن شاءِ الله .

عقبة : فأدركنا به يا أمير المؤمنين وعجل قبل أن يحدث الله أمرا .

عمر : لا والله يا أخا جهينة حتى تنفرج غمة القادسية عما فيه عز المسلمين ونصرهم ، وإلا كان أهل العراق أحق منكم بالمدد . ويحك خبرنى ماذا سمعتِ فى طريقك عن القادسية ؟

عقبة : وجدت الناس فى كل مكان يترقبونها ولا حديث لهم غيرها ، ولقيت ركبانا يحدثون أن العرب قاطبة يتربصونها من العذيب إلى عدنِ أبين ومن الأُبلَّة إلى بيت المقدس ، يرَون أن ثباتَ ملكهم وزوالَه بها .

عمر : أفلا تنتظرون إذن حتى تنفرج ؟

عقبة : يا أمير المؤمنين إن يرد الله بنا خيرا فى فلسطين جعل النصر والدَبرة للمسلمين فى القادسية .

عمر : اللهم انصر المسلمين فى القادسية كما نصرتهم فى اليرموك !

عقبة : آمين يا رب العالمين .

عمر : (**ينادى**) يا يرفأ .. يا يرفأ ..

يرفأ : لبيك يا أمير المؤمنين (**يظهر**) .

عمر : (**لعقبة**) أقم عندنا أياما يا عقبة فقد ألقى فى روعى أن البشير إن شاء الله آت وشيكا .. اليوم أو غدا أو بعد غد . (**ينهض ويجمع رداءه**) ويحك لقد أخرتنى عن الميعاد يا أخا جهينة . هذا يرفأ مولى آل عمر فاذهب معه لينزلك ويكرمك . (**يخرج منطلقا**)

يرفأ : هيا بنا يا ضيف أمير المؤمنين .

عقبة : (**مستوقفا يرفأ**) إلى أين انطلق أمير المؤمنين يا يرفأ ؟

يرفأ : إلى حيث ينطلق كل صباح ليتنسم أنباء القادسية .

(**يخرجان**)

(**ستـــار**) .

المشهد الثاني

(ترى عاتكة وبيدها ثوب ترفوه)

يرفأ : (يدخل) مولاتى ألم تفرغى بعد من رفوه ؟

عاتكة : رويدك يا يرفأ ماذا يَعجلك ؟

يرفأ : ألا تعرفين يا مولاتى ماذا يَعجلنى ؟

عاتكة : (ضاحكة) قميص أمير المؤمنين الذى عليك ؟

يرفأ : هو ذاك يا مولاتى . ماذا أنا قائل له لو جاء ووجد قميصه على ؟

عاتكة : لا تقل شيئا حتى يسألك .

يرفأ : وإذا سألنى ؟

عاتكة : فقل له إنى أعرتك إياه ريثما أرفو قميصك .

يرفأ : لا يامولاتى لا أستطيع .

عاتكة : ويلك كم لك فى خدمة هذا الرجل ؟

يرفأ : عشرون عاما ونيف .

عاتكة : ولم تعرف بعدما يرضيه مما يغضبه ؟

يرفأ : ذلك يا مولاتى خطبى معه . إنى لأعمل الشيء أبتغى فيه مرضاته فإذا هو يسخط ويخفقنى بالدرة ، وأقع فى الشيء أخشى فيه غضبه وعقوبته فإذا هو يحمده لى ويثيبنى عليه .

عاتكة : فهذا يا يرفأ مما يحمده لك ويثيبك عليه .

يرفأ : كلا يا مولاتى لا أجرؤ . نشدتك بالله إلا ما أعدت قميصى إلى .

عاتكة : قبل أن أتم رفوه ؟

يرفأ : أتميه يوما آخر يا مولاتى .

عاتكة : ويلك أتريدنى أن أرفو لك كل يوم ؟

يرفأ : إن أمير المؤمنين يوشك أن يعود .

عاتكة : ليعد !

يرفأ : مولاتى !

عاتكة : لو لم تشغلنى بدخولك وخروجك وسؤالك وجدالك لفرغت منه .

يرفأ : صدقت والله ، أنا الذى جنيت على نفسى . (**يهم بالخروج**)

صوت : (**يسمع من الخارج**) أهذا بيت أمير المؤمنين ؟

ثان : نعم .

الأول : بابه مفتوح !

الثانى : اقرع الباب واستأذن . إنى منصرف .

الأول : جزاك الله خيرا إذ دللتنى .

(**يقرع الباب**)

عاتكة : انظر من الطارق ؟

يرفأ : ويرانى فى قميص أمير المؤمنين ؟

عاتكة : وماذا يدريه أنه قميص أمير المؤمنين (**تدنو من الباب**) من الطارق ؟

الأول : أنا سعد بن عميلة الفزارى رسوله سعد بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين .

عاتكة : ادخل ادخل ... الفتح إن شاء الله ؟

سعد : (**يدخل**) الفتح والنصر .

عاتكة : الحمد لله . أنا عاتكة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب . وهذا يرفأ مولى أمير المؤمنين .

سعد : وأين أمير المؤمنين ؟

عاتكة : ألم تجيء أنت من طريق الرَّبَذة ؟

سعد : بلى ..

عاتكة : فكيف لم تلق أمير المؤمنين فى طريقك ؟

سعد : ألقى أمير المؤمنين فى طريقى ؟

عاتكة : إنه يخرج كل صباح إلى ظاهر المدينة يسأل الركبان عن أهل القادسية ، فإذا انتصف النهار رجع .

سعد : إنى ما لقيت غير رجل واحد سألنى فقلت له خيرا فطفق يخب معى ويسألنى سؤالا بعد سؤال ، فخشيت أن يلهينى عما كلفت به ، فنخست ناقتى فانطلقت بى حتى فته وهو يركض خلفى ويقول مهلا مهلا .

يرفأ : هذا أمير المؤمنين ! . القميص يا مولاتى القميص ! .

عاتكة : (**متمسكة بالقميص**) صفه لى يا أخا فزارة .

سعد : رجل أصلع طوال فى أسمال .

عاتكة : هو أمير المؤمنين بعينه .

سعد : يا ويلتا قد هلكت .

يرفأ : مصيبتى أنا أعظم من مصيبتك !

عاتكة : اجلس واسترح حتى يجىء أمير المؤمنين (**تهم بالخروج**)

يرفأ : مولاتى ..

عاتكة : ابق أنت معه (**تخرج**)

يرفأ : يا ويلتا قد هلكت .

سعد : خبرنى أيها الشيخ ما خطبك ؟

يرفأ : هذا القميص الذى على ..

سعد : ما باله ؟

يرفأ : قميص أمير المؤمنين .

سعد : لو لم أره اليوم ما صدقتك .. هذا أحسن حالا من القميص الذى رأيته عليه .

يرفأ : أجل . هذا لشقوتى خير قميصيه .

سعد : وما حملك على لبسه ؟ أليس لك قميص ؟

يرفأ : قميصى ذلك الذى فى يد مولاتى عاتكة ترفوه .

سعد : إن كنت تخشى أن يراه أمير المؤمنين عليك فاخلعه .

يرفأ : ليرانى أمير المؤمنين بغير قميص ؟

سعد : اطلب قميصك من مولاتك .

يرفأ : لقد ناشدتها فأبت إلا أن تكمل الرفو .. وى ! هذا أمير المؤمنين قد أقبل !

سعد : ادخل إلى مولاتك لعلها قد أكملت رفو قميصك .

يرفأ : بل خير لى أن أفوض أمرى إلى الله . (**يتوجه نحو الباب ليستقبل مولاه**)

عمر : (**صوته**) يرفأ ألم يأتكم أحد ؟

يرفأ : بلى يا أمير المؤمنين .. بشير القادسية .

عمر : أين هذا الذى فاتنى بناقته ولم يرحم ضعفى ؟ (**يدخل**) السلام عليك يا بشير الفتح .

سعد : (**فى خجل وارتباك**) وعليك السلام يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يصافحه**) ما اسمك .

سعد : سعد بن عُميلة الفزارى يا أمير المؤمنين .

عمر : مرحبا بك يا سعد بن عميلة .. اجلس ..

سعد : هلا أخبرتنى يرحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟

عمر : لا بأس عليك يا أخى .. اجلس على هذه الوسادة .

سعد : كان ينبغى يا أمير المؤمنين أن أنزل لك عن راحلتى .

عمر : لذلك لم أخبرك بحقيقتى .. ولقد وددت لو بقيت على سيرك الأول لأسمع منك أكثر مما سمعت .. ولكنك وكزت الناقة ففتنى .

سعد : سامحنى يا أمير المؤمنين .

عمر : لا عليك يا أخا فزارة . هات فإنا ننتظرك على جمر .

سعد : هذا كتاب سعد يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يأخذ الكتاب فيتصفحه ثم يلتفت إلى سعد**) ألعلك جائع يا سعد ؟

سعد : لا يا أمير المؤمنين قد تبلغت فى بعض الطريق .

عمر : بلى يا أخا فزارة إنى لأرى الجوع فى عينيك .. (**ينادى**) يا عاتكة يا عاتكة ..

عاتكة : (**صوتها**) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخلى لتسمعى كتاب الفتح . (**تدخل عاتكة**) .. اسمعى ما يقول سعد فى كتابه : أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزلزال شديد . وقد لقوا المسلمين بقوة لم ير الراؤون مثلها ، فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم للمسلمين . واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وعمرو بن أم مكتوم ورجال كثيرون معروفون ، ورجال لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوى النحل (**تخنقه العبرة فيبكي بكاء شديدا ثم يمسح دمعه ويواصل القراءة**) وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم . (**يلتفت إلى يرفأ**) انطلق يا يرفأ فمرهم ينادوا الصلاة جامعة .

يرفأ : (**متردداً**) ..

عمر : ما خطبك ؟ . انطلق .. ينبغى أن نبشر بها المسلمين الساعة .

يرفأ : هذا القميص يا أمير المؤمنين .

عاتكة : اخلعه وخذ قميصك فقد رفوته (**تلقى إليه بالقميص**) .

عمر : هات هذا القميص (**يأخذه منه**) اخرج فى القميص الذى عليك .

يرفأ : هذا قميصك يا أمير المؤمنين .

عمر : ليس قميصك بخير منه . انطلق ! (**يخرج يرفأ**) خذيه يا عاتكة فما أراك أكملت رفوه . وهاتى للبشير أحسن ما عندك فإنه ساغب لاغب .

عاتكة : حبا وكرامة .. (**تخرج ثم تعود بشىء من التمر وكسرة من خبز الشعير على خوان فتضعه أمام البشير**) .

عمر : تمر وخبز شعير .. أليس عندك خير من هذا لبشير الفتح ؟

عاتكة : ما عندى والله خير منه .

عمر : باسم الله كل يا سعد .. تبلغ بهذا ، والليلة تتعشى بدار الضيافة فتأكل خيرا من هذا الذى قدمته لك عاتكة إن شاء الله . هل تستطيع أن تصف للمسلمين ما وقع فى القادسية .

سعد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فكل إذن حتى لا تحدثهم وأنت جائع .

صوت : (**يرتفع من ناحية المسجد**) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة .

(ستــار)

المشهد الثالث

فى المسجد النبوى الشريف

عمر ينتحى ركنا فيه ومعه أهل الشورى فيهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وقد وقف دونهم أبو طلحة الأنصارى يحجبهم وفى يده السيف .

عمر : أكمل يا عثمان قراءة الكتاب ..

عثمان : (**يتلو من رسالة فى يده**) وإنى يا أمير المؤمنين أعالج حربا كؤودا صدوما ، وبلاداً قد اُدُّخرت لك ، فرأيك والسلام .

(يطوى عثمان الرسالة ويعيدها لعمر)

عمر : ها أنتم أولاء قد علمتم أن أهل إيلياء قد أشجَوا عمرا وأشجاهم ، وإنى قد رأيت أن أمده بالجيش الذى كنت جمعته لإمداد سعد بالقادسية ، وأن أسير بنفسى إليه فماذا ترون ؟

عثمان : يا أمير المؤمنين أما المدد فأرسله على الفور ، ولكن لا تسر إليهم فليس ما يستوجب ذلك .

الزبير : وهذا الصلح الذى عرضوه أليس جديرا أن يرحل أمير المؤمنين من أجله ؟

عثمان : لو كانوا يريدون الصلح حقا لعقدوه مع عمرو بن العاص فهو عندهم .

الزبير : إنهم يرون مدينتهم مقدسة فيحبون أن يعقدوا صلحها مع أمير المؤمنين بنفسه .

عثمان : لا شك أنها مكيدة من داهية الروم الأطربون .

الزبير : أتذكر أطربون الروم يا عثمان وتنسى أطربون العرب ؟

عثمان : أطربون العرب لم يقدر منه على شيء .

الزبير : ويحك يا ابن عفان وهل قدر هو أن ينال شيئا من عمرو ؟ ألم يكد له عمرو فى أجنادين ، إذ ذهب يقابله بنفسه على أنه رسول من عمرو حتى إذا ألقى فى روع العلج أنه عمرو أو أنه الذى يأخذ عمرو برأيه ، وأسر له الغدر وعزم على قتله ، كاد له عمرو كيدة أخرى فتخلص منه بسلام ؟

عمر : **(معجبا)** هيه يا زبير .. لقد والله أنصفت أطربون العرب .

عثمان : فما بال أطربونكم هذا وقف عاجزا دون أسوار إيلياء زهاء عام ينتظر ؟

عمر : كلا يا عثمان إنه لم ينتظر هناك وإنما ضرب عليها الحصار وتركها لبعض رجاله وذهب يفتح غزة ورفح وسبسطية ونابلس ولُدّ وعمَواس ويافا وبيت جبرين ومرج عيون وغيرها من مدن فلسطين .

طلحة : **(متعجباً)** عجبا يا أمير المؤمنين إنك لتحفظ أسماء هذه المدن .

عمر : ويحك يا ابن عبد الله من حمل أمانة فعليه أن يحفظها .

الزبير : إنى أرى يا أمير المؤمنين أن تتوكل على الله وتسير إليهم بنفسك ، فإن أرادوا صلحا عقدته معهم ، وإن أرادوا غير ذلك فسيكفيك الله أمرهم .

عثمان : كلا لا تفعل يا أمير المؤمنين . إنك إن أقمت ولم تسر إليهم وقد طلبوا قدومك رأوا أنك بأمرهم مستخفّ ، ولقتالهم مستعد ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية .

عمر : وماذا ترى يا أبا الحسن فإنا لم نسمع رأيك ؟

على : أما أنا فأرى أن تذهب يا أمير المؤمنين فقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام فإذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية والصلاح والفتح إن شاء الله . ولست آمن إن لم تفعل أن ييأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم ، لا سيما وبيت المقدس معظّم عندهم وإليه يحجون .

عثمان : لكن أبا الحسن أشار بغير هذا الرأى يوم صرار .

على : ذلك أن أمير المؤمنين لا يقدم اليوم على خطر فقد أذل الله الروم للمسلمين ، وإنما هى مدينة مستعصية بأسوارها طال عليهم حصارها ، فأرى أن قدوم أمير المؤمنين على المسلمين هناك أندى على نفوسهم وأبعث لعزائمهم وأهيب فى صدور العدو . فتوكل على الله فإن لك بكل خطوة تخطوها حسنة ، وفى كل ظمأ ومخمصة حسنة ، وفى كل واد وكل فج وكل شِعب .

عمر : لله أنت يا أبا الحسن لقد والله أرويت وشفيت .

عبد الرحمن : لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى تسمع ما عندى .

عمر : قل يا عبد الرحمن ما عندك .

عبد الرحمن : ما برح فى نفسى شىء من مسيرك إلى الشام وتركك المدينة وليس ما يلجئك إلى ذلك . هذا أبو عبيدة يمضى فاتحا فى شمال الشام مُضىَّ الشفرة فى قطعة العجين .

طلحة : لا تنس يا ابن عوف أن معه هناك سيف الله خالد بن الوليد ... ألم تر كيف قال لأهل قنسرين لما تحصنوا فى قلعتهم بعدما هزمهم فى حاضرها وقتل كبشهم ميناس : والله لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا . كلمة والله لا يقولها إلا خالد !

عمر : صدقت يا أبا محمد . عجزت النساء أن يلدن مثل أبى سليمان . والله لأستعملنه على قِنَّسرين وما حولها ليكون نكالا للروم إذا حدثتهم أنفسهم بالكرة .

عبد الرحمن : أما إنك لراض عنه اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل لقد أمر خالد نفسه .. رحم الله أبا بكر . هو كان أعلم بالرجال منى .

عبد الرحمن : فهلا أمددت به عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين فإنى لأحسب أن ليس لإيلياء غير خالد .

طلحة : إى والله يا أمير المؤمنين ليس لها غير سيف الله .

عبد الرحمن : وتبقى أنت يا أمير المؤمنين بالمدينة وخلاكَ ذَمّ .

عثمان : هذا والله الرأى يا أمير المؤمنين .

عمر : **(بعد صمت قصير وهو ينظر مليا إلى عبد الرحمن)** لا يا ابن عوف لقد أبعدت مرماك .. أما إن فى سيف

خالد لرهقا ، وإنك لأول من يعلم ذلك ، وهذه مدينة مقدسة عندنا وعند أهل الكتاب .

على : هديت الرشد يا أمير المؤمنين .. إن لك فى رسول الله لأسوة حسنة ، فقد أوصانا يوم فتح مكة بالرفق بأهلها ونهانا عن العنف ، وإن بيت المقدس لفيه المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله والذى كان قبلتنا الأولى قبل أن نؤمر بتولية وجوهنا شطر الكعبة .

عمر : بوركت يا ابن أبى طالب لا عدمنا رأيك وعلمك . أما والله إن رفق عمرو بن العاص لخير عندى من عنف خالد بن الوليد .

على : فإذا ضممت إلى رفق عمرو رفقك يا أمير المؤمنين ، كان ذلك أجدر بمكان بيت المقدس وأوفى بما هو أهل له من التوقير والتعظيم .

عمر : يا أبا طلحة . ائتنى الآن برسول عمرو بن العاص .

(يخرج أبو طلحة ويغيب قليلا ثم يعود ومعه عقبة بن عامر الجهنى) .

عمر : هلم يا أخا جهينة .. أبشر فقد أنجح الله مهمتك .

عقبة : (**فرحا**) الحمد لله يا أمير المؤمنين .

(ستـــار)

المشهد الرابع

فى بيت الشيخ صِفرونيوس بِطريق بيت المقدس وعنده رومانوس متنكرا فى زى قسيس .

رومانوس : ما بالك تنظر إلى ؟

صفرونيوس : هذا الزى الذى عليك .

رومانوس : لا تخف .. لن يعرفنى فيه أحد . لقد لقينى اليوم أحد معارفى من بصرى وجها لوجه فلم يعرفنى .

صفرونيوس : أين لقيك ؟

رومانوس : عند باب المدينة وأنا داخل .

صفرونيوس : ليتك تبقى فى زيك هذا إلى الأبد .

رومانوس : (**يضحك**) تتمنى أن أعود مسيحيا كما كنت ؟

صفرونيوس : نعم فمثلك ينبغى أن يعود إلى الحظيرة .

رومانوس : وأنا أتمنى لو يهديك الله كما هدانى !

صفرونيوس : (**فى شيء من الغضب**) رومانوس .. انظر ما تقول .

رومانوس : لا تغضب يا سيدى البطريق إنك حين تصير مسلما تكون مسيحيا وزيادة .

صفرونيوس : لا أريد الزيادة .. أريد أن أكون مسيحيا فحسب .

رومانوس : إذن يفوتك خير كثير ..

صفرونيوس : اسمع يا رومانوس . إن شئت أن تبقى صديقا لى فاكفف عن دعوتى إلى دينك .

رومانوس : ماذا يضيرك من ذلك ؟

صفرونيوس : تجادلنى فى دينى وتقول لى ماذا يضيرك فى ذلك ؟

رومانوس : أنا أجادلك بالتى هى أحسن .

صفرونيوس : لا أريد جدالا ألبتة .. لا بالتى هى أحسن ولا بالتى هى أسوأ .

رومانوس : تذكر يا سيدى أنك أنت الذى بدأت فى جدالى ..

صفرونيوس : كلا أنا ما جادلتك ، وإنما لمتك على ارتدادك عن دينك ودين آبائك .

رومانوس : إن الحواريين الذين آمنوا بالسيد المسيح قد اتهمهم اليهود بالردة والضلالة كما تتهمنى الآن .

صفرونيوس : أين هذا من ذاك ؟

رومانوس : لو فتحت قلبك للحق ولم تتبع الهوى لأيقنت ألا فرق بين هذا وذاك .

صفرونيوس : إن الحواريين لم يخونوا قومهم .

رومانوس : لكنهم خانوا قيصر إذ وفوا لله .. وأنا كذلك ما خنت قومى وإنما خنت قيصر إذ وفيت لله ، والله أكبر من قيصر .

صفرونيوس : إنك سلمت بصرى للغزاة .

رومانوس : بل حقنت دماء أهلها إذ حملت المسلمين على مصالحتهم بعدما انتصروا عليهم .

صفرونيوس : ما كان المسلمون لينتصروا لو لم تعنهم وتدخل فى دينهم .

رومانوس : فكيف انتصروا على ولايات دمشق وحمص وقنسرين وأنطاكية وغيرها ؟ هل أسلم حكام هذه الولايات كما أسلمت ؟ وهل أعانوهم كما زعمت أنى أعنت ؟

صفرونيوس : أتنكر أنك أعنت المسلمين ؟ ألم تحفر لهم ذلك الممر السرى من الأسوار إلى بيتك ؟

رومانوس : ما حفرته ليدخل منه المسلمون بل لأخرج أنا من خلاله . فقد ائتمر بى رجال الدين فى المدينة وأوعزوا للجيش فحاصروا بيتى وحبسونى فيه .

صفرونيوس : لأنك جاهرت بالإسلام ودعوت إليه .

رومانوس : أجل إنى آمنت بهذا الدين عن اقتناع وبعد طول نظر وتفكير ، وظللت أكتم إيمانى حتى وقف المسلمون على أبواب بصرى فدعوت أهلها إلى الإسلام حتى يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فنفروا وثاروا وحاصروا خيصة حمر الوحش ، فدعوتهم إلى مصالحة المسلمين فأبوا كذلك ، فقلت اختاروا من بينكم من يحكمكم مكانى ، ودعونى أخرج من مدينتكم وأنضم إلى المسلمين فأبوا على ذلك وحبسونى فى بيتى وتوعدونى بالقتل ، فما كان منى إلا أن حفرت ذلك السرداب فتسللت منه لأنجو بحياتى ودينى .

صفرونيوس : لكن المسلمين دخلوا إلى المدينة من ذلك السرداب وأنت دللتهم عليه .

رومانوس : أوَ تظن أنهم كانوا يعجزون عن فتحها لولا السرداب ؟ لقد حضر خالد بن الوليد إذ ذاك وأوشك أن يقتحم أسوارها ، وإذن لاعتبرها فتحت عنوة ، ولما رضى أن يصالح أهلها على الجزية .

صفرونيوس: لكن أهل بصرى ما زالوا يعتبرونك خائنا لهم .

رومانوس : بعض رجال الدين من الملكانيين فقط . أما سائر أهلها وأكثرهم من اليعاقبة فيدركون أننى أنقذتهم من سوء المصير ، وحفظت عليهم حقوقهم وأملاكهم ، وأعدت إلى مذهبهم ما سلبه القيصر من حريته .

صفرونيوس: (**يتنهد**) صدقت يا رومانوس . إن البدعة التى فرضها هرقل على الناس كانت أكبر عون لهؤلاء المسلمين إذ جعلت قلوب الناس تميل إليهم وترحب بانتصارهم .

رومانوس : إذا قضى الله أمرا هيأ له الأسباب ومهد له السبيل ، وقد قضى بظهور هذه الرسالة الجديدة ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى الحرية .

صفرونيوس: عدت مرة أخرى إلى التبشير بدينك ة

رومانوس : كلا يا سيدى البطريق (**يتلو تلاوة القرآن**) ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ .

صفرونيوس: ما هذا ؟

رومانوس : آيات من القرآن .

صفرونيوس : لماذا تحاول أن تكرهنى على دينك ؟

رومانوس : إن الذى حاول أن يكرهك على غير دينك إنما هو هرقل . أما الإسلام فقد جاء ليضمن لك ولغيرك الحرية فيما تدينون وما تعتقدون (**يتلو تلاوة القرآن**) ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ .

صفرونيوس : أهذا من القرآن أيضا ؟

رومانوس : نعم .

صفرونيوس : آه لو ترك هرقل الناس أحراراً فى مذهبهم . آه لو لم يصغ إلى بدعة سرجيوس !

رومانوس : فى إمكانك أنت أن تتدارك هذا الأمر إذا صالحت المسلمين على إيلياء .

صفرونيوس : قد علمت أننا طلبنا أن يجىء أمير المسلمين بنفسه ليعقد معنا كتاب الصلح .

رومانوس : لكن الأطربون غير مخلص فى طلبه هذا ، وأخوف ما أخافه أن يأتى أمرا يعرضكم جميعا لغضب المسلمين .

صفرونيوس : لسنا مسئولين عن الأطربون .

رومانوس : بلى أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلم باسمكم .

صفرونيوس : إنه حاكم فلسطين من قبل هرقل فماذا نصنع ؟

رومانوس : أنت بطريق إيلياء ولك فى قلوب أهلها مكانة ليست للأطربون .

صفرونيوس : أتريد منى يا رومانوس أن أخلع سلطان هرقل ؟

رومانوس : إن كنت تريد أن تنقذ المدينة المقدسة !

(ستـــار)

المشهد الخامس

فناء دير فى بأيلة فى مرتفع من الأرض على الطريق. يرى راعى الدير القمص يعقوب جالسا وعنده اثنان من أتباعه وزوجتاهما .

ماريا : (**تنظر إلى الطريق**) يا أبانا القمص . الشماسان زكريا ويوسف قد أقبلا .

داود : إنهما ليهرولان !

القمص : لا ريب أن عندهما نبأ عن عمر ملك المسلمين . (**يدخل زكريا ويوسف**) ما الخبر يا ولدى ؟

زكريا : وصل ملك المسلمين إلى الدير الصغير حيث يستريح قليلا ثم يواصل سيره .

داود : إذن فليس بيننا وبينه غير مرحلة واحدة .

القمص : هل استطعتما أن تقابلاه ؟

زكريا : قابلناه بغير استئذان .

القمص : كيف ؟

يوسف : ليس دونه حراس ولا حجاب .

القمص : ليس معه أحد .

زكريا : معه نفر قليل من أصحابه ولكنه كأى واحد منهم .

القمص : وماذا قال لكما وماذا قلتما له ؟

زكريا : بلغناه تحيتك وترحيبك بنزوله عندك فتهلل وجهه وسر ، وقدم لنا من هذا التمر (**يناول حفنة التمر للقمص فيفرقها القمص على الحاضرين وهم ينصتون للحديث فى دهش**)

يوسف : ولما أردنا الانصراف قال لنا بلغا تحيتى لشيخكما الراعى الصالح ، وقولا له إنى نازل بجواره اليوم إن شاء الله .

ماريا : وما شكل هذا الرجل وما هيئته ؟ ألا تصفانه لنا ؟

أنّا : لا بد أنه مثل شيوخ العرب الذين نراهم فى المواسم يرتدون الحبر وعلى رؤوسهم تيجان من اللؤلؤ والخرز .

زكريا : كلا لا لن تصدقونا إذا حدثناكم ، فانتظروا حتى تروه بأعينكم .

ماريا : كلا لا نستطيع أن ننتظر . لقد زدتنا شوقا إلى صفته .

القمص : صفه لنا أنت يا يوسف . أنت عربى تحسن الوصف خيرا من صاحبك .

يوسف : حبا يا أبانا وكرامة . أتدرون كيف رأيناه أول ما رأيناه ؟ رأيناه راكبا على جمل أورق ، منيفا كأنما هو واقف فوقه ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب . فما صدقنا فى أول الأمر أن هذا هو ملك المسلمين . ولما أناخ وقفنا ناحية ننظر إليه فإذا وطاؤه إذا ركب هو فراشه إذا نزل . وإذا له شملة محشوة ليفا هى حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل ، وإذا عليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه .

القمص : قميصه متخرق ؟

زكريا : نعم .

(يغيب القمص داخل الدير ثم يعود مسرعا وبيده قماش من الكتان)

القمص : ماريا يا بنتى هل لك أن تفصلى قميصا نهديه لملك المسلمين ؟

زكريا : أجل يا أبانا هذا خير هدية نقدمها إليه .

ماريا : (**تأخذ القماش**) كيف أفصله دون أن أعرف قده ؟

زكريا : كم قميصا يكفى هذا ؟

ماريا : قميصين .

زكريا : فاعمليه قميصا واحدا .

(تبتسم ماريا ثم تأخذ فى تفصيل القميص وخياطته)

القمص : اذهبا الآن فاغسلا وجوهكما جزيتما خيرا . (**يخرج زكريا ويوسف**) .

أنّا : أىُّ ملك هذا الذى سمعنا وصفه ؟ إنه لشىء عجيب .

ماريا : هذا يا أنّا هو الذى ضرب القيصر هرقل على رأسه .

داود : والذى أنقذ مذهبنا من طغيانه وطغيان قساوسته .

القمص : أجل يا أصدقائى إن للرب سبلا لا نكاد ندركها نحن البشر ، فلا عجب أن جاء هؤلاء المسلمون وهم لا ينتمون إلى ديانتنا المسيحية ليعيدوا لنا حريتنا الدينية التى سلبها منا إخوان لنا فى المسيح !

ماريا : كلا يا أبانا القمص ليس هؤلاء الروم إخواناً لنا فى المسيح ، وإلا لما اضطهدونا ليحملونا على اتباع مذهبهم الخارج على المذهب الصحيح .

جريجورى : يا عزيزتى إن أبانا يعنى أنهم منسوبون إلى الملة المسيحية .

القمص : أحسنت يا جريجورى إذ شرحت لزوجتك .

جريجورى : لكن إلى أى مدى نستطيع أن نطمئن إلى هؤلاء المسلمين ؟ ألا تخشون ألا يطول بهم العهد حتى يكونوا علينا شرا من الروم ؟

ماريا : شرا من الروم ؟ هذا محال .

القمص : المستقبل علمه عند الله وإنما لنا الحاضر . ولم ينقل عنهم فى هذه السنوات الثلاث منذ جاءوا يغزون الشام أنهم أكرهوا أحدا على الخروج من دينه أو الدخول فى دينهم .

أنّا : ومع ذلك فقد ارتد إلى دينهم كثير من الناس .

القمص : من ارتد بمحض اختياره فذنبه على جنبه .

أنّا : لكنهم بذلك يا أبانا القمص أخطر على مذهبنا من الروم .

القمص : ما دام فى وسعنا أن نجهر بدعوة أتباعنا إلى التمسك بمذهبنا دون أن تجدع أنوفنا لذلك ، أو تصلم آذاننا ، أو تهدم بيوتنا كما كان يفعل الروم بنا ، فلا سبيل لنا على هؤلاء المسلمين .

أنّا : لا نستطيع يا أبانا أن نحكم بعد على هؤلاء البدو الأجلاف .

داود : يا أنّا يا حبيبتى ألست يعقوبية ؟

أنّا : يا داود يا حبيبى أنا يعقوبية أكثر إخلاصا منك .

داود : فعلام هذا التحامل على قوم لم يمسنا منهم سوء قط ، بل نرجو على أيديهم أن تعود الحرية الدينية لليعاقبة فى كل مكان؟

جريجورى : إن امرأتك يا داود إنما تريد أن تنصحنا بالاحتراس من هؤلاء المسلمين ، وهى على حق ، فمن يدرى لعلهم يظهرون على حقيقتهم حين يتم لهم الاستيلاء على جميع البلاد .

داود : كلا كلا ليس فى الإمكان أن يخدعونا عن حقيقتهم . انظر إلى جيشهم الذى مر بديارنا هذه منذ شهر ، ووازن بينهم وبين جيوش الروم التى كانت تمر بنا من قبل ، فأين سلوك هؤلاء وأين سلوك أولٰئك ؟

القمص : صه .. هذا عُمارة جاسوس الأطربون قد أقبل فخوضوا فى حديث آخر .

(يدخل عمارة العكى)

عمارة : عم صباحا يا أبانا . عمو صباحا يا قوم .

القمص : صباح الخير يا عمارة .

الجماعة : صباح الخير .

القمص : اجلس يا عمارة .

عمارة : أما عندكم من أخبار عن ملك المسلمين ؟

القمص : يقال إنه فى الطريق .

عمارة : بلغنا يا قمص يعقوب أنك بعثت من يستقبله فى الطريق ويدعوه لينزل ضيفا عليك .

القمص : أنا أضيف الملوك يا عمارة ؟ من أين ؟
عمارة : هذا ملك بدوى صعلوك لا تكلفك ضيافته شيئا .
القمص : أليس ملكا وكفى ؟
عمارة : علام إذن بعثت رجالا يستقبلونه فى الطريق ؟
القمص : ما بعثت غير شماسين من مريدى ليتنسما لى أخباره .
عمارة : وماذا تصنع بأخباره ؟
القمص : أنا راعى هذا الدير القائم على الطريق فينبغى على أن أستقبله إذا نزل بجوارنا أو مر .
عمارة : ولماذا ينبغى عليك أن تستقبله ؟
القمص : مجاملة لا تكلفنى شيئا ، ولعلى بها أتخذ يدا عنده لأهل هذه البلدة .
عمارة : كأنك يا قمص قد أصبحت تؤمن من الآن أن دولة الروم قد انطوت وأن العاقبة لهؤلاء المسلمين ؟
القمص : يا بنى لم كل هذه الأسئلة ؟ إن كانت العاقبة للروم فلن يؤاخذونا يومئذ على مجاملة قمنا بها لهؤلاء المتغلبين .
عمارة : هل لى يا قمص أن أكلمك على حدة ؟
الأربعة : (**ينهضون**) نحن يا أبانا ننصرف .
القمص : لا بل ادخلوا الدير واجلسوا فى الفناء الشرقى . (**يخرجون**) هات ما عندك .
عمارة : ينبغى أن تعلم أن العاقبة للروم ، وأن هؤلاء لن يبقوا فى البلاد أطول مما بقى الفرس . فهل لك يا أبانا أن تتخذ لك يدا أخرى عند القيصر ؟

القمص : وأين هو القيصر وماذا يوصلنى إليه ؟
عمارة : أنا أكلمك باسم الأطربون ، والأطربون يتكلم باسم القيصر . فى وسعك أن تكون بطريقا لإيلياء عما قريب .
القمص : والبطريق صفرونيوس ؟
عمارة : ألا تعلم أنه غير مرضى عنه ؟ ثم إنه شيخ فان .
القمص : أنا قانع يا بنى بما أنا فيه ، وأحمد الله على ذلك . خبرنى الآن ماذا تريد منى ؟
عمارة : الآن وصلنا إلى بيت القصيد . كل ما نريده منك أن تكفينا هذا الرجل .
القمص : من ؟
عمارة : أتتغابى ؟ ملك المسلمين هذا .
القمص : أجاد أنت أم تمزح ؟
عمارة : بل جاد .
القمص : أترانى راعى دير أم فارس حلبة ؟
عمارة : الأمر أيسر من ذلك . ما عليك إلا أن تضع هذا السم فيما يأكله من عندك أو يشربه .
(يخرج كيسا صغيرا من بين ثيابه)
القمص : هات .
عمارة : (**فرحا**) هاك .. (**يقبل رأسه**) إنك لا تدرى يا أبانا الشجاع الطيب أى خدمة نسديها إلى الأطربون ، وإلى قيصر ، وإلى الدولة ، وإلى المسيحية قاطبة !
القمص : وفقنا الله إلى ما يرضى السيد المسيح .

عمارة : آمين آمين ..

(يرسم الصليب ويتمسح بثياب القمص)

القمص : إن الرجل سينزل اليوم عندنا بجوار الدير .

عمارة : من ذا أخبرك ؟

القمص : الشماسان . ولعله الآن يوشك أن يصل ، فمن الخير أن تنصرف أنت حتى لا يرتاب أحد .

عمارة : صدقت .

(يخرج)

القمص : (**ينادى**) أنـــا .. ماريـــا .. جريجورى .. داود .. تعالوا ..

(يعود الأربعة إلى مقاعدهم وهم صامتون)

القمص : كدت تفرغين من قميصك يا ماريا ؟

ماريا : نعم ما بقى إلا قليل .. (**تنشره بين يديها**) انظروا .. كأنه جوالق !

جريجورى : (**فى سخرية خفية**) لو يعلم أنك أنت التى خطت له لمنحك جائزة سنية .

أنا : كيساً من التمر ؟

جريجورى : أو شملة محشوة بالليف .

ماريا : وحياة العذراء لو سمح لى هذا الرجل لغسلت قدميه بالطيب كما فعلت المجدلية بقدمى السيد المسيح .

(تضم القميص إلى صدرها وتقبله)

أنا : ما هذا الكلام يا ماريا ؟ أتقرنينه بالسيد ؟

ماريا : لم لا ؟ كلاهما مخلِّص . السيد خلصنا من خطيئة آدم وهذا خلصنا من اضطهاد هرقل .

(يدخل زكريا ويوسف مسرعين)

الاثنان : يا أبانا القمص ! هذا ملك المسلمين قد أقبل !

(يتطلع الجميع إلى الطريق)

القمص : زكريا أحضر لى يا ولدى جبتى الكهنوتية . **(يخرج زكريا)** أيهم هو يا يوسف ؟

داود : لعله ذاك الذى على الجواد الأبيض ؟

يوسف : كلا .. الذين على الجياد هم أصحابه .

ماريا : فأين هو ؟

يوسف : لا أستطيع أن أرى جيدا من هنا .

ماريا : أنت ضعيف .. ليت أبانا القمص بعثك أنت وترك لنا زكريا .

يوسف : ها هو ذاك خلفهم على الجمل الأورق !

ماريا : ولكن هذا متوسط الجسم وليس بعملاق كما وصفتماه .

أنّا : مبالغة وتهويل .

(يعود زكريا بالجبة فيساعد القمص على ارتدائها)

القمص : تعال رافقنى أنت يا يوسف .

(يخرج ومعه يوسف)

ماريا : أدركنا يا زكريا . تعال أرنا أيهم ملك المسلمين ؟

زكريا : **(يتطلع)** ذاك الذى يمسك بخطام الجمل .

داود : ذاك الماشى أمام الجمل ؟

زكريا : نعم .
ماريا : هذا حقا عملاق .. كأنه شمسون الجبار .
داود : ومن الراكب على الجمل ؟
زكريا : هذا غلامه .
داود : عبده ؟
زكريا : نعم .. أخبرنى عبده هذا أنهما يتعاقبان على الجمل طول الطريق .
داود : نحن أمام أسطورة .
أنّا : بدو لا يعرفون آداب السلوك .. هذا كل ما هنالك .
داود : أنّا ألا ترجعين يا حبيبتى إلى البيت ؟
أنّا : كلا يا حبيبى .. أشتهى أن أتفرج معك .
ماريا : انظروا إنه يصافح القمص يعقوب .
داود : ويضرب على كتف يوسف .
ماريا : يداعبه . وى ! إنهم آتون ! استعدوا يا جماعة !
(يقف الجميع صفاً)
داود : أنّا يا حبيبتى . ابسطى وجهك . تخلصى من هذا العبوس .
أنّا : داود يا حبيبى اهتم أنت بشأن نفسك .
ماريا : جريجورى ابتسم يا جريجورى .
جريجورى : ابتسمت يا ماريا .
ماريا : سيسطر فى التاريخ غدا أن امرأتك هى التى خاطت له القميص !

(يدخل القمص ومعه عمر وأصحابه وغلامه أسلم)

القمص : هؤلاء من أصدقاء الدير .

عمر : مرحبا مرحبا ..

(يدخل زكريا يحمل طبقا فيه أقداح)

القمص : (**يأخذ قدحاً فيقدمه لعمر**) اشرب يا سيدى .. هذا مصنوع فى الدير .

عمر : (**ينظر فى القدح**) نقيع الزبيب ؟

القمص : نعم .

عمر : باسم الله (**يشرب ويشرب الآخرون**) هذا شراب طيب .

القمص : نزيدك يا سيدى ؟

عمر : حسبنا هذا . جزيت خيراً أيها الراعى الصالح (**يتحرك لينصرف**)

القمص : ألا تنزلون يا سيدى عندنا فى الدير ؟

عمر : جزيت خيراً . نحن لا ننزل إلا فى ظلال النخيل .

القمص : هاتى القميص يا ماريا .

ماريا : ها هو ذا يا أبانا القمص .

القمص : هذا قميص فصلناه لك وخاطته هذه السيدة .

عمر : (**ينظر إلى زكريا ويوسف كالعاتب ثم يبتسم ويأخذ القميص**) أحرير هذا ؟

القمص : (**كالمعتذر**) لا يا سيدى .. ما كان عندنا حرير .

عمر : فما هذا ؟

القمص : هذا كتان .

عمر : لو كان حريراً ما قبلته . يوسف !

يوسف : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : قدنى إلى مكان خال لأرتدى هذا القميص .

يوسف : هلم يا أمير المؤمنين (**يخرج ويخرج خلفه عمر**)

القمص : يا أمير المؤمنين ؟

زكريا : هكذا يدعونه يا أبانا القمص .

القمص : ويلكما هلا أخبرتمانى بذلك من قبل ؟

(يعود عمر وقد لبس القميص الجديد وبيده القميص القديم وقد طواه)

ماريا : انظرى يا أنا .. قميصى على جسده !

أنّا : خذى قميصه القديم وارتديه .. على جسدك !

عمر : هل لكم أن تغسلوا قميصى هذا وتخيطوه ؟

القمص : حبا وكرامة يا أمير المؤمنين . (**يأخذ القميص فتسرع ماريا فتأخذه منه**) ألا نعمل لك قميصا ثانيا يا أمير المؤمنين وتدع هذا فقد تخرق ؟

عمر : قميصى هذا أيها الراعى الصالح أصلح لى وأحب إلى .

القمص : يا أمير المؤمنين هل لى أن أقدم نصيحة لك ؟

عمر : هات نصيحتك .

القمص : أنت ملك العرب ، وأنت قادم غدا على الروم ، فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذوناً فارها لكان ذلك أعظم فى أعين الروم .

عمر : ويحك أيها الراعى الصالح .. لو أردنا ذلك لكان لنا ما نريد ، ولكننا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نلتمس العز من غيره .

القمص : يا أمير المؤمنين كلمة فى أذنك (**يسار عمر بحديث**)

عمر : (**يبتسم**) جزيت خيرا على نصحك وبرك . أيها الراعى الصالح لا تخف علينا من كيد هؤلاء فإن الله معنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(ستـــار)

المشهد السادس

منبسط من الأرض بقرب (مؤتة) حيث أناخ عمر وأصحابه .

أسلم : (**يصيح فجأة**) يا أمير المؤمنين .. خيل مقبلة !

ابن عوف : (**يتطلع**) هذه خيل المسلمين يا أمير المؤمنين .. لعل جاءوا لاستقبالك .

عمر : (**يظهر**) إنى أمرتهم بموافاتى إلى الجابية ولم آمر أحداً باستقبالى فى الطريق .

ابن عوف : لعلهم خافوا عليك ما خافه عليك راهب أيلَة .

عمر : هذا خالد بن الوليد يا عبد الرحمن .. ذكرناه الساعة فحضر .

ابن عوف : عرفته من هذا البعد ؟

عمر : إنى أعرف نزوته على الخيل . ويل لهم ما هذه الثياب التى عليهم ؟

ابن عوف : إنها تلمع كسَرَق الحرير .

عمر : قاتلهم الله أوقد اتبعوا سنن الروم ؟

ابن عوف : أصبت يا أمير المؤمنين هذا خالد . والله ما عرفته بهذا الزى .

عمر : (**يتناول حجارة فيقذف بها صوب اليمين**) قاتلكم الله .

خالد : (**صوته**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : لا سلام عليكم (**يمضى فى قذفهم بالحجارة**) إياكم أن تدنوا منى قبل أن تخلعوا هذا الذى عليكم وإلا حصبتكم ورجمتكم . سَرُعَ ما لُفِتُّم عن رأيكم . إياى تستقبلون فى هذا الزى ؟ وإنما شبعتم منذ سنتين . سرع ما ندت بكم البطنة . تالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم .

ابن عوف : إنها الدنيا يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا والله يا ابن عوف .. أما وأنا عليهم فلا .

ابن عوف : رويدك يا أمير المؤمنين .. إنهم يخلعون ما عليهم .

(يدخل خالد ونفر من رجاله وبأيديهم اليلامقة — الأقبية — تبرق) .

خالد : يا أمير المؤمنين وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها .

عمر : وهذه الثياب عليكم ؟

خالد : هذه يلامقة يلبسها الفرسان هنا على الحديد والسلاح لتكون أهول للعدو وأروع .

عمر : من سَرَق الحرير ؟

خالد : بل من الديباج يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يتحسسها بيده**) تلبسونها دائما على الحديد والسلاح ؟

خالد : كما ترى .

عمر : (**ينقلب من السخط إلى الرضا جملة واحدة**) وعليكم السلام ورحمة الله . لا بأس إذن يا أبا سليمان .. دعنى أعانقك . (**يعانقه بحرارة وشوق**) والله لقد كنت طول اليوم ببالى مذ قيل إننا قادمون من مؤتة .

خالد : فهذه مؤتة يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل .. لقد ترحمت على الشهداء الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة ، وذكرت رسول الله ﷺ وهو ينعاهم على المنبر واحداً بعد واحد ، والدموع فى عينيه إلى أن قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففُتح له . فلا والله ما اشتقت إلى أحد قط أن أضمه وأعانقه كما اشتقت إليك اليوم .

خالد : (**يعود فيعانق عمر**) بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . والله إنا لنظلمك كثيراً إذ ننظر إليك كما ننظر إلى غيرك من الرجال . أنت طراز آخر . أنت نسيج وحدك .

عمر : (**كالكاره لذلك**) مه يا خالد أرنى كيف فعلت ذلك اليوم فى هذا السهل ؟

خالد : أترى إلى ذلك التل يا أمير المؤمنين ؟ لقد كان من خلفنا وقد أحاط الروم بنا إحاطة السوار بالمعصم ، فأمرت رجالى فداروا حوله فى كراديس ، فتوهم الروم أن أمداداً جاءتنا تترى فتقهقروا عنا ليأتمروا فيما بينهم فاهتبلت الفرصة ونجوت بالمسلمين .

عمر : وكم كان عدد الروم يومذاك ؟

خالد : كم يا رومانوس ؟ أنت كنت معهم .

رومانوس : مائة ألف من الروم وخمسون ألفا من العرب .

عمر : رومانوس ؟ حاكم بصرى الذى أسلم ؟

خالد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحك هلا عرفتنى به من قبل ؟ أهلا بك وسهلًا يا أبا الروم ! قد سمعت أنك حكيم والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾ .

رومانوس : مرحباً بك فى أرض الشام يا أمير المؤمنين .

عمر : وإنك لتحسن الكلام بالعربية ؟

رومانوس : من طول ما خالطت العرب . ألم تسمع يا أمير المؤمنين بسيرة بَحِيرا الراهب ؟

عمر : بلى فهل لقيته يا أبا الروم ؟

رومانوس : بل لقيت بعض من لقوه يا أمير المؤمنين فحدثونى من أمر رسول الله ﷺ بما حدثهم به .

أسلم : يا أمير المؤمنين تلك خيل أخرى .

خالد : (**يلتفت وينظر**) هذه خيل يزيد بن أبى سفيان . الحمد لله إذ سبقته إليك .

عمر : انطلقتما من بقعة واحدة ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين .. أنا جئت من أقصى الشمال ، وقد مررت اليوم ضحى بدمشق ، فوجدته قد انطلق من الفجر ، فأقسمت على ربى لأسبقنه إليك ، وقد أبر الله قسمى ولله الحمد .

عمر : هذا الزهو فيكم يا آل المغيرة !

خالد : ما رأيت ابن أخت قوم أعق منك يا عمر !

يزيد : (**صوته**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يدخل يزيد بن أبي سفيان وبعض رجاله)

خالد : يا أمير المؤمنين مرهم يخلعوا ما عليهم مثلنا .

عمر : ويحك قد علمت أنها اليلامقة وأن من تحتها الدرع والسلاح .

خالد : وإن .. ينبغي أن تعدل بينهم وبين رجالى .

عمر : صدقت .. اخلعوا عنكم هذه اليلامقة (**يخلعونها**) أما إنك لحفى برجالك يا خالد .

خالد : هم قوتى يا أمير المؤمنين وأنا بهم أصول وأنتصر .

عمر : فهل أحصب هؤلاء بالحجارة أيضاً مثلكم ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين لا تفعل .. تلك آيةُ سبقِنا إليك .

عمر : اجلسوا اجلسوا (**يجلس فيجلسون**) كيف الحال فى دمشق يا يزيد ؟

يزيد : على خير ما تحب يا أمير المؤمنين من الأمن والعافية .

عمر : وماذا فعل أخوك معاوية ؟

يزيد : قد بعثته كما أمرت يا أمير المؤمنين ليحاصر قيسارية حتى لا يصل منها شيء إلى إيلياء والرملة .

عمر : أتراه قد وفق أم تبعث مكانه من يخلفه ؟

يزيد : بل وفقت أنت فى اختياره يا أمير المؤمنين . إنه لكيس أريب .

عمر : أما إنك لأحب إلينا منه .. ليس فيك عرق الجبارين من آل عتبة بن ربيعة .

(**يدخل أحد رجال يزيد فيضع بين يديه ربطة ثياب ثم يخرج**)

عمر : ما هذا يا ابن أبى سفيان ؟

يزيد : ثياب أحضرتها يا أمير المؤمنين لتلبسها عند دخولك الشام .

عمر : أترانى عريان يا ابن أبى سفيان ؟

يزيد : هذه أصلح يا أمير المؤمنين وأعظم فى عيون الروم .

عمر : قبح الله رأيك . أأردت أن تعرضنى دمية لعيون الروم ؟ إليكم بها عنى ! (**يرميها يزيد إلى أحد رجاله**) ويلك لقد ظننت آنفا أن العلة فى عرق آل عتبة فإذا هى فى عرق آل حرب !

يزيد : يا أمير المؤمنين اجتهدت فأخطأت فهبها لى فوالله ما أردت إلا الخير وما قصدت غير وجه الله .

عمر : (**تدركه الرقة**) يغفر الله لكم إنكم تلبسون هذه اليلامقة وتزعمون أنها أهيب فى صدور الروم فلا جناح عليكم ، فما بالكم تريدون أن تفتنونى ولست مقيما عندكم وليس لى عذركم .

يزيد : سامحنى يا أمير المؤمنين .

عمر : قد فعلت فلا تعودن إلى مثلها . (**يلتفت إلى خالد**) وأين أخى أبو عبيدة يا خالد ؟

خالد : إنه من خلفى يا أمير المؤمنين ، وسيوافيك بالجابية وقد أرسلنى لاستقبالك مكانه .

عمر : أما إنه ليحبك يا خالد .

خالد : وإنى لأحبه كذلك ووالله إنه لخير لى منك .

عمر : (**يبتسم**) مازلت واجداً على يا خالد ؟

خالد : ذهب جله يا أمير المؤمنين وبقى رسيسه .

عمر : فطب بالًا فإنى قد عزمت على توليتك قنّسرين .

خالد : عجباً .. ترى ماذا غير رأيك فى ؟

عمر : كلا إن رأيى فيك لم يتغير ولكنى سأشترط عليك .

خالد : تشترط على ماذا ؟

عمر : ألا تعطى أحداً من مال الله إلا بأمرى .

خالد : لا والله لا أقبل .. لقد أبيت مثل هذا من أبى بكر .. فكيف أقبله منك ؟ لا حاجة بى إلى عملك . دعنى هكذا مع أبى عبيدة فهو يعرف لى قدرى وأنا أعرف له قدره . والله يا عمر لو كنا نعمل من أجلك ما عملنا شيئا ولكنا إنما نعمل لله عز وجل .

عمر : يا خالد إنى كنت قد عزمت على توليتك قنسرين فلا تجعلنى أعدل عن ذلك إذا ما أبيت أن تخشى الله فى مال المسلمين .

خالد : كلا لا أقبل شرط أحد . إن الله ربى كما هو ربك وإنى لأخشاه كما تخشاه أنت .. أم تظن يا عمر أنك وحدك تخشاه ؟؟

عمر : معاذ الله يا أبا سليمان ولكنى أريد منك أن تعيننى على نفسك ، وأن تظن بى خيراً مهما يسوءك منى من شىء ..

أسلم : (**يصيح مرة ثالثة**) أمير المؤمنين .. هذه خيل ثالثة !

خالد : (**يلتفت وينظر**) هذه خيل عمرو بن العاص من فلسطين.

عمرو : (**صوته**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

عمرو : الحمد لله يا أمير المؤمنين إذ سلمك الله .

عمر : وأين اليلامقة ؟ ألا تلبسون يلامقة لتكون أرهب للعدو ؟

عمرو : (**يبتسم**) ما كنت أعلم أنك تحبها يا أمير المؤمنين .

عمر : بل خلعتموها يا ابن العاص وأخفيتموها عنى .

عمرو : أجل يا أمير المؤمنين قد علمت أنها ستثير غضبك إلا أن تعرف حقيقتها .

عمر : فقد عرفت حقيقتها .

عمرو : من غيرى يا أمير المؤمنين .. (**ينظر إلى خالد فيبتسم خالد كأنه يقول له نعم أنا الذى وقع على غضبه**)

خالد : يا أمير المؤمنين فاحصب عمراً ورجاله بالحجارة كما فعلت بنا .

عمر : (**ضاحكاً**) هيهات يا أبا سليمان ... تلك آية سبقِك وسبقِ رجالك ! (**يلتفت إلى عمرو**) وماذا فعل أطربون الروم يا أطربون العرب ؟

عمرو : (**يضحك ويضحك الآخرون**) انظر يا أمير المؤمنين ماذا فعل .. (**يشير إلى جهة اليمين**)

عمر : ما هؤلاء ؟ ما بالهم مكتوفين ؟

عمرو : هؤلاء أسرناهم من كوكبة من الفرسان أرسلهم الأطربون لاغتيالك فى الطريق ، فأدركناهم عند بيت جبرين فقتلنا منهم وانهزم الباقون .

عمر : ويلهم هؤلاء عرب ؟

عمرو : أجل .. عبيد الروم يا أمير المؤمنين فهم شر من الروم .

خالد : فعلام أبقيت عليهم يا عمرو ؟

عمرو : حتى أرسلهم مع بعض رجالى إلى أيلَة ليدلوهم على راهب هناك زعموا أنه أعد لأمير المؤمنين شراباً مسموما ليسقيه إياه ما نزل عنده فالحمد لله إذ نجا أمير المؤمنين من كيده .

عمر : وما اسم ذلك الراهب ؟

عمرو : (**يلتفت إلى رجاله**) ائتونى بذلك الفتى العكى .

(يدخل عمارة العكى يسوقه أحد رجال عمرو)

ما اسم الراهب .. الذى حدثتنى عنه ؟

عمارة : اسمه يعقوب .

عمر : واسمك عُمارة ؟

عمارة : نعم .

عمر : لقد صدق راهب أيلَة .. أبعدوا هذا أبعده الله فقد كذب على الرجل الصالح يعقوب .

(ستـــار)

المشهد السابع

فى بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده أحد القسس .

القس : (**ينظر من الشباك**) هذا الأطربون يا سيدى البطريق قد أقبل ومعه رجاله .

صفرونيوس : لا تخف يا ميخائيل .. قد نبهت الحرس على الباب ألا يسمحوا بالدخول إلا للأطربون وحده .

(**تسمع جلبة وضوضاء من الخارج**)

القس : هذا عراك بين الحرس وبين رجال الأطربون .

صفرونيوس : لا تخف .. إن الله معنا والشعب معنا .

(**تهدأ الجلبة ثم يدخل الأطربون**)

الأطربون : أهكذا تعاملنى يا سيدى البطريق ؟

صفرونيوس : (**ينهض مجيباً**) مرحباً بك يا سيدى الأطربون .. هدئ غضبك اجلس ..

الأطربون : أدعوك إلى دار الحكم فترفض الحضور بغير عذر ؟

صفرونيوس : أنا شيخ فى السبعين وأنت فى عنفوان شبابك فماذا عليك إذا سعيت إلى ؟

الأطربون : لكن دار الحكم هناك .

صفرونيوس : دار الحكم أصبحت هنا فى هذا المكان .. ألا تسمع ؟

أصوات : (**تهتف من الخارج**) نحن معك يا صفرونيوس .. لا نعترف بغير صفرونيوس .. اخرج من إيلياء يا أطربون . اخرجوا من مدينتنا أيها الروم .

الأطربون : أنت الذى أوعزت إلى هؤلاء الغوغاء .

صفرونيوس: فأوعز أنت إليهم بما تشاء إن استطعت .

الأطربون : وقد أهنتنى إذ منعت رجالى من الدخول معى .

صفرونيوس: إن كنت تريد أن تتباحث معى فماذا يصنع عندنا جنودك ؟ إنى أحب الهدوء فلنتباحث فى هدوء .. اجلس ..

الأطربون : أحقاً تريد تسليم المدينة إلى هؤلاء المسلمين بغير قتال ؟

صفرونيوس: نعم فقد تعب الناس من الحصار .

الأطربون : أنت لا تملك هذا الحق .. أنت بطريق ولست بحاكم .. أنا الحاكم .

صفرونيوس: أنت تحكم حيث يتكلم السيف ، وأنا أحكم حيث يتكلم السلام .

الأطربون : من الذى خولك ذلك ؟

صفرونيوس: الشعب .

الأطربون : والقيصر هرقل أليس له سلطان عليك ؟

صفرونيوس: القيصر لم يعد له سلطان على إيلياء ولا على غيرها وليس ذلك ذنبى . ألا ترى أن أغلب المدن قد سلمت لهؤلاء المسلمين واتفقت معهم ؟

الأطربون : ولكن إيلياء مدينة مقدسة .

صفرونيوس : مقدسة عندنا وعندهم على السواء ، فأحرى أن يعاملوا أهلها معاملة أكرم .

الأطربون : ألا تعلم أن اليهود فرحون بدخول المسلمين ؟

صفرونيوس : لا حبًّا للمسلمين بل تشفياً من هرقل إذ اضطهدهم وقتل منهم ونفى .. ثم ما شأننا باليهود ؟ علينا أن ننظر إلى مصلحتنا ومصلحة أهل المدينة ..

الأطربون : سيعود اليهود إلى المدينة بعدما طهُرت من رجسهم .

صفرونيوس : كلا .. سنشترط على المسلمين أن لا يسمح بدخولها لليهود .

الأطربون : المسلمون لن يقبلوا هذا الشرط .

صفرونيوس : عجباً لك يا أطربون .. أتجادلنى فى الصلح اليوم بعدما حضر أميرهم عمر من عاصمته وعسكر من دوننا جنوده ؟ ويلك ألست أنت الذى اقترح على عمرو أن يستقدم عمر ليمضى الصلح بنفسه ؟

الأطربون : إنما أردت بذلك أن أكسب الوقت ريثما يأتينا المدد من قيسارية .

صفرونيوس : فها هى ذى قد حوصرت فلا يأتينا منها شىء .

الأطربون : إن بها قسطنطين يدافع ويحشد الجيوش والمؤن والذخائر .

صفرونيوس : إن هرقل نفسه قد انتهى فماذا يستطيع ابنه أن يفعل ؟

الأطربون : كلاما انتهى هرقل .

صفرونيوس : بل انتهى .. استشعر غضب الله عليه إذ تزوج ابنة أخته ، فأراد أن يكفر عن ذنبه ويتقرب إلى الله بجمع المسيحيين على مذهب واحد ، فزاد الطين بلّة وأثار الأحقاد والأضغان

الأطربون : اليوم تعلن عداوتك للمذهب الموحد .. فهلا أعلنته من قبل أمام قيصر ؟

صفرونيوس: إنه يعلم أنى غير موافق على مذهبه الجديد ، وإنما ولأنى بطريقا لإيلياء ليستميلنى إليه كما فعل مع قيرس وأثناسيوس . ولكنى لست مثل قيرس أو أثناسيوس . إنى لا أترك مذهبى الذى أعتقد أنه هو الحق من أجل ملك أو إمبراطور .

الأطربون : ستتركه غدا من أجل هذا الملك العربى وجنوده .

صفرونيوس: كلا إنهم لا يتعرضون لدين أحد ولا لمذهبه ، ولو فعلوا لما استطاعوا أن يغزوا قلوب أهل الشام من أنطاكية إلى .. إلى غزة ..

الأطربون : لقد صبرنا لهم مدة طويلة ولا يزال عندنا المؤن والذخائر فلم نَعجّل بالتسليم ؟

صفرونيوس: المؤن والذخائر يوشك أن تنفد ، والشعب يريد الصلح ويلح فى طلبه ، ولا سيما لما سمعوا بمجىء بطلهم خالد الذى لا تصده القلاع ولا تمنعه الحصون .

الأطربون : قد كان فى وسعك يا صاحب اللسان المعسول أن تقنعهم بالصبر والمقاومة .. إذن لرأوا أن خالدا هذا لن يقدر على مدينتهم المنيعة الحصينة ، ولن يكون نصيبه خيراً من نصيب الداهية عمرو .

صفرونيوس : لقد انتشر بين أهل المدينة أن خالداً استأذن عمر فى فتحها عنوة ، فمنعه وقال له : إن الله لا يرضى لنا أن نستبيح بيت

المقدس ، ما كان من ذلك بد ، فماذا يصنع لسانى المعسول فى إقناعهم ؟ اخرج أنت إليهم فأقنعهم إن استطعت .

الأطربون : إنهم لا يستمعون إلا إلى نصحك .

صفرونيوس : فاستمع أنت أيضاً إلى نصحى . إنى لا أريد أن تقع فى أيديهم فلن يغفروا لك نكايتك بهم ، وعداوتك لهم ، فالحق وانج بنفسك وجنودك .

الأطربون : وهؤلاء الروم المقيمون بالمدينة ؟

صفرونيوس : لا تخف فسنشترط أن يكون لهم الخيار فى الرحيل والمقام .

الأطربون : هل لك إذن يا سيدى البطريق أن تعيننى على هربى ؟

صفرونيوس : نعم اقترح ما تشاء فإنى حريص على سلامتك .

الأطربون : أشع فى الناس غداً أنى قد هربت إلى مصر ، وسأختبئ أنا وأبقى مختبئاً حتى يتم الصلح فأخرج متنكراً مع الخارجين .

صفرونيوس : هذه خطة حسنة .

الأطربون : ولكنى سوف أثيرها عليهم حرباً شعواء من مصر !

صفرونيوس : افعل يا سيدى الأطربون .. هذا واجبك ..

(ستار)

المشهد الثانى

خيمة عمرو بن العاص بمعسكر المسلمين فى ظاهر بيت المقدس .

يُرى صفرونيوس على رأس وفد إيلياء وهم جلوس بين يدى عمر وعنده أبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وعمرو وخالد ويزيد بن أبى سفيان ومعاوية وكعب الأحبار .

عمر : مالى أراك عابساً أيها الشيخ الجليل ؟ ألم يوافق أهل المدينة على الشروط ؟

صفرونيوس : يا أمير المؤمنين إن شئت أن يتم الاتفاق بيننا فأخرج من اجتماعنا هذا اليهودى .

عمر : ويحك هذا ليس بيهودى . هذا قد أسلم فهو منا .

صفرونيوس : أليس كان يهوديا ؟

كعب : كنت يهودياً ولكنى قد أسلمت وصرت من المسلمين .

صفرونيوس : اليهودى لا يخرج عن مسلاخه أبداً وإن بدل دينه سبعين مرة .

كعب : يا أمير المؤمنين إنما أرادوا أن يبعدونى لأنى أعرف ما يضمرونه من كيد للمسلمين .

صفرونيوس : كلا بل لأنك تكيد لنا وللمسلمين من أجل أصحابك اليهود .

كعب : يا أمير المؤمنين أجرنى من هذا الذى يتهمنى ظلماً فى دينى .

صفرونيوس: ألم تتصل بأصحابك اليهود فى هذه البلاد ؟

كعب : هم الذين اتصلوا بى لأرفع مظالمهم إلى أمير المؤمنين وقد فعلت .

صفرونيوس: ها هو ذا يا أمير المؤمنين قد أقر على نفسه .

عمر : يا كعب إن شئت أن تبقى نظيفاً غير متهم فاقطع صلتك باليهود فلا شأن لك بهم .

كعب : يا أمير المؤمنين إنهم مظلومون فى هذه البلاد . وينبغى أن تعدل بينهم وبين النصارى فهم جميعاً من أهل الكتاب ، لا فرق بينهم إلا أن هؤلاء يقولون الله واحد ، وهؤلاء يقولون الله ثالث ثلاثة .

عمر : ويلك يا كعب .. إن الله تبارك وتعالى قد أدبنا خيراً من ذلك إذ قال : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾

(يسكت كعب وينظر عمر إلى أصحابه كأنه يستشيرهم)

ابن عوف : ليس من حق هؤلاء يا أمير المؤمنين أن يقولوا نريد فلاناً أو لا نريد فلاناً من أصحابك ، فإنا لم نقل لهم هاتوا فلاناً ولا تأتوا بفلان .

خالد : أجل يا أمير المؤمنين ما شأنهم بكعب إن كان مسلماً أو يهودياً . هذا من التَّعنُّت . إن كانوا لا يريدون المصالحة فخل بينى وبينهم فسأكفيك أمرهم بإذن الله .

صفرونيوس : يا أمير المؤمنين إنا جئنا لنفاوضك ونفاوض المسلمين لا لنفاوض اليهود .

عمرو : ونحن كذلك يا أمير المؤمنين إنما نفاوض أهل إيلياء وهم نصارى فما ضرك لو أجبتهم إلى ما يطلبون وإنه لهين .

كعب : إخراجى من المسلمين هين يا ابن العاص ؟

عمرو : بل خروجك من الاجتماع يا كعب فهو ما يطلبون .

أبو عبيدة : هذا هو الرأى يا أمير المؤمنين فإن يعلم الله أن كعباً صادق فى إسلامه فلا يضره ذلك .

عمر : صدقت .. اخرج يا كعب الساعة فإذا احتجنا إليك دعوناك .

كعب : يا أمير المؤمنين كيف نرضى الدنية فى ديننا ؟

عمرو : (**ينهره**) دع عنك هذا ويلك .. اخرج ! (**يخرج كعب**) . الآن وقد أجابكم أمير المؤمنين إلى ما طلبتم فعجلوا بالموافقة قبل أن يكل أمركم إلى خالد فليفتحها عليكم عنوة .

صفرونيوس : إننا قبلنا الشروط جميعاً إلا أن يؤذن لليهود بدخول المدينة فهذا ما لا نقبله بحال .

عمر : لكن بها مآثر الأنبياء والرسل وهى تراث للمؤمنين على اختلاف أديانهم فكيف نمنع عنها اليهود ؟

صفرونيوس : إن هرقل قد أجلاهم من المدينة وألزمهم أن يتعدوا عن أسوارها ثلاثة أميال ، ونحن لا نرضى بغير ذلك .

خالد : هرقل لم يعد له فى إيلياء حكم ولا أمر .

صفرونيوس : لكن شعب إيلياء هم الذين طلبوا من هرقل ذلك لما ارتكبه اليهود أثناء احتلال الفرس من تنكيل بالنصارى وتدمير لكنائسهم .

عمرو : إنما ارتكبوا ما ارتكبوه إذ كان الفرس يمالئونهم عليكم ، أما نحن فاطمئنوا فلن يقع مثل ذلك أبداً .

صفرونيوس : إنكم لا تعلمون ما يستطيع هؤلاء الأبالسة أن يقوموا به من الدس والوقيعة بيننا وبينكم حتى يوغروا صدوركم علينا أو يوغروا صدورنا عليكم . ألا ترون أن أحدهم قد طلع لنا من بين أظهركم زاعماً أنه مسلم وهو يهودى عريق !

كعب : (**يتطلع من باب الخيمة**) يا أمير المؤمنين احمنى من لسان هذا النصرانى المتعصب .

صفرونيوس : إنه بقى معنا ولم يخرج .

عمر : ويلك يا كعب .. اذهب ذهب الله بك .. نحوه عن الباب .

(**يجذبونه فيخرج**)

صفرونيوس : أرأيت يا أمير المؤمنين ؟ كيف نأمن هؤلاء إذا أقاموا بيننا فى المدينة ؟

عمر : إذن فسنمضى لكم أن لا يساكنكم أحد من اليهود فى المدينة . على ألا يمنعوا من الزيارة والحج

صفرونيوس : لقد كانوا ممنوعين أن يطأوا ترابها فى عهد هرقل .

عمر : دعنى من عهد هرقل .. إنكم لا تريدون أن يساكنكم اليهود ليس من أجل أنهم من أتباع موسى عليه السلام ، ولكن لغدرهم وجشعهم وقسوتهم وكبريائهم على من سواهم . ونحن قد أخرجناهم من مدينتنا كذلك ليس من أجل أنهم يهود بل لما غدروا ونقضوا العهد ومالأوا العدو .

صفرونيوس : إنك لتعرفهم جيداً يا أمير المؤمنين .. إنهم هكذا منذ كانوا ، ولقد كانوا يحرضون هرقل عليكم من قبل ليقضى على دينكم قبل أن يعظم أمره . فلما رأوا أنكم منتصرون اليوم طفقوا يتوددون إليكم ليغروكم بنا ولتنتقموا لهم منا .

عمر : ننتقم لهم منكم ؟ هذا والله لا يكون أبدا قال تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾

صفرونيوس : أهذا فى كتابكم ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس : فما بالكم تدافعون عنهم وهم أشد الناس لكم عداوة ؟

عمر : إن ديننا يأمرنا بالعدل والإحسان ، ومن العدل والإحسان ألا يضار مؤمن فى دينه ، ولا يمنع من أداء شعائره . وبإيلياء مآثر الرسل والأنبياء ونحن نؤمن بهم جميعاً ولا نفرق بين أحد منهم ، والله هو الهادى وإليه مصير العباد . قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على

شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾

صفرونيوس : فنحن كذلك نؤمن بالرسل جميعاً ولا نفرق بينهم ولكن اليهود هم الذين يفرقون يا أمير المؤمنين . إنهم يكفرون بالسيد المسيح ويقولون فى أمه الأقاويل .

عمر : قاتلهم الله أنّى يؤفكون . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾

صفرونيوس : أهذا فى كتابكم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس : قد قبلنا إذاً يا أمير المؤمنين ..

عمر : اقرأ يا معاوية كتاب الصلح .

معاوية : (**يقرأ**) بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ،

ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهـون على دينهم ولا يضار أحد منهم .

عمر : على رسلك .. أضف هنا في هذا الموضع .. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

معاوية : (**يكتب**) ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

صفرونيوس : خذ يا أمير المؤمنين هذه مقاليد بيت المقدس .

(ستـار)

المشهد التاسع

بيت البطريق صفرونيوس على جبل الزيتون .
حجرة تطل على مدخل كنيسة القيامة .
تظهر مارية أخت البطريق وابنتها الشابة بربارة وأختها الراهبة مارتا واقفات يتطلعن من شبابيك الحجرة .

مارتا : هذه جموع كبيرة جاءت لتشهد الموكب .. من الذى أخبر هؤلاء الناس ؟

مارية : قد انتشر الخبر فى الناس منذ أمس .. كل يشتهى أن يرى ملك العرب ، حتى النساء ... والأطفال .

بربارة : من حسن حظنا أننا فى بيت يطل على مدخل الكنيسة .. (**يدخل أنطوان**) هلُمَّ يا أبى .. تعال قف إلى جانبى .

أنطوان : ألم يأت الموكب بعد ؟

بربارة : أرى الناس تتدافع يا أبى فلعل الموكب قد أقبل .

أنطوان : دون طبل ولا زمرٍ ؟

بربارة : أخبرنى خالى البطريق أن أهل المدينة أرادوا أن يلبسوا هذا الملك العربى القلنسوة فمنعهم .

أنطوان : من الذى منعهم ؟

بربارة : خالى ..

أنطوان : ألا يخشى خالك أن يغضب منه ملك العرب إذا بلغه أنه منع الناس من الاحتفال به ؟

بربارة : إنما منعهم نزولًا على رغبة ملك العرب .

أنطوان : عجيب ! .

بربارة : أعجب من ذلك يا أبى أنه يرتدى فيما يحكى خالى ثياباً مرقعة .. (**تهتف**) انظروا .. انظروا .. ها هو ذا الموكب قد ظهر !

أنطوان : هؤلاء المشاة .. لعلهم يتقدمون الموكب .

بربارة : بل هو ذا الموكب . ألا ترى خالى البطريق يلمع رداؤه الأصفر تحت الشمس ؟

مارية : أجل ذلك أخى صفرونيوس .

أنطوان : وأين الملك ؟

بربارة : لا ريب أنه ذلك العملاق الذى يسير عن يمينه .

مارية : إنهم متوجهون نحو كنيسة القيامة .. أتراه يدخلها ؟

بربارة : لا ريب أنه سيدخلها .. إنه طلب من خالى أن يزيره المآثر .

مارتا : (**تصلب**) عساه يدخلها فيؤمن بالمسيح يا رب !!

بربارة : إنه يؤمن يا خالتى بالمسيح .. هؤلاء المسلمون يؤمنون جميعاً بالسيد المسيح .

مارتا : ولكنهم ينكرون ألوهيته ..

مارية : انظروا .. دخل الكنيسة خلف أخى البطريق ..

مارتا : أنت قادر على هدايته يا رب ..

أنطوان : أراك تحبينه كثيراً يا مارتا ..

مارتا : كيف لا وقد أنقذ كنيستنا من بدعة هرقل ؟

مارية : ترى ماذا يصنع الآن داخل الكنيسة ؟

أنطوان : ماذا يصنع ؟ يتأمل فى التحف والأيقونات ..

مارتا : لا تخف على أخينا البطريق .. إنه لبق ..

أنطوان : ماذا تعنين يا مارتا ؟

مارتا : لن يتركه حتى يصلى معه للمسيح ..

أنطوان : أحسب يا مارتا أن أخاك البطريق لألبق من ذلك ..

بربارة : صدقت يا أبى .. لا بد أنه يريه التحف والأيقونات ..

مارتا : وأين هى التحف والأيقونات ؟ قد سحبها قيصر إلى القسطنطينية ولم يبق منها إلا قليل .. آه لو بقى الصليب الأعظم حيث كان .. إذن لربما ..

أنطوان : لربما ماذا ؟

مارتا : لربما نالت بركته هذا الملك العربى فآمن ! .

أنطوان : يا عزيزتى الأخت .. ما شأنك به ؟ الرجل تركنا فى ديننا فاتركيه فى دينه !

مارتا : وهل أكرهته أنا على شىء ؟ إنما أدعو الله له بالهداية .

بربارة : انظروا ها هو ذا قد خرج !

مارية : يا له من عملاق !.

أنطوان : فى وجهه أمارات الحزن والإخبات ..

مارتا : ألم أقل لك ؟

بربارة : وقف يتحدث مع خالى .

مارية : ترى ماذا يقول أحدهما للآخر ؟

بربارة : إنه يضرب على كتف خالى كأنه يشكره .. خالى يركع أمامه ..

مارية : والعملاق ينهضه !.

مارتا : عجباً ما معنى هذا ؟

بربارة : انظروا . إنهم أحضروا له جواده ..

مارية : أهذا جواده ؟ ليس عليه غير سرج بسيط ..

أنطوان : لكنه جواد أصيل ..

مارية : يا إلٰهى !.

بربارة : وثب على الجواد بيد واحدة !.

مارية : ودون ركاب !.

أنطوان : وركب أصحابه خيولهم .. عجباً أين كانت هذه الخيول ؟ لقد جاءوا ماشين .

(يسمع وقع حوافر الخيل منطلقة)

بربارة : كانت معهم يا أبى فترجلوا منها تعظيماً للأماكن المقدسة .

أنطوان : والله ما سمعت ولا رأيت أعجب مما رأيت اليوم ..

مارتا : وتستكثرون بعد عليه وعلى أصحابه أن يؤمنوا ؟

بربارة : قلت لك يا خالتى إنهم مؤمنون بالسيد المسيح .

مارتا : نريد منهم يا بنيتى أن يؤمنوا به كما نؤمن نحن به .

أنطوان : ولم هذا التعصب يا مارتا ؟ . أما كفى ما أصابنا من هرقل ؟

بربارة : هذا خالى قادماً إلينا .. لنسأله عن كل شىء ..

(تخرج لتستقبله)

مارتا : هذه أول مرة تقع عينى فيها على هؤلاء الناس ..

أنطوان : فكيف رأيت ؟

مارتا : ازداد إيمانى لما رأيتهم ..

أنطوان : كيف أيتها الأخت ؟

مارتا : ما كان هؤلاء ليغلبوا جنود الروم المُدَجَّجِين بالسلاح ، الساترين أجسامهم بالدروع وزرد الحديد ، لولا سخط الله علينا لما اقترفناه من ذنوب وآثام .

أنطوان : من الذى اقترف ؟ نحن أم الروم ؟

مارتا : نحن النصارى جميعاً باختلافنا فى المسيح وعداوة بعضنا لبعض .

أنطوان : هذا قد وقع من زمن بعيد ..

مارتا : إن الله يمهل يا أخى ولكنه لا يهمل .

(يدخل صفرونيوس ومعه بربارة ممسكة بيده وهو يفيض عليها حناناً)

صفرونيوس : لا يا بنتى ما زرنا جميع المآثر بعد .. سأوافيه غداً لنزور كنيسة المهد فى بيت لحم ..

(يحيط به الجميع)

مارية : وأين ذهب الآن يا أخى ؟

صفرونيوس : رجع إلى معسكره ..

مارية : كيف تركتموه دون أن تقيموا له وليمة غداء ؟

صفرونيوس: بل دعوته يا مارية ودعاه غير واحد من الكبراء الذين استقبلوه ولكنه اعتذر لأنه صائم ؟

الجميع : صائم ؟

صفرونيوس: أجل لم يشأ أن يدخل بيت المقدس إلا وهو صائم .

انطوان : ما أعجب أمره ! . لكأنه أسطورة من الأساطير !!

صفرونيوس: صدقت إنه لكذلك .. كل يوم يتكشف لى عن فضل جديد .. لقد كنت أظن أنه هو الرجس الآتى من القفر الذى ذكره النبى دانيال ، ولكنى اقتنعت اليوم أننى كنت مخطئاً فيما ظننت .

مارتا : كيف يا أخى ؟. هل أعرب لك عن استعداده للإيمان ؟

صفرونيوس: هذا رجل كله إيمان يا مارتا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .. إنه ليذكرنى بذلك الطراز القوى من أنبياء العهد القديم..

مارية : ماذا صنع يا أخى داخل الكنيسة ؟

صفرونيوس: ما صنع شيئاً .. ما زاد على أن تمتم بكلام لم أسمعه لعله من القرآن المُنَزَّل على نبيهم فإنه يحفظه عن ظهر قلب ..

انطوان : ألم تبهره الكنيسة بجمالها ورونقها وما فيها من صور القديسين والقديسات و

صفرونيوس: لا .. ما ظهر لى شيء من ذلك .. كان كأنه غائب عما حوله من الصور والأيقونات .. ولكنه انتبه واهتم لما وقفت به على المكان الذى قبر فيه السيد المسيح ثم رفع منه إلى السماء ، فأخذ ينظر إليه فى خشوع وإجلال .

مارتا : ألم يقبل القبر أو يتمسح به ؟

صفرونيوس : لا .. ما تحرك من مكانه ولكنى لمحت فى وجهه لمعةً من نور الإيمان والطمأنينة ، وتمتم بكلمات لم أسمعها ..

بربارة : (كالمأخوذة بحديث خالها) ثم ماذا يا خالى ؟

صفرونيوس : ثم لم يلبث أن ذكره أحد رفاقه بحضور وقت الصلاة عندهم ، فأخذ يسوى رداءه ، وتوجه مع رفاقه إلى ركن فى الكنيسة ليصلى بهم ، ولكنه عدل عن ذلك فجأة ، وأسرع بالخروج من الكنيسة ، وهرولت خلفه فقلت له : ما منعك من الصلاة فى بيت من بيوت الله ؟

بربارة : عندما رأيناك تتحدث معه على عتبة باب الكنيسة ؟

صفرونيوس : نعم .. أتدرون ماذا أجاب ؟

الجميع : ماذا أجاب ؟

صفرونيوس : أيها الشيخ الحبر الجليل ، أخشى أن يجىء المسلمون بعدى فيصلوا فيها مثلى ، ويقولوا هنا صلى عمر فيأخذوها منكم ويتخذوها مسجداً لهم .

الجميع : (مدهوشين) يا للشعور النبيل ! يا للملك الحكيم النبيل ! يا للملك الحكيم ! .. يا للعدل !.

صفرونيوس : فلم أملك حينئذ أن ركعت أمامه عِرفاناً وشكراً فأنهضنى بقوة .. وفى وجهه شىء من الغضب وهو يقول : هذا لا ينبغى لغير الله . قلت له إننا نركع لملوكنا أتدرون ماذا قال ؟

الجميع : ماذا قال ؟

صفرونيوس : أيها الحبر الجليل ما أنا بكسرى ولا قيصر .. أنا عبد من عباد الله (**يفغرون أفواههم عجباً**) هل تذكرين يا مارتا يوم جاء الإمبراطور هرقل ليحج وليعلى الصليب الأعظم كيف دخل من الباب الذهبى فى ردائه الأرجوانى يبرق بالذهب والجوهر ؟

مارتا : نعم وكان فى استقباله البطريق زكريا رحمه الله ، فأخذ يعنفه على فخامة ملبسه ، وأمره أن يخلع رداءه الأرجوانى حتى يدخل الأماكن المقدسة بما يليق بها من الخشوع والإجلال .

صفرونيوس : فانظرى شتّان ما هذا وذاك .. ذاك احتاج إلى تنبيه البطريق زكريا ليخلع ما عليه من الزينة الفاخرة .. وهذا يعيش طول حياته فى هذا الثوب المرقّع البسيط لا عن عجز أو بخِل ، فقد فتحت الدنيا خزائنها له فى المشرق والمغرب ، وأن رجاله ليلْبَسُون خيراً منه . ولكنه آثر أن يعيش كأنه حاجّ طول حياته خضوعاً لله عز وجل .

(ستــار)

المشهد العاشر

فى المسجد الأقصى

(يُرى عمر عقب صلاته بأصحابه وهو ينفض الغبار الذى علق به من الأرض وكذلك يفعل أصحابه) .

عمر : (**فى تلاوة خاشعة**) ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

الجميع : (**يتمتمون**) صدق الله العظيم .

عمر : خبرنى يا عبد الله بن سلام هل أصبنا المسجد الأقصى فى صلاتنا الساعة ؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .. هذا الموضع الذى صلينا فيه الساعة من المسجد الأقصى لا ريب ..

عمر : الحمد لله على ما أنعم حمداً كثيراً إذ صلينا حيث صلى محمد ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة أسرى به .

رومانوس : أتنوى يا أمير المؤمنين أن تتخذ لنا مسجداً فى إيلياء ؟

عمر : نعم .

رومانوس : فهلا اتخذته هنا فى هذا المكان المقدس ؟

عمر : إى والله يا أبا الروم لقد هداك الله إلى صواب .

كعب : لكنى يا أمير المؤمنين لا أشير عليك بذلك .

عمر : لم يا كعب ؟

كعب : أخشى أن يعترض اليهود والنصارى أو ينازعونا فيه .

عمر : ويلك إنّا لم نظلم أحداً من أهل إيلياء .. فقد تركنا لهم معابدهم وكنائسهم وصلبانهم . أما هذا المكان فقد تركوه مهجوراً فنحن أولى به منهم .

كعب : أليس أفضل من ذلك يا أمير المؤمنين أن نبنى مسجدنا فى بقعة جديدة فيكون للمسلمين خاصة لا ينازعهم فيه أحد ؟

عمر : ماذا ترى يا أبا الروم ؟

رومانوس : أما إن رأى كعب لعجيب يا أمير المؤمنين .. يخشى أن يترك النصارى كنائسهم ويزاحمونا على هذا المسجد ؟

كعب : إن لم يزاحمنا النصارى فقد يزاحمنا اليهود .

رومانوس : أنسيت يا كعب كتاب الصلح الذى بيننا وبين أهل إيلياء ؟

كعب : ما باله ؟

رومانوس : ليس لنا بمقتضاه أن نعطى اليهود حقاً فى إيلياء غير حق الزيارة والحج .

كعب : فهذا من حق الزيارة والحج .

رومانوس : كلا لقد أهمله اليهود منذ هدمه عبدة الأوثان من الرومان وبنوا على أنقاضه معبداً لآلهتهم جوبيتر ونصبوا فيه تماثيل ملوكهم . ثم جاء النصارى فهدموا ذلك المعبد الوثنى فأصبح هذا المكان المقدس مهجوراً من اليهود والنصارى على السواء من يومئذ .

ابن سلام : لقد صدق أبو الروم يا أمير المؤمنين .

عمر : أحسنت يا أبا الروم أحسن الله إليك .. والله لكأنما ادخر الله لنا هذا المكان المقدس لنعمره مسجداً .. ونحن ورثة الأنبياء ، ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ .

رومانوس : ولعلّ الله ما أسرى بنبيّنا إلى هذا المكان وسماه المسجد الأقصى فى كتابه العزيز إلا لما قضى فى سابق علمه أن المسلمين سيفتحون هذه الديار ويقيمون هذا المسجد نوراً على نور .

عمر : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم والله لقد شرحت صدرى وزدتنى يقيناً .

رومانوس : شرح الله صدرك يا أمير المؤمنين ووفقك لما يحب ويرضى.

عمر : فأشيروا على الآن أين ترون نجعل القبلة ؟

كعب : عندى بذلك علم يا أمير المؤمنين .

عمر : فقل يا كعب .

كعب : اجعلها خلف الصخرة لتكون القدس كلها بين يدى المصلى .

عمر : ضاهيت اليهودية يا كعب .. إنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة .

كعب : يا أمير المؤمنين إنما أردت أن نولى وجوهنا شطر الكعبة من خلف الصخرة فنجمع القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد عليهما السلام فهل فى ذلك بأس ؟

عمر : لا بأس إن شاء الله يا أبا إسحاق ما ولينا وجوهنا شطر المسجد الحرام .

ابن سلام : على رسلك يا أمير المؤمنين .. هل تبغى أن تخرج محراب داود ومعبد سليمان من المسجد ؟

عمر : اللهمّ لا .

ابن سلام : إذن فلا تجعل قبلته خلف الصخرة .

رومانوس : لقد صدق عبد الله بن سلام يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف يا أبا الحارث ؟

ابن سلام : الصخرة كما ترى هناك فى الجانب الشمالى ، والكعبة إلى الجنوب ، فلو جعلنا القبلة خلف الصخرة لخرج هذا المكان كله من المسجد .

عمر : ويحك يا كعب هل غاب عنك موضع الصخرة من الكعبة ؟

كعب : (**يتغير وجهه قليلًا**) لا يا أمير المؤمنين ما فاتنى ذلك ، ولكن فى وسعك أن تدخل هذا المكان فى المسجد وتجعل قبلته خلف الصخرة مع ذلك .

عمر : كلا يا كعب .. بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها .

كعب : ما كنت أعلم ذلك يا أمير المؤمنين وما أردت إلا الخير .

عمر : إنما الأعمال بالنيات يا كعب وإنما لكل امرئ ما نوى .

كعب : فابنه يا أمير المؤمنين كما رأيت وتوكل على الله .

عمر : (**ينظر جهة الشمال**) إذن فذلك موضع الصخرة ؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .

عمر : أهكذا هى منذ كانت ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ما كانت هكذا .. وما تراكمت عليها هذه الأتربة إلا منذ اتخذها الروم كناسة لهم .

عمر : قاتلهم الله ألم يجدوا إلا هذه البقعة المقدسة ؟

رومانوس : أرأيت يا أمير المؤمنين كيف أهمل هذا المكان المقدس من قبل اليهود والنصارى على السواء ؟

عمر : حق علينا معشر المسلمين قبل أن نقيم مسجدنا أن نرفع هذه الكناسة ونطهر منها الصخرة .. هلم أيها الناس نرفع اليوم منها ما تيسر (**يشمّر عن ساعديه ويتوجه نحو الشمال ومن خلفه الناس**) .

كعب : (**يصيح بأعلى صوته**) الله أكبر ! الله أكبر !.

عمر : ما هذا يا كعب ؟ ما حملك على التكبير ؟

كعب : يا أمير المؤمنين قد تنبأ على ما صنعت نبىٌّ منذ خمسمائة سنة .

عمر : يا أبا الحارث هل لديك بذلك علم ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ما عندى بذلك علم .

عمر : ألا تكف يا كعب عن أضاليلك وأباطيلك ؟

كعب : يا أمير المؤمنين إن ما قلته لحق .

عمر : اذهب إليك .. لقد ضاهيت اليهودية وقد رأيتك وخلعَك نعليك .

كعب : إنما أحببت أن أباشر الأرض بقدمى .

عمر : قد رأيتك .. والله لئن عدت إلى مثلها لأوجِعَنَّك . هلم أيها الناس إلى الصخرة .. (**يتوجه نحو الشمال وخلفه الناس**) ..

(ستـــار)

المشهد الحادى عشر

فى المسجد الأقصى بعدما بناه عمرُ على هيئة مسجد النبى بالمدينة .

يُرى عمر واقفاً فى صحْن المسجد وعنده معاذ بن جبل وررمانوس كأنهم يتفقدون المسجد عقب أن تمّ بناؤه .

عمر : انظروا إلى الصخرة : كيف بدت نظيفة مما علق بها من الأذى والتراب .

معاذ : الحمد لله إذ تم هذا على يدك .

عمر : الحمد لله إذ اشترك المسلمون جميعاً فى ذلك ..

رومانوس : لكن المسجد يا أمير المؤمنين لا ينبغى أن يبقى على هيئته هذه .

عمر : فى مَلك المسلمين غداً أن يوسعوه إذا احتاجوا إلى ذلك كما وسع رسول الله ﷺ مسجده .

رومانوس : بل أعنى يا أمير المؤمنين أن يبنى بناء فخماً سامق الأركان ذا عقود وقباب .

عمر : كأنك تريده على هيئة الكنائس التى رأيناها بهذه المدينة ؟

رومانوس : أجل يا أمير المؤمنين .. فإنه أخلق بيوت الله بالتفخيم والتجميل ..

عمر : ما كنت لتقول هذا يا أبا الروم لو رأيت مسجد رسول الله بالمدينة . إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

رومانوس : إن مسجداً بالمدينة يا أمير المؤمنين ليس كمسجد بالشام ، ولعل الله أن يجعل فى المسجد الجميل الفخم ما يعطف قلوب كثير من أهل الشام إلى الإسلام .

عمر : ويحك يا أبا الروم إن بيت الله لا ينبغى أن يكون فيه نقوش وتصاوير تشغل المصلين عن ذكر ربهم والإخبات له ..

رومانوس : من غير نقوش يا أمير المؤمنين ولا تصاوير ولا تهاويل .. ولكن عمارة بديعة التكوين ثابتة الأركان تنبئ عن عظمة الإسلام وقوته .

عمر : ما ترى فى ذلك يا معاذ بن جبل ؟

معاذ : ما أرى بذلك من بأس يا أمير المؤمنين .. إن الله عز وجل يقول ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

عمر : هذا المسجد يكفينا اليوم يا أبا الروم ، وغداً يجدد بناؤه إن شاء الله كما تحب .

معاذ : هذا أبو عبيدة قد أقبل يا أمير المؤمنين .

عمر : مرحباً بأمين هذه الأمة .

أبو عبيدة : (**يظهر**) السلام عليكم ..

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .. هلم يا أبا عبيدة فإنى أريد أن أحادثك على حدةٍ .

معاذ : مكانك يا أمير المؤمنين .. هلم يا أبا الروم نتدارس عند الصخرة .

(يخرج هو ورومانوس)

أبو عبيدة : إن أبا الروم لحريص على القرآن والفقه .

عمر : وإنه لحكيم .

أبو عبيدة : وقد وجد فى معاذ بن جبل بغيته فهو يلازمه ويثافنه .

عمر : دعنى من أبى الروم الآن وخبرنى ما خطبك .

أبو عبيدة : ما خطبى فيماذا ؟

عمر : فيما رأيت من رحلك أمس . لقد والله شجانى وهمنى حتى منع عينى الغمض البارحة .

أبو عبيدة : ماذا أصنع لك يا أمير المؤمنين ؟ طفقت تقول اِستَزِرْنى اِستَزِرْنى يا أبا عبيدة كما فعل سائر أمراء الأجناد فقلت لك إنى أخاف أن أستزيرك فتعصر عينيك فى رحلى ، فأبيْتَ إلا ما انتَوَيْتَ فرأيتَ ما رأيتَ ..

عمر : ولا كل هذا يا أبا عبيدة .. ليس فى رحلك شيء .. أين متاعك ، لم أجد غير لِبْدٍ وصحفة وشَنٍّ .

أبو عبيدة : أعاتب أنت على ؟ . فأنا أولى بأن أعتب عليك .

عمر : فيم يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : ما كان لك أن تفسد بنت جابر علىّ فإنك تعرف طباع النساء .

عمر : لكنى لم أقل شيئا أمام أهلك .

أبو عبيدة : أدركت هى من نظراتك أنك استقللت ما عندنا ، وقد كنت أقول لها دائما يا هند يا بنت جابر إن أمير المؤمنين عمر ليس عنده هذا الذى عندنا فترضى وتسكت .

عمر : أنت يا أبا عبيدة أمير فى الشام ولا بأس أن تجعل فى بيتك من المتاع ما يصلحك ويصلح أهلك .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ما عدا مما بدا ؟ يا أمير المؤمنين يكفيك ما بلّغك المقيل .

عمر : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) غيّرتنا الدنيا كلنا غيرَك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : هذا عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين قد أقبل .

عمر : ما بكر عمرو إلا لأمر .

عمرو : (**يظهر**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا عمرو .

عمرو : أى شىء أبكاك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أبو عبيدة أبكانى يا عمرو .

أبو عبيدة : أجل يا عمرو ذكرته ما أنعم الله على المسلمين إذ جعل هذا المسجد الأقصى لهم ففاضت عيناه .

عمرو : أجل قد أتم الله للمسلمين فتح الشام كله من شماله إلى جنوبه ، فلو أذن أمير المؤمنين أن نؤيد فتح الشام بفتح مصر .

عمر : ألم أقل لك يا أبا عبيدة ؟ ما بكر عمرو إلا لأمر .

عمرو : ائذن لى يا أمير المؤمنين فلن تندم إن شاء الله ، ولعل أبا عبيدة يؤيدنى إذا بيَّنت له رأيى كما بيّنته لك .

أبو عبيدة : قد بين لى أمير المؤمنين رأيك يا أبا عبد الله .

مر : فماذا ترى ؟ يا أبا عبيدة ؟

عمر : قد رأى معى ألا ننظر فى فتح مصر ألبتة إلا بعد فتح قيسارية .

عمرو : يا أمير المؤمنين إن مصر تمد قيسارية من البحر فإذا فتحنا مصر انقطع عن قيسارية المدد .

عمر : والقسطنطينية تمدّها أيضاً من البحر أفنفتحها أيضاً يا عمرو ؟

عمرو : القسطنطينية بعيد يا أمير المؤمنين وليست أمَماً كمصر .

عمر : أمن أجل أن تتعقَّب صاحبك الأطربون لا تبالى أن تلقى بالمسلمين إلى الهلكة ؟

عمرو : كلا يا أمير المؤمنين إنى إنما أريد أن أدفع عنهم الهلكة .

عمر : أمهلنى يا ابن العاص حتى أرجع إلى المدينة فأنظر فى هذا الأمر .

عمرو : وتكتب إلىّ برأيك ؟

عمر : إن شاء الله .

(يتوافد المسلمون إلى المسجد وفى مقدمتهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن عوف وبلال بن رباح فيسلمون على عمر ثم يجيلون أبصارهم فى أرجاء المسجد وهم مستبشرون)

ابن عوف : (**يتقدم من بين الصفوف**) يا أمير المؤمنين .. هذه نعمة مهما تشكر الله عليها لا تف بحق شكرها .. لقد أسْرى بمحمد ﷺ إلى هذا المسجد فصلى فيه إماماً لإبـراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء عليهم السلام ، ثم لم يُتَحْ له المجىء إليه فيما عدا المعجزة حتى مات ؛ وجاء أبو بكر فلم يكن من حظه أن يصلى فيه وقد أُوتيت أنت هذا الحظ فصليت فيـه بالمسلـمين وجعلتـه مسجـداً لهم إلى يوم القيامة .

عمر : الحمد لله على ما أنعم فهو الـذى وفـق وهـدى ويسر وأعان . أيها الناس ألا إنى راجع إلى المدينة وقد قضيت الذى على فى الذى ولانى الله من أمركم . قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم ، وسمينا لكم أمراءكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم فمن علم عِلم شىء ينبغى العمل به فبلّغنا نعمل به إن شاء الله .

بلال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أمراء الأجناد بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ، وإنك بين هؤلاء وبين الله وليس بينك وبين الله أحد .

عمر : هل تشكو منهم شيئا يا بلال ؟

بلال : نعم يا أمير المؤمنين ليس فى ذات نفسى ولكن فى سبيل عامة المسلمين .

عمر : فأفصح يا بلال يرحمك الله .

بلال : إن هؤلاء إن يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقى ، ولا يعنيهم أن يجد عامة المسلمين ما يقوتهم ويقوت عيالهم أو لا يجدوه .

عمر : يا أمراء الأجناد ماذا يقول بلال ؟ أحقاً تأكلون لحوم الطير والخبز النقى ؟

يزيد : أنا أجيبك يا أمير المؤمنين .. إن الله قد أحل لنا لحوم الطير كما أحل لنا الخبز النقى ، وإن هذا ليس ببدع فى الشام ، ولا هو غالى الثمن ، فإنّا لنصيبه بمثل ما كنا نقوت به عيالاتنا فى الحجاز . وأما عامة المسلمين فإننا نصرف لهم أرزاقهم وأعطياتهم فى مواعيدها .

بلال : يا أمير المؤمنين إن الأعطيات والأرزاق لتصرف لهم ولكنهم قلما يجدون بها كفايتهم مما يحتاجون إليه من القوت .

عمر : كيف ؟ إن لم تكفهم أعطياتهم وأرزاقهم نظرنا فى زيادتها .

بلال : ليس ذلك ما يشكون يا أمير المؤمنين ولكنهم قلّما يجدون فى السوق ما يريدون شراءه من الطعام واللحم .

عمر : عجباً أيقلُّ الطعام فى الشام ؟

عمرو : أنا أجيبك يا أمير المؤمنين . إن الروم قد منعوا ورود الطعام إلى الشام من البر ومن البحر . يريدون بذلك إحراجنا وإحراج أهل الشام .

عمر : ويحك يا عمرو لقد أسررت حسوا فى ارتغاء .

عمرو : إن كنت فى شك من ذلك يا أمير المؤمنين فسل رومانوس يخبك ..

رومانوس : لقد صدق عمرو يا أمير المؤمنين ولكنهم لن ينالوا منا شيئاً بإذن الله وليزيدن أهل الشام بعملهم هذا بغضا لهم وعداوة .

عمر : أشيروا على الآن كيف نرفع عن عامة المسلمين هذا العنت ؟

بلال : ألزم أمراء الأجناد أن يضمنوا أرزاق المسلمين كل شهر وليستقطعوا ذلك إن شاءوا من أعطياتهم .

عمر : أجل والله لا أدع عيالات المسلمين تجوع فى هذه البلاد أبداً وأنا عنهم مسئول .. أيها الأمراء لا أبرح هذا المكان المقدس حتى تضمنوا لى ذلك على أنفسكم .

شرحبيل : كم تضمن لكل رجل يا أمير المؤمنين ؟

عمر : عليك يا معاذ بن جبل أن تحسب ذلك مع الذين يعلمون هذا الأمر حتى تعرف كم يكفى الرجل من الحنطة والزيت والخل فى اليوم ثم فى الشهر ، فقدم ذلك إلى أمراء الأجناد ليضمنوه للمسلمين .

معاذ : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين .

بلال : وللموالى كذلك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وللموالى كذلك .. أليسوا إخوتهم ؟ أليسوا يأكلون ويشربون مثلهم . بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه .

بلال : اشهدوا أيها الناس على ذلك ..

عمر : يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم ، تنفقون منها على عيالاتكم فيما وراء ذلك .. فما وفى لكم أمراؤكم فذلك ما أحب .. وإن هم لم يفعلوا فأعلمونى حتى أعزلهم وأولى أمركم غيرهم .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين قد حضرت الصلاة ..

عمر : الله أكبر .. ها نحن أولاء الآن فى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله لنقيم الصلاة فيه ، وهذا بلال بيننا أفلا يؤذن لنا اليوم فنتذكر أيام رسول الله ﷺ !

الجميع : أجل .. أذن لنا يا بلال .. أسمعنا أذان رسول الله يا بلال .

بلال : يا أمير المؤمنين قد علمت أنى أخذت على نفسى ألا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً .

عمر : اليوم فحسب يا ابن رباح .. لوددنا أن لو كان رسول الله ﷺ معنا فصلى بنا اليوم كما صلى بالأنبياء من قبل ، فلا أقل من أن نسمع من كان يؤذن لرسول الله يؤذن لنا اليوم فى هذا المكان المقدس .

الجميع : أذن يا بلال .. أسمعنا أذانك .. ذكرنا أيام رسول الله ﷺ .

رومانوس : إن منا من لم يشهد النبى فاجعلنا يا بلال كأننا شهدناه .

بلال : اليوم فحسب يا أمير المؤمنين وفى هذه الصلاة وحدها ؟

عمر : اليوم فحسب يا بلال وفى هذه الصلاة وحدها .

بلال : (**يقربون له منصة عالية فيرقاها فيؤذن بصوته الجهورى العذب**) الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر (**يبكى الناس**) أشهد ألا إلـه إلا الله .. أشهد ألا إلـه إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله (**يتعالى بكاء الناس**) أشهد أن محمداً رسول الله .. حى على الصلاة .. حى على الصلاة .. حى على الفـــــلاح .. حى على الفلاح .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إلـه إلا الله ..

« ستــار »

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا

- الشيماء
- فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
- أوزوريس
- نظام البردة - ذكرى محمد ﷺ
- من فوق سبع سموات
- التوراة الضائعة
- إله إسرائيل
- دار ابن لقمان
- قطط وفيران
- هاروت وماروت
- جلفدان هانم
- الفلاح الفصيح
- حبل الغسيل
- هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز)
- مسرح السياسة
- الدودة والثعبان
- مأساة زينب
- أحلام نابليون
- قضية أهل الربع
- الوطن الأكبر
- حرب البسوس
- الفارس الجميل
- همام فى بلاد الأحقاف

ـ الملحمة الكبرى الإسلامية الكبرى (عمر) ، أقوى وأمتع ما كتب باكثير ، وتقع فى ١٨ جزءا كالتالى :

(١) على أسوار دمشق .
(٢) معركة الجسر .
(٣) كسرى وقيصر .
(٤) أبطال اليرموك .
(٥) تراب من أرض فارس .
(٦) رستم .
(٧) أبطال القادسية .
(٨) مقاليد بيت المقدس .
(٩) صلاة فى الإيوان .
(١٠) مكيدة من هرقل .
(١١) عمر وخالد .
(١٢) سر المقوقس .
(١٣) عام الرمادة .
(١٤) حديث الهرمزان .
(١٥) شطا وأرمانوسة .
(١٦) الولاة والرعية ـ فتح الفتوح .
(١٧) القوى الأمين .
(١٨) غروب الشمس .

* * *

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ـ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٠١٥٨ ـ ١١ ـ ٩٧٧

صَلاة في الايوَان

ملحمة عمر

صلاة في الإيوان

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

خيمة سعد بن أبى وقاص حيث عسكر برجاله أمام أسوار بَهُرَسير وهى المدينة التى تقع غربى دجلة وبإزائها (المدائن) فى الضفة الشرقية ..

« الوقت بعد صلاة العشاء »

يرى سعد جالسا أمام الخيمة وعنده سلمان الفارسى ، وهاشم بن عتبة ، والقعقاع بن عمرو ، وعاصم بن عمرو ، وغيرهم . وأمامهم نار يصطلون حولها ، وترى من خلفهم نيران كثيرة فى المعسكر .

صوت : (**يسمع من بعيد**) أيها المسلمون ليوقد كل منكم ناره أمام خيمته ، فإن السباع تخاف النار . أوقدوها طول الليل .

(يسمع زئير الأسود من بعيد فيرجعه الفضاء كأنه من مكان قريب)

سعد : جاء الليل وجاء معه الويل .

هاشم : يخيل إليك وأنت تسمع زئير السبع كأنه على كثب منك !

عاصم : أجل فلا تدرى أقريب هو أم بعيد .

سلمان : ما سمعتم زئيره فهو بعيد . لو كان قريبا ما زأر .

القعقاع : هذا حق .. لما رأيته البارحة لم أسمع له حسا .

سلمان : كان يتسلل نحوك لينقض عليك .

هاشم : والنار عندك موقدة ؟

القعقاع : لا ، كانت نارنا قد خبت دون أن أشعر .

هاشم : والنيران التى حولك ؟

القعقاع : كانت خابية أيضا إذ ذاك فما شعرت إلا بجمرتين كبيرتين تتقدان فى الظلام ، وتقتربان منى رويداً رويداً ، فامتدت يدى إلى قائم سيفى ولكن عاصما أسرع إلى النار يزيح عنها الرماد ، وينفخ فيها ويلقى عليها الهشيم ، فما اشتعلت حتى رأيت الجمرتين تبتعدان ثم تختفيان .

هاشم : إلى متى يستمر هذا الحال ؟ إن المسلمين إذا ضمهم الليل باتوا فى قلق وجزع .

عاصم : ولا سيما بعد ما قتلت هذه السباع ستة منهم فى ثلاث ليال متواليات .

سلمان : كلهم قصر فى إيقاد ناره كما فعل القعقاع .

هاشم : أما إنه لمضن والله أن يوقد كل منا ناره طول الليل ، ولا يهنأ بنوم ، خشية أن تخبو ناره وهو نائم .

القعقاع : وشر من ذلك أنها حالت بيننا وبين تسلق الأسوار فى ظلام الليل . يخيل إلى أنهم ينيمونها نهارا لتسهر وتزأر طول الليل .

سعد : يا عاصم ويا قعقاع أليس عندكما من حيلة ؟ لقد كفيتمانا شر الفيول أفلا تكفوننا شر هذه الأسود ؟

عاصم : الفيول كانوا يقاتلون بها فى وضح النهار .. أما هذه فتتلصص علينا بالليل ونحن نيام .

سعد : أما من حيلة ؟ أما من سبيل ؟
القعقاع : لا سبيل غير رميها بالنبل ..
عاصم : والنبل قليل الغناء لأنهم قد درعوا هذه الأسد المستأنسة بزرد من حديد .

(يدخل الرُّفَيل متنكرا فى زى دهقان)

الرفيل : السلام عليكم .
سعد : وعليكم السلام ورحمة الله أوَقَد عدت من مهمتك يا رفيل ؟
الرفيل : نعم .
سعد : استطعت أن تدخل المدائن ؟
الرفيل : نعم .
سلمان : هات حدثنا ماذا وراءك ؟
الرفيل : علمت أن يزدجرد قد أخذ يهرب أمواله ونفائسه خارج العاصمة .
سلمان : هذا يدل على يأسه من النصر .
سعد : ولكن هذه الأسود التى يطلقونها علينا ليلا هى بلاؤنا اليوم ، فماذا عندك عنها يا رفيل ؟ .
الرفيل : علمت يا أمير الجيش أن أسدا واحدا هو الذى يطلقونه عليكم فيختطف من يختطف .
الجميع : أسدا واحدا ؟
الرفيل : أجل وهو الأسد الكبير الذى تألفته بوران فصار مدربا على التلصص والانقضاض والكر والفر أما سائر الأسود فمحبوسة فى أقفاصها لا تبرحها وقد وزعوها على أجزاء السور لترهبكم بزئيرها .

هاشم : أليس فى وسعهم أن يطلقوا تلك الأسود ؟

الرفيل : لا .. لو أطلقوها لانقضت عليهم وافترستهم .

هاشم : إذن فقد هان الأمر .

سعد : إى والله لا ينبغى أن نعجز عن قتل أسد واحد .

الرفيل : إنه مدرع بزرد من الحديد فلو استطاع أحدكم أن يصيبه بالنبل فى عينه لأمكن أن يقضى عليه .

سعد : فأنا إذن سأكفيكموه .

هاشم : لا بل أنا يا عم .

سعد : لست يا ابن أخى بأرمى من عمك .

سلمان : كلا يا أبا إسحاق أنت أميرنا فلا ينبغى أن تخاطر بحياتك .. إنك إن أخطأته وخالطك كانت القاضية عليك .

سعد : لكنى أرماهم جميعا يا أبا عبد الله ليس فيهم من هو أرمى منى .

هاشم : أنا لن أرميه بالنبل يا عم ولكنى سأستعرضه بالسيف .

القعقاع : وأنا معك يا هاشم .

هاشم : كلا لا أريد أحدا معى .. أريد أن أقتله وحدى ..

سعد : دعه يكن معك يا هاشم فسيفان خير من سيف .

هاشم : كلا يا عم .. دعنى والأسد ليس بينى وبينه أحد فألقى بكل منتى عليه . والله لأجدلنه قتيلا إن شاء الله .

سلمان : دعه وما اختار لنفسه يا أبا إسحاق فإن القوة على قدر النية .

سعد : صدقت يا أبا عبد الله .. اذهب يا هاشم فالقه وحدك والله ناصرك .

هاشم : ولكن أين هو ؟ كيف أدعه يخرج لى ؟

سلمان : إذا اقتربت من السور فإنه سيثب عليك من فوق السور .

هاشم : هذا والله ما أبغى .. لأبقرن بطنه بالسيف وهو يهوى علىّ .

(يأخذ سيفه وخنجره ويتوجه نحو اليمين ليخرج)

سعد : ألا تأخذ فرسك يا هاشم ؟

سلمان : كلا يا أبا إسحاق دعه يذهب راجلا فإن الفرس ستجمح به إذا رأت الأسد .

(يخرج هاشم)

الرفيل : **(بأعلى صوته)** يا معشر فارس أخرجوا الآن أسدكم ليقتله بطلنا هذا بسيفه .

عاصم : أخشى وقد نذروا به أن يرموه بنشابهم .

سلمان : كلا ، هذا التحدى الذى وجهه لهم الرفيل يمنعهم من ذلك ويدفعهم إلى إطلاق الأسد على هاشم .

سعد : هل ترون هاشما الآن ؟

القعقاع : نعم نرى سواده يدلف نحو السور .

سعد : اللهم احفظه بقوتك وأيده بنصرك .

(يسمع زئير قوى يتجاوب صداه فى جميع أرجاء السهل)

عاصم : لا بد أنه هذا .

سعد : اللهم كن مع هاشم !

هاشم : (**صوته**) الله أكبر ! . قتلته ورب الكعبة ! . قتلت الأسد ! . الله أكبر ! .

المسلمون : (**تتعالى أصواتهم**) الله أكبر ! .

سلمان : الآن يخشى عليه من سهامهم .

عاصم : (**بأعلى صوته**) حذار من نشابهم يا هاشم .

سعد : هل ترونه الآن ؟

القعقاع : لا لم نعد نرى سواده . لعله انبطح على الأرض فهو عائد إلينا يزحف . الله أكبر !. ها هو ذا يجرى منطلقا إلينا .

(يدخل هاشم وهو يلهث والسيف فى يده عليه دم الأسد يلمع فى ضوء النار) .

سعد : بوركت يا ابن أخى .. صف لنا كيف قتلته ؟

هاشم : لما وثب من السور إلى حيث كنت واقفا مرقت أنا من تحته قبل أن يصل إلى الأرض فهبرته بالسيف فى مراق بطنه ، فرأيته قد أقعى كالكلب ، وقد صرت أنا من خلفه فاستدار نحوى وقد اندلقت أمعاؤه وهم أن يثب على فعاجلته بضربة بين عينيه ، فترنح فما أمهلته أن ضربته الثانية فكانت القاضية ، إذ وقع على جنبه فطفق يخور فذلك حين كبرت .. وسمعت حفيف السهام فانبطحت على الأرض بجانب الأسد الذبيح ، وأنا أرقبه خشية أن يهبرنى بمخلبه ، فإذا هو قد برد . فجعلت أزحف على صدرى تلقاءكم ، فلما رأيت أنى قد أبعدت قليلا عن مرمى السهام قمت فانطلقت أعدو نحوكم .

سعد : هلم يا ابن أخى أقبل رأسك !.

(يقبل رأس هاشم)

هاشم : أستغفر الله يا عم .

سعد : بل أهل ذلك أنت .. لقد خلصت المسلمين من روع كبير .

سلمان : ونقلته إلى قلوب المشركين .. غدا يطلع النهار على أسدهم الكبير معفرًا فى التراب فيعلمون علم اليقين ، أنه لا غالب للمسلمين .

(ستـــار)

المشهد الثاني

بهو في جناح يزدجرد بإيوان كسرى. يرى يزدجرد وحماية جالسين وعندهما العمة العمياء آزرميدخت .

حماية : حتّامَ نصبر على استبدادها هذا ؟ الأمر كله لها وليس لك منه شيء ..

يزدجرد : إنها تساعدني يا حماية وتحمل عني بعض أعباء الحكم .

حماية : إن كان هذا مقبولا أول ما أجلستك على العرش فليس بمقبول أن يستمر حتى اليوم .

يزدجرد : أنا اليوم أحوج إلى عونها مما كنت من قبل .. ألا ترين يا حبيبتي ما نحن فيه ؟

آزرميدخت : إن أردت الحق يا ابن أخي فهي التي أفضت بالبلاد إلى هذا الموقف الحرج .

يزدجرد : ماذا تعنين يا عمة ؟

آزرميدخت : لولا هزيمة القادسية لما جرؤت العرب على الدنو من المدائن .

يزدجرد : لكن عمتي بوران ليست مسؤولة عن هزيمة القادسية .

آزرميدخت : بلى يا شاهنشاه ، هي التي أسندت القيادة العامة إلى عشيقها رستم !

(يدخل الحاجب)

الحاجب : مولاى شاهنشاه ، بريد حلوان قائم الساعة .. فهل يريد مولاى أن يرسل معه شيئا ؟ .

يزدجرد : نعم انتظر .. أين الصندوق يا حماية هل أعددته ؟

حماية : نعم **(تخرج ثم تعود ومعها صندوق من العاج)**

يزدجرد : **(يأخذ الصندوق من حماية ويناوله للحاجب)** قل لصاحب البريد يسلم هذا للمرزُبان بسطام مرزبان حلوان . اخرج من الباب الخلفى حتى لا يراك أحد .

الحاجب : سمعا يا مولاى **(يخرج)** .

آزرميدخت: مازلت تخاف من عمتك بوران ؟

يزدجرد : لست أخاف منها ولكنى لا أحب أن أغضبها .

آزرميدخت: أنت الملك وهذه الجواهر والنفائس ملكك فما شأنها هى ؟

يزدجرد : إنها ترى أن فى تهريبى لها ما يضعف من عزائم الأمة .

آزرميدخت: هذا قصدها فيما توهمك . أما حقيقة الأمر فإنها تخشى أن تجد الإيوان خاليا من نفائسه يوم تعتلى العرش .

يزدجرد : **(يضحك)** تعتلى العرش .. هذه التهمة يا عمة أصبحت اليوم مضحكة !

آزرميدخت: مضحكة ؟

حماية : بعد مصرع رستم يا عمة .

آزرميدخت: إن ذهب عنها رستم فقد بقى لها أخوه .

حماية : فرَّخزاد ؟

يزدجرد : غير معقول . لا يمكن أن يطمع فرخزاد فى العرش ..

آزرميدخت: ماذا يمنعه أن يطمع فيما طمع فيه أبوه وأخوه ؟

حماية : وهى أيضا لا يمكن أن تحبه مثل رستم .

آزرميدخت: لم لا ؟ ألم تجمع له بين الوزارة ورياسة الديوان ؟ أليس يلازمها ليلا ونهارا وسرا وجهارا ؟

يزدجرد : فى تصريف شؤون الدولة ياعمة .

آزرميدخت: كذلك كان رستم يصرف معها شؤون الدولة من قبل .

حماية : هذا حق ، إن على شاهنشاه أن يتخلص من وصايتها عليه ، واستبدادها بالأمر من دونه ، سواء كانت طامعة فى العرش أو غير طامعة .

يزدجرد : الآن يا حماية والعدو يقرع أبواب بهر سير ؟

(تدخل مشكدانة فتقبل الأرض بين يدى يزدجرد)

مشكدانة : مولاى شاهنشاه .

يزدجرد : ما وراءك يا مشكدانة ؟

مشكدانة : مولاتى تريدك الساعة لأمر هام .

آزرميدخت: (**مسارعة**) ولم لا تسعى هى إلى حضرة شاهنشاه ؟

مشكدانة : هل أدعوها يا مولاى لتجىء عندك ؟

يزدجرد : (**فى حيرة وتردد**) نعم إن لم يكن عندها مانع .

مشكدانة : لا شك عندى يا مولاى إن مولاتى ستسر لذلك .

(تخرج)

يزدجرد : لاحق لك يا عمة . لقد أحرجتنى .

آزرميدخت: يجب يا شاهنشاه ألا تفرط فى حقوقك .

حماية : لقد صدقت عمتك ، هذه بداية الطريق .

آزرميدخت: إن كنت لا تحب أن أحضر مجلسكم فإنى منصرفة .

حماية : كلا بل ابقى معنا يا عمة .

آزرميدخت: لعل بوران تكره حضورى فتأمر بإخراجى .

حماية : كلا لن يخرجك شاهنشاه ، هى عمته وأنت عمته .

آزرميدخت: آه ليت لى عينا ترى وجهها وهو يمتقع حين ترانى ، لعنة الله عليها وعلى رستم .. لقد صيرانى عمياء إلى الأبد !

يزدجرد : صه يا عمة ، إنها أقبلت .

(تدخل بوران ومعها الوزير فرخزاد)

بوران : (**تركع**) صباح الخير يا شاهنشاه .

فرخزاد : (**يركع**) صباح السعد والمجد يا مولاى .

يزدجرد : (**يقوم لبوران ويجلسها إلى جانبه**) مرحبا بك يا عمة . لقد أحببت أن تشرفى جناحى اليوم بحضورك .

بوران : القصر كله قصرك يا شاهنشاه ، وما جناحى إلا جزء من قصرك ، وما أنا إلا خادمة لعرشك .

يزدجرد : هل تريدين يا عمة أن تكلمينى فى سر خاص ؟ (**يومئ إلى آزرميدخت**)

بوران : لا يا ابن أخى .. لا سر دون زوجتك ولا دون عمتك ، إنما هو نبأ خطير من بهر سير .

يزدجرد : نبأ خطير ؟

بوران : احك لمولاك أيها الوزير .

فرخزاد : إن جنود العرب يا مولاى اجترأوا البارحة ، فحاولوا تسلق أسوار المدينة ، ولكن جنودنا استطاعوا أن يردوهم

على أعقابهم ، بعد معركة حامية سقط فيها من رجالنا عدد كبير .

يزدجرد : ويلهم هذه أول مرة اجترأوا فيها على الاقتراب من الأسوار .

فرخزاد : أجل يا مولاى .

يزدجرد : أين كانت أسودنا ؟ ألم تكن تزأر على طول الأسوار ؟

فرخزاد : بلى يا مولاى ولكنهم لم يرهبوا زئيرها كما كانوا يفعلون من قبل ، كأنما علموا بأن هذه الأسود محبوسة فى أقفاصها وليست مطلقة كالأسد الكبير .

يزدجرد : لكن كيف علموا بذلك ؟

فرخزاد : هذا سر لا يمكن أن يبقى طويلا يا مولاى . ولا بد أن يكون للقوم عيون وجواسيس من أهل هذه البلاد .

يزدجرد : هؤلاء الخونة يجب الضرب على أيديهم بلا رحمة ولا شفقة .

فرخزاد : وكيف نهتدى إليهم يا مولاى ؟

يزدجرد : ابحثوا عنهم بكل سبيل .

آزرميدخت : لم تذهبون بعيدا وفى هذا القصر الذى نحن فيه جاسوسة للعرب ؟

يزدجرد : منذا تعنين ؟

آزرميدخت : هذى التى اسمها شيرين !.

بوران : كذبت . هذه كانت جاسوسة لنا عليهم فهربت منهم لما انكشف لهم أمرها .

حماية : ألا يجوز يا عمة أن تكون هذه خطة من خططهم البارعة ؟

آزرميدخت: هذا واضح لا شك فيه .. من أين يتسنى لها أن تقيم فى إيوان كسرى لو لم تدع أنها هربت من العرب ؟ اقتلها يا شاهنشاه إن شئت ألا تتسرب أسرارك إلى أعدائك .

بوران : اسكتى يا كاذبة إنما هذا من حقدك على لأنها ضيفى .

آزرميدخت: ما كان لك أن تضيفى أعداء شاهنشاه وجواسيسهم .

بوران : قاتلك الله ، كنت أظن أن الله أعمى بصرك وحده ، فإذا هو قد أعمى بصيرتك ، كيف تحرضين على امرأة مسكينة ضحت بكل شىء فى سبيل فارس ؟ بزوجها الذى تحبه ، وبدينها الذى تؤمن به .

آزرميدخت: تضحى بدينها وهى تدعونا إليه ؟

بوران : إنما تدعونا إليه لاعتقادها مخلصة بأن فى إسلامنا ما يحفظ فارس من السقوط فى أيدى العرب .

آزرميدخت: أهذا كلام يقال ؟ من ذا يصدق مثل هذا الكلام ؟

بوران : هذا اعتقادها هى ، ولنا أن نخالفها ولكن ليس لنا أن نتهمها فى صدقها وإخلاصها .

آزرميدخت: إن عز عليك أن نقتلها فاطرديها من القصر حتى لا تتسرب أسرارنا إلى العدو .

حماية : أما هذا فطلب معقول .

يزدجرد : أجل يا عمة ولو على سبيل الاحتياط .

بوران : (**تكظم غيظها وتتجلد**) حبا يا شاهنشاه وكرامة . سأنظر فى إبعادها عن القصر. والآن دعنا ننظر فى أمر بهر سير .

يزدجرد : ماذا ترى يا فرخزاد ؟ هل من خطر على بهر سير .

فرخزاد : الخطر عليها كبير يا مولاى .. إن العدو ما قام بهذه المحاولة الصغيرة إلا ليقوم ليلة أخرى بغارة عامة لاقتحام أسوار المدينة .

يزدجرد : وما الحيلة ؟

فرخزاد : لو كان أهل السواد معنا لاستطعنا بمعونتهم أن نبيت هؤلاء الغزاة ذات ليلة فنحدق بهم من كل الجهات ونبيدهم .

يزدجرد : لكنهم ليسوا معنا فماذا نعمل ؟

فرخزاد : ليس أمامنا غير سبيل واحد يا مولاى .

يزدجرد : ما هو ؟

فرخزاد : أخشى أن أثير غضبك إذا اقترحته عليك .

يزدجرد : ما هو ؟

فرخزاد : وأنا فى أمان من غضبك ؟

يزدجرد : نعم .

فرخزاد : لن نقدر على هؤلاء حتى نقاتلهم بنفس السلاح الذى يقاتلوننا به .

يزدجرد : أى سلاح تعنى ؟

فرخزاد : ذلك السّلاح المعنوى الذى يحملون بعضه ويحمل غيرهم بعضه ، فأما الذى يحملونه فصلاحهم وعدلهم ، وأما الذى

نحمله ففسادنا وظلمنا للفلاحين والسفلة من أهل الحرف المختلفة ، حتى صار العرب ملجأهم وغياثهم ، فلو أعلنا حرية الفلاحين والسفلة ، وألا سلطان عليهم للمرازبة ولا الدهاقين ولا أحد غيرك أنت يا شاهنشاه ، لكان فى وسعنا حينئذ أن نفل قوة هؤلاء العرب .

يزدجرد : (**غاضبا**) ويلك هذه وصية رستم قد سمعتها منك غير مرة .

فرخزاد : إنك لم تعمل بها فكأنك لم تسمعها بعد ، وهى اليوم يا مولاى طوق النجاة للغريق !

يزدجرد : دعنا من نصائح رستم وخزعبلاته . والله ما ضيعنا غير رستم . قبحه الله أيريد أن يضيعنا وهو ميت كما ضيعنا وهو حى ؟

بوران : يا ابن أخى لا ينبغى أن تسىء القول فى رجل أخلص لك .. اذكر قلنسوته التى بعثها إليك من الميدان لتحفظها تذكارا لحياته التى قدمها من أجلك .

يزدجرد : وماذا أصنع أنا بحياته ؟ وددت لو ضن على بها وجاد بالنصر .

بوران : من يجد بحياته لا يضن بالنصر لو استطاع .

يزدجرد : فليذهب بخيره وشره وليدعنا اليوم وشأننا .

بوران : لو لم يكن شديد الحب والإخلاص لشغله الموت عن الوصية إليك .

يزدجرد : وصية رجل يائس . كيف أعمل بوصية رجل يائس ؟

بوران : لقد أثبتت الأيام أنه ما كان يائسا بل كان ألمعياً صادق الحدس بعيد النظر .

فرخزاد : أجل يا مولاى . ألم تر ماذا فعل سعد بالفلاحين من أهل السواد لما أسر مائة ألف منهم كانوا قد تركوا حقولهم ليقاتلوا معنا ؟

يزدجرد : ماذا فعل بهم ؟

فرخزاد : عفا عنهم ، وأحسن إليهم ، وصرفهم إلى قراهم ، ليعملوا فى الأرض لحسابه لا لحساب الدهاقين ، واتفق معهم على خراج معلوم.أتدرى يا مولاى ماذا كانت نتيجة هذا العمل ؟ لم يبق فى غربى دجلة إلى أرض العرب سوادىٌّ إلا آمن واغتبط بملك الإسلام .

آزرميدخت: حذار يا شاهنشاه أن تسمع لهذه النصيحة الهدامة . إنها مَزْدَكيَّة جديدة تريد أن تسوى بين السفلة والعلية وبين السوقة والملوك .

بوران : أيتها الجاهلة ما لهؤلاء المسلمين والمزدكية ؟

آزرميدخت: ليكن مذهب هؤلاء ما يكون ، لا شأن لى بهم ، فهم لنا عدو ، ولكنى أعنى أولئك الذين كانوا يعملون بين أظهرنا لإحياء المزدكية والقضاء على بيت كسرى ، وعلى الأسرة الساسانية .

يزدجرد : ويحك يا عمة ما شأن ذلك بالذى نحن فيه اليوم ؟

آزرميدخت: يا ابن أخى إنهم اتخذوا من غزو هؤلاء الغزاة ذريعة لإظهار ما كانوا يبطنون . بل أرادوا أن يتخذونك أنت وسيلة لتنفيذ ما يبتغون .

بوران : إنها تخرف يا ابن أخى فلا ترفع بكلامها رأسا .

آزرميدخت: يا ابن أخى هل من شاهد أصدق من عينيى هاتين .. انظر إليهما وسل من فعل بهما هذا ولماذا فعل ؟ أليس لأنى أبيت على عبد كسرى أن يفترش ابنة كسرى فى إيوانه ؟

فرخزاد : يا سيدتى ذلك أمر مضى وانقضى فلا ينبغى أن تشغلينا به عن النظر فى الخطر المحدق الذى يتهددنا اليوم ، علينا جميعا أن ننسى أحقادنا وأهواءنا ، ونلتف حول مليكنا شاهنشاه بقلوب صافية صادقة .

آزرميدخت: ويلك أكنت تقول هذا لو سلمت عيناك فعشت أعمى إلى الأبد ؟

(ينظرون إليها صامتين وينظر بعضهم إلى بعض) .

يزدجرد : هل لك يا حماية أن ترافقى عمتى آزرميدخت إلى حجرتها لتستريح ؟

آزرميدخت: **(تنفجر غاضبة)** أتطردنى من مجلسك يا شاهنشاه ؟ أتطردنى من أجل هذه المستبدة العاتية ؟

بوران : دعها يا شاهنشاه .. دعها فى مجلسك حتى تنصرف المستبدة العاتية .

يزدجرد : إن كنت تريدين البقاء يا عمة فبحقك لا تشغلينا عن النظر فيما بين أيدينا من الأمر الجسيم .. نحن أبناء اليوم فلنبحث فيما بين أيدينا اليوم .

حماية : إنها أدلت برأيها يا شاهنشاه ولك أن تعمل به أو لا تعمل .

(تنظر إليها بوران شزرا كأنها تقول لها : كل هذا منك) .

فرخزاد : (**لينقذ الموقف**) صدقت يا مولاتى الملكة .. وكذلك الرأى الذى أدليت به لمولاى شاهنشاه أن يعمل به أو لا يعمل به .

بوران : واحسرتنا واضيعة أمرنا .. نتلاحى فى الأمر الحقير وأمامنا الخطر الكبير.إننا لم نهزم فى القادسية وحدها ، بل نهزم فى كل حين ، كلما فكرنا فى خطة ، أو اجتمعنا للنظر فى أمر ، أو عقدنا العزم على عمل . فواعجبا منا لكأنما يخيل إلينا والعرب يقرعون أبواب عاصمتنا قرعا شديدا — أنهم لم يعبروا الفرات بعد ، بل كأنما يخيل إلينا أنهم بعد فى بلادهم ، تفصل بيننا وبينهم الفياف والقفار .

يزدجرد : صدقت يا عمة .. لقد كنا نشعر بخطرهم قبل القادسية أكثر مما نشعر به بعدها !

بوران : تلك يا ابن أخى هى المأساة .. لكأنما شلت أذهاننا عن التفكير ، ونفوسنا عن الإحساس ، وأيدينا عن العمل !

يزدجرد : واحسرتا أوَ قد ضاع كل شىء ؟ .

فرخزاد : كلا يا مولاى .. إننا لم نزل نملك الكثير ، فاعزم عزمة صادقة تنفى عنا هذا التراخى والتبلد والخمول . اعمل بوصية رستم وأعلنها صيحة مدوية فإنك إن لم تكسب منها فلن تخسر شيئا .

يزدجرد : أفلا ترى أن قد فات أوان العمل بهذه الوصية بعدما أصبح العدو على أبواب عاصمتنا المدائن ؟

فرخزاد : كلا يا مولاى ما فات الأوان ، بل لعل هذا هو الأوان المناسب لهذه الصيحة . لقد أوشك أن يكون نهر دجلة حداً فاصلا بيننا وبين هؤلاء الغزاة ، فيكون لهم غربى النهر إلى بلادهم ، ويكون لنا شرق النهر إلى بلاد الترك .. فلو أعلنتها اليوم لاستيقظ أهل فارس من سباتهم ولتواثبت جموع الفلاحين والسفلة لنصرتك والالتفاف حولك ، ويومئذ لن يجد العرب رجلا واحدا لا يقاتل عن أرضه ، أو يدافع عن حوزته دفاع المستميت ، فلن يغلبونا بعد ذلك أبدا .

يزدجرد : وبهرسير ماذا نصنع ببهرسير ؟ .

فرخزاد : سوف نخليها يا مولاى ونسحب إلينا حاميتها وأهلها : وننقل ما فيها من المؤن والأموال ، ثم ننسف جسرها وكل جسر آخر على نهر دجلة .

يزدجرد : هذا رأى سديد .. لم لا ننفذه فى الحال ؟

فرخزاد : أعلنها يا مولاى فى الحال ؟ أعلن الصيحة !

يزدجرد : أنا أعنى إخلاء بهرسير وقطع الجسر .

فرخزاد : ثم تعلن الصيحة بعد ذلك ؟

يزدجرد : كلا إنى غير مؤمن بالصيحة .. أنا مؤمن بإخلاء بهرسير وقطع الجسور حتى يكون النهر فاصلا بيننا وبين العدو .

فرخزاد : لا ينبغى أن نقتصر على ذلك يا مولاى .

يزدجرد : إنى لن أقتصر على ذلك .. ولكنى سأستنجد بأمراء الأقاليم ، وأدعو المرازبة والدهاقين للدفاع عن العاصمة ومنع العدو من عبور النهر .

فرخزاد : مولاى قد اعتمدت من قبل على هؤلاء فلم يغنوا عنك شيئا. جرب هذه المرة أن تعتمد على جموع الكادحين من الفلاحين وأصحاب الحرف والسفلة والعبيد فإنهم سواد الشعب ، فإذا أرضيتهم وجمعتهم حولك فلن يغلبك غالب .

يزدجرد : من ذا يجمع هؤلاء حولى إلا المرازبة والدهاقين ؟

فرخزاد : كلا يا مولاى لطالما كابدوا من ظلم المرازبة والدهاقين فلن ينصاعوا إليهم أبدا .

يزدجرد : لكن هؤلاء لن يجرؤوا على مخالفة المرازبة والدهاقين .

فرخزاد : مولاى إنهم إنما يخشونهم من أجلك أنت ، فإذا علموا أنهم قد خرجوا عن طاعتك ، فإنهم لن يتركوهم حتى يفتكوا بهم .

يزدجرد : ماذا ترين يا عمتى بوران ؟

بوران : اعزم يا ابن أخى ولا تتردد .. أطع هذه الحكمة التى أدركها رستم فى الساعات الأخيرة من حياته فحرص على أن يبلغها إليك .

يزدجرد : (**تنظر إليه حماية نظرة ذات معنى**) وما رأيك أنت يا عمتى آزرميدخت ؟

آزرميدخت : يا ابن أخى من لم يستطع أن ينفعك وهو حى ، أيستطيع أن ينفعك وهو ميت ؟ إياك أن تسوى بين السفلة والأشراف فى أرض فارس فتخرج عن السنة التى درجنا عليها من عهد أردشير .

يزدجرد : أجل لا ينبغي أن أخرج على سنة أردشير ، ولكنى سأخلى بهرسير ، وأقطع الجسر ، وأستنجد بأمراء الأقاليم وبالمرازبة والدهاقين . هل لديك من شيء آخر أيها الوزير ؟

فرخزاد : لا يا مولاى ..

بوران : (**متجلدة**) هلم أيها الوزير لنسعى فى تنفيذ ما أمر به شاهنشاه .

(**تخرج ويخرج خلفها فرخزاد**)

حماية : (**تعانق يزدجرد فرحة**) بوركت يا زوجى الحبيب .. اليوم أثبت أنك ملك عظيم !

آزرميدخت: (**تتلمس السبيل إليه حتى تجده فتقبله**) أنت حقا سليل أردشير !

(**ستـــار**)

المشهد الثالث

.. إيوان كسرى بالمدائن .

بهو فى جناح الملكة بوران .

بوران وشيرين جالستان وبين يديهما مشكدانة .

بوران : كلا لا ألومك فيه يا شيرين .. إنى لأذكره يوم جاءنى بكتابك ، فتى فارع القَدِّ ، وضَّاح الجبين ، غضيض الطرف . تتمنى كل امرأة أن تكون له .

شيرين : وإن باطنه بعد يا مولاتى لخير من ظاهره . آه ما أحسب أن امرأة فى الوجود قد حاطها زوجها بمثل ما حاطنى به زوجى من حب وتدليل ورعاية ..(**فى صوت يخالطه البكاء**) وأرانى اليوم وقد خرجت من دنياه وليس معى منا غير هذا الخاتم !

بوران : (**تتنهد وتبرز خاتمها**) فما ظنك بخاتم قد ذهب صاحبه إلى حيث يذهب الناس فلا يعودون أبدا ؟

شيرين : خاتم رستم ؟

بوران : نعم أرسله إلى من ميدان القادسية قبل أن يلقى مصرعه بساعات .

(تجهش بالبكاء مشكدانة) ..

مشكدانة : (**باكية**) لهفى عليك يا هرمز !

شيرين : هرمز ؟!

بوران : زوجها .. خادم رستم الأمين .. جرح فى الطريق وهو يحمل الخاتم إلى ، فلم يشأ أن يتوقف فى مسيره ، حتى وصل إلى المدائن فلم يكد يسلمنى الخاتم حتى أسلم الروح .

مشكدانة : من قبل أن يحيينى ولا بكلمة (**تمسح دمعها إذ ترى يزدجرد قادما**)

يزدجرد : (**يزدجرد**) من هو يا مشكدانة ؟

مشكدانة : المرحوم زوجى يا مولاى شاهنشاه ..

يزدجرد : أما زلت تبكين عليه ؟ إن شئت زوجتك عبدا من عبيدى ..

بوران : مرحبا بك يا شاهنشاه . هلا أخبرتنا فنستعد لك ؟

يزدجرد : لا حاجة إلى ذلك يا عمة .. إنما جئت فى أمر خاص . (**تهم شيرين بالانسحاب**) مكانك يا شيرين.ألا تنتهزين هذه الفرصة فتدعينى مرة أخرى إلى إسلامك ؟

شيرين : (**تتجاهل سخريته**) أسأل الله أن يهديك إليه يا مولاى .. أما إنه هو السبيل الوحيد لإنقاذ مملكة فارس .

يزدجرد : يا هذه قد تبين لنا أنك لست بجاسوسة للعرب .

شيرين : شكرا يا مولاى إذ عرفت حقيقتى ..

يزدجرد : ولكن فى عقلك شيئا من المس أو اللوثة وقد جئت الآن لأعالجك .

شيرين : مولاى ليس بى ما تظن .. فليس بى حاجة إلى العلاج .

يزدجرد : (**ينهرها**) اسكتى .. ليس من حقك أن تجادلى شاهنشاه .

شيرين : تذكر يا مولاى أنك أنت الذى فتحت لى هذا الباب فقد كنت أريد أن أنسحب فاستبقيتنى .

يزدجرد : فانسحبى الساعة حتى نطلبك .

شيرين : أمرك يا مولاى .. (**تنسحب وتخرج**)

بوران : هلا رفقت بها يا ابن أخى فإنها مسكينة ؟

يزدجرد : إنى ما جئت إلا لخيرها يا عمة .. أريد أن أزوجها للهرمزان ، ليحملها معه إلى الأهواز ، لعله يشفيها من هذه اللوثة التى فى عقلها .

بوران : اللوثة فى عقله لا فى عقلها . كيف طوعت له نفسه أن يستعمل شاهنشاه فى خدمة مآربه ؟

يزدجرد : إنما توسل بى يا عمة لأقنعها بقبوله .

بوران : أبعد أن ردته وأفهمته أنها متزوجة ؟

يزدجرد : ألم تقولوا إنها هربت من زوجها ولا يمكن أن تعود إليه ؟

بوران : لكنها لا تزال فى عصمته وهى تحبه ولا تريد أحدا سواه .

يزدجرد : لم لا نحاول إقناعها فترضى ؟

بوران : وماذا يعنيك أنت من أمر الهرمزان ؟

يزدجرد : أريد أن أصطنعه ليخلص فى نصرتى .. ينبغى يا عمة أن نصطنع هؤلاء الأمراء الكبار ليكونوا معنا بالقلب والقالب .

بوران : أخشى يا ابن أخى أن يجيئك الفيرزان لتزوج له عمتك .

يزدجرد : الحق يا عمة أنه طلب منى ذلك ، ولكننى استحييت أن أكلمك فى شأنه .

بوران : أوَ ترضى أنت بذلك يا شاهنشاه ؟

يزدجرد : سيحزننى لا ريب أن تذهبى من عندى ، فأفتقد رأيك وحسن تدبيرك ، ولكن لا بأس إن كان فى ذلك سعادتك .

بوران : سعادتى أن أسهر على عرشك وأكون بجانبك .

يزدجرد : لا يصح يا عمتى أن يضيع شبابك ..

بوران : قد نذرت شبابى لخدمة هذا العرش .

يزدجرد : فى وسعك يا عمتى أن تخدمى هذا العرش وأنت هناك .

بوران : هيهات .. إنك يا ابن أخى لا تدرى ماذا يدبر الفيرزان والهرمزان ؟

يزدجرد : ماذا يدبران ؟

بوران : إنهما يطمعان فى الملك ، فالفيرزان يريد أن يتزوجنى ليس لأنه يحبنى بل ليتخذنى ذريعة لتقوية مركزه وإسباغ صفة الشرعية على محاولته . وكذلك الهرمزان يريد أن يتخذ شيرين ذريعة لتوطيد قدمه فى الأهواز لمكان أخوالها الأمراء هناك .

يزدجرد : إن صح ما تقولين فويل لهما منى !!

بوران : إنك استنجدت بأمراء الأقاليم ، فكل جاءك بما استطاع من رجال وعتاد .. إلا هذين فقد أقبلا وحدهما لأنهما ما جاءا لنصرتك ، أو للدفاع عن عاصمتك ، بل لاستطلاع الأحوال وتدبير ما يمكن تدبيره لتحقيق ما يطمعان فيه .

يزدجرد : تبا لهما من خائنين .. لأستدعينهما الساعة لأكشفهما أمامك . (**ينادى**) .. أيها الحاجب ..

الحاجب : (**يدخل**) لبيك يا مولاى ..

يزدجرد : انطلق فائتنى بالفيرزان والهرمزان من بهو الانتظار .

الحاجب : سمعا يا مولاى (**يخرج**)

بوران : هما الآن عندك فى البهو ؟

يزدجرد : نعم .

بوران : ينتظران النتيجة .

يزدجرد : نعم لأجعلنها وبالا عليهما .. أى وبال !

بوران : إذن فسأريك ماذا تفعل (**تساره بحديث**) .

يزدجرد : بوركت يا عمة لأفعلن ذلك ..

بوران : من عادتى يا شاهنشاه ألا أباشر أمراً من أمور الدولة إلا بحضور الوزير ليكون على علم به .

يزدجرد : دعيه يحضر إن شئت .

بوران : مشكدانة . قولى للوزير يحضر فى الحال .

مشكدانة : سمعا يا مولاتى (**تخرج**)

الحاجب : (**يعود**) الفيرزان والهرمزان يا مولاى .

يزدجرد : ليدخلا .

(**يدخل الفيرزان والهرمزان وعلى وجهيهما البشر**)

يزدجرد : أبشرا أيها الأميران الفارسان ..

الفيرزان : أحقاً أجيبت دعوتنا يا شاهنشاه ؟

(**يدخل فرخزاد فيحنى رأسه محيياً ثم يجلس**)

يزدجرد : لا تتعجلا .. إنى أردت أولا أن أوليكما منصبين هامين عندى . أنت يا فيرزان قائد الجيش .. وأنت يا هرمزان قائد الحرس .

بوران : هنيئا لكما هذا الشرف العظيم .

(**ينظر أحد الرجلين إلى الآخر فى ارتياب**) .

بوران : ما خطبكما ؟ ألا تشكران مولاكما شاهنشاه على هذا العطف ؟

الهرمزان : نحن نشكر مولانا شاهنشاه على كل حال ولكن هذا يقتضى منا أن نقيم هنا فى المدائن .

يزدجرد : فلتقيما هنا على الرحب والسعة .. سيكون لكل منكما قصره وبستانه .

الفيرزان : إنك تعلم يا مولاى أن مكانى فى نهاوند .

الهرمزان : ومكانى أنا فى الأهواز ..

الفيرزان : بل مكانكما هنا عندى . إن العدو قد احتل بهرسير وما بقى بينى وبينهم غير هذا النهر .

الفيرزان : وما نفع بقائنا هنا عندك ؟

يزدجرد : تدافعان معى عن العاصمة وتشتركان معى فى حمل التبعة .

الهرمزان : ما كان من رأينا إخلاء بهرسير فكيف نحتمل التبعة ؟

يزدجرد : لقد رأينا أن نحرق الجسر لئلا يعبره إلينا العدو ، فلم يكن من بد من إخلاء بهرسير ..

الفيرزان : المدينة حصينة وأسوارها عالية ، وكان على حاميتها أن تبقى فيها إلى النهاية ، وتقاتل العدو شبرا شبرا ..

بوران : كما قاتلتما فى القادسية مع رستم ؟

الفيرزان : رستم مل الحياة وسئم القتال والكفاح فاستقتل ، ولكنا كنا نأمل أن نهزم العرب ، ونستأصل شأفتهم فى جولة أخرى ..

بوران : ففررتما من الميدان ؟

الهرمزان : لنقيم فى وجوههم الحصون والقلاع .

بوران : فى الأهواز وفى نهاوند ؟

الفيرزان : أجل . من هذه الحصون فى الغرب والشرق ستنتصف فارس من مغيريها وتثأر لبنيها وتسترد كرامتها واستقلالها .

يزدجرد : كأنكما قد أيستما من المدائن ؟

الهرمزان : كلا يا مولاى ولكن يجب دائما أن تكون لنا خطوط دفاع فى النواحى التى لا تصل إليها أيديهم .

يزدجرد : (**فى حقد ويأس**) ترى أيكما يكون ملك فارس إذا نجحتما فى طرد العرب ؟ هل اتفقتما على ذلك ؟

الفيرزان : ماذا تقول يا شاهنشاه ؟ أنت ملك الجميع ، أنت سليل الأكاسرة .

الهرمزان : وما نحن إلا عبيدك وخدمك .

يزدجرد : عبيدى وخدمى لا يطيعون أمرى ؟

الفيرزان : عبيدك وخدمك يريدون لك خيرا مما أردته لهم ولنفسك .. إننا إن بقينا فى المدائن فلن نضر العدو بشىء . مكاننا الآن هناك فى التخوم .

يزدجرد : لتكونا بمنجاة من هجمات العرب ؟

الهرمزان : أنا لن أكون بمنجاة من هجماتهم ، فالأهواز تصاقب البصرة التى بنوها عند الأيلة . ثم إنى عازم على مهاجمتهم منها إن لم يهاجمونى .

الفيرزان : وأنا أريد أن أنشىء فى الجبال جيشا قويا من الأبطال ، لم تضعضع نفوسهم الهزائم ، ولم يتسرب إليها الرعب من العدو ، وأن أقيم لك حصنا تلجأ إليه عند اللزوم ..

يزدجرد : كأنك تقضى على من الآن بالفرار من المدائن واللجوء إليك .

الفيرزان : مولاى إنما قلت عند اللزوم .

يزدجرد : تبا لكما اذهبا عنى لا أحوجنى الله إليكما . لقد خنتما رستم فى القادسية وتركتماه وحده ، فاتركانى اليوم وحدى فلست عندكما خيرا من رستم .

الفيرزان : مولاى يا شاهنشاه لا تغضب . إنا ما جئنا إلى المدائن لنقاتل معك فإن جنودنا تركناهم هناك .

يزدجرد : فلأى شىء جئتما ؟

الفيرزان : لنشد أزرك ، ونتفق معك على خطة موحدة فى قتال العدو من كل جانب ..

الهرمزان : ولنحمل معنا ما تحب أن تودعه عندنا من كنوز كسرى ونفائسه ، لنحفظه عندنا فى حرز حريز بعيدا عن أيدى العرب .

يزدجرد : فى الأهواز المصاقبة للبصرة ؟

الهرمزان : لا تخف يا مولاى لأصوننها فيما وراء الأهواز ، فى أصفهان ، أو فى اصطخر .

الفيرزان : وعندى أحفظ وأصون فى الحصون المنيعة فى الجبال .

يزدجرد : كنت أريد منكما أن تدافعا عنى وعن خزائن آبائى وكنوزهم . ذلك ما أحتاج إليكما فيه . أما تهريب الكنوز إلى مكان أمين فيستطيع أن يقوم به أصغر خادم من خدم القصر . الآن ظهر ما كنتما تخفيان . يريد كلا كما أن يغتصب ملك كسرى ويرث كنوزه ونفائسه .

الهرمزان : إنما نريد يا مولاى أن نحفظها من أجلك .

يزدجرد : قد عرفتكما . لا والله لا تراها عيونكما أبدا .

الفيرزان : ليقتسمنها اللصوص والغوغاء أو ليستولين عليها العرب .

يزدجرد : أهون عندى من أن تقع فى أيدى الخونة !

الفيرزان : (**ينهض**) لتندمن على ذلك يا شاهنشاه .

يزدجرد : (**يستشيط غضبا**) أتهددنى ؟ اخرج من عندى !

الهرمزان : لنرحلن الساعة .

يزدجرد : إلى الجحيم .

بوران : بوركت يا شاهنشاه . لقد شفيت منهما غليلى .

يزدجرد : أين شيرين ؟ ادعيها يا مشكدانة .

مشكدانة : سمعا وطاعة يا مولاى (**تخرج**) .

بوران : ماذا تريد منها يا ابن أخى ؟

يزدجرد : لا تخافى يا عمة . أريد أن أثنى عليها لرفضها هذا الهرمزان .

(**تعود مشكدانة**)

بوران : أين هى يا مشكدانة ؟

مشكدانة : وجدتها تصلى يا مولاتى .

يزدجرد : تصلى ؟ كيف تصلى ؟

بوران : صلاة هؤلاء المسلمين لا ريب .

يزدجرد : (**فى رعب**) صلاة المسلمين فى الإيوان !! الرؤيا التى رأيتها البارحة !! الرؤيا المفزعة !

بوران : ماذا رأيت يا ابن أخى ؟

يزدجرد : رأيت كأن عمر مليكهم يصلى فى الإيوان الكبير وخلفه جموع المسلمين !

(ستـــار)

المشهد الرابع

فى بهرسير . جوسق على نهر دجلة مرتفع قليلا عن الأرض اتخذه سعد مركزا لقيادته .

يرى سعد جالسا وحوله جماعة من رجاله فيهم سلمان وهاشم بن عتبة وعاصم بن عمرو والقعقاع وعمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة وغيرهم .

سعد : من يروى لى حديث رسول الله ﷺ فى الرؤيا الصالحة ؟

أنس : أنا يا سعد .

سعد : اروه لنا يا أنس بن مالك يرحمك الله .

أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) .

سعد : الله أكبر . لنخوضن هذا البحر إن شاء الله . إنى رأيت ذلك فى منامى البارحة .

سلمان : ماذا رأيت يا أبا إسحاق ؟

سعد : أننا اقتحمنا دجلة بخيولنا ، فسرنا فى الماء كأنما نسير على وجه الأرض ، حتى وصلنا إلى الضفة الأخرى لم يتخلف منا رجل واحد .

عاصم : ذلك ما قلته لك أمس يا سعد . إن الخيل لتسبح ! .

عمرو : فى اليقَظة يا أخى عاصم ؟

عاصم : (**ضاحكا**) نعم يا أبا ثور .

عمرو : وعليها ركابها ؟ ما أشبه ما تقول بحديث خرافة .

قيس : ويلك أتكذب سيد بنى تميم فى وجهه ؟

عمرو : كلا ما كذبته وإنما شككت فى صحة ما قال .

قيس : لساء والله ما أدبتك أمك !

عمرو : آه لو تكن ابن أختى !

قيس : اذكر أختك بخير فقد أنجبت !!

عمرو : قيل للبغل من أبوك قال أمى الفرس !!

سلمان : مه يا عمرو ويا قيس . دعانا نسمع حديث عاصم بن عمرو .

قيس : ألم تروا كيف كذَّب عاصما ؟

عاصم : دعه يا ابن مكشوح . لا غرو أن يعجب المرء مما لا يعلمه .. نحن بنى تميم أصحاب الخيل يا أبا ثور ، نعلم من عاداتها ما يجهل كثير من الناس .

عمرو : أليس لنا أن نسأل عما لا نعلم يا عاصم ؟

عاصم : بلى يا أبا ثور . سل عما بدا لك .

عمرو : إنا قل منا من يعرف العوم ، فكيف نصنع إن أجفلت الخيل وألقت من عليها ؟

عاصم : نصنع مثل ما نصنع إن أجفلتِ الخيل ونحن على الأرض .

قيس : يسأل هذا السؤال ويزعم أنه فارس اليمن !

عمرو : قاتلك الله إنما أشفق على المسلمين ، فإنهم ليسوا جميعا مثلى ومثلك .

قيس : بل تشفق على نفسك !

سعد : اسكت يا قيس . دعنا نسمع الرأى يقرع الرأى ففى ذلك خير . والأمر شورى بين المسلمين . تكلم يا أبا ثور ..

عمرو : إنى سأحتكم إلى الناس . أيها الناس ألا ترون ما أرى ؟ ألا ترون ما فى ذلك من الخطر والغُرَر ؟

صوت : بلى إنه لإلقاء باليد إلى الهلكة .. لو كان جسر تعبرون عليه أو كانت لكم سفن . أما أن تخوضوا اللجة والمد فى عنفوانه كما ترون فهذا هلاك محقق .

عمرو : أولو أنه فارس واحد أو اثنان لما كان فى ذلك بأس . أما أن تعبروا جميعا فماذا يكون حالكم لو ابتلعكم اليمّ .

آخر : تذكروا يوم الجسر وإصرار أبى عبيد على رأيه دون رأى جماعة المسلمين .

سعد : إياى تتهمون ؟ لا والله لا أفتات على رأى جماعة المسلمين ولكنى أتشاور معكم . من حضر فيكم يوم الجسر ليحدثنا عنه ؟

بشير : أنا أبا اسحق ..

سعد : ما فعل أبو عبيد يا بشير ؟

بشير : إن أمر أبى عبيد لمختلف .. ما كان أبو عبيد بحاجة إلى عبور النهر ، فقد كان المشركون يريدون العبور ، فلو بقى حيث كان لكان خيرا للمسلمين .. أما نحن فقد مضى علينا اليوم شهران فى هذا المكان والعدو ينال منا بسفنه فى الليل من حيث لا ننال منه .

سعد : أحسنت يا بشير .

آخر : إن أمير المؤمنين ينهانا دائما عن اقتحام اليم ويكره أن يفصل بيننا وبينه بحر أو نهر .

سعد : أما هذا فإني والله لأعلم منكم بما يريده أمير المؤمنين . إن كتبه لتأتيني تترى . أفتدرون لماذا أوصانا أن لا يشترك فى هذه الحملة غير الفرسان وحدهم ، وأن نترك نساءنا وعيالنا بالعتيق ؟

سلمان : لأنه قدر أننا سنخوض إليهم النهر إذ يعلم أن المدائن لا تفتح بغير عبور النهر .

سعد : أيها المسلمون لقد ألقى فى روعى أن الله سيجيزنا اليوم هذا البحر إن لم يكن فى الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات .

سلمان : أيها المسلمون أيقنوا بنصر الله وتأييده لكم ، فإن طاف بكم طائف من الشك فاذكروا أن البحر انشق لموسى وقومه حتى عبروه . وايم الله ما نحن اليوم بأقل إيمانا بالله ونصره من قوم موسى لما عبروا البحر .

عمرو : يا صاحب رسول الله إن قوم موسى كان معهم نبيهم وليس معنا نبينا اليوم .

قيس : والله يا ابن معدى كرب لو كان معنا نبينا اليوم ودعانا إلى اقتحام النهر لما كنت أيضا إلا من المخذلين . إنك امرؤ تعوزه الشجاعة والإيمان .

عمرو : ويلك أمثلك يجبنني ؟ أنا أبو ثور فارس العرب !

قيس : العبرة بالفعال يا عمرو لا بالمقال .

عمرو : ويلك إننا لا نخاف الموت طعنا بالرماح ، أو قعصا بالسيوف ، ولكن والله لا نموت غرقى يجرفنا هذا البحر وعدونا ينظر إلينا . فإن كنت يا ابن مكشوح تعنى ما تقول فأرنا شجاعتك وتقدم وسبّح جوادك فى النهر .

قيس : أتريد أن تخدعنى يا رجل ؟ تريد أن تتخلص منى فلن تكون فارس اليمن ما بقى ابن مكشوح حيا .

عمرو : كذبت . كل العرب تعلم أنى فارس اليمن !

قيس : أتبارزنى ؟

عمرو : أشفق على أختى أن تثكلك .

قيس : وددت لو أنها ماتت فلا يبقى لك تعلة .

عمرو : إذن لا تجرؤ أن تكلمنى .. إنما جرأك على مناوأتى علمك أنى لن افجعها فيك .

قيس : كذبت !

سعد : (ينهرهما) كفى جدالا . خرجتما تجاهدان فى سبيل الله أم فى سبيل الشيطان ؟

عمرو : هو الذى تعرض لى يا أمير الجيش وتحدانى .

قيس : لما رأيته يخذل المسلمين عما أجمع رأيهم عليه .

سعد : دعنى من هنياتك يا قيس .. إياك أن تعود لمثلها .

قيس : إلا إن عاد .

سعد : ويحكما ألا تعلمان أن الإسلام قد ألغى ذحول الجاهلية ومنافراتها . هات ما رأيك يا طليحة بن خويلد يا فارس بنى أسد ؟

طليحة : أيها المسلمون ألا تؤمنون أن الله معنا ؟

الجميع : بلى .

طليحة : فما من شيء فى الأرض يقف دوننا أبدا ، ولا من قوة تحول دون ما نريد . لقد كنت فى جموع كبيرة يوم الردة ، فرأيتنى ضعيفا أمام القلة من المسلمين ، حتى هربت بحليلتى على فرس . وإنى والله لألقى اليوم أضعاف ذلك العدد ، فلا يخالطنى روع ، وما عقدت عزمى على شيء مهما صعب إلا ذل وتحقق بعون الله وتأييده . وقد تعلمون أن جلكم يفضلنى بإيمانه وسابقته ، فتوكلوا على الله أيها المسلمون ، فوالله إن الذى أجرى هذا البحر لقادر أن يسبحكم فيه ! .

عمرو : ويحك يا ابن خويلد . إن الله لقادر أن يطير بنا فى السماء فهل يطير بنا لو أردنا ذلك ؟

طليحة : نعم يا أبا ثور . لو أردنا ذلك حق إرادته وآمنا بالله حق إيمانه .

عمرو : فأرنا الساعة كيف تطير ؟

القعقاع : (يتنحنح) على رسلكم . إننا لا ننكر أن الله قادر على كل شيء ، ولكن علينا أن نأخذ بالأسباب التى تهيىء لنا ما نريد . إن الخيل لا تطير فى السماء ، ولكنها تسبح فى الماء ، إذا أرادت ، وإنما العسر فى أن تجعل أولها يسبح ، فإذا سبح أولها سبح الباقى دون عسر .

عمرو : فمن الذى يسبح بجواده أول الناس .

القعقاع : أنا وأخي عاصم لقد مرنا جوادينا على ذلك منذ ليال .

عمرو : وسبحا بكما ؟

القعقاع : كأحسن ما يكون السبح .

عاصم : ثقوا أيها المسلمون بالنصر ، فإنا قد أعددنا لكل شيء ما يلزم . سنجعل إناث الخيل بجانب ذكورها ليكون أسلس لعومها ، وسنتقي نبال العدو بالتروس ننصبها من يمين وشمال ، فلا يصيبنا أذى بإذن الله .

(يدخل المعنى بن حارثة والرفيل)

المعنى : سلام عليك يا أمير الجيش .

سعد : وعليك السلام يا معنى بن حارثة . ماذا وراءك ؟

المعنى : أبشر يا سعد . اهتديت أنا والرفيل إلى مخاضة يمكننا عبورها بالخيل .

سعد : أين ؟

المعنى : على ثلاثة أميال من هنا .

عمرو : هذا والله معقول . إن كان لا بد أن نقتحم النهر فلنلتمس مثل هذه المخاضة .

سعد : وكيف اهتديتما إليها ؟

المعنى : دلنا عليها ملاح من أهل هذه الناحية ..

سعد : ماذا ترى يا عاصم ؟

عاصم : كلا إياكم والمخاضة فإنها غير مأمونة .

سعد : أتخشى أن يكيد لنا الملاح ؟

الرفيل : كلا يا أمير الجيش هو صديق لي حميم .

عاصم : لست أخشى من كيد الملاح ، ولكن العباب العميق أسهل على الخيل أن تسبح فيه من المخاضة الضحلة حيث تنغرس حوافرها فلا تستطيع الحركة .

سلمان : لله درك يا عاصم .. هذا والله هو القول الفصل .

سعد : من يبدأ ويحمى لنا الغراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟

عاصم : أنا وكتيبة الأهوال .

سعد : بوركت يا عاصم وبوركت كتيبتك ! .

عاصم : فإذا رأيتمونا على الغراض فليعبر القعقاع بكتيبته الخرساء ثم ليعبر الأمير وبقية المسلمين .

سعد : ادع لنا يا هاشم ليستمعوا إلى .

هاشم : (**ينادى**) يا معشر المسلمين تعالوا تعالوا . إن أميركم يريد أن يخطبكم .

سعد : الحمد لله على ما أنعم وهدى ، والصلاة والسلام على من أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، أما بعد . أيها المسلمون إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر . فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فيناوشونكم فى سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم . وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد

العدو بنياتكم قبل أن تحصدكم الدنيا.ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فماذا ترون ؟

الجميع : عزم الله لنا ولك على الرشد ! . اقطعه ونحن معك ! . نحن معك يا سعد حيثما تريد وأينما تسير !!

(ستـــار)

المشهد الخامس

إيوان كسرى بالمدائن .

غرفة فى جناح يزدجرد تطل على دجلة .

يرى يزدجرد كثير الحركة يدخل ويخرج ويقوم ويقعد لا يستقر على حال من القلق .. وعنده بوران وفرخزاد وأمامه أمير أذربيجان من أمراء الأقاليم .

يزدجرد : أهذا كل نصركم لى ؟ أتتخلون عنى أحوج ما أكون إليكم ؟

الأمير : مولاى ، إن أذربيجان بعيد ، ولا آمن أن يكون بها كون وأنا لا أعلم ..

يزدجرد : هذه عليك لا لك .. إن الخطر هنا على الضفة الثانية للنهر .. فأين منه أذربيجان .. ؟

الأمير : إنك قد أذنت لأمير كرمان وهى أبعد من أذربيجان .

يزدجرد : ماذا أصنع ؟ ما أذنت لأمير كرمان إلا كرها منى . كلكم يريد الفرار إلى مسقط رأسه لتتركونى أقاتل هؤلاء الأجلاف وحدى .

الأمير : إنى أعدك وعدا صادقا يا شاهنشاه لأعودن إليك .

يزدجرد : بعد أن يستولى العدو على العاصمة ؟

الأمير : كلا يا مولاى هذا النهر سيبقى فى مده هذا أكثر من شهرين . وسأعود أنا قبل مضى الشهرين .

يزدجرد : إنك انتحلت الأعذار وأنت أمامى ، أفلا تنتحلها وأنت عنى بعيد ؟

الأمير : أقسم بالشمس وأقسم بالناس وأقسم بالماء لأعودن إليك قبل هبوط النهر . (**بعد صمت يسير**)

يزدجرد : يخيل إلى أنك صادق أمين .. فهل لك أن تحمل معك بعض كنوز التاج ، ليكون وديعة عندك ، حتى تنجلى هذه الغمة عن فارس .

الأمير : حبا وكرامة يا شاهنشاه ، وإن شئت قدمتها لبيت النار الأعظم هناك . إن جدودك من ملوك ساسان كانوا يحجون إليه ، ويقدمون إليه الهبات والنذور فى الأزمات .

يزدجرد : النصر أولا ثم النذر .

الأمير : بل النذر أولا ثم النصر .

يزدجرد : على أن يكون التسليم بعد النصر .

الأمير : هكذا دائما يكون النذر .

يزدجرد : نذرت هذه الكنوز لبيت النار إن انتصرت على العرب .

الأمير : لتنصرن عليهم ببركة آذرخوش كما انتصر جدك كسرى الثانى على بهرام جوبين لما نذر لهذا المعبد المقدس .. ائذن لى يا مولاى .

يزدجرد : يا حاجب اخرج مع الأمير إلى الخازن ليسلمه الصناديق التى عنده .

الحاجب : سمعا يا مولاى ..

(**يخرج ويخرج الأمير معه**)

بوران : ما هذا الذى فعلت يا شاهنشاه ؟ طفقت تلومه على الرحيل ثم إذا أنت تعطيه كنوز التاج ليحملها معه !

يزدجرد : وأى بأس فى ذلك ؟ أنبته لأنه أراد أن يتخلى عنى ، وإذ لم أقدر على منعه من الرحيل كلفته أن يحفظ لى هذه الكنوز بعيدا عن الخطر .

بوران : يا ابن أخى . إن ملك آل كسرى أثمن من هذه الكنوز ، فإذا ذهب ملك آل كسرى فلا قيمة لهذه الكنوز .

يزدجرد : إنى أحفظ هذه الكنوز لأحفظ ملك آل كسرى .

بوران : بل كان هذا أول الوهَن . لقد صار كل قائد من قوادك لا هم له إلا تهريب أمواله ونسائه وأولاده من العاصمة .

يزدجرد : تبا لهم من خونة !

بوران : رأوك تصنع ذلك ، فاقتدوا بك ، ورآهم أهل العاصمة فاقتدوا بهم .

يزدجرد : ويل لهم . أيعدون نساءهم وأولادهم مثل نسائى وأولادى ؟

بوران : كل امرئ يعد عياله أعز ما فى الوجود .

يزدجرد : لكن أولادى أولاد كسرى ، فإذا ذهب آل كسرى ذهبت الأمة .

بوران : يا ابن أخى كانت الأمة تعتقد ذلك فيما مضى ، أما الآن فوا أسفاه قد انهارت هذه العقيدة .

يزدجرد : انهارت ؟

بوران : كان علينا نحن آل كسرى أن نضرب لهم مثلا عاليا فى الشجاعة والتضحية والثبات ونكران الذات . إذن لحاطونا بقلوبهم ، وفدونا بمهجهم وأرواحهم . أما وقد رأونا نحرص على أموالنا دون أموالهم ، ونخاف على نسائنا وأولادنا دون نسائهم وأولادهم ، فقد تحطم الرمز أمام أعينهم ، وفقدوا الإيمان به ، وأصبح كل منهم يقول نفسى نفسى . ولن يمضى غير قليل حتى تخلو العاصمة من أهلها فلا يبقى فيها منهم أحد .

يزدجرد : لأصدرن اليوم أمرا أمنع الناس من الرحيل .

بوران : إذن يزدادوا سَخَطا عليك ، ويكونوا كالهِرَّة إذا أغلقتَ عليها الأبواب لتضربها ، فإنها تهب فى وجهك .

يزدجرد : فما الحيلة يا عمة ؟ ماذا أصنع ؟

بوران : ماذا ترى أيها الوزير ؟

فرخزاد : ليس ذلك غير سبيل واحد قد يعز على شاهنشاه أن يسلكه .

يزدجرد : ما هو ؟

فرخزاد : لو أرسلت إلى أهلك وأولادك وحاشيتك ، ليعودوا إلى العاصمة فى وضح النهار ، حتى يراهم الجميع ، فتطمئن النفوس ، ويزول عنها الهلع والروع .

الحاجب : (**يدخل مهرولا ويصيح فى رعب**) مولاى ! . مولاى ! .

يزدجرد : ما خطبك ؟ ماذا دهاك ؟

الحاجب : العرب يقطعون دجلة !!

يزدجرد : على سفن ؟ من أين ؟

الحاجب : اتخذوا خيولهم سفنا لهم .

يزدجرد : ماذا تقول ؟ أجننت يا رجل ؟

الحاجب : انظر يا مولاى بنفسك (**يرفع الستائر عن الشباك المطل جهة النهر**) .

(**ينهض يزدجرد وبوران وفرخزاد فينظرون من الشباك فيرتدون فزعين**)

يزدجرد : إننا لا نقاتل إنسا بل جناً . هؤلاء جنٌّ لا إنس ؟

فرخزاد : ائذن لى يا مولاى (**يهم بالخروج**) .

يزدجرد : إلى أين ؟ أتريد أن تهرب ؟

فرخزاد : أنا نازل إلى الجنود لأتفقدهم يا مولاى ..

بوران : مر الرماة أن يحصدوهم بالسهام .

(**يهم فرخزاد بالخروج**)

يزدجرد : (**يستوقفه**) انتظر .. ماذا لو عملت برأيك وأعدت أهلى وأولادى ؟

بوران : دعه يا ابن أخى يقم بواجبه .

(**يخرج فرخزاد**)

يزدجرد : ونحن ماذا نصنع هنا يا عمة ؟

بوران : سنبقى لنذير المعركة ويلتف حولنا الناس .

يزدجرد : دعى المعركة لوزيرنا ولقوادنا .

بوران : سنراقب وزيرنا وقوادنا .

يزدجرد : فيم يا عمة ؟ ألا نثق بهم ؟ أتشكين فى إخلاصهم ؟

بوران : إن إخلاصهم تبع لإخلاصنا ، إن أخلصنا أخلصوا وإلا فلا ..

يزدجرد : انظرى يا عمة . إنهم ليقدمون على خيولهم .. أين رماتنا الذين سيحصدونهم بالسهام ؟

بوران : لا شك أنهم على الشاطئ ينتظرون اقتراب العدو ليرموه .

يزدجرد : لكنى لن أنتظر حتى أقع أسيراً فى أيديهم .. هلمى بنا نهرب .

بوران : كلا لن أبرح هذا القصر أبدا ..

يزدجرد : أتريدين أن تقعى أسيرة فى أيدى العرب ؟

بوران : لا تخف .. إن عندى ما يحرزنى من أسرهم .

(تشير إلى خاتمها)

يزدجرد : السم بداخله ؟

بوران : نعم .

يزدجرد : اعذرينى يا عمة .. لا أستطيع أن أصنع مثلك . عندى زوجتى وأولادى . سألحق بهم فى حلوان .

بوران : إن كنت مصراً على الهرب فتنكر فى زى خادم أو فلاح حتى لا تضعف قلوب الناس بفرارك .

يزدجرد : صدقت يا عمة .. ولئلا يطّرد العرب فى أثرى إذا علموا أننى هربت ! . آه ليتنى بدأت فى تهريب ما فى الخزائن من زمن بعيد . إذن لسلمت هذه الأموال والكنوز لفارس .

(**ينادى**) زادويه .. زادويه .

صوت : لبيك يا مولاى . (**يدخل زادويه**) .

يزدجرد : هل جوادى معد ؟

زادويه : معد يا مولاى على الدوام .

(**يخرج**)

يزدجرد : وداعا يا عمتى بوران !

بوران : وداعا يا يزدجرد !

يزدجرد : وإلى اللقاء يا عمة !

بوران : إلى اللقاء يا ابن أخى (**يخرج يزدجرد**) . يا آخر ملوك ساسان !

(ستـــار)

المشهد السادس

نفس المنظر كما فى المشهد الرابع .

سعد ورجاله ينظرون ناحية النهر فى قلق واهتمام .

سلمان : الله أكبر ! نبال العدو تساقط عليهم كالمطر ولم يصب منهم أحد !

سعد : لله در عاصم إذ علمهم كيف يتقونها بالتروس من يمين وشمال .

صوت : (**من خارج المسرح**) ما أغبى هؤلاء الفرس . لو توخَّوا بنبالهم صدور الخيل فى الماء لما أغنت التروس عن المسلمين شيئا .

سعد : اسكت . اسكت ! اسكت الله نأمتك . هذه كلمة أجراها الشيطان على لسانك . إن الله قد أعماهم عن ذلك .

سلمان : انظروا . إنهم نزلوا يسبحون بخيولهم أيضا ليلاقوا جماعة عاصم .

القعقاع : آن لى يا سعد أن أعبر بالكتيبة الخرساء لنجدة عاصم فهل تأذن ؟

سعد : اعبر يا قعقاع بكتيبتك .. خوضوها سالمين إن شاء الله

القعقاع : (**يخرج ثم يسمع صوته**) باسم الله توكلوا يا أبناء الكتيبة الخرساء لا تخافوا فكلما كثر عدد الخيل التى تخوض اللجة ألف بعضها بعضا ، فقل فزعها واطمأن جأشها . هيا . باسم الله .

سعد : انظر يا سلمان . إنها أيسر سباحة من خيل عاصم .

سلمان : ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر. أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا أفواجا .

سعد : ما أعجب إلا من هذين الفارسين التميميين .. لكأنما أوتيا منطق الخيل .

سلمان : انظر يا سعد . اقتربت خيل العدو من خيل عاصم .

عاصم : (**صوته من بعيد**) الرماح الرماح يا قوم اشرعوها وتوخوا العيون ، عيون الخيل !

سعد : هذا صوت عاصم !

سلمان : التحم القتال بين الفريقين .

سعد : عجبا لكأنما يقتتلون على البر .

سلمان : الله أكبر ! نفرت خيول العدو وتتبعها خيول عاصم .

سعد : الله أكبر !. صعد عاصم ومن معه الشط ! (**تسمع تكبيرة المسلمين من الضفة الثانية فيكبر سعد ومن معه**) أيها المسلمون قد استولى عاصم على الفِراض والقعقاع من ورائه ، فلنتوكل على الله ولنعبر كما عبروا إن شاء الله سالمين .

(ستـــار)

المشهد السابع

نفس المنظر كما فى المشهد الخامس
بوران وشيرين فى قلق وحيرة .

بوران : شيرين يا أختاه أناشدك بالحب الذى بيننا إلا فررت من هنا ونجوت بنفسك .

شيرين : لا أستطيع أن أتركك وحدك .

بوران : هذه رحلة لا يمكن أن يقطعها المرء إلا وحده يا شيرين !

شيرين : لا حق لك يا بوران أن تقتلى نفسك .

بوران : يا ويلتنا أو قد أصبحت لا أملك حتى نفسى ؟

شيرين : إن الذى يملك نفسه لا يقتلها .

بوران : إنى لن اقتلها كما تظنين ، وإنما أحررها من أسر هذه الحياة . لقد سئمتها كلها يا شيرين . إن الأحبة قد ذهبوا فما بقائى بعدهم ؟

شيرين : (**كالمتجاهلة**) إنهم هربوا إلى حلوان . وفى وسعك أن تلحقى بهم .

بوران : كلا لست أعنى أولئك الذين هربوا من عز الممات إلى ذل الحياة ، بل أعنى الذين هربوا من ذل الحياة إلى عز الممات !

شيرين : فى القادسية ؟

بوران : نعم .

شيرين : لكنك عشت من بعدهم وجاهدت طويلا وكافحت .

بوران : كان عندى أمل بعد فى النصر .

شيرين : واليوم ؟

بوران : اليوم ضاع الأمل .

شيرين : فيم يا بوران ؟ إن سقط السواد فى أيدى العرب فقد بقيت بلاد إيران كلها لم تمس .

بوران : أنت أول من تعلمين يا شيرين أنها لن تلبث طويلا حتى تسقط فى أيديهم كذلك .. من ذا يستطيع أن يحميها من عمر ؟

شيرين : أنت يا بوران تستطيعين لو شئت .

بوران : كيف ؟

شيرين : إنى لأعلم أن التوسع ليس من سياسة عمر ، وإنه ليود لو أن بينه وبين فارس سدًّا من نار لا يخلص إليها ولا تخلص هى إليه .. فلو أعلنت إسلامك اليوم لحفظت بقية البلاد وربما حفظت العاصمة أيضا .

بوران : بعدما احتل المسلمون الفِراض الذى على النهر ؟

شيرين : لو أعلنت إسلامك الآن فأنا كفيلة لك أن يتركوا الفِراض ، ويعودوا إلى أميرهم وبقية جيشهم فى الضفة الثانية .

بوران : أما من سبيل إلى الحفاظ على بلادنا إلا بالخروج من ديننا ودين آبائنا .

شيرين : فصالحيهم إذن على الجزية .

(تدخل مشكدانة وهى جزعة)

مشكدانة : مولاتى ! .. مولاتى .

بوران : ما خطبك يا مشكدانة ؟

مشكدانة : النهر يا مولاتى النهر !

بوران : ما باله ؟

مشكدانة : امتلأ خيلا فأصبح لا يرى ماؤه !

(تتوجه بوران وشيرين ناحية الشرفة فتطلان)

شيرين : هذا جيشهم كله يخوض النهر !

بوران : ما رأيت أعجب من هؤلاء !

شيرين : ذلك الإيمان يا بوران يصنع المعجزات .

مشكدانة : هيا يا مولاتى أسرعى بالرحيل .

بوران : إلى أين يا مشكدانة ؟

مشكدانة : إلى أى مكان .. بعيداً عن هؤلاء ..

بوران : هيهات يا مشكدانة ليس من هؤلاء عاصم إلا الموت ..

مشكدانة : فلنرحل إلى حلوان حيث نزل مولاى شاهنشاه ..

بوران : اذهبى إذن فاجمعى ما يمكنك جمعه من ثيابى وحليى لنرحل به ..

مشكدانة : حباً يا مولاتى وكرامة .. (تخرج)

بوران : أصغى إلى يا شيرين . أنت ذاهبة إلى الأهواز ؟

شيرين : نعم عند أخوالى هناك .

بوران : أنا حدثتك عن الشيخ بهمن راهويه الذى عهدت إليه بتربية فيروز ؟

شيرين : نعم .

بوران : هذا سر لا يعرفه من الأحياء غيرك وغيره ، فيخفى عليك يا شيرين.اذهبى إليه فبلغيه تحيتى ثم قبلى الطفل عنى . الطفل ؟ لا بد أنه اليوم صبى جميل فى الثانية عشرة من عمره . ترى يشبهنى أم يشبه أباه ؟ قبليه عنى يا شيرين وألبسيه هذا الخاتم خاتم أبيه رستم . (**تناولها الخاتم**)

شيرين : هل أقول للشيخ بهمن شيئا يا بوران ؟

بوران : نعم . قولى له إن شاء أن يخبر فيروز بأهله الآن فليفعل لعل ذلك يدفعه إلى معالى الأمور . (**تعالج خاتمها لتفتحه**) وداعا يا شيرين .

شيرين : رويدك يا بوران . لم لا ترحلين إلى حلوان خيرا لك ، لعل امرأ يحدث مما لا يخطر لك على بال ؟

بوران : كلا لا مناص من الموت يا شيرين . لا أريد أن أذل عند العرب ، ولا عند الدهاقين وأمراء الأقاليم .. أنا ابنة كسرى لا أموت إلا عزيزة كريمة (**تبلع مسحوق السم من خاتمها فتتلوى من الألم وتتحامل حتى تدنو من سرير فى أحد الأركان فترتمى عليه وتموت**) .

شيرين : (**تعول باكية**) بوران ! . بوران ! . واحسرتاه عليك يا بوران !

مشكدانة : (**تدخل مسرعة فى اضطراب**) ما خطب مولاتى ؟ ماذا بها ؟ (**تحركها**) مولاتى .. مولاتى .. (**تنظر إلى خاتم بوران المفتوح فتعول بالبكاء**)

شيرين : (**تقبل جبينها ثم تسجّيها بثوب**) دعينا يا مشكدانة نحملها إلى مخدعها فلا ينبغى أن تبقى هنا يراها كل ناظر (**تحملان الجثة إلى داخل المخدع**) .

(**يدخل الحاجب فيقف على باب المخدع**)

الحاجب : (**لا يعلم أن بوران قد ماتت**) مولاتى ، يقول لك فرخزاد للمرة الأخيرة إن القتال قد بدأ يدور حول القصر ، فإن لم تهربى الآن من الباب السرى فلن تهربى أبدا . مولاتى . أنائمة هى ؟

شيرين : نومتها الأخيرة ! .

الحاجب : يا ويلتا أوَقد ماتت بوران ؟

شيرين : نعم إنها هربت إلى حيث لا يقدر عليها أحد . ولكن خذنى معك وهربنى .

الحاجب : حبا وكرامة ، هلمى أسرعى قبل أن يحيط العدو بالقصر ..

شيرين : هلمى يا مشكدانة ..

مشكدانة : إلى أين ؟

شيرين : إلى الأهواز .. سننزل عند أخوالى الأمراء هناك ..

مشكدانة : كلا لن أترك مولاتى أبداً ..

شيرين : مولاتك قد تركتك وتركت الدنيا كلها .

مشكدانة : لكنى لن أتركها أبدا ..

شيرين : وداعا يا مشكدانة .. أنا راحلة قبل أن يحيطوا بالقصر .

(**تخرج ويخرج خلفها الحاجب**)

مشكدانة : (**صوتها من داخل المخدع**) مولاتى العزيزة ليتك تركت لى شيئا من السم فأجرعه وأموت معك . ما أهون الحياة من بعدك ! (**يدخل الرُّفيل والمعنى متسللين وهما شاهران سيفيهما**) .

الرفيل : هيه من هناك ؟ اخرجوا ولكم الأمان . عجبا لا أحد هنا . أوَقد هربوا جميعا ؟ (**تظهر مشكدانة على باب المخدع**) مشكدانة !

مشكدانة : الرفيل !

الرفيل : أين مولاتك بوران ؟

مشكدانة : (**باكية**) على سريرها جثة هامدة .

الرفيل : قتلت نفسها ؟

مشكدانة : نعم .

المعنى : وشيرين أين هى ؟

مشكدانة : أنت زوجها العربى ؟

المعنى : نعم أين هى ؟

مشكدانة : قد رحلت يا سيدى ..

المعنى : إلى أين ؟

مشكدانة : لا أدرى يا سيدى ..

المعنى : ومتى رحلت ؟

مشكدانة : اليوم يا سيدى فى الصباح ..

(**يتقدم الرجلان نحو الباب فيدخلان رأسيهما كأنما يريدان أن يتأكدا من صحة ما روته مشكدانة**)

المعنى : لأطردن فى أثرها يا رفيل لعل الله يظفرنى بها .

الرفيل : خذنى معك .

المعنى : بل تبقى أنت لعل أمير الجيش يحتاج إليك (**يخرج**)

(يسمع حس جماعة قادمين)

مشكدانة : (**فى ارتياع**) يا ويلتا إنهم صعدوا القصر .

الرفيل : لا تراعى يا مشكدانة . لا خوف عليك .

مشكدانة : إنما أخاف على جثمان مولاتى ..

الرفيل : نحن المسلمين نحترم الموتى فاطمئنى .

مشكدانة : هل لك يا رفيل أن تكلم أمير جيش العرب ليأذن لنا بدفنها عند آبائها وعلى سنتهم ؟

الرفيل : لك على ذلك .. ادخلى الآن عند مولاتك وأوصدى الباب عليك .

(تخرج مشكدانة وتوصد الباب)

(يدخل سعد وسلمان فى نفر من المسلمين فيهم ضرار بن الخطاب)

ضرار : (**هاتفا فى إعجاب**) الله أكبر ! . هذا أبيض كسرى ! . هذا ما وعدنا الله ورسوله ! .

سعد : صدقت يا ضرار ..

سلمان : ألا تصلى بنا يا أبا إسحاق صلاة الشكر ؟

سعد : أجل لنصلين صلاة الشكر فى الإيوان الكبير .

سلمان : وسط التصاوير والتماثيل ؟

سعد : هى للزينة يا أبا عبد الله أم للعبادة ؟

سلمان : بل للزينة .

سعد : فلا بأس إذن أن نتخذه مصلى .. ﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ .

(ستار)

المشهد الثامن

فى مسجد رسول الله بالمدينة .

عمر فى جماعة من المسلمين فيهم طلحة وابن عوف وعلى وعثمان والزبير . وأمام عمر بشير بن الخصاصية وكلاب بن أمية بن الأكسر الكنانى .

عمر : كيف رأيتم أبيض كسرى يا بشير ؟

بشير : رأيناه يا أمير المؤمنين يفوق الخيال ، ويعجز الوصف ، وإن الذى بداخلـه لأجمل وأروع . وبحسبك يا أمير المؤمنين أن ترى هذا القطيف الذى جئنا به .

عمر : صدقت يا بشير .. بحسبنا ذلك القطيف . لكأنه حين تبسطه روضة غناء مزهرة ! .

بشير : أجل يا أمير المؤمنين ، هذا بساط كان كسرى يعده للشتاء إذا ذهبت الرياحين ، فكان إذا أراد الشرب مع ندمائه شربوا عليه ، فكأنهم منه فى رياض ذرعها ستون فى ستين ! .

عمر : لقد جاءنا قبلك حليس بن فلان الأسدى بالفتح ، وحدثنا بالمعجب المغرب حتى لم نكد نصدقه ، فإذا هذا الذى أحضرته معك يا بشير أعظم من كل ما سمعناه وتصورناه ، والله إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة .

علي : إنك عففت يا أمير المؤمنين فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعت .

بشير : أجل يا أمير المؤمنين لقد سمعت سعد بنماللك يقول : لولا ما سبق لأهل بدر لقلت إنهم على فضل أهل بدر .

كلاب : وأنا يا أمير المؤمنين سمعت جابر بن عبد يقول : والله الذى لا إلـٰه إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، فلقد اتهمنا ثلاثة نفرهم طليحة بن خويلد وعمرو بن معدى يكرب وقيس بن المكشوح ، فما رأينا كأمانتهم وزهدهم .

عمر : هيه يا كلاب بن أمية . تعال ادن منى ، (**يزحف كلاب حتى يجلس قريبا من عمر**) أسلَم ، يا أسلَم ! .

أسلم : لبيكُ يا أمير المؤمنين ..

عمر : انطلق إلى الشيخ أمية بن الأسكر فى دار الضيافه وقل له أجب أمير المؤمنين .

أسلم : سمعا ياْ أمير المؤمنين .

(**يخرج**)

كلاب : أهو هنا بعد يا أمير المؤمنين ؟ لقد ظننته رجع إلى بلده .

عمر : أنا استبقيتهما بالمدينة حتى تجىء أنت فتعود بهما إلى الطائف

كلاب : أبى وأمى ؟

عمر : نعم .

كلاب : ما كنت أظنها جاءت معه ، كنت أظنه جاء وحده ..

عمر : أبشر فستلقى أبويك اليوم إن شاء الله .

كلاب : لولا تركتنى أسعى إليهما يا أمير المؤمنين ؟

عمر : كلا يا كلاب ألاَّ يغلبهما الفرح فيؤذيهما أو يذهب برشادهما .

كلاب . : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين .

عمر : هل بلغك فرط ما قلق أبوك عليك ؟

كلاب : أجل يا أمير المؤمنين ، لقد تغنت الركبان ببعض شعره فسمعته .

عمر : لمن شيخان قد نشدا كلابـــا
كتـــاب الله لو قبــــل الكتابــــا

كلاب : أبِــرّاً بعــد ضيعــة والديــه
فلا وأبى كلاب ما أصابـــــــا

عمر : تركت أبــــاك مرعشة يداه
وأمك ما تسيـــــغ لها شرابـــــا

كلاب : إذا نعب الحمــام ببطــن وجٍّ
على بيضاتـــه ذكـــرا كلابـــا !

عمر : إن لأبيك لابنا آخر ؟

كلاب : أجل يا أمير المؤمنين هو أكبر منى سنًّا .

عمر : ولكن أباك لا يحبه حبه إياك .. .

كلاب : ذلك لأنى كنت أبره يا أمير المؤمنين جهد ما أستطيع ..

عمر : ما بلغ من برك بأبيك ؟

كلاب : كنت أوثره وأكفيه أمره ، وكنت إن أردت أن أحلب له لبنا ، أجيء إلى أغزر ناقة فى إبله ، فأريحها وأتركها حتى تستقر ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلب له فأسقيه .

عمر : زه زه ، لا غرو إذن أن يفتقدك ، هذا يرفأ غلامى فاذهب الآن معه إلى إبل الصدقة فاحلب لأبيك كما كنت تفعل لتقدمه إليه إذا حضر .

كلاب : حبا وكرامة يا أمير المؤمنين .

(يخرج مع يرفأ)

ابن عوف : ذاك الشيخ أمية بن الأسكر قد أقبل يا أمير المؤمنين .

عمر : لا يخبرنه أحد بمكان ابنه حتى أكون أنا الذى أخبره .

(يدخل أمية شيخا هِمّا ضعيف البصر يقوده أسلم حتى أجلسه بقرب عمر)

أمية : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا شيخ كنانة ورحمة الله .. كيف أنت يا أبا كلاب ؟

أمية : كما ترى يا أمير المؤمنين ما ضعف من بصرى لم يرجع ، وما تقوس من ظهرى لم يستقم ، وما ارتعش من يدى لم يستقر .

عمر : ما أحب الأشياء إليك يا أبا كلاب ؟

أمية : يا أمير المؤمنين ما أحب اليوم شيئا ، ما أفرح بخير ولا يسوءنى شر .

عمر : بل على ذلك يا أبا كلاب أما تشتهى من شىء ؟

أمية : بلى .. كلاب ابنى أحب أنه عندى فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت !

عمر : (**يغالب عبرة تترقرق فى عينيه**) بلغنى يا أبا كلاب أنك تستجيد لبن النياق ..

أمية : يا أمير المؤمنين ما أصبح للبن مذاق عندى بعد كلاب .

عمر : فإنى قد أمرت أن يحلب لك من أجود إبل الصدقة وأغزرها لتشربه عندى تكرمة لك .

أمية : يا أمير المؤمنين أراك حفيا بى اليوم ، فأخشى أن تكون إنما تريد مواساتى وتعزيتى فى ... (**ينتحب**) .

عمر : لا والذى نفسى بيده ما جاءنى عن كلاب إلا الخير والعافية .

أمية : هو فى خير وعافية والشيخان أبواه فى كرب وبلاء ! . أما آن لك يا أمير المؤمنين أن تعيده إلى أبويه ؟

عمر : ألست أنت القائل يا أمية :

سأستعدى على الفاروق ربا
له دفع الحجيج إلى بُساق

إن الفاروق لم يردد كلابا
على شيخين هامهما زَواقى ؟

أمية : هبها لى يا أمير المؤمنين فوالله ما ملكت قولها ، وما أردتها أن تبلغك .

عمر : لا عليك يا أبا كلاب قد وهبتها لك .

(**يظهر يرفأ وكلاب**) (**يومئ لكلاب أن يجلس ناحية**) جئت يا يرفأ بقعب اللبن لأبى كلاب ؟

يرفأ : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : هاته (**يأخذ القعب من يرفأ**) خذ يا أبا كلاب اشربه هنيئا مريئا .

أمية : جزيت خيرا يا أمير المؤمنين **(يشرب جرعة ثم يكف)**

عمر : ما خطبك يا أبا كلاب ؟ ألم يعجبك اللبن ؟

أمية : بلى يا أمير المؤمنين ، ما ذقت مثله منذ عامين ، والله إنى لأشم رائحة يدى كلاب فى هذا القعب من اللبن !

عمر : فإن كلابا هو الذى حلبه لك .

أمية : أحقا يا أمير المؤمنين ؟ أين هو ؟

عمر : هو ذا عندك جئناك به .

(يدنو منه كلاب فيتعانقان وهما يبكيان)

أمية : يا أمير المؤمنين حرج على كلاب أن يتركنا مرة أخرى .

كلاب : يا أبت لا تحرمنى فضل الجهاد ولا شرفه .

عمر : الزم أبويك يا كلاب فجاهد فيهما ما بقيا .. ثم شأنك بنفسك بعدهما .

أمية : فاشهدوا يا معاشر المسلمين على ما قضى به أمير المؤمنين ..

عمر : يا عثمان اكتب إلى الآفاق ألا يغزو من كان له أب شيخ أو أم كبيرة إلا بعد أن يأذن له أبوه أو أمه .

عثمان : سأفعل يا أمير المؤمنين .

(يهم أمية وابنه أن ينصرفا ولكنهما يهابان ذلك فيجلسان)

طلحة : يا أمير المؤمنين إن الناس ليشتهون أن يروا ثياب كسرى وتاجه وسواريه وسيفه ومنطقته .

عمر : أخشى إن عرضت عليهم أن يتجاذبوها فتتقطع فى أيديهم

علي : إن شئت يا أمير المؤمنين التمسنا لك رجلا يكون على قد كسرى ليرتديها فيراها الناس عليه .

عمر : هذا حسن يا أبا الحسن ، ابغونى ذلك الرجل .

ابن عوف : (**ينهض فينشر سراويل كسرى**) يا معاشر المسلمين أيكم يرى هذه السراويل على قده فليتقدم إلى .

(**يتقدم له رجل فيقيس السراويل عليه**)

عمر : كلا نريد أطول من هذا وأجسم .

(**يتقدم سراقة بن مالك فيقيس ابن عوف السراويل عليه**)

ابن عوف : هذا على قد كسرى يا أمير المؤمنين .

عمر : إى والله . انتحوا به ركنا فاخلعوا هذه الأشياء عليه .

(**يحمل عثمان وابن عوف أشياء كسرى ناحية فى المسجد ويتبعهما سراقة حيث يغيبون**) .

عمر : (**يلتفت إلى أمية وابنه**) لا تبتئس يا كلاب فقد كتب الله لك أجر الجهاد ، وكتب لأبيك أجر الصبر إن شاء الله وأنت يا أبا كلاب .

أمية : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ألا يرضيك أن ابنك ممن فتحوا مدائن كسرى وأفاءوا على المسلمين هذه الغنائم والكنوز ؟

أمية : بلى يا أمير المؤمنين الآن يرضينى ذلك . (**يعود سراقة وقد ارتدى ثياب كسرى ولبس تاجه وسواريه وخفيه واتشح بسيفه ومنطقته**)

عمر : امش بين الصفوف يا سراقة وأقبل وأدبر حتى يراك الناس جميعا .. انظروا أيها الناس .. أعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه ! .

المسلمون : (**بصوت واحد**) الله أكبر !! الله أكبر !! (**يمشى سراقة بين صفوف المسلمين مقبلا تارة ومدبرا أخرى والعيون تنظر إليه**)

عمر : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا . الحمد لله الذى سلبها كسرى بن هرمز الذى كان يقول أنا رب الناس ، وألبسها سراقة بن مالك أُعَيْرابِيّاً من بنى مُدلج .
(**ينشج سراقة باكيا**) ويحك يا سراقة ماذا يبكيك ؟ والله ما أردت أن أضع منك أو أصغر من قدرك ، وإنما أردت أن أذكر نعمة الله إذ أدال للمستضعفين من الجبارين ، وسوى بين الناس فلا ملوك ولا سوقة .. رب يوم يا سراق بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفا لك ولقومك .

سراقة : يا أمير المؤمنين ما بكيت والله من جرَّاء ما ذكرت .. وإنما ذكرت كلمة سمعتها من فم رسول الله ﷺ ففاضت عيناى .

عمر : حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ .

سراقة : كان ذلك يوم انطلقت فى أثره ، وهو مهاجر إلى المدينة ، لأدركه فأنال الجائزة التى جعلتها قريش لمن يقبض عليه حيا أو ميتا ، فلما ساخت قوائم فرسى فى الأرض وناديته أن

يقيلني فأقالني ، سمعته حينئذ يقول لى كأنني أسمعه الآن : (كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه؟)

عمر : الله أكبر ! صدق رسول الله ﷺ ! . طوفوا بسراقة على حاله هذا فى طرق المدينة ليراه الناس .. ويشهدوا معجزة نبيهم ﷺ . **(يخرج سراقة يكتنفه على وطلحة والزبير كأنهم يحرسونه ويخرج خلفهم سائر من كانوا فى المسجد ويبقى عمر فى نفر قليل فيهم ابن عوف)** . **(تتعالى أصوات التكبير خارج المسجد من كل ناحية ثم تبتعد شيئا فشيئا حتى لا تسمع)** . ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ . اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نحب ما زينته لنا . اللهم إنى أسألك أن أنفقه فى حقه .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين كيف تصنع بهذه الجواهر والنفائس ؟

عمر : أقسمت عليك يا ابن عوف لما بعتها جميعا ثم قسمت قيمتها قبل أن تمسى .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين هذا متاع نفيس لا ينبغى أن يباع على عجل ، فأمهلنى بضعة أيام حتى لا أبيعه بيع السماح .

عمر : كلا لا تبيت عندى هذه الوديعة ليلة واحدة ..

ابن عوف : فاجعلها وديعة عندى إلى أن أبيعها .

عمر : جزيت خيرا يا ابن عوف (**يترقرق الدمع فى عينيه**) .

ابن عوف : مالى أراك تبكى يا أمير المؤمنين وهذا يوم عز للمسلمين ينبغى فيه الفرح ؟

عمر : إنى أخاف على المسلمين من هذه الدنيا يا ابن عوف .

ابن عوف : هذه مشيئة الله يا أمير المؤمنين لا راد لمشيئته .

عمر : وأخاف كذلك على نفسى .

ابن عوف : تخاف على نفسك من الدنيا أن تفتنك ؟

عمر : بل أخاف ما هو أكبر من ذلك . إن لى صاحبين سلكا طريقا فإن خالفتهما خولف بى .

ابن عوف : طب بالا يا أمير المؤمنين فإنك لعلى نهجهما تسير .

عمر : لكنى أخشى ألا ألحقهما يا ابن عوف ألم تر كيف زوى الله الدنيا عن نبيه ﷺ ، وكان أحب إليه وأكرم عليه منى . ثم زواها عن أبى بكر ، وكان أحب إليه وأكرم عليه منى ، ثم فتحها لى فأخشى والله أن أكون مستدرجا وأنا لا أعلم . والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكا قد ورطت فى أمر عظيم .

ابن عوف : إن بينهما لفرقا يا أمير المؤمنين وإنك إن شاء الله لعلى خير .

عمر : كيف ؟

ابن عوف : الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق ، فأنت

بحمد الله كذلك ، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا
ويعطى هذا .

عمر : اصدقنى يا ابن عوف ..

ابن عوف : قد فعلت يا أمير المؤمنين .

عمر : إنى أرجو أن أكون كما تقول وإنى بعد لعلى خوف عظيم .

« ستـــار »

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥

الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

مَكيدَة مِنْ هِرقل

ملحمة عمر

مَكيدَة مِنْ هِرَقل

علي احمد باكثير

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

القصر الكبير بالقسطنطينية .
بهو كبير يتصل برواق لا يظهـــــر فى المسرح.ترى الإمبراطورة مارتينة وهى تتحدث إلى جبلة بن الأيهم فى ركن من البهو.

مارتينة : إنها تحبك يا جَبَلة وهذا يكفيك .

جبلة : كلا يا مولاتى القيصرة .. كل فتاة تستطيع أن تظهر مثل هذا الحب لمن تشاء إذا شاءت .

مارتينة : كأنك ترتاب فى صدق حبها لك ؟

جبلة : لست أعنى ذلك ، ولكنى أريـد أن أستوثـق من صدق القيصر فيما وعدنى به .

مارتينة : ما كان ليشجعك على مغازلتها والتجبب إليها لو لم يكن صادق النية فى ذلك ..

جبلة : إنكم يا معشر الروم لسعم مثلنا معشر العرب فى هذا الصدد .

مارتينة : أتعنى أيها العربى أننا لا نحافظ على أعراض بناتنا ؟

جبلة : معاذ الله ، ولكنكم تتساهلون قليلا فيما نتشدد فيه .

مارتينة : أيها الأمير يجب أن تعلم أن هذا زواج سياسى ، وأن غرض القيصر من ذلك أن يضمن لابنته الوحيدة عرشا فى الشام تجلس عليه إلى جانبك .

جبلة : أعلم ذلك يا مولاتى القيصرة .

مارتينة : فعلام تتشكك وتتردد ؟

جبلة : لم لا يعفينى من ذلك الشرط الثقيل ؟

مارتينة : طلاق امرأتك العربية ؟

جبلة : نعم .

مارتينة : مستحيل أن يزوج ابنته لك ما بقيت هذه المرأة فى عصمتك ..

جبلة : إنها أم ابنتى الوحيدة .

مارتينة : تذكر أيها الأمير أن القيصر لا يقدم إليك أيفانيا وحدها ، بل يقدم إليك أيفانيا وملك الشام خالصا لك ولذريتك .

جبلة : ثقى يا مولاتى القيصرة أن سُعدَى امرأتى لن تسامى ابنة القيصر فى مقامها أبدا ولن تنازعها عرش الشام .

مارتينة : إذن فلن تضار كثيراً إذا طلقتها .

جبلة : بلى يا مولاتى القيصرة . إنها تحبنى واخشى إن طلقتها أن تموت كمدا .

مارتينة : لو كانت تحبك حقا وتحب لك الخير لأمرتك هى أن تطلقها حتى يكون لك ملك الشام .

جبلة : وأين منا ملك الشام اليوم ؟

مارتينة : إن كنت ضعيف الثقة فى استرداد الشام من أيدى المسلمين فأمسك عليك امرأتك العربية ، ولا تطمع نفسك فى مصاهرة قيصر الروم .

(تدخل أيفانيا ابنة هرقل)

أيفانيا : معذرة .. هل لديكما حديث خاص ؟

مارتينة : عنك يا أيفانيا يا قرة العين ..

أيفانيا : عنى أنا ؟

مارتينة : عنك وعنه .

أيفانيا : لا تتعبى نفسك يا خالة .. إنه لا يريد أن يخلى لى قلبه ..

جبلة : بلى يا منية النفس يا حياة الروح إن قلبى لك وحدك !

أيفانيا : والتى سكنته قبلى ؟

جبلة : لم يبق لها اليوم محل فيه .

مارتينة : كلا يا أيفانيا .. لا تصدقيه ..

جبلة : أقسم بسحر عينيك !.

أيفانيا : دعنى من سحر لسانك !.

جبلة : انظرى إذن إلى عينى .

أيفانيا : إنهما أيضا ساحرتان ..

جبلة : لكنهما لا تكذبان !

أيفانيا : السحرة دائما يكذبون .

جبلة : أنت إذن أكبر كاذبة فى الوجود ..

مارتينة : على رسلكما .. لا ينبغى أن تتغازلا أمامى ، وإلا تركتكما وانصرفت .

أيفانيا : بل تبقين يا خالة ..

جبلة : لتباركى قلبا إلى قلب يحن !

مارتينة : (**بلهجة جادة**) جبلة .. لا تحاول أن تخدع ابنة القيصر فهى ابنتى .

جبلة : وهل الحب يا مولاتى القيصرة خداع ؟

مارتينة : لو كنت تحبها حقا ما عز عليك فى سبيلها شىء.

أيفانيا : أجل لقد صدقت خالتى القيصرة .

جبلة : صدقينى يا حبيبتى إن قلبى لك وحدك .

أيفانيا : فطلق سُعدَى إذن إن كنت تعنى ما تقول .

جبلة : لو كان بقاؤها فى عصمتى يشغلنى عنك لطلقتها .

أيفانيا : يا حبيبى ألا ترى أنى أحبك ؟

جبلة : بلى .

ايفانيا : فهل ترضى أن يكون لك فِى شريك ؟

(ينظر جبلة إليها فى وجوم)

مارتينة : صَهْ ..هذا القيصر قد أقبل !

(يدخل هرقل بادى الكآبة ، فتخف مارتينة إليه وتأخذ بيده حتى تجلسه على كرسيه بينما يحنى جبلة وأيفانيا رأسيهما تحية له) .

(ينظر هرقل إلى أيفانيا وجبلة مليا دون أن يقول شيئا) .

أيفانيا : كيف أنت يا مولاى القيصر ؟

هرقل : **(كالذاهل عما حوله)** بخير يا بنيتى الحبيبة .

مارتينة : قد وافق جبلة يا مولاى على ما طلبت منه .

هرقل : **(فى شرود)** حقا ؟

مارتينة : نريد يا مولاى أن ننتهى من هذا الأمر حتى نتوجه بكل قلوبنا لحملة استرداد الشام .

هرقل : (**يلتفت إلى جبلة**) هل لك يا جبلة أن تأتيني باثنين من هؤلاء الأسرى العرب يكونان أقربهم قرابة إلى ملكهم عمر .

جبلة : حبا وكرامة يا مولاى القيصر .

هرقل : افهم قولى .. اختر أقربهم جميعا إلى عمر .

جبلة : سأفعل .. إني أعرف أنسابهم جميعا .

(يخرج جبلة وتخرج أيفانيا خلفه كأنها تريد أن تشيعه ويُتبعهما هرقل بصره دون أن يقول شيئا) .

مارتينة : يحبها وتحبه يا مولاى ..

هرقل : (**يتنهد فى أسى**) آه .

مارتينة : ما خطبك يا حبيبى ؟ أما زلت حزينا من أنباء أمس ؟

هرقل : أوليست أنباء فادحة ؟

مارتينة : أنت أكبر من ذلك يا حبيبى القيصر فينبغى أن تتجلد .

هرقل : كيف أتجلد يا مارتينة كيف ؟

مارتينة : كدأبك فيما مضى .. لقد كنت دائما جلدا صبورا .

هرقل : فيما مضى كنت أرمى فما يخطئ لى سهم فأصبحت اليوم أرمى وما من سهم واحد يصيب .. يا إلٰهى أفى يوم واحد أتلقى نبأ هزيمتين ؟

مارتينة : لا تغال يا حبيبى إنما هى هزيمة واحدة ..

هرقل : بل هزيمتان : فى تكريت وجلولاء .

مارتينة : وما شأنك بجلولاء ؟ تلك هزيمة الفرس .

هرقل : نحن والفرس اليوم شيء واحد .. لقد تعاهدنا أن نوجه إلى العدو ضربتنا فى وقت واحد .. فإذا هو يمزقهم فى جلولاء ثم يوقع بنا فى تكريت والموصل .. عشرة آلاف من خيرة جنودنا هلكوا فى تكريت لم يفلت منهم أحد !.

مارتينة : هون عليك .. إنك ما جزعت مثل هذا الجزع على قتلى اليرموك وهم أضعاف هذا العدد .

هرقل : (**يصيح فى توجع**) اليرموك !. اليرموك !. اليرموك !، صيحة الله المدوية !.

مارتينة : صيحة الله المدوية ؟

هرقل : البرهان الذى لا يكذب !

مارتينة : برهان ؟ برهان على ماذا ؟

هرقل : أنت يا مارتينة أجدر الناس أن تعرفى ذلك ..

مارتينة : ماذا تعنى يا مولاى ؟

هرقل : الخطيئة يا مارتينة !

مارتينة : أى خطيئة ؟

هرقل : إنى لأغبطك على ما أنت فيه من راحة الضمير .

مارتينة : لست أفهم ما تقصد ..

هرقل : وعلى ما عندك من القدرة على التجاهل .

مارتينة : مولاى إن كنت لا تريد أن توضح لى ما ببالك فاضرب صفحا عنه ، وخض بنا فى حديث غيره .

هرقل : كل حديث غيره يا مارتينة هين يسير .. إنه وحده الذى يأكل فى القلب كما يأكل الدود فى قلب التفاحة !

مارتينة : عدت يا حبيبى إلى أوهامك ؟.

هرقل : كان فى وسعك أن تقولى : عدت يا خالى إلى أوهامك !.

مارتينة : كلا كلا .. أنت حبيبى .. أنت زوجى .. أنت والد أولادى .

هرقل : ألا ترين كيف سلط الله علينا هؤلاء العرب ؟

مارتينة : كما سلط علينا جنود كسرى من قبل .. اطرد من رأسك هذه الأوهام . إن الله أكبر من أن يهتم بما بين رجل وامرأته . كل هذا من صِفرونيوس وأمثال صِفرونيوس .

هرقل : إن النذر يا مارتينة لتؤيد ما يقوله صفرونيوس .

مارتينة : أى نذر ؟

هرقل : هذه الهزائم المتلاحقة .

مارتينة : أتعتقد يا حبيبى أننى كنت سببها ؟ أتعتقد أنى شؤم عليك ؟

هرقل : لا يا مارتينة ولكن .

مارتينة : ولكن ماذا ؟

هرقل : يا ليتك لم تكونى بنت أختى !.

مارتينة : إن أمى ليست أختا لك يا هرقل .

هرقل : من قال لك ذلك ؟

مارتينة : أنت !

هرقل : أنا ؟

مارتينة : ألا تذكر يا هرقل حينما أردت أن تتزوجنى فاعتَرضتُ على ذلك فقلت لى إنها ليست أختا شرعية لك ؟

هرقل : لكنها أختى على كل حال .. شرعية أو غير شرعية .

مارتينة : فعلام تزوجتني إذن ؟
هرقل : أكنت تريدين أن يكون أبناؤك منى غير شرعيين ؟
مارتينة : ما كان ينبغي أن تعرفني ألبتة !
هرقل : أحببتك يا مارتينة حبا مَلكَ على كل شيء وأنساني كل شيء .
مارتينة : وأنا أيضا أحببتك كما أحببتني ، ولكنى لم أندم على حبك كما ندمت أنت على حبى .
هرقل : من قال لك إننى ندمت على حبك ؟
مارتينة : هذا واضح من كلامك .. ألا تعتبر حبى خطيئة ، وتريد أن تكفر عنها وتتوب ؟
هرقل : أبدا أبدا يا مارتينة .. أنت حياتى .. كيف أتوب من حياتى ؟
مارتينة : لئلا يذهب ملكك .
هرقل : كلا لن أتخلى عنك أبدا ولو ذهب مُلكى ..
مارتينة : أحقا يا هرقل ؟
هرقل : حقا يا حياتى ويا حبيبة قلبى .. بيد أنى أشتهى لو يهدأ ضميرى كما كان .
مارتينة : إن شئت أن يهدأ ضميرك فانس كل شيء إلا أننى حبيبتك وزوجتك وأم أولادك .
هرقل : لكن كيف أنسى يا حبيبتى هذه الهزائم المتلاحقة ؟
مارتينة : إن الذين ينسبونها إلى غضب الله عليك لكاذبون .
هرقل : يا ليتنى أؤمن بما تقولين .
مارتينة : وما الذى يمنعك من الإيمان بذلك ؟
هرقل : رجال الدين يا مارتينة وما يقولون .

مارتينة : ليسوا سواء.. فالصالحون منهم يربأون بأنفسهم عن الخوض فى مثل هذا الحديث وإنما يلغط به ذوو الظنون السيئة، وذوو النيات السيئة.

الحاجب : (**يدخل**) البِطريق سرجيوس يا مولاى القيصر..

هرقل : دعه يدخل..

(**يدخل سرجيوس**).

مارتينة : مرحبا بك يا سرجيوس.. لقد جئت فى وقت الحاجة إليك.

سرجيوس : أنا يا مولاتى فى خدمة القيصر وفى خدمتك.

مارتينة : إن مولاى القيصر عاودته الأوهام فى شأن زواجه منى يا سيدى البِطريق.

سرجيوس : من مزاعم صِفرونيوس..؟

مارتينة : نعم.

سرجيوس : مولاى القيصر.. ألست قد عرفت مولاتى القيصرة قبل أن تنتصر على فارس؟

هرقل : بلى.

سرجيوس : فكيف نصرك الله ذلك النصر المؤزر على جيوش كسرى لو كان الله ساخطا عليك؟

هرقل : ربما كان يستدرجنى يومئذ فإنه يمهل ولكنه لا يهمل.

سرجيوس : مولاى خذها منى كلمة أسأل عنها غدا أمام الله. لو كان عندك من الذنوب عدد أوراق الشجر فى الأرض كلها منذ وجدت لغفرها الله لك بما أنقذت الصليب المقدس من أيدى أعدائه.

هرقل : إذن فلا بد أن يكون هؤلاء المسلمون مؤيدين بقوة خفية من عند الله فلا يغلبهم غالب أبدا .

سرجيوس : مولاى القيصر لا ينبغى أن تشك بعد يقين .

هرقل : فكيف نعلل هزائمنا إذن؟

سرجيوس : نحن الرزم مدنبون فى ذات المسيح .. فالولاة يظلمون الرعية وينهبون أموالها بغير حق ، ويعيثون فى الأرض فسادا . ورعايا الدولة من النصارى يرونك تسعى لتوحيدهم ، وجمعهم على مذهب واحد فى المسيحية ، فيأبون إلا العناد والاستكبار ... والبطريق صفرونيوس يكتب إلى عمر فيسلمه بيت المقدس عفوا صفوا .

هرقل : (فى ألم) فى نفس اليوم الذى احتفلنا فيه بتسليم الصليب الأعظم إلى القديسة صوفيا .

سرجيوس : فلا غرو أن يعذبنا الله ويسلط علينا هؤلاء الغزاة من الصحراء كما سلط علينا جحافل الفرس من قبل .

هرقل : لكننا انتصرنا على الفرس ولم ننتصر على هؤلاء العرب .

سرجيوس : تذكر يا مولاى القيصر أنك لم تنتصر على فارس إلا آخر الأمر بعدما بلغت جنودها مشارف هذه العاصمة .. إن الله يعذبنا بذنوبنا ، ويملونا بالمثُلات ولكنه لا يهلكنا كرامة للسيد المسيح .

مارتينة : إذن فإن الله سينصرنا فى النهاية على هؤلاء العرب ؟

سرجيوس : ما فى ذلك ريب .. إن نحن آمنا بالمسيح حق إيمانه ، وأيقنا بأن الله معنا .

هرقل : هيهات يا سرجيوس.. لقد استولوا منا على سورية وفلسطين ومن الفرس على ما بين النهرين، ثم وثبوا على عاصمتهم وتوغلوا فى أرض فارس.

سرجيوس : لا يهولنك ذلك يا مولاى القيصر.. فإن الله أقوى من كل قوى.

هرقل : إنى لا أشك فى ذلك، ولكنى أخشى يا سرجيوس أن يكون الله معهم علينا.

مارتينة : معاذ الله يا مولاى..

هرقل : لقد بلغنى عن أميرهم عمر هذا وعن الذى قبله وعن زعيمهم محمد أنهم أشبه بالأنبياء منهم بالملوك.. فأخوف ماأخافه يا سرجيوس أن يكون موقفنا من محمد وأتباعه كموقف هيرود من السيد المسيح وأتباعه، وموقف الكفار فى القديم من شهداء المسيحية الأولين.

سرجيوس : كلا يا مولاى القيصر.. ليسوا كذلك.. إنهم إنما اتبعوا محمدا هذا من أجل الدنيا إذ فتح لهم أبواب الدنيا فولجوها.. ولو مس أحدهم أى أذى فى دينه لكفر بدينه.فأين هؤلاء من المسيحيين الأولين الذين احتملوا صنوف العذاب صابرين ولم ينكِلوا عن دينهم؟

هرقل : وما يدريك يا سرجيوس أن لا يصبر هؤلاء كما صبر أولئك؟ هل اختبرت أحدا منهم أو امتحنته؟

سرجيوس : لا يا مولاى القيصر..

(يدخل جبلة بن الأيهم)

هرقل : جئت بالأسيرين يا جبلة ؟

جبلة : نعم يا مولاى القيصر ..

هرقل : من قرابة عمر ؟

جبلة : نعم من قريش .. من القبيلة التى منها محمد وعمر ..

هرقل : (لسرجيوس) كان فى نيتى إذ أرسلت فى طلب هذين الأسيرين أن أسمع منهما مزيدا عن عمر، ولكنى الآن سأختبرهما لنرى مبلغ ثباتهما على دينهما الجديد .

سرجيوس : حسنا تصنع يا مولاى القيصر ..

هرقل : دعهم يدخلوهما يا جبلة .

(يخرج جبلة ثم يعود بالأسيرين يسوقهما اثنان من الجند وفى أيديهما القيد)

(تدخل أيفانيا ومن خلفها وصائف القصر فيقفن وراء الملكة مارتينة وكذلك وصفاء القصر لينظروا ماذا يحدث) .

جبلة : ويلكما ألا تركعان للقيصر ؟

الأسيران : نحن لا نركع لغير الله .

هرقل : دعهما يا جبلة .. أيكما أقرب إلى عمر ؟

ابن حذافة : أنا يا قيصر .. ماذا تريد ؟

هرقل : أطلقوا عنه القيد .

ابن حذافة : مُرهم يطلقوا عن صاحبى أيضا .

هرقل : وأطلقوا عن صاحبه .

(يطلقون عنهما القيد) .

ابن حذافة : الآن أنصفت يا قيصر وعدلت .

هرقل : أتدرى يا هذا لماذا بعثت إليك ؟

ابن حذافة : لا والله .

هرقل : لكى أعرض عليكما منصبا كبيرا عندى وأشركك فى شؤون ملكى .

ابن حذافة : أليس فى قومك من يصلح لذلك المنصب ؟

هرقل : بلى ولكننى أريد تكرمتك ..

ابن حذافة : أطلق سراحى إذن لأعود إلى بلدى .

هرقل : أريد أن تبقى هنا عندى .

ابن حذافة : ماذا تصنع بى .. أليس يغنيك عنى جبلة ؟

هرقل : أريد أن أزوجك أيفانيا ابنتى .

(تبتسم أيفانيا ويعبس جبلة)

ابن حذافة : ألم تجدوا فى بنى عمومتى من يرضى أن يتزوجها فانتظرتمونى حتى وقعت أسيرا فى أيديكم لتلقوها علىّ ؟

هرقل : (**تعجبه روح الدعابة فيه**) إنى اخترتك أنت لها .

ابن حذافة : أهى جميلة مثلى ؟

هرقل : (**مبتسما**) بل هى أجمل منك .

ابن حذافة : أصغر منى سنا أم أكبر ؟

هرقل : أصغر .

ابن حذافة : لا بأس إذن .. وكم تطلب منى مهرا لها ؟

هرقل : لا أطلب منك شيئا .

ابن حذافة : كلا لا أتزوجها إلا بمهر .

هرقل : مهرها أن تتنصر أنت ..

ابن حذافة : كما تنصر جبلة بن الأيهم؟

هرقل : نعم.

ابن حذافة : لِمَ لا تزوجها له فقد دفع المهر؟

هرقل : لكنا نريدك أنت.

ابن حذافة : هذا مهر يسير .. حذار أن تكون معيبة.

هرقل : كلا ليست معيبة.

ابن حذافة : أقسم بالإنجيل.

هرقل : قسما بالإنجيل ليست أيفانيا معيبة.

ابن حذافة : إذن فقد قبلت.

هرقل : (**فرحا**) قبلت؟

ابن حذافة : نعم على شرط.

هرقل : ما هو؟

ابن حذافة : أن أحملها معى إلى المدينة.

هرقل : كأنك ترفض تكرمتى؟

ابن حذافة : (**فى لهجة جادة**) يا قيصر لو أعطيتنى جميع ما تملك ما رجعت عن دين محمد طرفة عين.

هرقل : اشهدوا يا قوم .. لقد عرضت عليه الكرامة والمال والجمال فرفض فليس له عندى غير العقوبة والعذاب.

ابن حذافة : كل هذا لكى أتنصر؟

هرقل : نعم.

ابن حذافة : الدين عندكم بالإكراه؟

هرقل : عليّ بالرماة .

ابن حذافة : علام السرف ؟ رام واحد يكفى لقتلى .

(يدخل ثلاثة رماة من الباب الذى خلف هرقل فيقفون أمامه)

هرقل : اصلبوا هذا الرجل على ذلك العمود ..

(يساق ابن حذافة حتى يخرجوا به من القاعة إلى الرواق) .

هرقل : (**لأحد الرماة**) أطِر قلنسوته ولا تزد .

الرامى : سمعا يا مولاى (**يصوب ناحية الرواق ثم يرسل السهم**) .

أصوات : (**يرتفع**) طارت قلنسوته .. طارت قلنسوته .

هرقل : (**للرامى الثانى**) أصب أذنه اليمنى دون أن تدميها .

الرامى : سمعا يا مولاى .. (**يصوب ثم يرسل السهم حتى يرتفع الضجيج**) .

هرقل : (**للرامى الثالث**) أصب أذنه اليسرى بحيث تدميها قليلا .

الرامى : سمعا يا مولاى (**يصوب ثم يطلق ويرتفع الضجيج**) .

هرقل : أنزلوه من الصليب وائتونى به .

(يظهر ابن حذافة دامية شحمة أذنه اليسرى) .

ابن حذافة : ماذا تريد منى بعد يا قيصر ؟

هرقل : ماذا كنت تصنع لو وقع السهم فى حلقك ؟

ابن حذافة : كنت أموت شهيدا .

هرقل : إن كفرت بدينك وتنصرت أطلقنا سراحك وإلا أريناك لونا آخر من العذاب .

ابن حذافة : أذقني إياه لعله أن يكون ألذ وأمتع .

هرقل : أعدوا له قدرا يغلى بالماء .

ابن حذافة : أتريد أن ترميني فيها ؟

هرقل : نعم .

ابن حذافة : لتطهو لحمى فتأكله يا قيصر ؟

هرقل : بل ليتهرأ لحمك وتبدو عظامك فنرميها للكلاب .. خذوه . (**يغفون سوقه**) انتظروا .. سوقوا صاحبه هذا وألقوه فى القدر إلا أن أعلن خروجه من دينه ودخوله فى ديننا .

الرجل : كذبتك نفسك يا هرقل .. لا أخرج من دينى ولا أدخل فى دينك .

هرقل : ألقوه فى القدر .

(**يساق الرجل وهو صامت**) .

ابن حذافة : ويحكم لماذا لا تلقونى أنا فى القدر مكانه ؟

هرقل : لترى أنت ما يكون من أمره ثم نرميك فى القدر بعده .

(**تسمع صيحة مفزعة حين وضعوا الرجل فى القدر**) .

(**يراع ابن حذافة ويطفر الدمع من عينيه**) .

مارتينة : إنه جزع وبكى يا مولاى فاعرض عليه الأمر من جديد .

هرقل : تعال ادن منى يا عربى .

ابن حذافة : (**يدنو من هرقل**) ماذا تريد منى بعد ؟

هرقل : أراك جزعا على صاحبك إذ رأيته فى القدر .

ابن حذافة : أعليه أجزع وقد مات شهيدا ؟

هرقل : جزعت إذن على نفسك فبكيت ؟

ابن حذافة : أجل .. بكيت لأن لى نفسا واحدة تلقى فتذهب .. لوددت لو كان لى مائة نفس تلقى هكذا فى سبيل الله .

هرقل : تتنصر أم يلقى بك فى القدر ؟

ابن حذافة : يلقى بى فى القدر ..

(يسوقونه فيخرج) .

هرقل : **(يومئ للجلاد بيده)** انتظر .. لا تلقه .

سرجيوس : لِمَ لا يا مولاى القيصر ؟

هرقل : لقد أثبت لنا صبره وثباته فلنمتحنه بعذاب آخر ..

جبلة : دعهم يا مولاى القيصر يجلدوه فالعرب تكره الجلد .

هرقل : أجل .. اجلدوه بالسياط .

(يدنو جبلة من أيفانيا حتى يقف بجانبها) .

ابن حذافة : أمهلونى قليلا لأشد ثوبى على جسمى .

هرقل : لِمَ تفعل ذلك ؟

ابن حذافة : لئلا تنكشف عورتى .

هرقل : عروه إذن من ثيابه .

ابن حذافة : حنانك يا قيصر .. لا ينبغى أن تأمر بذلك .

هرقل : تكفر بدينك ؟

ابن حذافة : لا .

هرقل : عروه واجلدوا ..

(يتململ جبلة خجلا ويحاول أن يخرج بأيفانيا من المجلس ولكنها تدفع يده وهى تضحك وتأبى الخروج) .

ابن حذافة : مُر هؤلاء النسوة فليخرجن .

هرقل : كلا بل سيبقين .

ابن حذافة : إنى أشفق عليكم أن تغمضوا أعينكم .

هرقل : كلا لن نغمض أعيننا ..

ابن حذافة : فلأغمض عينى فلا أراكم عندى .. أى دين هذا ؟ حاشا أن يكون هذا دين المسيح عيسى بن مريم ..

(تسمع الضربات بالسياط وصوت ابن حذافة وهو يردد : أحد أحد .

هرقل : (**يتمتم**) الشعب المختون .. الذى تقول النبوءة إنه سيدمر الإمبراطورية . لقد ظننت أنهم اليهود فإذا هم العرب (**يصيح بالجلادين**) حسبكم .. اكسوه ثيابه وائتونى به .

(**يساق ابن حذافة وهو يترنح من ألم الجلد**) .

هرقل : هل لك الآن أن تتنصر ؟

ابن حذافة : الآن ازددت إيمانا .. الآن أترحم على أولئك الشهداء الأبرار من أتباع عيسى بن مريم إذ عُذِّبوا فى دينهم ألوانا من العذاب ، فمنهم من كشط جلده ، ومنهم من وضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ومنهم من أُلقى فى أخدود من النار كنصارى نجران .

هرقل : عجبًا من أين عرفتم ذلك ؟

ابن حذافة : ببعضه أخبرنا نبينا ، وبعضه ورد فى القرآن كتابنا .

هرقل : أسمعنا ماذا يقول كتابكم فى ذلك .

ابن حذافة : (**يتلو بصوت شجى**) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم .

والسمـاء ذات البروج .. واليـوم الموعــود . وشاهــد ومشهود .. قتل أصحاب الأخدود .. النار ذات الوقود .. إذ هم عليها قعود .. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .. الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد .. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق .. ﴾ .

هرقل : (**يصيح كالمرعوب**) سرجيوس .. سرجيوس .

سرجيوس : لبيك يا مولاى القيصر .

هرقل : سمعت يا سرجيوس؟

سرجيوس : نعم يا مولاى القيصر .

هرقل : أبعدوا هذا الرجل .. نحوه عنى ..

صوت : (**لأحد الجنود**) نقتله يا مولاى القيصر ؟

هرقل : (**يصيح**) كلا إياكم أن تقتلوه .. لأقتلن من يقتله !

جبلة : نعيده إلى سجنه يا مولاى القيصر ؟

هرقل : نعم .. نحوه من هنا .

(يسوقون ابن حذافة حتى يخرجوا به)

(يشعر هرقل بضيق تنفس ويكاد يغشى عليه فيسنده سرجيوس وتنهض مارتينة مسرعة فتحضر قنينـة دواء فتسقيه منه)

مارتينة : لا بأس عليك يا مولاى ..

هرقل : أين سرجيوس؟

سرجيوس : نعم يا مولاى..

هرقل : لا أريد أن أكون مثل هيرود!

(ترتاع أيفانيا فتضع يدها فى يد جبلة)

(ستـــار)

المشهد الثانى

غرفة فى الطابق العلوى من القصر الكبير تطل شرفاتها على حديقة القصر الغناء.
يرفع الستار لترى أيفانيا وجبلة متكئين على أريكة واحدة وهما يتناجيان فى شغف وهيام وكأنهما لا يزالان فى شهر العسل.

أيفانيا : اسمع يا حبيبى .. أما آن لنا أن ننزل إلى البهو لنرى الرسول العربى الذى بعثه صاحبك عمر.

جبلة : يا قرة عينى ماذا نصنع به؟ دعينا هنا وحدنا نتناجى فى سلام.

أيفانيا : لكن أبى القيصر سيفتقدنا يا جبلة، وربما احتاج إليك. ينبغى أن ننزل.

جبلة : بعد قليل يا أيفانيا الحبيبة. بعد قليل.

أيفانيا : يا حبيبى العزيز لا أريد أن يغضب منى ..

جبلة : أبوك القيصر يحبك ولا يغضب منك أبدا.

أيفانيا : هذا لو كان وحده ولم تكن الأفعى معه.

جبلة : صه .. لا حق لك أن تسميها الأفعى. إنها أيضا لتحبك.

أيفانيا : تحبنى؟ يا لك من غر!

جبلة : إنها ذات فضل علينا كبير ..

أيفانيا : أى فضل؟

جبلة : لولا مساعيها الحميدة لما رضى القيصر أن يزوجنى منك .

أيفانيا : أتدرى ما هدفها من تلك المساعى الحميدة ؟ أن تبعدنى عنها إلى بلد آخر حتى تصنع هى ما تشاء دون رقيب ولا حسيب ؟

جبلة : ماذا تقولين يا أيفانيا ؟

أيفانيا : لا تتجاهل يا جبلة فإنك تعرف ما أريد .

جبلة : لا والله يا حبيبتى لا أعرف ماذا تقصدين ؟

أيفانيا : آه لولا خوفى على أبى القيصر من هول الصدمة لأخبرته .

جبلة : بأى شىء ؟

أيفانيا : بأنها تخونه .

جبلة : معاذ الله يا أيفانيا .

أيفانيا : ما كفاها أنها كانت شؤما عليه وعلى ملكه ، ورجسا عاقبه الله عليه بهؤلاء المسلمين حتى أرادت أن تخونه مع رجل منهم .

جبلة : من المسلمين ؟

أيفانيا : نعم .

جبلة : من يكون ؟

أيفانيا : ذاك الأسير ابن حذافة قريب عمر .

جبلة : يا حبيبتى لكن ابن حذافة هذا فى الحبس .

أيفانيا : ألا تذكر يا جبلة إذ كانت تحضره كل يوم إلى القصر لتسلط جواريها ووصائفها عليه ؟

جبلة : كان أبوك القيصر هو الذى كلفها بذلك ليعرف مدى صبره على الفتنة والإغراء بعد ما صبر على ألوان العذاب .

أبيفانيا : بل كانت هى التى اقترحت ذلك على القيصر .

جبلة : لا جناح عليها فى ذلك .

أبيفانيا : وإن كانت هى التى تراوده عن نفسه؟

جبلة : معاذ الله .

أبيفانيا : كانت تدخل له فى زى وصيفة فترتمى عليه .

جبلة : معاذ الله .. من الذى روى لك هذا البهتان؟

أبيفانيا : أنا رأيت هذا البهتان بعينى هاتين ..

جبلة : (**بعد صمت يسير**) لكنى سمعت القيصر يقول إنه استعصم ولم يزل .

أبيفانيا : أجل استعصم ولم يزل .. ولكن ما شأننا بابن حذافة إنما يعنينا أمرها هى لا أمر ابن حذافة .

جبلة : يا حبيبتى ربما رأته استعصم من الوصائف والجوارى فأرادت أن تجرب فتنتها هى عليه .. دون أن تقصد أى سوء .

أبيفانيا : كلا بل كانت تريده .. كانت تشتهيه .. لقد رأيت ذلك فى عينيها وشفتيها .

جبلة : وكانت هى تراك؟

أبيفانيا : لا .. إنها كتمت عنى ذلك .. ولكن جارية منهن أخبرتنى فتطلعت عليها من خلف الستائر ..

جبلة : لا تبتئسى أيتها الحبيبة .. عما قليل تستقبلك أرض الشام وتنصب لك عرشا على نهر بردى فى غوطة دمشق وعرشا

على مصب نهر العاصى فى أنطاكية ، وعرشا على جبال لبنان بين السحب !!

(يقبلها) .

أيفانيا : ولكن شطرا من قلبى سيظل بعد معلقا بالقسطنطينية يا جبلة .

جبلة : لا بأس أن تزورى أباك كلما اشتقت إليه .. وسوف يزورك هو أولا بالشام إذ لا بد أنه سيحج إلى إيلياء ويُعلى الصليب الأعظم مرة ثانية ..

أيفانيا : ليس أمر أبى هوْ الذى شغلنى يا جبلة . بل أمر شقيقى قسطنطين . إنى اخشى عليه من الأفعى .

جبلة : إذا جرى لأبيك شىء؟

أيفانيا : بل حتى قبل ذلك .. إنها تلح عليه أن يشرك ابنها هرقليون مع قسطنطين فى ولاية العهد ..

جبلة : لا تخافى فإن القيصر يحب قسطنطين ولا يعدل به أحدا .

أيفانيا : إنك لا تعرف مدى سلطانها عليه .

جبلة : ومجلس الشيوخ أيضا يميل إلى قسطنطين وكذلك الجماهير .

أيفانيا : ماذا يصنع مجلس الشيوخ أو الجماهير إذا قرر القيصر أن ينفذ ما تريده امرأته ؟

جبلة : يا أميرتى الجميلة لِمَ تحملين نفسك فوق ما تطيقين ؟ إن المستقبل بيد الله لا بيد مارتينة ولا غيرها .

أيفانيا : هل تعدنى يا جبلة أن تجعل تأييدك لقسطنطين إذا لزم الأمر ؟

جبلة : نعم نعم لأقاتلن فى سبيله .

أيفانيا : شكرا يا حبيبى لا عدمتك (**تقبله**) هيا بنا الآن ننزل إلى البهو .

جبلة : (**ينظر جهة الشرفة**) انظرى .. ها هم أولاء يصعدون الدرج .

أيفانيا : من ؟

جبلة : القيصر ومن معه .

أيفانيا : (**تنظر من الشرفة**) عجيب .. لا بد أن لهذا الرسول مكانة كبيرة عنده .

(**تصلح ما تشعث من الأريكة حيث كانا يجلسان وتقف هى وجبلة فى احترام**) .

(**يدخل هرقل ومارتينة ثم جَثَّامَة بن مساحِق وسرجيوس**) .

هرقل : (**ينظر إلى ابنته فى تدليل**) أنتماهنا أيها العروسان ؟ هذا خير .. ينبغى أن تشهدا مجلسنا هذا مع رسول أمير العرب (**للرسول**) هذه الأميرة أيفانيا ابنتى .. وهذا زوجها الأمير جَبلة بن الأيهم لعلك تعرفه ..

جثامة : نعم أيها الملك ..

هرقل : اجلسوا ..

(**يجلس هرقل ومارتينة على الأريكة ويجلس الآخرون على الكراسى التى حولها**) .

سرجيوس : (**لجثامة**) إن مولاى القيصر قد أراد أن يزيد فى إكرامك فانتقل بك إلى هذه العِلِّية التى لا يستقبل فيها إلا الخواص فاذكر ذلك لأميركم عمر حين ترجع إليه .

جثامة : سأفعل أيها السيد البِطريق.. سأذكر لأمير المؤمنين كل ما استقبلنى به القيصر من مودة وحفاوة..

هرقل : إنك لتحسن اللسان الرومى فأين تعلمته ؟

جثامة : فى قيسارية حيث أقمت برهة فى الجاهلية..

هرقل : فى الجاهلية ؟

جثامة : قبل الإسلام..

هرقل : لذلك اختارك عمر رسولا إلينا ؟

جثامة : نعم.

هرقل : أكنت نصرانيا قبل أن تسلم؟

جثامة : لا يا قيصر كنت مشركا على دين قومى.. وحاول بعض القسس فى قيسارية تنصيرى فلم ينجح.. غير أنه زعزع إيمانى بدين قومى فلما جاء الإسلام اطمأنت نفسى إليه فأسلمت.

هرقل : أى شىء وجدت فى الإسلام لم تجده فى النصرانية.

جثامة : ﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.. ﴾.

هرقل : هل لقيت محمدا ؟

جثامة : نعم..

هرقل : صفه لى.

جثامة : كان أحسن الناس خلقا وخَلقا.. من رآه أحبه.. جميلا فى غير زهو.. قويا دون جبروت، حليما لا يغضب إلا فى الحق، صواما لله، قواما بالصلاة، برا باليتامى والأيامى محبا

للفقراء والمساكين، يقول فى دعائه: (**اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين**).

(**يصمت هرقل مليا ويصمت جميع من معه**).

هرقل : خبرنى هل يجوز عندكم أن يتزوج المرء ابنة أخيه؟

(**يستولى الدهش على الحاضرين**)

جثامة : لا يحلُّ له ذلك لأن ابنة أخيه من محارمه..

هرقل : وابنة الأخت؟

جثامة : ابنة الأخت مثل ابنة الأخ.

هرقل : لكن المجوس يبيحون ذلك..

جثامة : ما لنا وللمجوس؟ هؤلاء يبيحون حتى الأخوات والأمهات.

(**يتغير وجه هرقل ويعتريه الوجوم**).

مارتينة : (**متجلدة**) مولاى القيصر إنك لم تسألنى عن الهدية التى جاءتنى من امرأة عمر..

هرقل : (**يجد مخرجا من هذا الحرج**) أرينيها يا مارتينة.

مارتينة : (**تقدمها إليه**) خذ يا مولاى.

هرقل : قارورة عطر.. (**يلتفت إلى جثامة وهو يشم القارورة**) أى نوع من العطر هذا؟

جثامة : عطر قوامه العُود والمسك والعنبر..

هرقل : عندنا ما هو خير منه (**يناول القارورة لأيفانيا**).

جثامة : الهدية للود يا قيصر لا للرِّفد..

هرقل : وما هذه؟

جثامة : أسفاط مصنوعة من خوص النخل تضع المرأة فيها أقراطها وقلائدها وما أشبه .

سرجيوس : هل تنوى مولاتى القيصرة أن تحفظ حُليها فى هذه الأسفاط ؟

(يتضاحكون)

مارتينة : بل سأحفظ هذه الأسفاط فى مخدعى خير تذكار من ملكة المسلمين ..

جثامة : ليس للمسلمين ملك ولا ملكة ..

مارتينة : من أميرة المسلمين ..

جثامة : وليس لهم أميرة .

مارتينة : أليست هى زوجة عمر وعمر أميركم؟

جثامة : بلى ..

مارتينة : فهى أميرتكم ..

جثامة : كلا لا ندعوها كذلك .. إنما هى امرأة من المسلمين ..

مارتينة : قد كان ينبغى لعمر أن يتزوج امرأة من بيت عريق شريف ..

جثامة : هذه من أعرق البيوتات وأشرفها .. هذه من بيت النبوة ..

مارتينة : ابنة محمد ؟.

جثامة : ابنة فاطمة بنت محمد .

مارتينة : فكيف تستكثرون عليها أن تدعوها أميرة ؟

جثامة : ما جعل الإسلام لها حقا دون نساء المسلمين ..

مارتينة : ابنة نبيكم وزوجة أميركم !

جثامة : فهى ابنة نبينا وزوجة أميرنا فحسب ..

هرقل : الناس فى شرعكم سواء ؟

جثامة : أجل لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

هرقل : (**بصوت خافض**) سمعت يا سرجيوس ؟ هذا سر قوتهم..

سرجيوس : (**يتغير وجهه**) أجل لقد عرف محمد من أين تؤكل الكتف..

هرقل : أتراه كان يقصد ذلك ؟

سرجيوس : ما فى ذلك ريب.. لقد كان قائدا ملهما ذا سياسة ودهاء..

جثامة : كلا يا أيها البطريق ليس محمد كما ذكرت.. إنما كان نبيا أرسله الله بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فبلغ الرسالة على وجهها، وأدى الأمانة إلى أهلها وخرج من الدنيا لم يشبع هو وآله من خبز الشعير يوما قط.

سرجيوس : هل بعثك عمر لتجادلنا فى الدين ؟

جثامة : لا بل بعثنى لأحمل كتابه إلى قيصر.

سرجيوس : فقف إذن عند مهمتك.

جثامة : لكنى لا أستطيع أن أسمعك تتحدث عن نبينا بغير علم فأسكت..

سرجيوس : فلنعد إلى حديث الهدية إن شئت فهل لى أن أسألك ؟

جثامة : سل عما بدا لك..

سرجيوس : ألا ترى معنا أن هذه الهدية دون ما ينبغى أن يهدى إلى امرأة قيصر ؟

جثامة : بلى ولكنها قصارى ما تستطيع أن تهديه امرأة عمر..

سرجيوس : أتعنى أنها لا تملك أكثر من ذلك ؟

جثامة : بل لم يكن عندها ثمن الهدية فلجأت إلى أختها فاقترضه لها من بعض أصحابه .

سرجيوس : مهما يغل ثمنها عندكم فلن يبلغ خمسة دنانير ..

جثامة : بل ثمنها دينار واحد ..

سرجيوس : دينار واحد ؟ امرأة عمر يعوزها دينار واحد ؟ فأين الأموال التى تجبى إليه من كل مكان ؟ أين الغنائم والكنوز .

جثامة : إنه يوزعها على المسلمين وينفقها على مصالحهم ، ولا يأخذ منها لنفسه غير ما يأخذه رجل من المسلمين ..

سرجيوس : إن هذا لشيء عجيب ..

هرقل : لا تعجب يا سرجيوس فقد حدثنا جبلة بن الأيهم كثيرا عن زهده وورعه وتقشفه ..

مارتينة : إذن فقد أهدت إلىّ امرأة عمر أقصى ما فى وسعها .

جثامة : هو ذاك يا أيتها الملكة ..

مارتينة : إذا عدت إلى بلدك فبلغها أنى ما فرحت بهدية قط مثل فرحى بهديتها وإنى أعتبرها أعظم هدية جاءتنى قط .

جثامة : سأفعل أيتها الملكة ..

مارتينة : وهذا الكتاب الذى جئتنى به منها ألا تترجمه لى لأعرف معناه ؟

جثامة : حبا وكرامة .. (**يأخذ منها الكتاب**) من أم كلثوم امرأة عمر أمير المؤمنين إلى ملكة الروم امرأة هرقل . سلام عليك ياأختاه . وبعد .. فهل لى أن أدعوك إلى خير الدنيا

والآخرة .. أسلمى يا أختاه فإنك إن أسلمت أسلم قيصر زوجك فأسلم معه رعيته فيكون لك أجر ألوف المهتدين والمهتديات ..

مارتينة : هى أيضا تدعونى إلى الإسلام ؟

جثامة : هو عندها أثمن ما تهديه إليك ..

مارتينة : فأبلغها أنى قبلت الهدية فأما الإسلام فإنى على دين لا أستبدل به دينا آخر .

أيفانيا : (**لجبلة على حدة**) يا للتقوى والورع !

جثامة : سأبلغها ذلك إن شاء الله . (**يلتفت إلى هرقل**) أيها الملك هل لكتاب أمير المؤمنين جواب منك أحمله إليه ؟

هرقل : ستنزل ضيفا عندى فى القصر ريثما يُعد ذلك الجواب ... (**يلتفت إلى حجابه**) أيها الحجاب أنزلوه وأكرموه .

جبلة : (**تومئ له أيفانيا ليتكلم**) لو أذن مولاى القيصر فأنزلت هذا الرسول العربى عندى فإنى أعرف ما يعجبه من طعام وشراب .

مارتينة : هذا يتكلم لساننا وليس ببدوى ..

هرقل : أين تحب أن تنزل ؟ هنا عندنا أم عند جبلة ؟

جثامة : أنا ضيفك أيها الملك فأنزلنى حيث تشاء ..

أيفانيا : سينزل يا أبت عندنا .. عند عربى مثله .

هرقل : فانزل عند جبلة .. ستجد عنده قصرا أجمل من هذا القصر .

جبلة : هلم من هذا القصر .

جثامة : هلم يا أخا غسان .

(يخرج جثامة وجبلة ثم تتبعهما أيفانيا)

هرقل : ماذا ترى يا سرجيوس؟. هل سمعت بحاكم مثل هذا فى حياتك قط؟ الدنيا تُجبىَ إليه وما فى يد امرأته دينار واحد؟

سرجيوس : ماذا يدريك يا مولاى القيصر لعل هذا الرسول قد قال غير الحق.

هرقل : عهدى بالملوك والحكام يتأهبون بما عندهم وما ليس عندهم من الغنى والجاه والقوة.

سرجيوس : لعله أراد أن يبهرنا بما رواه عن الهدية.

هرقل : إنك تعرف طبع النساء وميلهن إلى التباهى والتفاخر، فماذا كان يمنع امرأة عمر أن تبعث هدية أثمن وأفخر لو كان فى وسعها ذلك؟ كلا يا سرجيوس هؤلاء ليسوا مثلنا.. هؤلاء ربانيُّون قد صُنع لهم فهم لا يغلبون.. ومن الخير لنا أن نهادنهم حتى نحفظ ما بقى لنا من ملك..

سرجيوس : والحملة التى اتفقنا عليها مع الأرمن وعرب الجزيرة فى الشام؟

هرقل : الآن أيقنت أننا لن نبوء منها بغير الهزيمة والخذلان..

سرجيوس : كلا يا مولاى القيصر لا ينبغى أن تكون أقل ثقة بالنصر من هؤلاء الأرمن ونصارى العرب..

هرقل : ماذا صنع لنا الأرمن ونصارى العرب فى اليرموك؟

سرجيوس : الأمر مختلف يا مولاى القيصر.. فى اليرموك كنا نحن الذين استعنا ببعض الأرمن وعرب الشام دون عرب الجزيرة. أما فى الحملة المزمعة فالأرمن جميعا ومعهم عرب الشام والجزيرة

هم الذين جاؤونا متحالفين لنعاونهم على طرد المسلمين من سورية وفلسطين .

(يومئ إلى مارتينة أن تؤيده فى قوله)

مارتينة : أجل يا مولاى لا ينبغى أن تنقض أمرا أبرمته معهم ولا سيما بعدما رجعت وفودهم من عندك تحمل إليهم بشرى الاتفاق معك ..

سرجيوس : هذه فرصة لن يتاح لنا مثلها أبدا يا مولاى ..

هرقل : وإذا انتهت بنا الحملة إلى هزيمة جديدة .

سرجيوس : ليس لك يا مولاى أن تخلد إلى اليأس والقنوط .. تذكر أنك هزمت الفرس وحدك وكانوا أقوى من هؤلاء المسلمين .

هرقل : كلا .. ما كانوا أقوى من المسلمين .

سرجيوس : كانوا قد استولوا على الشام ومصر وزحفت طلائعهم حتى بلغت مشارف القسطنطينية .

هرقل : لكنهم ما كانوا أقوى من هؤلاء المسلمين .

سرجيوس : ألا تذكر يا مولاى القيصر يوم قال كسرى لرسولك الذى بعثته إليه : قل لمولاك إن دولة الروم من أرضى وما هو إلا عاص ثائر وعبد آبق ، ولن أمنحه سلاما حتى يترك عبادة الصليب ويعبد الشمس ؟

هرقل : لكن هؤلاء المسلمين لا يعبدون الشمس يا سرجيوس وإنما يعبدون الله الذى خلق كل شىء .. ولم يقولوا إن دولة الروم من أرضهم أو دولة الفرس وإنما قالوا إن الأرض لله يرثها من عبادِه الصالحون .

مارتينة : وأبيفانيا ابنتك يا مولاى القيصر ؟

هرقل : ما بالها ؟

مارتينة : ألا تحب أن يكون لها ولزوجها مُلك الشام؟

سرجيوس : إذا صار مُلك الشام لابنتك فكأنه صار لك ..

هرقل : إنى ما زوجتها لجبلة بن الأيهم إلا من أجل ذلك .. (**تغلبه الرقة وكأنه يخاطب نفسه**) .. يا ويح أبيفانيا المسكينة . لقد زوجناها من قبل لملك الخزر لتضمن لها عرشا عنده فإذا هو يموت قبل أن نزفها إليه ..

مارتينة : لكنها اليوم قد زفت إلى هذا الأمير العربى .. وانتهى الأمر .

سرجيوس : فعرش الشام مضمون لها بإذن السيد المسيح وباسم الآب والابن والروح القدس .

هرقل : (**يدعو مبتهلا**) يا رب .. من أجل الصليب الأعظم وقبر السيد المسيح !.

مارتينة : (**تدعو أيضا مبتهلة**) ومن أجل أبيفانيا يا رب !!

(ستـــار)

المشهد الثالث

فى بيت عمر بالمدينة.

عاتكة : كلا لا حق لأمير المؤمنين أن يمنعك هدية جاءت باسمك.. أرينيها يا أم كلثوم..

أم كلثوم : (**تناولها قارورة**) ها هى ذى..

عاتكة : عطر؟

أم كلثوم : بل لؤلؤ.

عاتكة : فى قارورة؟

أم كلثوم : القارورة التى أرسلت لها فيها العطر ردتها هى لى مملوءة باللؤلؤ.

عاتكة : (**تفرغ القارورة فيتساقط اللؤلؤ**) لله ما أجمله.. وما هذا الذى بيدك؟

أم كلثوم : هذا الخيط الذى يُسلك فيه.. خيط من حرير..

عاتكة : هى التى بعثته أيضا؟

أم كلثوم : نعم أرسلته مع القارورة..

عاتكة : إنها والله لحكيمة.. لا يصلح لهذا اللؤلؤ إلا مثل هذا الخيط. دعينى أنظمه لك.

أم كلثوم : كلا يا عاتكة.. إن أمير المؤمنين أمرنى ألا أتصرف فى هذا اللؤلؤ بشىء.

عاتكة : سأنظمه لك ثم أحله فى الحال ..

أم كلثوم : وما خير ذلك ؟

عاتكة : أريد أن أراه عليك ثم علىّ ..

(تنظم عاتكة العِقد وأم كلثوم تناولها حبات اللؤلؤ)

عاتكة : أخوك حسين هو الذى سلمها لك ؟

أم كلثوم : نعم كيف عرفت ؟

عاتكة : منه .

أم كلثوم : من أمير المؤمنين ؟

عاتكة : نعم .. لا بد أن الرسول هاب أن يسلمها له فسلمها لأخيك حسين ..

أم كلثوم : ولأن حسينا هو الذى أعطاه هديتى إلى ملكة الروم .

عاتكة : لو بعثت إلى حسين أو حسن فكلم لك أمير المؤمنين فى شأنه فإن لأخويك مكانا كبيرا عند عمر ..

أم كلثوم : لا يا عاتكة .. لا أحب أن أثقل على أحد منهما فى مثل هذا الشأن ..

عاتكة : هذا العقد جدير ألا يؤخذ منك .. واحسرتاه إن أُخذ منك .

أم كلثوم : لوَدِدتُ لو لم تأتنى هذه الهدية ألبتة .. إذن لما تعلق بها قلبى .

عاتكة : لكنها قد جاءتك وسُلمت إليك .. فكيف يريد أن ينزعها منك ؟

أم كلثوم : قال إنه سيضمها إلى بيت المال ..

عاتكة : أوَلا يشبع بيت المال هذا أبدا ؟ كلا لا تسكتى له على ذلك .

أم كلثوم : ماذا أصنع يا عاتكة ؟ تعرفين صرامته ..

عاتكة : أجل ولكنك عروس شابة، ولك دالة عليه لقرابتك من رسول الله ﷺ ..

أم كلثوم : ويحك أما تعلمين أنه يرانى أحرى أن أزهد فى زينة الدنيا لمكان هذه القرابة ؟

عاتكة : لكن هذا حقك وقد أحله الله لك فبأى حق يمنعك إياه ؟ إياك يا أختاه أن يرى منك أنك راضية بما صنع .

أم كلثوم : لا والله لقد جادلته وحاججته .. فلما لم أبلغ منه شيئا غاضبته وصرت لا أكلمه .

عاتكة : أحسنت والله لهذا خير ما تعاقبينه به .. إن من أشق الأمور عليه ألا تكلمه امرأته (**تكمل نظم العِقد**) انظرى الآن ... ما أروعه من عِقد .. أعطنى عُنقك (**تُلبسها العقد**) ما أحلاه عليك يا أم كلثوم .. وما أحلاك فيه .. انظرى فى المرآة ..

أم كلثوم : (**تنظر فى مرآة صغيرة بيدها**) حقا إنه لجميل البسيه أنت الآن يا عاتكة .

عاتكة : (**تلبس العُقْد**) كيف ترين ؟

أم كلثوم : صدقينى إنه لحلو عليك !

عاتكة : لكنه عليك أليق وبشبابك أخلق .. ليت شِعْرى ماذا على أمير المؤمنين لو متع به عينيه على جيدِ امرأته ؟

أم كلثوم : صَهْ !. هذا هو قد أقبل !. اخلعى العقْدَ !.

عاتكة : دعيه علَىّ .. دعينى أواجهه ..

(**يدخل عمر**)

عمر : أنت هنا يا أم عياض ؟ ماذا تصنعين ؟

عاتكة : أزور أختى أم كلثوم ألا يسرك أن أزورها ؟

عمر : يا هذه إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ..

عاتكة : فنيتى يا أمير المؤمنين سليمة صالحة ..

عمر : وما هذا الذى تحملينه على جيدك ؟

عاتكة : (**ضاحكة**) أعيذك بالله أن تحسبه حبلا من مسد !

(**يقهقه عمر ضاحكا وتضحك زوجتاه معه ثم ينقطع عن الضحك فتنقطعان**) .

عمر : يا هذه ربما كان شرا على حاملته من ذاك .. أهى الهدية يا أم كلثوم ؟

أم كلثوم : (**لا تجيب**) ..

عمر : إخاله كان لؤلؤاً منثوراً ..

عاتكة : لا تلمها يا أمير المؤمنين فأنا التى نظمته عقداً وهى كارهة .

عمر : أفجئت إلى بيتها لتكرهيها على ما لا تحب ؟

عاتكة : لا يا أمير المؤمنين ولكنى لما علمت أنك ستمنعها إياه وتضمه لبيت مال المسلمين خشيت أن تضيع بعض حباته إن لم ينظم فى عِقْد !

عمر : حرصا منك على بيت مال المسلمين ؟.

عاتكة : نعم !

عمر : ولذلك علقتِه على جيدك ؟

عاتكة : ألا تراه جميلا يا أمير المؤمنين ؟ وإنه فى جيد أم كلثوم لأحلى

وأجمل .. (**تخلع العِقد وتلبسه لأم كلثوم**) انظر !! إن ملكة الروم قد عرفت كيف تختار !!

عمر : حقا إن كيدكن عظيم .

عاتكة : وإن ظلمكم لأعظم ..

عمر : ويلك أجئت إلى بيتها لتلقى فى روعها أنها مظلومة وأنى أنا الذى ظلمتها ؟

عاتكة : يا أمير المؤمنين أتظنها بحاجة إلى ذلك وأنت تريد أن تنزع منها هذا العِقد النفيس ؟

عمر : ما أنت وذاك ؟ ما شأنك بما بينى وبين أم كلثوم ؟

عاتكة : إنها بمكان ابنتى يا ابن عم ، فحق علىّ أن أرعاها .

عمر : احذريها يا أم كلثوم فوالله ما تريد بك خيرا لو تعقلين ..

عاتكة : إن الذى يأخذ منك العِقد هو الذى يريد بك الخير !!

عمر : عاتكُ ! ما خطبك اليوم إن الشيطان ليُنعِقُ بلسانك ..

(**يُسمع قرع على الباب ثم يدخل أسلم**)

أسلم : معذرة يا أمير المؤمنين .. عبد الله بن عمر بالباب ..

عمر : قل له عُدْ بعد العصر .

(**يخرج أسلم ثم يعود فى الحال**)

عمر : ما خطبك يا أسلم .

أسلم : الحسين بن علىّ يا أمير المؤمنين ..

عمر : ائذن له ويلك .. قل له يدخل .

(**يخرج أسلم ثم يعود فى الحال**)

أسلم : وجدته قد انصرف يا أمير المؤمنين .

عمر : انطلق وراءه حتى تجده فتجيء به ..

(يخرج أسلم منطلقا)

عاتكة : الحمد لله يا أم كلثوم .. الآن يشفع لك الحسين أخوك فلا يقدر أمير المؤمنين أن يرد شفاعته .

أم كلثوم : سيظن ظان أنني طلبت منه ذلك ..

عاتكة : ولو فعلت لكان ذلك من حقك ..

أم كلثوم : لكنى لم أفعل ..

عمر : يا عاتكة هل لك أن تلحقى ببيتك وتدعى أم كلثوم معى فى سلام ؟

عاتكة : حبا وكرامة .. ولكنى قبل أن أذهب أود لو سمعت منى كلمة ..

عمر : قوليها ويلك وأسرعى ..

عاتكة : اشدد علىّ ما شئت يا أمير المؤمنين فإنى قد ألفت شدتك وغلظتك ، وأنت ابن عمى ، وأنا ابنة عمك ، ولكن رفقا بابنة رسول الله هذه فإنها عروس شابة فلا تضيق عليها فيما تصبو إليه نفوس الصبايا من حِلية وزينة .

عمر : قد وعيت نصيحتك فانصرفى ..

عاتكة : من رقبتى يا أم كلثوم إلى رقبة الحسين بن علىّ !.

(تخرج)

عمر : (**يدنو من أم كلثوم**) ما زلت واجدة يا أم كلثوم على بَعْلكِ ؟

أم كلثوم : (**لا تجيب**) ؟

عمر : والذى نفس عمر بيده ما نَفِسْتُ العِقْد على أم كلثوم بل نَفِسْت أم كلثوم على العِقْد .. اسمعى يا أم كلثوم إنى قد استشرت المسلمين بعد الصلاة فى أمر هذا العِقْد فكلهم أشاروا بدفعه إليك ، فهو لك إلا أن تنزلى عنه لبيت المال عن طيب خاطر منك فإن فى نفسى يا أم كلثوم منه شيئا ..

(**تدخل عاتكة من جديد**)

عمر : ويلك ماذا عاد بك ؟

عاتكة : لِمَ يا ابن الخطاب كتمت عنا النبأ ؟

عمر : أى نبأ ويلك ؟

عاتكة : أنك استشرت المسلمين بعد الصلاة فى أمر العِقد فكلهم أشار بدفعه إلى صاحبته .

عمر : ويحك إنى ما كتمته عن أم كلثوم .. لقد أخبرتها به .

عاتكة : بعد خروجى ؟

عمر : نعم ..

عاتكة : علام كتمته عنى ؟

عمر : لأنك لا شأن لك بذلك .. ارجعى من حيث أتيت ..

عاتكة : الآن اطمأنت نفسى أن العِقْدَ لن يؤخذ من صاحبته ..

(**تخرج**)

أسلم : (**يظهر على الباب**) الحسين بن علىٍّ يا أمير المؤمنين .

عمر : أهلا بالحسين وسهلا .

الحسين : (**يدخل**) السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلام ورحمة الله .. لِمَ يا حسين حضرت إلى بابى ثم مضيت ؟ هل صرفك أسلم من قبل أن يخبرنى ؟ ويل له إن فعل !

الحسين : لا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت عبد الله بن عمر لم يؤذن له عليك فانصرفت .

عمر : وأنت عندى مثل عبد الله بن عمر ؟ أنت عندى مثله ؟ ويحك يا ابن رسول الله وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم ؟

الحسين : (**يصافح أخته أم كلثوم**) مالى أرى الدمع يحير فى عينيك بعد ؟

أم كلثوم : (**لا تجيب**) ...؟

حسين : ما زلت يا أمير المؤمنين على رأيك الأول فى العِقد ؟

عمر : نعم إن فى نفسى منه شيئا وقد رجوت أختك أن تنزل عنه لبيت المال إذا شاءت ولكنها سكتت ولم تجب .

حسين : هل لى يا أمير المؤمنين أن أكون حكما بينكما ؟

عمر : فماذا عندك ؟

حسين : ترضانى حكما ؟

عمر : فى كل شىء يا ريحانة رسول الله إلا فى هذا .

حسين : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إن رَدَدْتُ حكمك غضبت منى ، وإن قبلته غضبت منك أختك ، وأنا أشفِقُ على نفسى من الأول وأشفقُ عليكما من الثانى ..

الحسين : أليس لى يا أمير المؤمنين أن أفاتحك فى هذا الأمر ؟

عمر : بلى ولكنى لا أجعلك حكما فيه .

حسين : ألا يسعك يا أمير المؤمنين ما وسع المسلمين جميعا إذا استشرتهم فأشاروا عليك بدفع العِقد لأم كلثوم ؟

عمر : يا ابن رسول الله إنهم لن يغنوا عنا غدا من الله شيئا .. إن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم ..

حسين : يا أمير المؤمنين إن هذا الرسول لم تزد نفقته على المسلمين شيئا من جراء الهدية التى حملها معه إلى ملكة الروم ولا الهدية التى جاء بها لأم كلثوم .

عمر : خبرنى هل لأحد من المسلمين أن يكلف هذا الرسول بتجارة يجلبها له من أرض الروم ؟

الحسين : اللهم لا ولكن هذه ليست تجارة .. هذه هدية ..

عمر : ألم تأت هذه الهدية بربح كربح التجارة أو أكبر ..؟

حسين : حاشا لأم كلثوم أن تكون قد قصدت ذلك ..

عمر : يا ابن رسول الله لا تنس أنى أمير المؤمنين وأنها امرأتى ولا والله لا أكون مثلا سيئا لولاة الأمور بعدى فيسخر أحدهم مصالح المسلمين لقضاء حاجاته ويقول إنى ما رزأت المسلمين شيئا فلا جناح علىّ .

الحسين : ما بالك صامتة يا أم كلثوم ؟ ألا تقولين شيئا ؟

أم كلثوم : ماذا أقول يا حسين ؟

عمر : الحمد لله !

الحسين : علام يا أمير المؤمنين حمدت الله ؟

عمر : على أن تكلمت أختك .. لقد ظلت صامتة منذ أمس .

أم كلثوم : إنما كلمت أخي .

عمر : بحسبي أنك كلمته بمحضري .. ولأيا بلأى ترضين عن بعلك وتكلمينه .

أم كلثوم : هيهات ..

الحسين : كلا يا أم كلثوم لا ينبغي أن تغضبي من أمير المؤمنين فإنه لا يبغي لك إلا الخير .

أم كلثوم : ما أسرع ما مِلت معه يا حسين !.

الحسين : ها قد مسني غضبها يا أمير المؤمنين ..

عمر : ألم أقل لك ؟

الحسين : يا أمير المؤمنين ألا ترفق بها قليلا فإنها لا تحتمل العنف ؟

عمر : أتراني يا حسين أريد أن أوذيها معاذ الله بما فَعَلْتُ ؟ وأنا إنما تزوجتها لأمت بسبب إلى النبي ﷺ منذ سمعته يقول : (كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي) ولكنه سن لنا هديا فنحن نسير جهدنا عليه .. ووالله لا يحب رسول الله من لا يتبع هديه أبدا .. ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحْبِبْكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم .. ﴾ .

(**يدخل أسلم**)

أسلم : عليّ بن أبي طالب يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يثب إلى جهة الباب**) مرحبا بأبي الحسن والحسين.ادخل يا أبا الحسن .. متى وصلت من يَنْبُع ؟

علي : الساعة يا أمير المؤمنين ..

عمر : أحسنت إذ أسرعت إلينا .. جزاك الله خيرا ..

(يتقدم الحسين وأم كلثوم ليقبلان يده)

على : لعلك تريدنى يا أمير المؤمنين من أجل مسألة العِقد ..

عمر : هل علمت يا أبا الحسن بقصته ؟

على : إى والله وبما قضى المسلمون إذ استشرتهم فى أمره .. أين هو العِقد يا أم كلثوم أرينى إياه ..

أم كلثوم : (**تحضر العِقد لأبيها**) ها هو ذا يا أبى ..

على : حِبالةٌ من حَبائِل الشيطان .. هذا يا بنية لا يصلح لآل محمد ولا لآل عمر إنما يصلح لآل كِسرى وآل قيصر .. يا بنيتى إن المسلمين قد طابت أنفسهم لك بالعقد .. ولكنى لم تطب نفسى بك له ، وأحسب زوجك أمير المؤمنين على مثل رأيى .. إنك لست كأحد من النساء فأنت ابنة فاطمة ، وزوج عمر أمير المؤمنين . وإن خيرا لك أن يقال إن زوجها ظلمها من أجل المسلمين من أن يقال إن زوجها ظلم المسلمين من أجلها والأمر إليك فانظرى ماذا تختارين ؟ اللهَ والدارَ الآخرةَ يا أم كلثوم .. أم العِقْدَ عِقْدَ ملكة الروم ؟

أم كلثوم : بل أختار الله والدار الآخرة يا أبتاه .. خذه يا أمير المؤمنين لبيت المال .. فإن كان له فقد رددته وإن كان لى فهو منى صدقة ..

على : بوركت يا بنيتى بوركت ..

عمر : بخ بخ .. ذرية بعضها من بعض ..

على : هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لِمَ لا تبقيان عند أم كلثوم؟

على : معذرة يا أمير المؤمنين إنى قدمت من يَنبع عليك ولم أر أهلى بعْد.

أسلم : (**يدخل**) يا أمير المؤمنين بالباب جَثامة بن مساحق الكِنانى، والرسول الذى قدِمَ معه من ملك الروم..

عمر : (**لعلى**) هل لك أن تبقى قليلا يا أبا الحسن؟.

على : اذهب يا حسن إلى خالتك أسماء بنت عُميس فأخبرها أنى قادم وانتظرنى هنالك.

حسين : سمعا يا أبى (**يخرج وتنسحب أم كلثوم إلى الداخل**).

(**يدخل جثامة والرسول**)

جثامة : السلام عليك يا أمير المؤمنين..

عمر : وعليك السلام ورحمة الله.. ماذا عندك يا جثامة؟

جثامة : هذا أخو ربيعة رسول ملك الروم قد ضاق بالمقام ويريد أن يعود إلى قيصر.

عمر : إنك لم تُقِمْ عندنا غير يومين يا أخا ربيعة..

الرسول : عَجِّلْ لى يا أمير المؤمنين.. حتى لا يظن قيصر بى الظنون..

عمر : هل لك يا أبا الحسن أن تكتب ما أمليه عليك؟

على : حبا وكرامة..

عمر : (**يقدم له الدواة والقلم والقرطاس**) اكتب يا أبا الحسن (**عمر يملى وعلىّ يكتب**) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى هرقل ملك الروم.. أما بعد.. فإن الله هو السلام، منه السلام وإليه السلام، وقد عرضت علينا الهدنة والصداقة

على أن يكون جبل طوروس حدا فاصلا بيننا وبينك من جهة الشام، وتكون الفِراض وقرقيساء ونصيبين حدا فاصلا بيننا من جهة العراق، فاعلم أننا قد قبلنا ذلك وحمدناه لك، ولن ننقضه حتى تنقضوه أنتم فإننا قوم لا نغدر .. وأما ما ذكرت من أمر الدين وأننا نخير الناس بين الإسلام أو الجزية أو القتال، فإننا لا نفعل ذلك إلا فى حالة الحرب .. أما فى ظل السلم فإنا نأتمر بما أمرنا به ربنا تبارك وتعالى إذ قال فى كتابه العزيز .. ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .. ﴾ وإذ قال تعالى: ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغَىّ .. ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون .. ﴾

وسألتنى عن كلمة يجتمع فيها العِلْمُ كله فهاك الجواب: أحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها، واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها. والسلام.

(ستار)

المشهد الرابع

بهو كبير فى القصر الذى يقيم به خالد بن الوليد بقنسرين ..
يرى خالد وعنده أخته فاطمة بنت الوليد .

فاطمة : وأم تميم أين هى يا خالد؟

خالد : عند الجيران ..

فاطمة : عند خولة بنت الأزور؟

خالد : بل قولى عند آل رومانوس .

فاطمة : ما كنا نظن أن هذا الرومى سيكون لها نعم الزوج .. بلغنى أنه يساعدها فى كل حاجة من حوائج البيت ..

خالد : أجل إنه يحبها حبا شديدا ولما بشر منها بهذا الغلام جعل يرقص رقصة الروم من الفرح .

فاطمة : وكانت تكره أن تتزوجه ..

خالد : من بقايا النعرة الجاهلية .. والله لأصبع من رومانوس أفضل عند الله من جميع بنى أسد ..

فاطمة : إخَالُها أصبحت اليوم تحبه ..

خالد : حبا جما .. كل من يعاشر أبا الزوم لا بد أن يحبه ..

فاطمة : على ذكر الزواج يا خالد ماذا فعلت برسالة أم حكيم .؟ ألا ترد عليها بجواب؟

خالد : لن أكتب لها جوابا حتى أعرف ما استقر عليه رأيك فيما استشارتك فيه .

فاطمة : وأنت يا أخى ما رأيك ؟

خالد : ويحك اتستشيرينني فى عمر ؟ إنه لابن عمنا ولن تجد أم حكيم خيرا منه ..

فاطمة : لكنى لا أحبه ولا أرتاح إليه .. وكفى ما صنع فيك .

خالد : ذاك أمر آخر ولا شأن لأم حكيم بما بينى وبين عمر ..

فاطمة : إنها تعزك كثيرا يا خالد ولن يسرها أن تتزوج رجلا لا يحبك ..

خالد : ويحك يا فاطمة .. إنه قد رضى عنى وأرضانى وجعلنى أميرا على قِنَّسرين .

فاطمة : كان عليه أن يوليك الشام أجمع فأنت الذى فتحت لهم الشام ..

خالد : أبو عبيدة رجل فاضل يا فاطمة وله القدم والسابقة وهو خير منى ألف مرة .

فاطمة : إنك تضيع نفسك بتصاغرك لابن حنتمة ..

خالد : لا تنسى يا بنت أبى أن ابن حنتمة هو أمير المؤمنين .

فاطمة : فما ضره لو أبقاك أميرا للشام ؟

خالد : دعى هذا عنك الساعة .. وانظرى فيما يصلح لابنتك لنكتب إليها به .

فاطمة : أنت ترى أن نوافق على ابن حنتمة ؟

خالد : نعم .. ثقى أنه لم يخطبها إلا من أجل أن يكرمها ويصونها أن كانت ابنة خاله ، فعمر غيور على ذوى أرحامه وعلى الأرامل منهم خاصة ولو وفّق إلى تزويجها من كفء لها سواه لما تأخر عن ذلك لحظة .

فاطمة : لكنه شديد الوطأة على نفسه وَعلى أهله وأم حكيم نشأت مرفَّهَة عند أبيها ثم عند زوجها عِكرمة .

خالد : إن أم حكيم لامرأة حكيمة وستلبس لكل حالة لَبُوسَها وقد كانت دائما تميل إلى عمر وتنكر تحاملنا عليه .. ألست تذكرين ذلك ؟

فاطمة : بلى وكان عكرمة زوجها أيضا مثلها فى هذا الصدد .

خالد : فاكتبى إليها بالموافقة فإنها لو لم تكن تميل إلى قبوله لردته دون الرجوع إليك .

فاطمة : فما منعها أن تقبله دون الرجوع إلينا ؟

خالد : خشيت أن يغضبنا ذلك منها لعلمها أننا لا نميل إليه ..

فاطمة : سيفاجئها قبولنا إذن ؟

خالد : مفاجأة سارة ..

(تدخل أم تميم)

أم تميم : أهلا بك يا أم عبد الرحمن .. كيف أنت ؟ لم نرك منذ يومين .

فاطمة : ماذا أصنع لك يا أم تميم ؟ كلما جئت إليك وجدتك عند الجيران .

أم تميم : هؤلاء منا بيتنا وبيتهم واحد ..

خالد : وجدتِ أبا الروم فى البيت ؟

أم تميم : نعم وجدته يناغى غلامه الوليد ..

(**يدخل غلام خالد**) .

خالد : ما وراءك يا غلام ؟

الغلام : الأمير أبو عبيدة يا مولاى .

خالد : (**ينهض نحو الباب**) مرحبا بك يا أبا عبيدة ادخل .. ما عندى غير فاطمة أختى وأم تميم امرأتى .

(**يدخل أبو عبيدة**)

أبو عبيدة : كيف أنت يا أم عبد الرحمن ؟ وكيف أنت يا أم تميم ؟

فاطمة : الحمد لله وكيف حال أم عبيدة ؟

أبو عبيدة : بخير .

أم تميم : لِمَ لم تجىء معك يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : السفر شاق عليها يا أم تميم .. إنها ليست فارسة مثلك ..

خالد : أهلا وسهلا .. هلا بعثت إلينا يا أبا عبيدة فاستقبلناك فى الطريق .

أبو عبيدة : يا أبا سليمان .. وعلام تلك المشقة ؟ أين أبو الروم فإنى أريد أن أراه ؟

خالد : ادع أبا الروم يا غلام .. أخبره بقدوم الأمير أبى عبيدة ..

(**يخرج الغلام**)

أبو عبيدة : لقد تركنى بحِمص مسرعا ليدرك وضع امرأته فهل جاءته بغلام أم بجارية ؟

خالد : بل جاءته بغلام جميل .

(يدخل رومانوس يحمل طفله الصغير)

رومانوس : **(يقدم الطفل إلى أبى عبيدة)** هذا محمد ابنى يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : **(يحمل الطفل ويقبله)** ما شاء الله إنه شبهك كثيرا يا أبا الروم .

رومانوس : فيما خلا عينيه ..

خالد : فقد سرقهما من عيون بنى أسد

(يضحكون)

رومانوس : ادع له يا أمين هذه الأمة .

أبو عبيدة : اللهم أنبته نباتا حسنا واجعله قُرة عين لوالديه ..

رومانوس : آمين يا رب العالمين ..

أم تميم : لعلكم تريدون أن تتحدثوا فيما بينكم فهات الغلام لأعيده إلى أمه .

(تأخذ الغلام فتخرج وتخرج معها فاطمة)

خالد : علام عَولت يا أبا عبيدة ؟ أما زلت فى شك مما نقله لك أبو الروم عن البطريق صفرونيوس ..؟

أبو عبيدة : بل زاد شكى فى صحته اليوم ..

رومانوس : يا أبا عبيدة إن البطريق صفرونيوس لا يمكن أن يكذبنى أبدا ..

أبو عبيدة : فلعل الذى نقل إليه الخبر غير أمين ولا صادق ..

رومانوس : أتباعه ومريدوه فى القسطنطينية هم الذين كاتبوه بذلك .

أبو عبيدة : لينذر المسلمين من حملة هِرَقل ؟

رومانوس : نعم لأن الحملة إن نجحت كان فى ذلك القضاء على صفرونيوس لما بينه وبين ملكة الروم وبطريق القسطنطينية من عداوة شديدة .

أبو عبيدة : وما تقولان فى هذا الكتاب الذى جاءنى من أمير المؤمنين ؟

(يقدم لهما رسالة فيتصفحانها)

خالد : هدنة وصداقة ؟

رومانوس : لا ريب أن هذه مكيدة من هِرَقْل .. يريد أن يباغتنا بالحملة فيأخذنا على غِرة ..

خالد : وقد انخدع له أمير المؤمنين فأمرنا بأن نقف عند طوروس ونعلن الهدنة والسلم ونحفظ العهد ونحسن الجوار .

رومانوس : حتى تدهمنا جموع الأرمن والعرب والروم .

خالد : لله أنتَ يا ابن الخطاب .. إنك لتقول لست بخِبّ والخِبُّ لا يخدعنى .. فكيف تركت قيصرَ يخدعك ؟

رومانوس : يا أبا عبيدة علينا أن نعمل فى الحال على إحباط هذه المكيدة .

أبو عبيدة : ماذا تريد منا أن نصنع ؟

رومانوس : قل له يا أبا سليمان .

خالد : إنى لأعلم أن أبا عبيدة لن يوافقنى على شىء إلا بعد أن يستأذن أمير المؤمنين .

أبو عبيدة : وما ضَرَّ لو استأذنته يا أبا سليمان ؟

خالد : إلى أن يأتينا جواب أمير المؤمنين تكون الفرصة قد ضاعت .

رومانوس : لا بأس اذكر خطتك يا أبا سليمان فلعله يقتنع .

خالد : أترى إلى هؤلاء العرب الضاربين فى البادية والمقيمين فى الحواضر فإنهم لأشد الناس جميعا علينا لما يعرفون من عاداتنا وأخلاقنا ودخائلنا. وإن أحدهم ليتسرب إلينا دون أن نعرف، وهم يتجسسون علينا ويتدسسون إلينا دون أن نشعر، وقد اتفق معهم جَبلة بن الأيهم على أن ينتظروا حتى تهجم جموع الأرمن من الشمال وتنزل جموع الروم من البحر وحينئذ ينقضون علينا من البادية ومن الحواضر فيحدقون بأجنادنا فى كل مدينة. فإن أطعتنى فيهم يا أبا عبيدة لأناجزنهم من اليوم فلأضربنهم ضربة تطير من رؤوسهم الخيانة إلى الأبد.. والله لئن أمكننى الله منهم لأجرين نهر العاصى بدمائهم كما أجريت نهر الفرات بدماء إخوان لهم من قبل.. إن روح عقة بن عُقة لتعيش فيهم ولا والله لا يهدأ لى جأش ولا يطيب لى بال حتى أزهقها وأهيل عليها التراب فلا ترى بعدها عربيا يظاهر الروم أو العجم علينا أبدا !!

رومانوس : إن تم ذلك يا أبا عبيدة ليعدلن الأرمن عن المجىء وليعدلن الروم كذلك حين يبلغهم ما حل بأحلافهم من قبائل العرب..

خالد : وإذن نكفى هذه الحملة المثلثة ونخلص منها بسلام..

أبو عبيدة : لكن كيف لى بذلك يا أبا سليمان بعدما جاءنى كتاب أمير المؤمنين بما رأيت؟ إن شئت كتبنا إليه فى ذلك لنرى رأيه.

خالد : وإذا دهمنا القوم قبل أن يصل إلينا رأى أمير المؤمنين فماذا نفعل؟

أبو عبيدة : إذن نناجزهم القتال .

خالد : ونحن شتى فى كل مدينة جند ؟

أبو عبيدة : أفترى يا أبا سليمان أن نجمع قواصينا إلينا ونحتشد فى مكان واحد كما فعلنا قبل وقعة اليرموك ؟

خالد : نعم ولكننا سنحتشد فى حمص ونواجه العدو منها ففيها منعة وسعة ، وأهلها سِلْم للمسلمين وعلى إخلاص لهم وصدق .

أبو عبيدة : صدقت إنهم لكما وصفت ولكنكم تقولون إن جنود الروم سيأتون إلينا من البحر أفليس أحرى بنا يا أبا سليمان لو احتشدنا فى أنطاكية فحُلنا دون نزولهم فى البر ؟

خالد : هذا يا أبا عبيدة لو كان أهل أنطاكية مثل أهل حمص ، ولكن جُلّهم كانوا من صنائع الروم ، وكان قيصر يعفيهم من الجباية والخراج ويخولهم حقوقا ليست لغيرهم من أهل الشام فلما جئنا سوّينا بينهم وبين غيرهم .. فهؤلاء لا يمكن الركون إليهم ويوشك إذا أقبلت السفن فى اليم أن يثوروا بنا ويعينوا العدو علينا من البر والبحر .. ألم تر كيف كان فتحها أشد شىء علينا قط ؟

أبو عبيدة : (**معجبا بحصافة خالد**) صدقت يا أبا سليمان حمص أفضل لنا وأصلح .

رومانوس : وافقت على هذا الرأى يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : نعم وسأكتب به إلى أمير المؤمنين .

خالد : تكتب به إلى أمير المؤمنين ؟

أبو عبيدة : يا أبا سليمان إن أمير المؤمنين لا يرفض لك رأيا فى الحرب أبدا .

خالد : إنى لست أخاف من رفضه يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : فمم تخاف ؟

خالد : من فوات الفرصة ؟

أبو عبيدة : فى هذه أيضا ؟

خالد : فى هذه أخطر وأعظم . يوشك إذا وقعت الواقعة أن يحصر رجالنا فى تلك المُدن فلا يجدون سبيلا إلى الخروج ، ولئن قتلوا على أيدى الروم ليكونن بعد ذلك علينا أجرأ وليقتدين بهم الأهالى فى ذلك فيستطيلون علينا فى كل مكان .. فاختر لنفسك يا أبا عبيدة أحد الأمرين : فإما أن نُوقِع بهؤلاء الخونة من العرب اليوم وتبقى أجنادنا فى أماكنها من المدن والمَسالِح ، وإما أن نسحبها اليوم من هذه المدن والمَسالِح إلى حيث نحتشد جميعا فى حمص فنزيد فى تحصينها وتموينها بالذخائر والأقوات حتى نرى ما يكون من العدو وما يأتينا من جواب أمير المؤمنين ..

أبو عبيدة : أليس لى يا أبا سليمان أن أكتب بهذا التخيير إلى أمير المؤمنين فنرى رأيه فى ذلك ؟

خالد : يا أبا عبيدة افعل ما ترى وأخلنى من التبعة واجعلنى كأنك لم تستشرنى من هذا الأمر فى شىء ..

أبو عبيدة : أغضبْت يا أبا سليمان ؟

خالد : كيف لا وأنا أرى الخطر أمامى ماثلا كما أرى وجهك الآن يا أبا عبيدة فلا يؤذن لى فى دفعه حتى أراجع رجلا تفصل بينى وبينه مسيرة شهر للراكب المُجِدّ ؟

أبو عبيدة : حِلْمُك يا أبا سليمان وأناتُك .. والله إن شئت لأنفذن لك كل ما تريد ولكن أبلِغنى ريقى حتى أكون على بصيرة من الأمر.

(يدخل الغلام).

خالد : ماذا وراءك يا غلام؟

الغلام : ضرار بن الأزور يا مولاى ويونس بن مرقص..

خالد : ائذن لهما بالدخول.

(يخرج الغلام).

رومانوس : الحمد لله.. لعلهما جاءا بما يؤيد ما نذهب إليه.

أبو عبيدة : كنت بعثتهما فى مهمة يا أبا سليمان..؟

خالد : نعم بعثتهما يستطلعان الأنباء عن العرب وعن الأرمن.

(يدخل ضرار ويونس)

ضرار : السلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله.

خالد : حدثانى أين بلغتما فى تسياركما؟

ضرار : طوَّفْنا أولا بحواضر حلب ومنبج وأوغلنا شمالا حتى بلغنا سَمِيساط، ثم انحدرنا فى الجزيرة فمررنا بالرهاء وحِران حتى وصلنا إلى الرَّقة ومنها عدنا على سواء إلى قِنَّسْرين.

خالد : فماذا وجدتما من أنباء؟

ضرار : تأيد لدينا أن جَبلة بن الأيهم قد وصل إلى الجزيرة وأنه يتصل بقبائل العرب سِرا ويعدهم للحملة المنتظرة.

خالد : وماذا عن الأرمن؟

يونس : إنهم يتحركون صوب الجنوب فى جموع كبيرة حتى أن بعض قراهم فى الشمال قد خلت من أهلها ولم يبق بها أحد ..

خالد : انصرفا الآن فاستريحا من عناء السفر .

(يخرج ضرار ويونس)

خالد : ماذا ترى الآن يا أبا عبيدة بعد هذا الذى سمعت ؟

أبو عبيدة : إن أبا سليمان خيرنى بين خطتين وإنى أرى أن أختار الثانية .

خالد : هلا اخترت الأولى يا أبا عبيدة فإنها أحسم للأمر وأبلغ فى الوقاية وأضمن للسلامة ؟

أبو عبيدة : كلا يا أبا سليمان .. سَحْبُ الأجناد من المدن ولا الفتك بقوم من أهل الذمة قبل أن يأتوا عملا يستوجب ذلك .

خالد : (مداعبا) هذا رأيك أنت يا أبا عبيدة أم رأى أمير المؤمنين ؟

أبو عبيدة : (ضاحكا) رأيى يا أبا سليمان ورأى أمير المؤمنين .

(ستــار)

المشهد الخامس

بهو فى القصر الذى كان ينزل به أبو عبيدة بحمص وقد تخلى عن القصر لخالد وروماتوس.
يرى رومانوس وزوجته خَولْة وهى تُرضع وليدها وبينهما ضرار بن الأزور.

ضرار : قاتله الله.. أعلمه الرماية كلَّ يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

خَولْة : لا والله يا أخى لا شأن ليونس بذلك.

ضرار : فمن الذى أخبركم؟

خَولْة : أنت الذى أخبرت عن نفسك.. ودخلتَ علينا البارحة مخمورا لا تكاد تعى شيئا.

ضرار : أحقا يا رومانوس؟

رومانوس : نعم يا ضرار هداك الله وتاب عليك..

ضرار : وهل رآنى أبو سليمان أو علِمَ بأمرى؟

رومانوس : كان أول من فَطِنَ لك فوثب إليك وقادك إلى حجرتك وزعم لأبى عبيدة أن التعب يكاد يقتلك..

ضرار : وكان هنا أبو عبيدة؟

خَولْة : هو وامرأته.. كانا يسمران عندنا.

ضرار : قاتل الله يونس.. كيف لم يمنعنى حينئذ من الدخول عندكم؟

رومانوس : لا تَلُمْ يونس يا ضرار فلعله قد حاول فلم يقدر عليك ..

خالد : أجل فقد دخلت علينا كالثور الهائج ..

رومانوس : ولولاه لانكشف أمرك ..

ضرار : كيف ؟

رومانوس : إذ نابَ عنك فروَىَ لأبى عبيدة وخالد ما جئتما به من الأنباء .

خَولْة : ماذا كان يكون من أمرك لو وقفت أنت لتروى لهم ذلك ؟

رومانوس : إذن لفطن لك أبو عبيدة ولأقام عليك الحد ..

ضرار : لا والله لا أقبل أن أُجْلَدَ كما يُجْلَدُ العبد ..

رومانوس : إذن فلا تكن عبدا لهذا الشراب الذى حرمه الله على المسلمين .

ضرار : والله لقد رأيت القُسس والرهبان يشربون الخمر فليت شِعْرى لماذا ..؟

رومانوس : لماذا حرمَّها الله على المسلمين ؟

ضرار : نعم .

رومانوس : ويحك يا ضرار إن الله عز وجل قد أعدَّ المسلمين ليكونوا هُداة العالم وشهداء على الناس فكيف بالله يكون الشهيد على الناس مخمورا لا يعى ولا يعقل ؟

ضرار : ماذا أصنع يا رومانوس ؟ لقد حاولت جهدى والله أن أمتنع عنها فلم أستطع .

خَولْة : لا تكذب يا ضرار .. لقد كنت كففت عنها دهرا بعد ما أسلمت ولم تعد إلى شربها إلا من قريب ..

ضرار : أجل منذ رأيت هنا هذه الحوانيت تباع فيها الخمر ألوانا لمن

يريد.ويلكم ألمْ تُصبِحْ هذه البلاد خاضعة للمسلمين فهلا غلَّقتم هذه الحوانيت وأبطلتم هذه المعاصِرَ ؟

(**يدخل خالد فجأة كأنما كان يسمع الحديث من قبل**) .

خالد : ويلك يا ابن الأزور إن فيها قوما يشربونها من أهل الذمة والعهد وهي عندهم حلال فليس لنا أن نكرههم على ما لا يحبون أو نُحرِّم عليهم ما يحبون .

ضرار : (**يرتاع ويخجل**) أبا سليمان ! أنت هنا تسمع ؟ واهنتاه !

خالد : أتستحى مني يا ضرار ولا تستحى من الله عز وجل ؟

ضرار : ما عاهدت الله على شيء ولكنى عاهدتك أنت ألا أقرب الخمر ما كنت فى مهمة أو فى سرية ..

خالد : بلى يا ابن الأزور قد عاهدت الله على تركِها من قبل ..

ضرار : متى ؟

خالد : حين قُلْتَ بين يدى رسول الله ﷺ :

خلعت القِداح وعَزْفَ القِيان
والخمرَ تعْلِلَةً وانْتِهالا

بكرّى المجبّر فى غمرة
وجهدى على المشركين القِتالا

وقالت جميلة بذّرتنا
وطرَّحتَ أهلك شتَّى شمالا

فيارب لا أغبنن صفقتى
فقد بِعْتُ أهلى ومالى بدالا

رومانوس : (**بصوت**) قلت هذه الأبيات أمام النبى ﷺ ؟

ضرار : (**بصوت يخالطه البكاء**) نعم .

خالد : فماذا قال لك النبى يا ضرار ؟ ألا تذكر ؟

ضرار : بلى قال لى ﷺ : ربح البيع يا ضرار (**ينشج باكيا**) واشقائى إن لمْ يرحمنى الله ويتب علىّ .

رومانوس : من تاب يا ضرار تاب الله عليه .

ضرار : إذن فما إخال الله يتوب علىَّ إلا بالشهادة ..

رومانوس : أليس خيرا لك أن تستقبل الشهادة وأنت طاهر تقى ؟

ضرار : والله ما أبالى إن رزقتها كيف أكون .. فقد سمعت أنها تجُبّ كل سيئة .

خالد : وما يدريك يا ضرار أترزقها أم لا ؟

ضرار : لأرزَقَنَّها إن شاء الله فى المعارك القادمة .

خالد : ما تقول فى شهادة تلقاها على أسوار القسطنطينية !

ضرار : على أسوار القسطنطينية .. لتكونن شهادة غراء محجَّلة !

خالد : فإنى أرجو أن أسير برجالى لغزوها ..

ضرار : متى يا أبا سليمان ؟

خالد : وشيكا إن شاء الله ولكنى لا أريد أن يصحبنى فيها رجل يشرب الخمر ..

ضرار : أتريد أن تتخلى عنى يا أبا سليمان وأنا من أقدم رجالك ؟ إنى معك منذ حروب الردَّة ..

خالد : من ذا يثق بك بعد الذى كان ؟ لقد كنت فى مهمة ذات خطر تتوقف عليها سلامة المسلمين .. فإذا أنت تعرج على حانة خمار فى الطريق تاركا رفيقك خارج الحانة ينتظر .

ضرار : الآن اتضح أن يونس هو الذى وشى بى إليك ..

خالد : ويلك لو كتم عنى ذلك لعددته شريكك فيما اجترمت .

ضرار : إذن فاعلْم يا أبا سليمان أن يونس عَدَلَ بنا وجهتنا يوما كاملا ليقف على قبر حبيبته .

خالد : وطاوعته أنت على ذلك ؟

ضرار : ماذا أصنع ؟ أأتركه يمضى وحده فنفترق ؟

خالد : ولم تخبرنى بذلك إلى الآن ؟

ضرار : ما كنت أريد أن أشى به إليك .

خالد : فقد أخطأت يا ابن الأزور أربع مرات .

ضرار : أربع مرات ؟

خالد : الأولى حين شربت المنكر ، والثانية إذ لَمْ تخبرنى بذلك ، والثالثة إذ سترت على رفيقك والرابعة إذ كشفته بعد ما علمت أنه أخبر عنك .

ضرار : وهو لم يخطئ ؟

خالد : أخطأ مرة واحدة إذ أضاع يوما كاملا ليقف على قبر حبيبته .

ضرار : وحين كتم عنك ذلك .

خالد : كلا لقد أخبرنى بما فعل وسألنى أن أقبل عذره .

ضرار : فقبلت عذره ؟

خالد : كلا ليس لمقصر فى واجبه عندى عذر .

ضرار : يا أبا سليمان هَبْ لى ما مضى ولن أعود إلى مثله .

خالد : ويْلك يا هذا لقد أخَّرْتنا عن ميعادنا مع أبى عبيدة .. قلنا له أول الضحى ونحن الآن فى وسطه .. هيا بنا يا أبا الروم .

رومانوس : (**ينهض**) هيا بنا يا أبا سليمان .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : مولاى .. بالباب أبو عبيدة ..

خالد : ويلك دعه يدخل .. استبطأنا فجاء .

(**تنهض خولة وتخرج بوليدها ويخرج معها ضرار**) .

أبو عبيدة : (**يدخل**) السلام عليكم :

خالد : وعليك السلام ورحمة الله .. ما خطبك يا أبا عبيدة ؟ أتستأذن علينا ونحن فى بيتك ؟.

أبو عبيدة : هو الآن بيتكم قد نزلت لكم عنه .

خالد : ربثما نجد بيتا يسع عيالى وعيال رومانوس .

أبو عبيدة : لا بل لكم بَتَّة ولن أعود إليه .

رومانوس : هذا لا يكون يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : ماذا أصنع أنا بهذا البيت الكبير ؟ أنتما أحق به منى .. أنا يكفينى بيت سُويد بن كلثوم .

رومانوس : ذاك بيت صغير لا يتسع لعيالك وعياله .

أبو عبيدة : بلى نحن بنى فِهْر منطوون على حُب القَصْدِ .. خبّرانى ماذا أخركما عن الموعد ؟

خالد : معذرة يا أبا عبيدة .. لقد كنا بسبيل أن نذهب إليك الساعة فلو انتظرت قليلا لجئناك ..

أبو عبيدة : استبطأتكما فجئت فهل علىَّ من حَرَج ؟

خالد : معاذ الله ولكنك أنت أميرنا وفى بيته يؤتى الحَكَم ..

أبو عبيدة : كلا يا أبا سليمان إننا اليوم فى حالة حرب شاملة فأنت اليوم أميرنا على الحقيقة كما كنت يوم اليرموك ..

خالد : (**تدركه الرقة**) يا أمين هذه الأمة .. كيف بالله أكافئ نبلك وكرمك ؟

أبو عبيدة : ويحك يا سيف الله أنا الذى علىَّ أن أُكافئك .. بك ينصرنا الله وإلىَّ يُنسب الفضل .. وإن مثلى ومثلك لكما قال الشاعر :

وإذا تكون كريهة أُدْعَى لها
وإذا يُحاس الحيس يُدْعَى جُنْدُبُ

خالد : فلقد جعلتنى جُندبا يا أبا عبيدة !

أبو عبيدة : لا والله يا خالد .. عامر بن الجراح هو الجُنْدُبُ .

خالد : ولكن بلا حَيْس .

(**يتضاحكون**)

خالد : (**مداعبا**) فاشهد على أبى عبيدة يا أبا الروم قد جعلنى أنا الأمير ..

رومانوس : قد شهِدْتُ ..

خالد : فإياك إذا دعوتك إلى أمر أن تقول لى سأكتب إلى أمير المؤمنين .

أبو عبيدة : (**ضاحكا**) يا أبا سليمان قد جعلتك أميرا مكانى ولم أجعلك مكان أمير المؤمنين ..

خالد : أرأيت يا أبا الروم كيف استرد بشِماله ما أعطى بيمينه ؟

أبو عبيدة : قد عرفت مرماك يا خالد .. عندك لا ريب خطة جديدة تريد منى أن أوافق عليها دون الرجوع إلى أمير المؤمنين .

خالد : أجل .. فهل تعدنى بالموافقة ؟

أبو عبيدة : إن وجدتها مما لا يُستَأمر فى مثلها أمير المؤمنين .

خالد : ما أنا بعارضها إذن عليك ..

رومانوس : لِمَ لا تذكرها له يا أبا سليمان لعله يوافق .

أبو عبيدة : بربك قل لى ما هى ؟

خالد : قد رأيت كيف انقض عرب الشام علينا فى كل مكان ؟

أبو عبيدة : الآن تستطيع أن توقع بهم إن شئت .

خالد : هيهات لا نقدر أن نوقع بهم وحدهم اليوم بعدما نزلت جحافل الروم فى أنطاكية يقودها قسطنطين بن هرقل وتقدمت جموع الأرمن إلى منبج وحلب .

أبو عبيدة : أيحزنك يا أبا سليمان أنك لم تفتك بهم قبل ذلك ؟

خالد : ليس من شيمتى أن أحزن على شىء قد فات ..

أبو عبيدة : بل ينبغى يا أبا سليمان أن تحمد الله على ما وقاك الله من معصيته .

خالد : أو ما تبين غدرهم اليوم يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : بلى ولكن عهدهم كان قائما بعدُ يوم أردت أن توقع بهم ..

خالد : فالحمد لله يا أبا عبيدة على كل حال ..

أبو عبيدة : إن شئت أرسلت إلى عمرو ويزيد وشرحبيل فأدركونا بالمدد من عندهم .

خالد : كان يكون ذلك هو الرأى لولا أن جحافل الروم قد نزلت أيضا فى قيسارية كما نزلت فى أنطاكية وعسى أن تنزل فى بعض الثغور الأخرى فى الجنوب،فعلى إخواننا هناك أن

يرابطوا حيث هم ويَكْفونا العدو من قبلهم فيحموا بذلك ظهورنا ويمنعوا أهل ناحيتهم أن ينقضوا عليهم .

أبو عبيدة : فعلام عولت يا خالد ؟ أترى أن نخرج إليهم فنناجزهم إذا أقبلوا أم نبقى فى حصوننا بالمدينة حتى يجىء المدد الذى طلبناه من أمير المؤمنين ؟

خالد : اسمع يا أبا عبيدة ما أنا قائله لك .. لقد فكرت البارحة فى هذا كله فوجدت خير سبيل للخروج من هذا المأزق أن أنطلق بثُلَّة من رجالى المغاوير صوب الشرق فأؤدب من فى طريقى من قبائل العرب حتى أصل إلى الفُراض .

أبو عبيدة : وماذا تصنع بالفُراض ؟

خالد : سأستعين بالأربعة آلاف فارس الذين أعدهم ابن الخطاب بها لكونٍ إن كان .

أبو عبيدة : مَبْلغُ علمى يا أبا سليمان أنه لا يوجد فى أمصار العراق من خيول العُدة هذه إلا فى البصرة والكوفة والحيرة والمدائن .

خالد : وفى الفُراض كذلك يا أبا عبيدة .. إن ابن الخطاب قد أدرك خطر الفُراض فجعل فيها من خيول العدة مثل ما جعل للكوفة والبصرة .

أبو عبيدة : وتعود إلينا بأولئك الفرسان مددا لنا ؟

خالد : كلا يا أبا عبيدة بل أنقض بهم على ديار هؤلاء الأرمن فى الجزيرة فألقى الرعب فى قلوبهم ثم أدرِب بهم فى أرض الروم صوب القسطنطينية فألقى الرعب فى قلب هرقل ..

أبو عبيدة : (**مستعظما**) ماذا تقول يا أبا سليمان ؟

أبو عبيدة : أجل..

خالد : ويحه وهل الحرب إلا كذلك؟

أبو عبيدة : إننا لا نحارب أحدا يا أبا سليمان بل نجاهد فى سبيل الله.

خالد : أيهما خير للمجاهد فى سبيل الله أن ينتصر أو أن ينهزم؟

أبو عبيدة : بل أن ينتصر.

خالد : فهذا سبيل النصر إن كنتم تريدون النصر.

رومانوس : ألا تخشى يا أبا عبيدة أن يحاسبك الله أن أضعت على المسلمين فرصة فتح القسطنطينية من أيسر سبيل..؟

أبو عبيدة : يا أبا الروم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. وماذا على المسلمين أن يفتحوا القسطنطينية أو لا يفتحوها ما صدقوا الله ما عاهدوه وأخلصوا الجهاد فى سبيله.

رومانوس : يا أبا عبيدة إنا لا نقاتل فى سبيل الله وحده بل فى سبيل المستضعفين من كل أمة وفى كل مكان.. ﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾.

خالد : بخ بخ يا أبا الروم ما أحسن ما استشهدت من كتاب الله الكريم..

أبو عبيدة : إى والله قد أوتيت حفظا وفهما.

رومانوس : إنما احفظ بعضه ولوددت لو حفظته كله..

خالد : إذن لحاججت عنى ابا عبيدة فأفحمته.

أبو عبيدة : إذن والله يسرُّنى ذلك .. يا أبا سليمان حنانك إن الرفق خير من العنف وإن الله هو الذى يتولى نصر المؤمنين وحماية المستضعفين ولن يضير ناشئ أن نكتب إلى أمير المؤمنين برأيك ليقره إن شاء الله ..

خالد : والله يا أبا عبيدة لقد عرف ابن حنتمة كيف يُرَوِّضُنى بك !

أبو عبيدة : أما أنا يا أبا سليمان فأقول والله لقد عرف ابن الخطاب كيف يسد عجزى ويجبر ضعفى بسيف الله خالد بن الوليد .

(ستــار)

المشهد السادس

نفس المنظر كما فى المشهد الخامس « الوقت ليل » .
يرى رومانوس وزوجته خَوْلةُ وأم تميم زوجة خالد والثلاثة شاكو السلاح كأنما يتوقعون الشر فى كل لحظة .

أم تميم : ليت شِعرى ماذا أخّره حتى الآن ؟
رومانوس : وعد أن يعود الليلة ونحن فى أولها ..
أم تميم : بل وعد أن يعود عند المغرب وهذه العِشاءُ الأخيرة .
رومانوس : فسيخبرنا بعذره حين يعود .
خولة : ويحك أعَلى أبى سليمان تقلقين ؟ أتستطيعين أن تتخيلى مخلوقا يقدر أن يتعرض لأبى سليمان بسوء ؟
أم تميم : ما أقلقنى عليه إلا أنه نسى فلم يأخذ معه قلنسوته .
رومانوس : وهل خرج لقتال فيأخذها ؟ إنما خرج ليوصل اللاجئين من أهل حِمص إلى دمشق .
أم تميم : ألا يجوز أن يتعرض له العدو فى الطريق ؟
رومانوس : الله معه يا أم تميم فاطمئنى عليه .
(يدخل أبو عبيدة وزوجته هند بنت جابر وعليهما السلاح فيتبادلون معها التحية) .
أبو عبيدة : ألم يرجع أبو سليمان بعد ؟
رومانوس : نحن فى انتظاره ..

أبو عبيدة : ما ضر لو بقى هو وأرسل غيره مكانه ..
رومانوس : لقد قلنا له ذلك فأصر على الخروج بنفسه لعل له حاجة أخرى يقضيها فى دمشق.
أبو عبيدة . : أى حاجة؟
رومانوس : لا أدرى يا أبا عبيدة ..
أبو عبيدة : ما كان ينبغى أن يتركنا لحظة ونحن فى هذه الحال.
خالد : (**يدخل فجأة**) هاأنذا معكم يا أبا عبيدة ..
أبو عبيدة : مرحبا بك يا خالد .. الحمد لله إذ عُدت إلينا بالسلامة ..
أم تميم : لِمَ تأخرت يا خالد.
رومانوس : كان موعدك عند المغرب.
خالد : قد وصلنا حمص بعد المغرب بقليل ولكنا لم ندخلها وانطلقنا فجلنا حول معسكرات العدو ثم عدنا إلى الباب الجنوبى فتركت جوادى لرجالى وطفقت أجوس خلال المدينة ساعة.
أم تميم : وتركتنا فى قلق عليك ..
خالد : أنا الذى كنت فى قلق عليكم ولذلك جُلت حول العدو ثم جُست خلال المدينة.
أبو عبيدة : فماذا وجدت يا أبا سفيان ..
خالد : ما بقى اليوم عندى شك فى أن أهل حِمْصَ قد تغيروا علينا فصاروا يأتمرون بنا مع العدو.
أبو عبيدة : هل رَابَكَ منهم شيء جديد يا أبا سليمان.

خالد : نعم رأيت الليلة نارا توقد من سطح بيت عال وما أحسبها إلا إشارة يتخاطبون بها مع العدو .

رومانوس : وأنا لمحت مثل هذه النار البارحة .

أبو عبيدة : لكنك لم تخبرنى يا أبا محمد .

رومانوس : ما دار بخلدى والله أنها تعنى شيئا .

أبو عبيدة : إن صح هذا الذى تخشاه يا خالد فكيف يرغب كثير منهم فى الرحيل إلى دمشق ؟

خالد : ما يدرينا لعل العدو هو الذى أوعز لهم بذلك ليشغلونا بحراستهم فى الطريق وليدخلوا الروع فى قلوب أهل دمشق .

أبو عبيدة : وما بالهم بعثوا اليوم وفدا لنأذن لهم أن يقيموا فى الأطراف ويرابطوا على الأسوار ليشتركوا معنا فى الدفاع عن المدينة ؟

خالد : فماذا قلت لهم يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : قلت لهم إن علينا أن نقيم فى الأطراف وعلى الأسوار لتكون وقَاء لهم من شر العدو ، وليس لنا أن نعكس الآية فنجعلهم وِقاء لنا ..

خالد : أحسنت يا أبا عبيدة ..

أبو عبيدة : ولكنهم ظلوا يلحون ويلحّفون حتى قالوا إن من حقهم أن يدافعوا معنا عن مدينتهم وعن أنفسهم ونسائهم فإننا إذا غُلبْنا فإن العدو لن يرحمهم وسيصيبهم من بلائه وشره أكثر مما يصيبنا نحن،فلما أرهقونى قلت لهم الرأى فى ذلك لخالد فهو أمير الجيش .

خالد : هذا دليل آخر على ما يضمرون لنا من غدر .

أبو عبيدة : لكنهم قد طلبوا منا مثل هذا من قبل فلم نتهمهم.

خالد : كانوا يومئذ مخلصين لنا يريدون حقا معاونتنا فى الدفاع. أما اليوم فلهم معنا ومع العدو شأن آخر.. أتذكر يا أبا عبيدة يوم طلبوا من سويد بن كلثوم أن يزيد لهم فى مقدار ما يصرف لهم من قوت؟

أبو عبيدة : نعم لقد أمرته أن يجيبهم إلى ما طلبوه..

خالد : فذلك أول ما أضمروا لنا الغدر..

أبو عبيدة : أرادوا استنفاد ما عندنا من القوتِ ليخدموا بذلك العدو؟

خالد : نعم.

رومانوس : قاتلهم الله من قوم غُدْر.

خالد : اعذرهم يا أبا الروم.. استضعفوا جانبنا وتوقعوا أن يدال للعدو علينا فمالوا إليه..

رومانوس : والله لنجعلنهم يندمون على ذلك.

خالد : كيف يا أبا الروم كيف السبيل إلى ذلك؟ إننا اليوم فى محنة..

أبو عبيدة : عجبا لك يا أبا سليمان.. ترى هذه المحنة التى نحن فيها ثم تأبى إلا أن تخرج بنفسك لتوصلهم إلى دمشق.. ولو أرسلت غيرك مكانك لكفاك؟

خالد : كلا يا أبا عبيدة.. لقد كان لزاما عليَّ أن أذهب إلى دمشق لأرى بنفسى كيف ننتقل إليها إذا ما ساءت الحال ولم نجد بدا من ترك حمص.

النسوة : يا ويلتا.. أنحن تاركون حمص؟

خالد : إن لم نجد بدا من ذلك..

(يعترى القوم وجوم وتمر فترة صمت)

أبو عبيدة : إن أبا سليمان لواجد بعْد عليَّ إذ لم آذن له بالمسير إلى الفِراض دون الرجوع إلى أمير المؤمنين ..

أم تميم : حاش لله يا أبا عبيدة ..

خالد : بلى يا أم تميم إنى لواجد عليه حقا وإنى لأحمله التبعة فيما نحن فيه اليوم . لو كان أطاعنى يومئذ لأبصرتم هذه الجموع قد انفضت عنكم اليوم وارتدت إلى ديارهم ولكنت الآن أقرع أبواب القسطنطينية على هرقل ..

أبو عبيدة : يا أبا سليمان لا أريد أن أتنصل مما حملْتنيه من التبعة ، ولكن كل شيء بأوانه . وقد علمت أن أمير المؤمنين كان كتب إلى سعد بتجريد أربع حملات على الجزيرة فى وقت واحد فكأنما نفذ بذلك ما أردت من قبل أن تقترحه عليه .

خالد : سبحان الله أين ذهبَتْ تلك الحملات الأربع ؟ كيف لم يظهر لها حتى اليوم من أثر ؟

(يدخل غلام خالد) .

الغلام : مولاى بالباب رسول أمير المؤمنين يريد أبا عبيدة .

خالد : دعه يدخل .. **(تنسحب النسوة الثلاث إلى داخل البيت)** .

أبو عبيدة : اللهم أسمعنا خيرا .

(يدخل عبد الله بن قرط) .

ابن قرط : السلام عليكم ورحمة الله .

أبو عبيدة : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ماذا وراءك يا ابن قرط ؟

ابن قرط : أبشر يا أبا عبيدة فإن أمير المؤمنين قد فصَلَ من المدينة بجيش من المهاجرين والأنصار .

(**يقدم كتاب أمير المؤمنين فيفضه أبو عبيدة ويتصفحه**) .

أبو عبيدة : مرحبا بهم إن فيهم طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعباس بن عبد المطلب .

خالد : متى فصلوا من المدينة يا ابن قرط ؟

ابن قرط : منذ عشر ليال .

خالد : فلن يصلوا إلينا قبل ثلاث عشرة ليلة إذا أسرعوا .

صوت : (**ينادى من الخارج**) أبا سليمان .. يا أبا سليمان ..

خالد : (**ينهض فرحا**) إن لم يكذبنى سمعى فهذا صوت القعقاع ابن عمرو !

الصوت : يا أبا سليمان !

خالد : لبيك يا قعقاع !

(**يخرج مسرعا ثم يعود ومعه القعقاع بن عمرو**)

القعقاع : السلام عليك يا أبا عبيدة ..

أبو عبيدة : وعليك السلام ورحمة الله .. جئت بجيشك يا أبا ربيعة ؟

القعقاع : الجيش فى الطريق يا أبا عبيدة وإنما عَجِلْتُ إليكم رائدا له ومبشرا لكم .

أبو عبيدة : كم عدد الجيش يا أبا ربيعة ؟

القعقاع : أربعة آلاف فارس .

خالد : بل خمسة آلاف .. يرحم الله أبا بكر .. صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل ..

أبو عبيدة : الحمد لله جيش أمير المؤمنين وجيش العراق .

القعقاع : أمير المؤمنين قادم ؟

أبو عبيدة : على رأس جيش من المهاجرين والأنصار .

خالد : متى يصل جيشكم يا قعقاع ؟

القعقاع : فى ثلاث ليال إن شاء الله .

رومانوس : (**يتمتم فى أسى**) ثلاث ليال .. ثلاث عشرة ليلة ..

خالد : (**بلهجة جادة**) يا أبا عبيدة يا أمين هذه الأمة ..

أبو عبيدة : (**تروعه اللهجة**) ما عندك يا أبا سليمان ؟

خالد : دعنى أشن عليهم الليلة غارة شعواء لا ينْسَوْنَها أبدا .

أبو عبيدة : (**متعجبا**) أنت تخرج إليهم يا خالد ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : الآن وقد جاءتنا البُشرى بل البشريان ؟ أفليس أحرى بنا أن ننتظر حتى يجيء المددان فنناجزهم على قوة ؟

خالد : فى ثلاث ليال يا أبا عبيدة يبدِّلُ الله من حال إلى حال . إن العدو إذا علم بالأمر عاجلنا بالهجوم قبل أن يجيئنا المدد .

أبو عبيدة : فليفعل فلن يقدر منا على أكثر مما قدر عليه من قبل .

خالد : أوَقَدْ نسيت يا أبا عبيدة أن العدو قد أصبح داخل المدينة ؟

القعقاع : داخِل المدينة ؟

خالد : أعنى أهلها يا قعقاع .

القعقاع : (**يحرك رأسه فى اهتمام**) أهلها ..

خالد : نحن فى محنة .

أبو عبيدة : صدقتَ يا أبا سليمان ولكن خبرنى ماذا تقصد من شنها عليهم الليلة ؟

خالد : إذا نحن روعناهم الليلة ظنوا أن قد جاءنا المدد أو كاد وأننا قوينا به فحملهم ذلك على التهيب والانتظار حتى يروا ما يكون من أمرنا وأمر المدد الذى جاءنا فكسبنا بذلك بضع ليال ..

أبو عبيدة : إن شرح الله لذلك صدرك يا أبا سليمان فتوكل على الله فرأيى لرأيك تَبَع .

القعقاع : خُذنى معك يا أبا سليمان .

خالد : (**ممازحا**) أنت يا أبا ربيعة ؟

القعقاع : يرحم الله أبا بكر ..

خالد : ألا تحب أن تستريح من سفرك ؟

القعقاع : ويحك يا أبا سليمان وهل من راحة أعظم عندى من أن أركب معك ؟

(**يدخل ضرار ويونس مسرعين يلهثان**) .

خالد : ضرار .. يونس .. ماذا وراءكما ؟

ضرار : جموع الأرمن .

خالد : ما بالهُا ؟

يونس : أخذت تنسحب إلى الشمال ..

ضرار : على غير هُدى لا تلْوى على شىء .

خالد : وماذا صنع الروم ؟

ضرار : حاولوا أن يردوهم فلم يقدروا على شىء .

خالد : الحمد لله جاء الفرج من حيث لا نحتسب

أبو عبيدة : الحملات الأربع يا أبا سليمان ..

خالد : أجل حملاتك الأربع يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : بل حملات أمير المؤمنين .

(ستــار)

المشهد السابع

فى الطريق عند أذرعات .
يرى عمر فى نفر من رجاله فيهم طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأسلم غلام عمر جالسين فى ظل شجرة وتسمع من بعيد طبول تدق ومزامير تعزف .

عمر : ويْلَكم ما هذه الطبول والمزامير ؟

الزبير : هؤلاء أهل أذْرِعاتَ يا أمير المؤمنين قد خرجوا ليقلّسوا بين يديك ويحيوك بالسيوف والريْحان ..

عمر : ألَهْواً ولعباً وأبو عبيدة ومَن معه فى مِحْنَة ؟ اذهبوا فردوهم عنا وامنعوهم .

(يدخل عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وشُرحبيل بن حَسنة) .

عمرو : على رِسْلك يا أمير المؤمنين .. هذه سُنتهم فى تحية الأمراء وقد خرجوا ليعلنوا ترحيبهم بك وولاءهم لك .. فإن تمنعهم منها يَروا أن فى نفسِك نقضا لعهدهم .

يزيد : ونحن يا أمير المؤمنين فى وقت ينبغى أن نتألفهم فيه ..

عمر : دعوهم إذن وشأنهم .. عمر وآل عمر فى طاعتكم يا أمراء الشام .

شرحبيل : جُزيت خيرا يا أمير المؤمنين .

عمر : متى نبلغ دمشق ؟

يزيد : إن رَكبنا الآن يا أمير المؤمنين استطعنا أن نُصلى المغرب بالجابية فإذا سَرَيْنا أصبحنا غدا بدمشق ..

عمر : ما زال دون حِمص أمد بعيد .. اللهم كُن لأبى عبيدة ومن معه .

شرحبيل : (**ينظر نحو الجهة التى تأتى منها أصوات الطبول والمزامير**) ويلهم .. ماذا دهاهُم إنهم يهربون ويتفرقون ؟

عمر : ما خطبهم ؟

عمرو : لعل رجالك يا أمير المؤمنين لم يَعُوا ما قلْتَ لهم ..

عمر : أسلمُ ! أسلمُ !

أسلم : (**صوته**) لبيك يا أمير المؤمنين (**يظهر**)

عمر : ألم آمر بترك هؤلاء وشأنهم ؟

أسلم : بلى يا أمير المؤمنين وقد أنفَذنْا ذلك ..

عمر : فما بال هؤلاء انفضُّوا هاربين ؟

أسلم : لا أدرى يا أمير المؤمنين .

عمر : اعلَم لى علم ذلك لا دريت (**يخرج أسلم**)

عمرو : قد وضح الأمر يا أمير المؤمنين .. إنهم يفرون من ذلك الرجل الذى ينزل من التل .. ويلهم إنهم يحصِبُونه بالحجارة .

عمر : (**يصيح**) الرجل الرجل !.. ازجروهم عنه !. كفوا أيديهم عنه .. بالتى هى أحسن !

(تسمع صيحات رجال عمر وهم يزجرون القوم عن الرجل وحركة انفضاض الجمع)

أسلم : (**يعود**) هذا رجل مجذوم يا أمير المؤمنين فهم يخافون منه ويحصِبُونه بالحجارة ليعود إلى معتزله فوق التل .

يزيد : الرجل يُدْلِف نحونا يا أمير المؤمنين ؟

عمرو : مُرهم يا أمير المؤمنين فليمنعوه .

عمر : كلا بل دعوه لعل له إلينا حاجة ..

يزيد : حَذار يا أمير المؤمنين فإنه يُعدى .

طلحة : يا أمير المؤمنين ألا تذكر أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى ﷺ إنا قد بايعناك فارجع) ؟

عمر : ويحكم إنى لن أواكله ولن أشاربه ولن أصافحه .. (**ينظر جهة الرجل**) ابتعد عنه يا أسلم ودعه يتقدم .

(**يظهر الرجل فى طرف المسرح**) تقدم أيها الشيخ .

الشيخ : يا أمير العرب ..

عمر : أنا أمير المؤمنين .. لا أمير العرب .. تقدم قليلا ..

الشيخ : يا أمير المؤمنين وقاك الله شر هذا الرجز .

عمر : ماذا جاء بك ؟ هل تشكو شيئا ؟ هل لك من حاجة فنقضيها لك ؟ أراك ترتجف من البرد .. يا أسلم خذ هذا الرداء فألقه عليه .

الشيخ : (**ينفجر باكيا وتتساقط دموعه**)

عمر : (**فى عطف**) ويحك يا شيخ ما أبكاك ؟

الشيخ : أنت الذى أبكيتنى يا أمير المؤمنين .

عمر : (**فى قلق وشفقة**) كيف ؟ أنا إنما أردت بك خيرا يا رجل .

الشيخ : فذاك يا أمير المؤمنين هو الذى أبكانى . لقد عشت فوق هذا التل كالكلب المسعور أربعين سنة لا يعطف علىّ أحد .. حتى جئت أنت وأنت على غير دينى فأنقذتنى من أيدى هؤلاء النصارى .. النصارى مثلى .. ثم أدنيتنى منك .. وألقيت علىَّ رداءك وليس لك غيره (**ينخرط فى البكاء**) .

عمر : (**يبكى**) ويلك لقد أبكيتنى .. أفلا تذكر لى حاجتك فإننا على سَفَر ؟

الشيخ : حاجتى يا أمير المؤمنين حاجة مائةٍ من المجذومين مثلى معزولين فوق التل ، لا يرحمنا أحد ولا يسأل عنا أحد ، وإذا رأوا أحدا منا قد نزل من التل لحاجة له فعلوا به ما رأيت .

عمر : فكيف كنتم تعيشون من قبل ؟

الشيخ : كانت ترسل إلينا صدقات من إيلياء ومن دمشق ومن بُصرى فانقطع اليوم عنا كل ذلك إلا النزر اليسير .

عمر : يا ويل عمر من عذاب الله إن لم يرحمه الله .. ارجع يا شيخ إلى أصحابك بالتل وبشرهم بالخير فلن أبرح مكانى هذا حتى تُنْصَفُوا ويضمن لكم العيش الوفير الكريم إن شاء الله ..

الشيخ : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين .. جزاك الآب والابن والروح القدس (**يخرج**)

عمر : يا أمراء الأجناد فى حُكم من منكم يقع هذا التل ؟ فى حُكمك يا شُرَحْبيل ؟

شرحبيل : لا يا أمير المؤمنين أذرعات تتبع الجابية والجابية تتبع دمشق !

عمر : فهو إذن فى حُكمك يا يزيد؟

يزيد : نعم يا أمير المؤمنين ولكنه بعيد منى كما ترى..

عمر : ويلك أفأنا بالمدينة أقرب إليه منك بدمشق؟

يزيد : لا يا أمير المؤمنين ولكنى لم أعلم عنه شيئا ولا عن المجذومين فيه إلا اليوم.

عمر : ويلك فمن يعلم إذا لم يعلم الأمير؟ ولكن ماذا عليك يا ابن أبى سفيان وعندك الخبز النقى ولحم الطير وماء بَردى أن يموت من الجوع هؤلاء المجذومين من أهل الذمة فيؤخذ بتلابيب عمر يوم القيامة ويسألُ عنهم؟

يزيد : والله يا أمير المؤمنين ما شغلنى عن هؤلاء إلا بُعد الشُّقة وكثرة الشُّغل.

عمر : فليعْطَ هؤلاء من الصدقات وليجر عليهم القوت الذى يكفيهم.

يزيد : سنفعل يا أمير المؤمنين.

عمر : انطلق الساعة فأنجدهم بما يُصلحُهم.

يزيد : أول ما نصل إلى دمشق يا أمير المؤمنين.

عمر : بل الساعة انطلِقْ إلى أذرعات فأرسل إليهم منها ما يصلحهم وإنى باق هنا حتى تعود.

(**يخرج يزيد**).

عمرو : فى وسعنا يا أمير المؤمنين أن نركب الآن وسيلحق بنا يزيد فى الطريق.

شرحبيل : أجل يا أمير المؤمنين فقد تأخرنا كثيرا فى هذا المكان.

عمر : ذعونا من هنيهاتكم يا أمراء الشام .. والله لا أبرح مكانى هذا حتى يعود يزيد فيخبرنى أنه قد أرسل إلى هؤلاء المجذومين ما يصلحهم .

الزبير : إننا على عجل يا أمير المؤمنين لندرك أبا عبيدة .

عمر : لا والله لا أترك هؤلاء لأى أحد .. كيف ينصرنا الله على الروم إذا لم نقض ما علينا لهؤلاء المساكين ؟

الزبير : (**صوته**) يا أمير المؤمنين هذا معاذ بن جبل !

عمر : معاذ بن جبل ! أليس هو فى حِمص مع أبى عبيدة ؟

(**يدخل الزبير ومعاذ بن جبل**)

معاذ : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله يا معاذ .

معاذ : أنا رسول أبى عبيدة إليك .. أبْشِرْ بالفتح والنصر وهزيمة العدو !

عمر : الله أكبر !

رجال عمر : الله أكبر !

الجيش : (**يدوى صوته فى الفضاء**) الله أكبر !! الله أكبر !!

(**ستـــار**)

المشهد الثامن

سرادق نصبت لعمر فى الجابية .

عمر وعنده معاذ بن جبل وبعض الصحابة الذين قدموا معه .

عمر : (**واقفا يودع معاذ بن جبل**) هذا كتابى إلى أبى عبيدة يا معاذ (**يسلمه الكتاب**) قل له يجعل لجيش الكوفة الذين حضروا مع القعقاع نصيبهم فى الفئ .

معاذ : لكنهم لم يشتركوا فى المعركة فقد حضروا بعد انتهائها بثلاثة أيام .

عمر : وإن .. فقد كان لمسيرهم لنجدتكم ما أدخل الرعب فى قلوب عدوكم فأدى إلى هزيمته .. جزى الله أهل الكوفة خيرا يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

طلحة : لكنا نحن يا أمير المؤمنين لم يكن لقدومنا إلى الشام أى فائدة .

عمرو : بلى يا أبا محمد .. إن لقدومكم لفائدة كبيرة .

طلحة : أتريد أن تُسَرِّىَ عن أمير المؤمنين يا ابن العاص ام تريد أن تداهنه ؟

عمرو : لا والله يا أبا محمد .. فلولا تسامعَ من قِبَلنا من الروم بمسير أمير المؤمنين نحونا فى جند كثيف لربما حدثتهم أنفسهم بالانقضاض علينا والوثوب بنا كما فعلوا بالمسلمين فى الشمال .

يزيد : إى والله لقد كان مجيئكم رحمة وبركة .. ألم تر كيف نزل قسطنطين بن هرقل بقيسارية ليطوق أبا عبيدة منها فلما علم بمجيئكم أيسَ ووَهِلَ فأقلع فى السفن إلى بلاده ؟

طلحة : إنما أقلع قسطنطين لما سمع بهزيمتهم فى حمص لقد جئنا بعدما انتهى كل شيء فلم يبق لمجيئنا موجب .

عمر : ويحك يا أبا محمد أكرهت أن الله كتب لنا أجرنا وكفانا لقاء عدونا وكفى المسلمين أعظم محنة دبرها لهم هرقل ؟

معاذ : ألا تحب يا أمير المؤمنين أن تزورنا بحمص ؟

عمر : وددت لو تيسر لنا ذلك يا معاذ ولكنى لا أريد أن أحمّل أصحاب رسول الله ﷺ مشقة الطريق .

العباس : يا أمير المؤمنين إنا قد قطعنا الشَّاقَّ من الطريق وما بقى إلا اليسير الهين .

عمر : فى سبيل الله قطعنا ما قطعناه يا عباس بن عبد المطلب فلا نحب أن نخلطه بشيء من زهرة الدنيا وحظّ النفس .

العباس : كأنك تخشى علينا يا أمير المؤمنين من شيء ..

عمر : أجل .. أخشى عليكم من الشام ودنيا الشام ..

معاذ : طُوبى لكم يا أمير المؤمنين بالبعد عن الفتنة .

عمر : بل طُوبى لكم بالقرب منها ما اعتصمتم بالتقوى فعلى قدر المجاهدة يكون الأجر .. سِر يا معاذ على بركة الله .

(**يخرج معاذ جهة اليمين ويخرج عمر ليودعه**) .

عمرو : (**بصوت خافض لطلحة والعباس**) إن شئتما ذهبتما إلى خيمة ابن عوف فاسترحتما عنـده .

العباس : ومن يوانس أمير المؤمنين ؟ لا ينبغى أن نتركه وحده .

عمرو : أنا أوانسه يا عم رسول الله .

طلحة : إذن فلنستأذنه .

عمرو : لا عليكما .. أنا أستأذنه عنكما .

العباس : جُزيت خيرا يا ابن العاص هيا بنا يا أبا محمد .

(يخرج العباس وطلحة جهة اليسار)

(يعود عمر) .

عمر : اين ذهب الصاحبان ؟

عمرو : رأيتهما متعبين فقلت لهما استريحا عند عبد الرحمن بن عوف وأنا أبقى عند أمير المؤمنين .

عمر : بل أردت أن تخلو بى يا ابن العاص فصرفتهما بهذه الحيلة .

عمرو : أجل يا أمير المؤمنين .. إنك معهما بالمدينة فى كل حين ولكنى أريد أن أغتنم وجودك عندنا فى الشام .

عمر : قد عرفت قصدك يا عمرو .. تريد أن تكلمنى فى فتح مصر .

عمرو : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : كلمنى فى أى شىء آخر يا عمرو أُصْغِ إليك ..

عمرو : يا أمير المؤمنين ما عندى أى حديث آخر وما رافقتك من مؤتة حتى الجابية وأنت فى غير ما حاجة إلىّ إلا لأفاتحك فى غزو مصر .

عمر : سبحان الله ألا تفتحون قيسارية أولا فإنها فى بَرِّكم ؟

عمرو : يا أمير المؤمنين إن قيسارية ثغر حصين ومعقل منيع الأبراج

والأسوار وبها من الأجناد والسكان أكثر مما فى أنطاكية ودمشق .

عمر : إذا عجزتم عن فتحها وهى بَر كم فأنتم عن فتح مصر أعجز .

عمرو : يا أمير المؤمنين إنا قد قطعنا مادَّتها من الشام فلا يصل إليها من الشام شيء وإنما يجيئها مادَّتُها من مصر، فإذا فتحنا مصر انقطعت المادة عن قيسارية فسقطت فى أيدينا .. ألم تر إلى هذه المحنة التى زُلزِلنا لها زلزالا شديدا .. ولولا لطف الله وما ألهمه لأمير المؤمنين من استنفار أهل العراق لنجدة أبى عبيدة لكان الله وحده يعلم ماذا كان يكون مصير جند أبى عبيدة خاصة ومصير أجنادنا بالشام عامة .. إنها يا أمير المؤمنين ما كانت لتقع لو أجلينا الروم من مصر وحررنا أهلها القِبْطَ من سلطانهم .

عمر : وَلكن غزو مصر شيء عظيم .

عمرو : صدقنى يا أمير المؤمنين ليس فيما فَتَحَ الله على المسلمين من بلد هو أيسر فتحا من مصر .

عمر : دعنى من هنيهاتك يا ابن العاص فإنك ما زلت تهون لى من فتح مصر حتى كدت تزعم لنا أنك تستطيع أن تفتحها وحدك .

عمرو : معاذ الله يا أمير المؤمنين بيد أنى لن أحتاج إلى جيش كبير ... هذا الجيش الذى جئت به من المدينة يكفينى إن شاء الله .

عمر : بخٍ بخٍ يا ابن العاص .. تريد أن تتأمر على صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار .

عمرو : كما فعلت فى غزوة ذات السَّلاسل .

عمر : هيهات لقد نازعت أبا عبيدة الإمارة فيها وأنت له ظالم .

عمرو : لقد أقرَّنى رسول الله ﷺ على ذلك .

عمر : بل أقر أبا عبيدة على نزوله عنها لك تواضعا منه وحرصا على جمع كلمة الجيش .

عمرو : إن كنت تضن علىَّ بصحابة رسول الله فأعطنى من جيش الشام .

عمر : قد رأيت يا عمرو أن هِرَقْل ما زال يطمع فى أخراج المسلمين من الشام فليس من الحزم ولا الحكمة أن تسحب من جند الشام لتقاتل بهم فى مصر .

عمرو : وقد بيَّنت لك أن هرقل لن ييأس من استرداد الشام ما لم نفتح مصر . وأن خطرا يا أمير المؤمنين أهون من خطر .

عمر : (**بعد صمت يسير**) كم من الجند تريد ؟

عمرو : يكفينى فى البداية يا أمير المؤمنين ثلاثة آلاف رجُل .

عمر : بثلاثة آلاف رجُل تريد أن تفتح مصر ؟

عمرو : اجعلهم أربعة آلاف يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك يا عمرو أتريد أن تعرض المسلمين للهَلَكَة ؟

عمرو : إنك أدرى الناس بى يا أمير المؤمنين وإنك لتعلم أنى مكيث فى الحرب ، وأنى أوثر الرفق على العنف ما كان من العنف بُد .

عمر : إنها أرض فرعون يا عمرو !

عمرو : يا أمير المؤمنين قتل أرضا عالِمُها .. لقد جمعت عنها الأخبار منذ جئت إلى فِلسطِين وكنت أعرفها فى الجاهلية كما تعلم . إن القِبط لن يناصروا الروم أبداً .

عمر : أوَتظن أنهم سيناصرونك ؟

عمرو : نعم يا أمير المؤمنين ابتغاء الخلاص من ظلم الروم واضطهادهم،فقد بلغنى أن بنيامين بطريق القبط قد فر منهم إلى الصحراء، وأن شقيقه عذّب ليغير مذهبه فى النصرانية إلى مذهب جديد اخترعه هرقل فأبى فعذبوه بالنار حتى اسّاقطَت أعضاؤه .

عمر : قاتلهم الله .. هلا تركوه وما يدين به الله .. لقد ذكَّرتنى والله بالمستضعفين من المسلمين وما كانوا يلقون من قريش فى أول الإسلام .

عمرو : ألم أحدث يا أمير المؤمنين أن النبى ﷺ أوصى بالقِبط خيرا .

عمر : بلى أوصى بهم خيرا وقال إن لهم ذمة وصهرا .

عمرو : فكيف تتركهم للروم يعذبونهم ؟

عمر : (**كالحالم**) إن الإسلام يا عمرو سيظهر فى الأرض كلها وسينقذ المستضعفين والمضطهدين أينما كانوا .

عمرو : إنما يتم ذلك يا أمير المؤمنين إذا جاهد المسلمون فى سبيل الله .

عمر : ادن منى يا عمرو قليلا لأفضى إليك بما فى نفسى .

عمرو : حبا وكرامة .

عمر : لقد أُلقى فى روعى أن قد آن لنا أن نَقِفَ فتوحنا فى البلاد فقد فتحنا أرض العراق حتى بلغنا جبل فارس، وفتحنا الشام حتى بلغنا تخوم أرض الروم فأصبح الإسلام فى عز ومنعة فى هذا المضرب الواسع من الأرض . وأصبح من اليسير على من أراد الله له الهدى أن يُهتدى به دون فتنة ولا اضطهاد . ولم

يبق كما كان محصورا فى جزيرة العرب فى وسع فارس أو الروم أو صنائعهم من العرب أن يغزوه فى مهده ويقضوا عليه .

عمرو : هذا كلام جليل يا أمير المؤمنين ولكن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

عمر : أجل يا عمرو بغير القتال ولا إراقة الدماء . ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ .

عمرو : ولكن الله هيأنا لقتال فارس والروم ونصرنا عليهم بحوله وتأييده وكنا أقل منهم عددا وأضعف منهم عدة .

عمر : لنحمل الإسلام إلى أركان الأرض ونُبلغ دعوته إلى العالَمين فيؤمن من يشاء دون إكراه ولا فتنة . وأحسبنا يا عمرو قد بلَغنا اليوم هذه الغاية .

عمرو : إن شئت أن تسمع رأيى يا أمير المؤمنين فإننا لم نَبْلُغْ الغاية بعد فإن الفرس لن يتركونا ما بقى لهم شبر من الأرض ولا الروم بتاركينا ما بقيت فى أيديهم مصر .

عمر : أراك يا ابن العاص تدور وتدور حتى تعود إلى أمر مصر .

عمرو : يا أمير المؤمنين أتدرى أين الأرطبون اليوم ومن كانوا معه ؟

عمر : فى مصر .

عمرو : أتدرى ماذا قال لى الأرطبون قبل أن يلحق بمصر ؟ أقسم لى يا أمير المؤمنين ليعبُرَنَّ بحر القلزم بالسفن وليغزون عقر دارنا بالحجاز ليقطع رأس الحية كما زعم .

عمر : قاتله الله أوَقد قال ذلك ؟

عمرو : إى والله يا أمير المؤمنين وإن ذلك عليهم لهين لو عقدوا عزمهم عليه . إنهم يملكون السفن التى تقطع بهم البحر ونحن لا نملك ، وما يفصل بَرَّ مصر من بَرِّ الحجاز إلا بحرُ القلزم . فأنت ترى يا أمير المؤمنين أنك لن تأمن على دين الله من كيد أعدائه ما بقى جند الروم بمصر .

(ستــار)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا

ـ الشــيماء
ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
ـ أوزوريس
ـ نظام البردة ـ ذكرى محمد ﷺ
ـ من فوق سبع سموات
ـ التوراة الضائعة
ـ إله إسرائيل
ـ دار ابن لقمان
ـ قطط وفيران
ـ هاروت وماروت
ـ جلفدان هانم
ـ الفلاح الفصيح
ـ حبل الغسيل
ـ هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز)
ـ مسرح السياسة
ـ الدودة والثعبان
ـ مأساة زينب
ـ أحلام نابليون
ـ قضية أهل الربع
ـ الوطن الأكبر
ـ حرب البسوس
ـ الفارس الجميل
ـ همام فى بلاد الأحقاف

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ـ ٨٥

الترقيم الدولى : ٧ ـ ٠١٥٨ ـ ١١ ـ ٩٧٧

عُمَرُوَخَالِد

ملحمة عمر

عُمَر وَخَالِد

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

بهو كبير فى بيت خالد بن الوليد بقنسرين باب على اليمين يؤدى إلى داخل البيت وباب على اليسار يؤدى إلى الخارج .

(يرى خالد جالساً بين أبى عبيدة ومحمد بن مَسْلَمة)

ابن مسلمة : يحزُننى يا أبا سليمان أن أقوم بأمر لا يسرك

خالد : لا عليك يا محمد بن مسلمة إن أمير المؤمنين هو الذى أمرك ولا يسعك إلا أن تطيع أمره .

ابن مسلمة : فهل بقى من شىء عندك لم نقاسمك بعد فيه !

خالد : ما بقى غير أسيافى وأدراعى وأفراسى فهل أنت مقاسمى فيها؟

أبو عبيدة : أوَلسْتَ قد حبستها فى سبيل الله يا خالد ؟

خالد : بلى يا أبا عبيدة .

ابن مسلمة : إذن فلن أقاسمك فيها يا أبا سليمان .

خالد : وهذه الثياب التى على .

ابن مسلمة : كلا يا أبا سليمان قد أمرنى أمير المؤمنين أن أتركهالك .

خالد : لكنك قاسمتنى آنفا فى الثياب التى عندى .

ابن مسلمة : أجل .. تلك التى ليْسَت عليك .

خالد : (ضاحكاً فى سخرية) لو قد علمت يا ابن مسلمة لارتديت حللى وجببى بعضها فوق بعض .

ابن مسلمة : (**يبتسم مجارياً له فى دعابته**) إذن لكنت حيرتنى فلا أدرى آخذها أم لا .. .

خالد : (**ينادى**) يا أم تميم ..

أم تميم : (**صوتها من الداخل**) لبيك يا أبا سليمان ..

خالد : أبغينى القلنسوة ..

أبو عبيدة : القلنسوة التى تلبسها فى الحرب وتتبرك فيها بشعر رسول الله ﷺ ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : هذه خالصة لك لا يقاسمك فيها أحد .

خالد : وما يدريك يا أبا عبيدة ألا يكون أمير المؤمنين يريد أن يقاسمنى فيها كذلك ؟

ابن مسلمة : (**يتناولها من خالد فيقبلها متبركاً ثم يضعها على رأس خالد**) هذه على رأسك دائماً يا أبا سليمان وإنما تخلعها لتصونها فهل بقى من شىء ؟

خالد : (**ينادى مرة ثانية**) أم تميم !

أم تميم : (**صوتها**) لبيك يا خالد !

خالد : إنى طلبت منك أن تشترى لى حذاء جديداً فهل اشتريتيه ؟

أم تميم : نعم .

خالد : علىّ به .

أبو عبيدة : دع عنك هذا الحذاء يا أبا سليمان .

خالد : لا أريد أن يبقى لأمير المؤمنين على دانق واحد .. (**يدخل غلام فيناول الحذاء لخالد ويخرج**) خذ النعل اليمنى لأمير المؤمنين واترك لى اليسرى .

أبو عبيدة : هذا لا يصلح إلا بهذا فأمسك عليك نعليك ..

خالد : كلا يا أبا عبيدة ما ينبغى لنا أن نخالف أمر أمير المؤمنين .

ابن مسلمة : يا أبا سليمان إما أن تأخذ النعلين أو تعطيهما لى .

خالد : لا والله لا آخذهما ولا أعطيهما لك .. نفذ أمر أمير المؤمنين كما أمرك .

ابن مسلمة : (**يأخذ إحدى النعلين ويرميها إلى جانب من البهو غير منظور فى المسرح كان قد جمع فيه الأشياء التى أخذها من خالد**) هل لك يا أبا سليمان أن تشترى هذه العروض منى فأحمل ثمنها إلى أمير المؤمنين ؟

فاطمة : (**تظهر على الباب**) كلا لا تفعل يا خالد ..

أبو عبيدة : لم لا يا أم عبد الرحمن ! هذا خير .. ليستبقى أخوك حوائجه عنده ..

خالد : ولأيسر يا أختاه على محمد بن مسلمة مهمته .

فاطمة : كلا لا تشترها يا خالد .. دعه يحملها ويبيعها فى سوق قنسرين للمسلمين وغير المسلمين ليعلم الناس ما نالك من ابن حنتمة !

أبو عبيدة : (**متلطفاً**) يا أم عبد الرحمن .. إن الرفق خير وإن السماحة خير .

فاطمة : يا أمين هذه الأمة فهلا علَّمت ذلك لصاحبك ؟

خالد : أعفنى يا محمد بن مسلمة من ذلك فهذه فاطمة بنت الوليد أختى الكبرى ولا يسعنى أن أعصى لها أمراً .

فاطمة : احملها يا ابن مسلمة إليه بالمدينة أو بعها فى سوق قنَّسرين .

ابن مسلمة : سأفعل يا أم عبد الرحمن .. فهل لكم أن تبقوها عندكم إلى صباح غدٍ فأحملها إلى السوق ؟

فاطمة : لا بأس .. تبقى فى مكانها حتى تبعث من يحملها (تخرج) .

ابن مسلمة : اتقوم معى يا أبا عبيدة أم تبقى قليلًا بعد ؟

أبوعبيدة : اسبقنى أنت إلى المسجد وأنا ألحقك .

(يخرج محمد بن مسلمة فتدخل أم تميم وخولة بنت الأزور وفاطمة بنت الوليد)

أم تميم : مرحباً بك يا أبا عبيدة فى قنسرين .. كيف حال أم عبيدة ؟

أبو عبيدة : بخير وعافية .. تقرأ عليك السلام .

خولة : إنك أرسلت إلى زوجى ليوافيك بحمص فقدمت أنت من دونه فأين هو ؟

أبو عبيدة : حيًّا الله أباالروم .. إنى أرسلته إلى بيت المقدس فى مهمة .. وما كنت لأقدم مع محمد بن مسلمة لولا حرصى على أن أكون بجانب أبى سليمان لعلى أواسيه وأهون عليه الخطب .

أم تميم : جزاك الله خيراً يا أبا عبيدة .. إنك دائما لودود ..

أبو عبيدة : أما أنت يا فاطمة بنت الوليد فإنى أراك واجدة على .

فاطمة : عليك أنت ؟ ما ذنبك ؟ إنى واجدة على الأعيسر ابن أم شملة .

أبو عبيدة : مه يا أم عبد الرحمن .. إنه أمير المؤمنين وأن النبى ﷺ سماه الفاروق ..

فاطمة : أيرضيك يا أبا عبيدة هذا الذى صنعه بنا ؟

أبو عبيدة : هونى عليك يا آم عبد الرحمن فإنه لم يختص خالداً بذلك .. هذه سنته مع عماله لا يكاد يترك منهم أحدا وإن بعضهم لمن كبار صحابة رسول الله .

فاطمة : أهذا جزاء أخي فيما صنع لله وللمسلمين ؟

أبو عبيدة : إنما جزاء أخيك عند الله سبحانه فيما جاهد لله حق جهاده ، وإنما يحاسبه أمير المؤمنين فيما ولاه من عمل .

فاطمة : هل جرب عليه من خيانة فيحاسبه ويقاسمه ماله ؟

أبو عبيدة : معاذ الله يا أخت خالد .. ولكن أمير المؤمنين شديد الاستبراء لدينه من نفسه ومن عماله فهو لذلك يقاسمهم حتى لا يكثر المال فى أيديهم فيطغوا به على الناس ..

فاطمة : أخى خالد بن الوليد يطغى على الناس ؟

أبو عبيدة : قلت لك إنها سنة استنها عمر فى عهده لا يريد بها مساءة أحد أو مسرَّة أحد ، وإنما يريد بها وجه الله وخير المسلمين .

فاطمة : لا بل يتتبع خالداً بما يكره .

أبو عبيدة : معاذ الله يا أم عبد الرحمن لا حق لك أن توغرى صدر أخيك على أمير المؤمنين .

فاطمة : إنه لا يريد أن يظهر أخى أبداً . لقد رآه يفتح العراق فى عهد أبى بكر ويوشك أن يفتح المدائن عاصمة كسرى فأوعز إلى أبى بكر فسحبه من العراق إلى الشام .

أبو عبيدة : لشد ما أسأت الظن .. إنما سحبه أبو بكر إلينا ليننجدنا به وليذهب به وساوس الشيطان عن الروم وقد فعل .

فاطمة : واليوم وقد رآه يعود من أرض الروم مكللًا بالنصر والفخار يبعث إليه هذا الأنصارى ليقاسمه ماله .. أتراه حقاً يريد ماله أم يريد أن يكسر نفسه حتى لا ينبعث لما عقد عليه عزمه من فتح عاصمة الروم فى الربيع ؟

أبو عبيدة : يا بنت الوليد إنك لتقولين قولًا عظيماً وإن شر ما فيه لهو أنه يشبه الحق وما هو بحق ..

فاطمة : خبرنى إذن يا أبا عبيدة .. لماذا أمره بالكف عن مواصلة الإدراب فى أرض الروم ؟

أبو عبيدة : لأن أمير المؤمنين يؤثر السلم على الحرب ، ويؤثر عافية المسلمين على هلاكهم ، ولا سيما وقد أقبل الشتاء وهو فى تلك النواحى قارس شديد .

(**يدخل غلام من الباب الأيسر**)

الغلام : بالباب يا مولاى الأشعث بن قيس ..

خالد : لولا أنى على موعد معه لصرفته يا أبا عبيدة من أجلك ..

أبو عبيدة : بل ائذن له يا أبا سليمان لا حرج ..

خالد : ائذن له يا غلام .

(**تنسحب النسوة إلى الداخل**)

الأشعث : (**يدخل**) السلام عليكم .

خالد : وعليكم السلام ورحمة الله .

الأشعث : أبو عبيدة .. أمين هذه الأمة ..

أبو عبيدة : مرحباً بك يا أبا محمد كيف تركت أهل الكوفة ؟

الأشعث : تركتهم بخير يدعون لأمير المؤمنين ..

أبو عبيدة : وجئت أنت تنتجع أبا سليمان لتمدحه ؟

الأشعث : إى والله إنه لخير من يُنتجَع .

أبو عبيدة : يا أشعث بن قيس إن الدين النصيحة فهل تقبلها منى ؟

الأشعث : ممن أقبلها إن لم اقبلها من أمين هذه الأمة ؟

أبو عبيدة : هل كنت تمدح الناس بشعرك فى الجاهلية ؟

الأشعث : لا يا أبا عبيدة .. كنت ملكاً من ملوك كندة وكان الشعراء هم الذين ينتجعوننى بشعرهم ..

أبو عبيدة : فهلا غدوت أعز على نفسك اليوم بعد ما أكرمك الله بالإسلام وجعل الناس سواء فلا ملوك ولا سوقة ؟

الأشعث : يا أبا عبيدة .. لقد كان الشاعر يمدح أحدنا إذا انتصر على قبيلة أو استولى على عير ، أفلا نمدح خالداً وقد انتصر على جموع الروم وأدرب فى أرضهم وكاد يطوى ملك هرقل ؟

أبو عبيدة : يا ابن قيس إن الله قد أبطل فخر الجاهلية وخيلاءها ، وإنا إنما نجاهد فى سبيل الله لا نريد علوًّا فى الأرض ولا فساداً .. وإنك إن تمدح أبا سليمان بما ليس فيه فقد كذبت عليه ، وإن تمدحه بما فيه فإنه فى غنى عنه ..

الأشعث : (**يكظم غيظه**) يا أبا عبيدة لو كنت أعلم أن أبا سليمان مثلك ما مدحته ..

أبو عبيدة : (**فى حدة**) ويلك إنه لخير منى لولا أنت وأشباهك !

الأشعث : ائذن لى يا أبا سليمان فإنى منصرف .

خالد : بل انتظر يا أبا محمد حتى أعطيك جائزتك ..

الأشعث : كلا لا أريد منك شيئاً ..

خالد : لا والله لا تنصرف حتى تأخذها منى .. هذه عشرة آلاف درهم .. لقد كنا نريد أن نمنحك عشرين ألفاً ولكن أمير المؤمنين قاسمنا مالنا فأعطيناك نصف الجائزة فاقبلها منا يا أبا محمد واعذرنا .

الأشعث : (**يأخذ الجائزة**) عشت يا أبا سليمان وعاشت المكارم بك .

(**يخرج ويخرج خالد خلفه يشيعه ثم يعود**) .

خالد : أراك قسوت على الرجل يا أبا عبيدة ..

أبو عبيدة : قسوت .. والله لوددت اليوم لو كانت فى يدى درة كدرة عمر فضربته بها فأوجعته .. هذا الكاذب المتملق !!

خالد : هكذا الشعراء منذ كانوا ..

أبو عبيدة : ما بقى لأمثال هؤلاء بيننا مكان .. فأنشدك الله يا أبا سليمان إلا ما أوصدت دونهم سمعك وبابك .. وأمسكت عنهم مالك وترحابك .

خالد : لست أرى من المروءة أن أمنع رفدى قوماً تحملوا التكاليف وتجشموا المشاق حتى قدموا على ..

أبو عبيدة : ليمدحوك بأبيات لا تزيدك عند الله رفعة وتزيدهم عند الله ضعة ؟ إن المروءة مروءة الإسلام يا خالد لا مروءة الجاهلية ..

خالد : فما بال رسول الله ﷺ أجاز كعب بن زهير إذ مدحه وما باله أجاز شعراء الوفود ؟

أبو عبيدة : يا أبا سليمان إنه لم يجزهم على مدحهم ، ولكنه رضخ لهم من الصدقة ليتألف قلوبهم ..

خالد : فإنى أتألف قلوب هؤلاء لينصرونى يوم يأتى الربيع فأعاود الأدراب فى أرض الروم حتى أفتح القسطنطينية بإذن الله .

أبو عبيدة : كلا يا خالد لست أنت مثل محمد ، وليس هؤلاء مثل أولئك ، إنهم إن جاهدوا غداً معك فى أرض الروم كان لهم نصيبهم من الفىء كغيرهم من المسلمين ، وإن تخلفوا عنك فسيغنيك الله عنهم برجال يطلبون ما عند الله إذا طلب غيرهم ما عند الناس .

خالد : إنى لأعلم يا أبا عبيدة أنك تخشى على من ابن الخطاب ..

أبو عبيدة : أجل والله .. يا أبا سليمان ، وقد رأيت كيف عاتبك فى غسول الخمر وأنت فى آمد ، فقد بلغه من ذلك ما لم يبلغنى وأنا قريب منك وهو بعيد .. فأجمل يا أبا سليمان فإنى أحبك والله ولا أحب أن ينالك سوء ، والمسلمون بعد فى حاجة إليك فأمتعهم بنفسك ..

خالد : ليت شعرى ما بال عياض بن غنم يعطى الجزيل ولا ينكر عليه أحد ؟

أبو عبيدة : على الخبير سقطت فهو منّا بنى فهر . هذا أعرابى صعلوك لا يبقى من المال شيئاً فى يده وهو لا يعطى الشعراء وحدهم بل يعطى الفقير والمسكين وذا الحاجة .. وهو بعد لا يلى شيئاً من أمور الناس مثلك ..

خالد : إن كان عمر يريد أن يتعبدنى بولاية قنسرين فإنى فى غنى عنها فليولها سواى !

أبو عبيدة : والله يا أبا سليمان لقد وضعتنى فى حرج بينك وبين أمير المؤمنين . قد علمت أنى أحبك ، ويسوءنى ما يسوءك وأمير المؤمنين لا يرعى فى الحق قرابة ولا رحما ، ولعله يقسو على ذوى رحمه أكثر من غيرهم .

خالد : كلا يا أبا عبيدة إنها من حسد بنى عدى لبنى مخزوم ريحانة قريش .

أبو عبيدة : اللهم لا تسمعها عمر !

خالد : بل اللهم أسمعها عمر واملأه بها غيظاً !!

أبو عبيدة : ما كنت أحسبك يا أبا سليمان فى فضلك وحلمك تظن هذا بعمر بن الخطاب الذى طهر نفسه من أدران الجاهلية أيما تطهير ..

خالد : اللّهم إلا فينا نحن آل المغيرة .

أبو عبيدة : (**فى شىء من الغضب**) مه يا خالد .. إنه خليلى فلا تجعلنى أغضب منك .

خالد : كلا لا تغضب منى فإنى لا أطيق غضبك .. والله يا أبا عبيدة ما رأيت أكرم خلقاً منك سواء حين كنت أميراً عليك ، وبعدما صرت أميراً على ، لم يتغير من خلقك شىء .. يا ليت عمر كان مثلك .

أبو عبيدة : ما أنا إلى عمر ؟ يا ليتنى كنت أنا مثل عمر ؟

خالد : أنت أمين هذه الأمة .

أبو عبيدة : وعمر نبيها لو كان بعد محمد نبى !!

(**يدخل ضرار بن الأزور**) .

ضرار : السلام عليك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : وعليك السلام ورحمة الله يا ضرار .. نعم المرء ضرار بن الأزور .. لو ترك ما حرم الله .. ربح البيع يا ضرار .. فما عدا مما بدا ؟

ضرار : يا أبا عبيدة قد شربها من هو خير منى ..

أبو عبيدة : أتعنى أبا جندل بن سهيل بن عمرو وصحبه ؟

ضرار : نعم .. ألم يقولوا إن الله خيرنا ولم يعزم علينا إذ قال : ﴿ فهل أنتم منتهون ؟ ﴾

أبو عبيدة : بلى يا ضرار .. إن الشيطان قد يئس منا فى التنزيل فأراد أن يغوينا من طريق التأويل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .. وإنى قد كتبت إلى أمير المؤمنين فى أمر هؤلاء النفر ليستفتى صحابة رسول الله فيما تأوّلوه (**ينهض**) ائذن لى يا أبا سليمان فقد أبطأت على محمد بن مسلمة (**يشيعه خالد حتى يخرج**) ..

خالد : (**يعود**) قاتلك الله ألم يسعك أن تسكت ؟

ضرار : لا والله لا أسكت أبداً ..

خالد : فلا تجزع إن جلدت على ظهرك ..

ضرار : والفتاه .. كان لى ألف بعير برعاتها يوم قدمت على رسول الله ﷺ فتركت لله جميع ذلك أفأجلد اليوم كما يجلد العبد ؟

خالد : نعم ولا كرامة ..

ضرار : إذن والله ليكونن بطن الأرض خيراً من ظهرها .. لقد منعونا من القتال فى أرض الروم فلم يبق غير قيسارية .. والله لأذهبن إلى قيسارية ..

خالد : يا هذا لو كبحت جماح نفسك لكان خيراً لك ..

ضرار : ولو ثرتَ أنت على هذا الهوان الذى مسك اليوم لكان خيراً لك. أما والله لتجدن على ذلك أعواناً وأنصاراً يفدونك بالمهج ..

خالد : مه يا ابن الأزور أما وابن الخطاب حى فلا ..

ضرار : إذن والله لأرحلن عنك ..

خالد : إلى أين ؟

ضرار : إلى قيسارية ..

(ستـــار)

المشهد الثاني

بيت البطريق صفرونيوس على جبل الزيتون .. حجرة تطل على مدخل كنيسة القيامة ..

يرفع الستار فنرى البطريق صفرونيوس جالساً وعنده رومانوس ويونس .

رومانوس : كأن الله أعماهم عن تلك الخطة ..

صفرونيوس: أجل كأن الله أعماهم عنها وإلا فلو أقدموا عليها من قبل لربما انتزعوا النصر انتزاعاً من أيدى المسلمين .

رومانوس : هل كاتبك المقوقس فى ذلك ؟

صفرونيوس: كاتبنى ؟ إنه أحرص من ذلك .. وإنما بعث ابنة أخت له لتشافهنى بكل ما يريد .. وقد اختار وقت الحج حتى لا يرتاب بمجيئها أحد .

رومانوس : وهل لنا يا سيدى البطريق أن نثق بهذا المقوقس ؟

صفرونيوس: عجباً لك يا رومانوس ؟ كيف تشك فى رجل يكشف لكم خطة الروم وينذركم من بلاء كبير ؟

رومانوس : يا سيدى إنى راجع إلى أميرنا أبى عبيدة فيجب أن يكون عندى جواب لكل سؤال يوجهه إلى .

صفرونيوس: يخيل إلى من كثرة ما سألتنى اليوم أنك ترتاب فى صدق .

رومانوس : معاذ الله يا سيدى البطريق .. ولكنى أريد أن أعرف هل تثق أنت بهذا المقوقس ؟

صفرونيوس: أصارحك القول ما كنت أثق بقيرس من قبل ، فقد كان دائماً من صنائع مارتينة ، ومن المخلصين للبطريق سرجيوس . ولكن المحن التى توالت على الدولة فى حروبها مع المسلمين جعلته يتقرب منى شيئاً فشيئاً ، ويتودد لى فى السر لعله يريد أن يستقل بكنيسة الإسكندرية عن كنيسة القسطنطينية على نحو ما فعلنا بكنيسة بيت المقدس .

رومانوس : هذا حسن ولكن ماذا يحمله على أن ينذرنا نحن المسلمين وليس ما يجمع بيننا وبينه من غاية أو مصلحة ؟

صفرونيوس: إنه ليس يخشى عليكم من الروم ولكنه يخشى منكم على نفسه وعلى أهل مصر ..

رومانوس : كيف ؟

صفرونيوس: لا ريب أن العرب سيلقون بثقلهم على مصر إذا ما رأوا سفن الروم تغزو بلادهم من سواحلها فى بحر القُلْزُم ، فهو ينذركم اليوم ليتخذ عندكم يداً لنفسه ولأهل مصر ..

رومانوس : لكنى أعلم يقيناً أن أهل مصر يكرهون هذا المقوقس لما سامهم من الخسف وأذاقهم من ألوان العذاب ..

صفرونيوس: إنما كان يعذبهم ويضطهدهم لحساب قيصر ، فماذا يمنعه أن يحسن إليهم غداً على حساب قيصر ؟ الحمد لله ها هى ذى قد جاءت .

رومانوس : من ؟

صفرونيوس: ابنة أخت المقوقس ، فاستوضح منها ما تريد ..
(**تدخل الراهبة مارتا وأرمانوسة**) أين ذهبت اليوم بها اليوم يا مارتا ؟

مارتا : كنا فى بيت لحم .

صفرونيوس: تقدس اسم يسوع الطفل ! .

يونس : (**ينظر إلى أرمانوسة مذهولًا ويتمتم**) يودوقيا !

رومانوس : (**يدفعه بكوعه لينبهه**) ما خطبك يا يونس .. ؟

يونس : (**فى ذهول بعد**) يودوقيا !!

مارتا : ماذا يريد هذا الشاب ؟ لماذا ينظر هكذا إليها ؟

يونس : يودوقيا !!

أرمانوسة : (**فى رقة**) اسمى ليس يودوقيا .. اسمى أرمانوسة !

(ستـــار)

المشهد الثالث

خيمة عمرو بن العاص وهو معسكر بجيشه حول أسوار قيسارية .

يرى ضرار ويونس راقدين على فراشين متجاورين وعليهما أربطة وضمادات تدلان على أنهما جريحان ..

وفي فناء الخيمة بالجانب الأيمن من المسرح يرى عمرو بن العاص وروما نوس واقفين يتحدثان إلى ربطة زوجة عمرو .

عمرو : ما فعل الله بجريحيك يا أم عبد الله ؟ .

ربطة : رقأ الدم عن جراحهما ولله الحمد ولكن الحمى لم تزل واقدة ..

عمرو : صاحيان أم نائمان ؟

ربطة : طول الوقت يهذيان .. هذا الأسدى يهذى بالخمر وخالد ابن الوليد وأمير المؤمنين ..

عمرو : الخمر وخالد بن الوليد وأمير المؤمنين ؟

ربطة : نعم .

عمرو : قاتله الله ما أشد تخليطه !

ربطة : أما الفتى الرومى فيذكر الجنة ومصر ويردد كلمة أخرى أظنها من لسان الروم .

رومانوس : أرمانوسة ؟

ربطة : أجل أجل .. أرمانوسة .

عمرو : أهي صاحبتك ابنة أخت المقوقس ؟

رومانوس : نعم .. كان معي فى بيت المقدس فرآها فجن بها ..

عمرو : ونسي حبيبته تلك الدمشقية بنت توماس ؟

رومانوس : بل يزعم أنه ما نسيها وإنما أحب هذه المصرية لأنها تشبه تلك ..

عمرو : هلم ندخل يا أبا الروم لنراهما . (**يظهر الثلاثة داخل الخيمة**) أنت صاح يا ضرار ؟ كيف حالك .

ضرار : ليتها كانت القاضية يا عمرو ؟ ليتها كانت القاضية .

عمرو : ألم أنهك عن هذه المخاطرة ؟ وقلت لك إنها غير ذات جدوى فعصَيت أمرى .

(**يحاول ضرار الجلوس فيعجز عن ذلك**) .

ربطة : مكانك يا ضرار لا تتحرك فتجهد نفسك .

ضرار : أفٍّ لها من جراح .. ليتها كانت القاضية .

ربطة : لا تبتئس يا أخا أسد .. إنها ستندمل عما قريب إن شاء الله ..

ضرار : اسمع يا أبا عبد الله .. كيف تبقون هكذا فى خيامكم تنظرون إلى العدو فوق الأسوار وهم ينظرون إليكم دون أن يقع بينكم وبينهم قتال ؟

عمرو : إنما نحاصر هذه المدينة يا ضرار ولا نقاتل أهلها إلا إذا نزلوا من حصونهم وخرجوا لنا من الأسوار ..

ضرار : لو صحت منكم النية لما وقفت دونكم هذه الحصون ولا هذه الأسوار،ألم تر كيف تسلّقنا أسوار دمشق مع خالد بن الوليد ؟

عمرو : هذه أحصن من دمشق .. هذه يتوم على سورها كل ليلة مائة ألف يحرسونها لا يغمض لهم جفن .. ألم تر كيف نذروا بك وبصاحبك البارحة قبل أن تلمسا جدار السور كأنما كنتما معهم على ميعاد .

ضرار : ذلك أنى كنت وحدى حتى يونس هذا ذهب معى بغير نية .. ولكن لو أعطيتنى مائة من رجالك لتسلقت بهم السور ولفتحت لكم أبواب المدينة فاقتحمتموها اقتحاماً ..

عمرو : ويحك يا ضرار .. إنا قد جربنا ذلك غير مرة فكان رجالنا يقتلون أو يؤسرون دون أن نفوز بطائل ..

ضرار : إذن فستبقون فى حصارها إلى يوم يبعثون ..

عمرو : بل إلى يوم ينقطع عنها المدد من البحر ..

ضرار : ومتى ينقطع عنها المدد من البحر ؟ ..

رومانوس : يوم تفتح مصر يا ضرار ..

(يبدأ يونس فى الخطرفة)

يونس : أرمانوسة !

ضرار : **(كأنما يريد أن يوقظه)** يونس .. يونس ..

ربطة : دعه نائماً يا ضرار .. لا ينبغى أن تزعجه من نومه ..

ضرار : سيزعجنا الآن بخطرفته ..

عمرو : دعنا نسمع ما يقول ..

يونس : أجل بعثت من موتك .. لم لا ؟ .. ألسنا نحن المسيحيين نؤمن بالبعث ؟ مسيحية ؟ أنت أيضاً كنت مثلها مسيحية .. آه من صليبها الذهبى الجميل .. ما أحلاه إذ يترجح على صدرها ذات اليمين وذات الشمال .. لكأنى أسمعه يقول : أيتها الجهات الأربع .. هل رأيتن قط على ظهرها مثل أرمانوسة ؟ هى أنت يا يودوقيا .. ومصر هى الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار . جبل الزيتون .. البيت المطل على كنيسة القيامة .. بيت البطريق صفرونيوس .. آه ليتنى بقيت فيه معها إلى الأبد .. ما أجملها ما أروعها بين الشموع فى الكنيسة ، وهى تصلى فى ابتهال وخشوع كأنها قديسة .. (**ينتفض انتفاضة ألم**) أواه .. إنها ترسم علامة الصليب .. إنها تصلبنى أنا على جبل الآلام .. (**يتوجع فى أنين**) آه .. آه ..

ربطة : يونس .. ماذا تشعر يا بنى ؟

يونس : كالمطارق فى رأسى ..

ربطة : دعنى أعصب رأسك .. (**تعصب رأسه بمنديل**) عما قليل يزول عنك هذا الألم ..

يونس : جزاك الله عنى خيرا ..

عمرو : لا بأس عليك يا يونس .

رومانوس : الحمد لله إذ أفقت من وطأة الحمى ..

يونس : جزاكم الله عنى خيراً .. ولا جزى ضراراً فقد كان هو السبب ..

ضرار : ويلك أعلى تدعو يا يونس ؟

يونس : لقد حذرك أبو عبد الله فلم تسمع لتحذيره وجررتنى معك .

ضرار : ما كنت أعلم أنك انقلبت جبانا .. لقد كنت تشتاق إلى الموت وتتعرض للشهادة فى كل سرية تخرج فيها ..

يونس : إنى سمعت أبا عبيدة يقول : يا يونس لا تخف من الموت ولكن لا تطلبه واطلب النصر والعافية .. فإذا جاءك الموت فمرحباً به .

ضرار : لا تصدقوه .. بل انقلب جباناً منذ تعلق قلبه بهذه الأرمانوسة .

يونس : لا والله ما كنت شجاعاً أمس ولا أنا اليوم بجبان ولكنى كنت أكره الحياة وأحب الموت .. فصرت اليوم أكره الموت وأحب الحياة ..

ضرار : وهل الجبن إلا هذا الذى وصفت ؟

يونس : يا ضرار لقد عرفت اليوم أن الذى لا قيمة لحياته لا قيمة لموته ..

ضرار : أنا يا هذا لا قيمة لحياتى ؟

يونس : إنى لم أقل ذلك .

ضرار : أنت قصدت ذلك .

يونس : بل أنت الذى أضفيته على نفسك فما ذنبى ؟

رومانوس : (**ينهرهما**) كفى ملاحاة .. ألا تستحيان أن تتشاجرا وأنتما على هذه الحال ؟

يونس : لقد سمعتموه يصفنى بالجبن ..

ضرار : أنت الذى وصفت به نفسك .

رومانوس : كفى يا ضرار .. إنى راجع اليوم إلى حمص فهل تستطيع أن تصحبنى ؟

ربطة : يا أبا الروم كيف يصحبك وهو لا يقدر على الحركة ؟

رومانوس : سأُردفه معى على فرس ..

ربطة : كلا يا أبا الروم يبقى عندنا بضعة أيام حتى يسترد عافيته وقوته .

ضرار : إن سألتك أختى عنى فلا تذكر لها ما أصابنى وقل لها إنى بخير .

رومانوس : إيّاك إذن أن تعصى أبا عبد الله مرة أخرى .

ضرار : لا شأن لك بما بينى وبين أبى عبد الله ..

رومانوس : أنت هنا تحت إمرته .

ضرار : أعلم ذلك .

رومانوس : فلا تقدم على أمر إلا بإذنه

عمرو : دعه يا أبا الروم .. إنه لن يختلف معى فى شىء .

رومانوس : وأنت يا يونس .

يونس : اطمئن فإنى لن أطاوعه مرة أخرى .

رومانوس : ولا تتشاجر معه ؟

يونس : ولا أتشاجر معه .

رومانوس : أستودعكما الله .

(يخرج رومانوس إلى الفناء ومعه عمرو كأنه يشيعه) .

عمرو : ألا تبقى عندنا يوماً آخر ؟

رومانوس : لا ينبغى أن أتأخر على أبى عبيدة .

عمرو : إذن فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك عمرو : إذا كاتبك أمير المؤمنين فى أمر الجيش فوافق على أن تعطينى ثلاثة آلاف جندى من جيش الشام فإنه لا خوف على الشام اليوم .

رومانوس : طب نفساً يا أبا عبد الله . فإنى سأبلغه ذلك وأكثر من ذلك .. وما عليك إلا أن تحزم أمرك وتستعد ..

عمرو : إنى والله مستعد من اليوم ..

(ستـــار)

المشهد الرابع

مجلس شورى عمر فى المسجد .

عمر : يا أصحاب رسول الله ما ترون فى خالد بن الوليد فقد جعل نفسه ملكاً فى الشام كملوك غسَّان فى الجاهلية ينتجعه الشعراء من الآفاق .. وقد جاءنى أنه أعطى الأشعث بن قيس الكندى عشرة آلاف درهم على قصيدة مدحه بها ..

عثمان : اكتب إليه يا أمير المؤمنين وعاتبه كما فعلت حين بلغك أنه اغتسل بالخمر .

عمر : ليكتب إلى كلاماً كالذى كتبه إلى من قبل : « إنا قتلناها فعادت ، غسولًا غير خمر ؟ إنى أعرف آل المغيرة .. إنهم ابتلوا بالجفاء فلا أماتهم الله عليه .

على : إن قامت بينة على أنه أعطى الأشعث أو غير الأشعث من مال الله فاعزله يا أمير المؤمنين وخذ مثل ما أعطى من ماله فرده إلى بيت المال ..

عمر : هذا حسن يا أبا الحسن ولكنه لا يكفينى ولا يشفى غليلى .. فقل يا عبد الرحمن بن عوف ماذا ترى ؟

عبد الرحمن : أتذكر يا أمير المؤمنين يوم بنى جذيمة إذ رفع رسول الله ﷺ يديه وقال : (اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد) مرتين ؟

علي : وبعثنى رسول الله ﷺ ومعى الإبل والورق لأدفع لهم دية قتلاهم وما ذهب منهم .

عبد الرحمن : فإنى أرى أن تعزله من العمل كله فإن ذلك أيسر من محاولة إصلاحه .

عمر : بوركت يا ابن عوف .. والله ما صدقت الله إن كنت اشرت على أبى بكر بأمر فلم انفذه ..

الزبير : رويدك يا أمير المؤمنين .. تذكر أن خالد ابن الوليد هو الذى فتح الله الشام على يديه وهو الذى جعل هرقل يهرب منها آيساً من الرجوع إليها إلى الأبد .. أفلا يشفع بعض هذا لخالد فتعامله معاملة أرق من ذلك وأكرم؟

عمر : ويحك يا ابن العوام .. اتنصحنى بمداهنته فى الحق ؟

الزبير : معاذ الله يا أمير المؤمنين ولكن أبا سليمان ينبغى أن يبقى فى عمله حصنا قوياً للمسلمين فى الشام ..

عمر : إنما حصن المسلمين فى الشام أن يتمسك ولا تهم فيها بالعروة الوثقى فيكونوا قدوة حسنة للمسلمين وغير المسلمين .. بذلك ، وحده نكون لأهلها أفضل من الروم .. وإلا فلم ينصرنا الله على الروم إن كنا مثل الروم أو شراً من الروم ؟

طلحة : لكن خالداً يا أمير المؤمنين لم يأت أمراً إدّا ولم يؤذ أهل الشام فى شىء ..

عمر : بلى يا أبا محمد .. أليس فيهم من مسلمين وذميين من هم أحوج إلى ذلك المال وأحق به من ذلك الملك الكندى المتسول ؟

طلحة : ما أحسب يا أمير المؤمنين أن خالداً هو الذى دعا الأشعث إلى انتجاعه .

عمر : ما كان الأشعث ينتجعه من العراق لو لم يبلغه أن خالداً كان يسير سيرة الملوك حين كان يُدرب فى أرض الروم .. وإلا فهذا سعد بن مالك قد فتح الله على يديه أبيض كسرى فعلام لم يمدحه الأشعث وهو معه ولم تتوافد عليه الشعراء من الآفاق ؟

عثمان : إنى بعد لا أرى أن تعزله يا أمير المؤمنين فلم يرتكب ما يستوجب ذلك ..

على : وأنا لا أرى عزله إلا إذا ثبت أنه أعطى من مال الله لمن مدحوه من الشعراء ..

عمر : يا أبا الحسن أليس على الوالى أن يكون قدوة حسنة لرعيته ولمن يأتى بعده من الولاة ؟

على : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : فأى قدوة يكون خالد للولاة بعده .. والله ليحملن التيجان على رؤوسهم وليجلسن على كراسى الذهب ، وليكونن الشعراء المتسولون المتملقون أحب إلى نفوسهم وأقرب إلى أموالهم من الفقراء والمساكين والضعفة المحتاجين .

على : يا أمير المؤمنين إن كنت ترى ذلك فاعزله .

عبد الرحمن : ادعه يا أمير المؤمنين إليك ثم اعزله وهو بين يديك .

عمر : كلا يا ابن عوف .. بل أعزله عن كل عمله وهو هناك .

عبد الرحمن : إنك لا تأمن خالداً أن تدفعه الحمية فيعيدها جذعة ويشق عصا المسلمين .

عمر : ما احسب أبا سليمان يفعلها ، ولئن فعلها ليوبقنه الله وليحبطن عمله ، ولينصرن الله المسلمين عليه .

على : فالرفق يا أمير المؤمنين أحرى بك وأكرم لأبى سليمان .

الجميع : أجل يا أمير المؤمنين الرفق أحرى بك وأكرم لأبى سليمان .

عمر : يا قوم إنى أريد أن يتسامع المسلمون فى كل مكان أن ابن الوليد الذى خضد شوكة الردة ودوخ الفرس ، وأذهب الله به وساوس الشيطان عن الروم ، لم يعصمه فَعاله من العزل ، فعزل لأنه أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم لغير ما شيء إلا أنه قدم عليه فمدحه .. فإن كان من ماله فقد أسرف وإن كان من إصابة أصابها فقد خان .. ألا إننا لا نريدها كسروية ولا قيصرية ولا عربية جاهلية .. ألا إنه الحق فيا ويح عمر إن عدل بالحق عن وجهه وعمر على المسلمين .

(ستــار)

المشهد الخامس

فى مسجد حمص

جانب من المسجد يرى فيه المنبر والصفوف الأمامية وليس فيه غير أبى عبيدة وبلال بن رباح ومعاذ بن جبل .

صوت : (**يسمع من بعيد ينادى**) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة ..

أبو عبيدة : اذهب الآن يا معاذ إلى خالد بن الوليد وأحضره معك .

معاذ : سمعاً يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : تلطف به جهدك يا ابن جبل ..

معاذ : سأفعل (**يخرج**) .

أبو عبيدة : ما لى أراك واجفاً يا بلال ؟ ما خطبك ؟

بلال : كيف لا أجف يا أبا عبيدة وقد رأيتك أنت تجف ؟

أبو عبيدة : اللهم ثبت قلوبنا على الحق واعصمنا من الزلل .

بلال : أتذكر يا أبا عبيدة إذ كان أمية بن خلف يطرحنى على ظهرى فى بطحاء مكة إذا حميت الظهيرة ويضع الصخرة العظيمة على صدرى ويقول لى لأتركنك هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ؟

أبو عبيدة : نعم .

بلال : والله إن هذا الذى أنا مقدم عليه اليوم لأشق على من ذاك .. كيف أعمد أنا بلال بن حمامة إلى خالد بن الوليد بطل الإسلام وفارس المسلمين وسيف الله المسلول فأنزع عمامته على رؤوس الأشهاد ؟

أبو عبيدة : هذا أمر أمير المؤمنين ؟

بلال : أفلا تقوم به أنت يا أبا عبيدة وتكفينيه جزاك الله صالحة ؟ .

أبو عبيدة : ويحك يا بلال أوقد نسيت أن النبى ﷺ آخى بينى وبينك ؟

بلال : كلا ما نسيت ذلك ولكن خالداً سيكون أهون عليه أن تقوم أنت بذلك من أن أقوم أنا به ..

أبو عبيدة : لا حق له إن فعل .. أنت سيدنا وعتيق سيدنا ومؤذن رسولنا ﷺ .

بلال : سيظن ابن الوليد ما لا نحب أن يظنه .

أبو عبيدة : فليظن ابن الوليد ما يشاء ... فلقد قصد أمير المؤمنين هذا المعنى إذ اختارك لهذه المهمة فكيف ويحك تريد أن تسندها إلى ؟ إذن والله ليغضبن أمير المؤمنين عليك .

بلال : صدقت .. لقد أمرنى هو أن أتولى ذلك بنفسى.قال لى : يا بلال انزع عمامته وقيد بها يديه من خلفه على ملأ من الناس وبحضور أبى عبيدة .. ها هم الناس أولاء قد توافدوا لدعوتك .

أبو عبيدة : سأرتقى أنا المنبر وأبقى فيه وأنت تتولى سؤال خالد .

بلال : اللهم يسر وأعن .

(يدخل الناس أفواجاً فى المسجد ثم يدخل معاذ بن جبل ومعه خالد فى نفر من أصحابه فيهم رومانوس ويونس ورافع بن عميرة ومذعور بن عدى حتى يجلسوا فى الصف الأول أمام أبى عبيدة .. ويجلس فى الجانب الآخر من الصف الثانى رجل وسيم يتطلع فى وجوه الناس كأنه يبحث عن صاحب له) .

الرجل : **(ينهض)** يا أبا عبيدة .. هل تأذن لمسلم أقمت عليه حد الخمر أمس ؟

أبو عبيدة : يغفر الله لك يا أبا جندل .. ما عندك ؟

أبو جندل : ماذا فعل الله بصاحبنا ضرار بن الأزور ؟

أبو عبيدة : إنه لم يحضر إلينا بعد من قيسارية .

أبو جندل : أفى الحق يا صاحب رسول الله أن تحضرنى أنا وأصحابى بالشرطة أول من أمس وتنتظر ضرار بن الأزور حتى يجيئك من تلقاء نفسه متى شاء ؟

أبو عبيدة : لقد بعثنا إلى عمرو بن العاص ليرسله إلينا فى الحال .

أبو جندل : قيل لنا إنك أردت أن تؤثره علينا فتركته فى قيسارية وأقمت علينا الحد من دونه .

أبو عبيدة : معاذ الله وماذا يحملنى على ذلك ؟

أبو جندل : قيل لنا إنك راعيت مكانه من خالد بن الوليد فقبلت شفاعته فيه .

أبو عبيدة : من قال لك ذلك ؟

أبو جندل : كلا لا أخبرك به .

أبو عبيدة : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ . والله ما كلمني خالد فى أمر ضرار بن الأزور ، ولو فعل ما شفعته فيه فإنه لا شفاعة فى الحدود .

أبو جندل : كان ينبغى عليك إذن يا أبا عبيدة أن تكون قد أرسلت فى طلبه فأحضروه إليك قبل أن تحضرنا وتسائلنا أمام الناس وتقيم علينا الحد .. فعسى أن يبلغه ما كان فيهرب من الحد فلا تستطيع أن تقيمه عليه .

أبو عبيدة : وأنى له المهرب يا أبا جندل .. ؟

أبو جندل : لقد سمعناه يقول : والله لا أرضى أبداً أن أجلد كما يجلد العبد .

أبو عبيدة : وما شأننا بما يقول ؟ والله لنقيمنه كما أقمناكم ولنسألنه عن الخمر كما سألناكم فإن قال إنها حلال قتلناه وإن قال إنها حرام جلدناه كما يجلد العبد ولا كرامة .

خالد : (**ينهض**) يا أبا عبيدة ما كان الله ليخزى ضرار بن الأزور !

أبو جندل : أرأيت يا أبا عبيدة ؟ أرأيتم أيها المسلمون ؟ .

أبو عبيدة : ما خطبك يا أبا سليمان ؟ إنها حدود الله يطهر بها قوماً ويخزى بها آخرين .

خالد : ما كان الله ليخزى ضرار بن الأزور أبداً ..

أبو جندل : لقد صح إذن ما قيل ..

خالد : يا أبا جندل ويا أبا عبيدة ويا أيها المسلمون جميعاً ترحموا على أخيكم ضرار بن الأزور .

الجميع : أوقد مات ضرار .. ؟

خالد : استشهد على أسوار قيسارية فأعظم الله أجركم فيه . لقد كان والله مجاهداً مغواراً لم ينب له سيف ، ولم تنثن له قناة ، ولم يطش له سهم (**تغلبه العبرة فيقف واجماً**)

يونس : (**ينهض إلى أبى عبيدة**) هذا كتاب عمرو بن العاص يا أبا عبيدة (**يعود إلى مكانه**) .

أبو عبيدة : (**يتصفح الكتاب**) أعظم الله أجرك فيه يا أبا الروم وأجرك يا أبا سليمان وأجركم جميعاً فقد اختاره الله لجواره .

خالد : (**يرفع يديه إلى السماء ويدعو**) اللهم إن ضراراً كان يخرج فى الليلة الباردة القريرة عريان إلا مما يستر عورته ، فيجاهد فى سبيلك ويقتحم الجيش اللهام للعدو ، لا يهاب الرماح ولا السهام ولا السيوف. اللهم فاغفر له ما أذنب فى حقك وما أذنب فى كبير .. اللهم إن كان يسخطك عليه أن شرب فى الشام بعض الخمر فاغفر له اللهم وارزأه من نصيبه فى خمر الجنة فإنك قلت فى كتابك ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ (**يجلس**) . (**يضج النــــاس بالبكاء**) .

أبو عبيدة : (**يرى بعض الناس يقومون لينصرفوا**) انتظروا أيها الناس لا تقوموا حتى تسمعوا ما أمر به أمير المؤمنين فى خالد بن الوليد .. تقدم إليه يا بلال (**ينظر الناس بعضهم إلى بعض فى دهش**)

بلال : (**يتقدم نحو خالد**) يا خالد بن الوليد .. إن أمير المؤمنين أمرنى أن أسألك أمام الناس أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها ؟ (**يدهش خالد فينظر إلى أبى عبيدة وينظر إليه أبو عبيدة فى حنان كأنه يقول له : ألم أنذرك يا أبا سليمان من قبل ؟**) أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها ؟

خالد : (**لا يجيب**) ..

بلال : إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك وأن تنزع قلنسوتك حتى تجيب عما تسأل الآن عنه (**يحل عمامة خالد ويعقل بها يديه من وراء ظهره ثم ينزع قلنسوته**) ما تقول يا خالد ؟ من مالك أم من إصابة أصبتها ؟

(**همهمة فى صفوف المسلمين**)

أبو جندل : كلا يا قوم لقد بلغ السيل الزبى .. ما هكذا يعامل الأبطال !!

خالد : اسكت يا أبا جندل .. لا تكن داعى خلاف وفتنة ..

أبو جندل : يا سيف الله إنما أردت أن أذب عنك .

خالد : لا أريد أن يذُبَّ عنى أحد .

أبو جندل : (**بصوت متهدج**) بأبى أنت وأمى يا أبا سليمان . سامحنى فيما بدر منى فى حقك .. سامحنى يا أبا سليمان .

خالد : سامحتك يا ابن سهيل بن عمرو .

بلال : أجبنى يا خالد .. من مالك أجزت الأشعث بن قيس أم من إصابة أصبتها ؟

خالد : بل من مالى .

أبو عبيدة : (**يتنفس الصعداء**) الحمد لله .

بلال : (**يطلقه ويعيد قلنسوته ويعممه بيده**) نسمع ونطيع لولاتنا (**يقبل رأس خالد**) ونفخم ونخدم موالينا ..

خالد : (**كالمنكر لتقبيل رأسه**) مه يا ابن حمامة .. يا ليت لى مثل فضلك وسابقتك .. إذن ..

بلال : إذن ماذا يا سيف الله ؟

خالد : هيهات يا ابن حمامة حال الجريض دون القريض .

معاذ : صدقت يا أبا سليمان وقول الله أصدق ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ .

أبو عبيدة : أيها الناس .. انصرفوا يرحمكم الله فقد قضينا ما أمر به أمير المؤمنين .

(**ينزل من على المنبر**) .

(**ينفض الناس ويخرجون حتى لا يبقى غير أبى عبيدة ومعاذ وبلال وخالد وأصحابه الأربعة رومانوس ويونس ورافع بن عميرة ومذعور بن عدى**) .

رومانوس : هل ننتظرك يا أبا سليمان ؟

أبو عبيدة : بل اتركوه قليلا معنا إن شئتم .

خالد : اسبقنى يا أبا الروم إلى أهلك وقل لها إنى قادم .
(**للآخرين**) ألا تذهبون أنتم معه إلى أختكم خولة فتعزوها فى أخيكم ضرار ؟ (**يخرج الأربعة**) .

خالد : (**يتمتم**) ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .. ﴾ أسمعنى الآية يا معاذ بن جبل .

معاذ : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.. فإن الجنة هى المأوى ﴾ .

أبو عبيدة : جزاك الله عن المسلمين خيراً يا خالد ..

خالد : علام يا أبا عبيدة ؟ على إجازتى للأشعث ؟

أبو عبيدة : بل على أن اتقيت الله فيهم ونهيت النفس عن الهوى .

خالد : (**يرسل زفرة حرى**) خبرونى يا قوم ماذا أراد أمير المؤمنين إلى ما فعل ؟

بلال : (**يومئ له أبو عبيدة أن يجيب**) الأمر بين يا أبا سليمان .. أزاد أن يظهر لك سخطه عن تقسيمك الأموال على الشعراء والأشراف دون ضعفة المهاجرين وفقراء المسلمين ومساكين أهل الذمة .

خالد : مالى ولهؤلاء ؟ إن لهم لنصيبهم فى الصدقة ، وإنما أنفقت ما أنفقت من خويصة مالى .

بلال : ما كان أمير المؤمنين يعرف من مالك أم من مال الله ..

خالد : علام إذن يفضحنى هكذا علانية ؟ هلا أمركم بسؤالى فأجبتكم دون أن تشركوا هؤلاء الناس فيما لا شأن لهم به ؟

معاذ : يا أبا سليمان إن عمر قد قصد قصداً أن يعلنها لتكون سنة لولاة الأمصار من بعدك ولو فعل غيرك ما فعلت لفعل به مثل ما فعل بك .

خالد : يا قوم ألستم ترون أنه أراد إذلالى وإرغامى ؟

أبو عبيدة : معاذ الله يا خالد .. إنك لا تعرف عمر .

خالد : بلى يا أبا عبيدة أعرفه .. أعرف ابن حنتمة منذ كان يرعى الشياه لعماتى فى مكة .

أبو عبيدة : ذلك عهد قد جبه الله بالإسلام فلا ينبغى لنا أن نذكره إلا لنحمد الله على أن أبدلنا به خيراً ..

خالد : لكن عمر ما زال يذكر ذلك يا أبا عبيدة فهو يحقد علينا بنى مخزوم .

أبو عبيدة : يحقد عليكم وأنتم أخواله ؟ والله يا خالد لأؤدين لك الشهادة حق . إنى سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر أيها الناس لقد رأيتنى وأنا أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فكنت أستعذب لهن الماء فيقبضن لى القبضة من التمر أو الزبيب .. فلما نزل سألناه ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحكم إنى خلوت بنفسى فقالت لى أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فأردت أن أعرفها قدرها .

معاذ : الله أكبر .. هذا عمر بجراميزه !

بلال : إى والله لقد كنت فيمن شهدوا ذلك بمكة فى المسجد الحرام مُنْصرفَنا من الحج ذات عام .

خالد : والآن يا أبا عبيدة كيف أستطيع أن ألى أمر الناس بعد الذى كان ؟

أبو عبيدة : (**يتحنح كأنما ليتقى أن يجيب**)

بلال : ما يمنعك أن تقول لأبى سليمان جلية الخبر ؟

خالد : ويحك أكتمتنى شيئاً بعد يا أبا عبيدة ؟ ليس هذا الظن بك .

أبو عبيدة : يا أبا سليمان والله ما كان ذلك منى إلا لمحبتى لك وإشفاق عليك .

خالد : مم تشفق على ؟ بالله يا أبا عبيدة لا تفعل وقل ما عندك .. اللهم إلا أن أمرك أمير المؤمنين بكتمانه عنى .

أبو عبيدة : كلا والله لقد أمرنى أن أبلغه لك .

خالد : فلا تتعرض لغضبه من أجلى فوالله لولا تقوى الله وكراهيتى أن أشق عصا المسلمين لانتصفت لنفسى منه ولأجدن لى عليه أعواناً .

بلال : يا أبا سليمان إن أمير المؤمنين قد عزلك من العمل كله .. هذا ما استحيا أبو عبيدة أن يبلغه لك .

خالد : من أجل العشرة الآلاف التى منحتها للأشعث بن قيس ؟

بلال : نعم .. إن كانت من مالك فقد أسرفت وإن كانت من إصابة أصبتها فقد خنت الأمانة .

خالد : (**ينظر إلى أبى عبيدة فى عتاب**) يرحمك الله ما أردت إلى ما صنعت ؟ كتمتنى أمراً كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم ..

أبو عبيدة : (يترقرق الدمع فى عينيه) والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدًّا وقد علمت أن ذلك يروعك ..

خالد : إذن والله لأسيرن إلى المدينة فلألقين عمر ..

أبو عبيدة : إذن تصنع خيراً لعلك تستوضحه فتعذره .. إن عمر رجل ظاهره كباطنه فإذا لقيته عرفت إن شاء الله منه كل شيء ..

خالد : (ينظر إليه فى شيء من الارتياب) نشدتك الله يا أبا عبيدة ألم يكتب عمر إليك بأن توجهنى إليه ؟

أبو عبيدة : بلى يا أبا سليمان لقد كتب .

خالد : يرحمك الله يا أبا عبيدة .. ماذا كنت صانعاً لو بدا لى فأقمت ولم أتوجه إليه ؟ أليس يغضب منك إذا علم أنك لم تبلغنى ما أراد ؟

أبو عبيدة : فى سبيلك يا أبا سليمان أحتمل كل شيء ..

خالد : (يحتضن أبا عبيدة) يا أمين هذه الأمة .. يا أمين هذه الأمة .. أى ملك كريم أنت ..

(ستــار)

خداش : أنت ابن عمى وما ينبغى لى أن أرزأك .

علقمة : لن ترزأنى إن أحسنت الثناء ..

خداش : مهما أقل فأنت ابن عمى ولن أبلغ فى مدحك شأو شاعرك الحطيئة .

علقمة : فاصبر إذن حتى يجعل الله لك مخرجاً من هذه المحنة .

خداش : وأين المخرج منها يا ابن علاثة ؟

علقمة : لا مخرج إلا أن يلى هذا الأمر سيد أريحىٌّ يهتز للشعر كابن أختنا خالد بن الوليد .

خداش : وهل يمكن يا علقمة أن يتحقق هذا الحلم ؟

علقمة : لم لا وهو أعظم فارس فى الإسلام وسماه النبى ﷺ سيف الله ؟..

خداش : أو تظن المسلمين يرضون به مكان عمر ؟

علقمة : إن قلوب المسلمين معه فى كل مكان منذ أصابه عمر بما أصابه ..

خداش : ولكن هل يرضون أن يجعلوه أمير المؤمنين ؟

علقمة : هذا ما ستبديه لنا صفحة اليوم .. لقد استمال خالد قلوب الناس إليه فى كل مكان فإن أيدوه اليوم وخذلوا عمر كان لخالد مطمع فى المؤمنين وإلا فلا ..

خداش : لو كنت مكان خالد لاستعنت بمن معى على من ليس معى ونهضت بالأمر على غرة فلم يشعر الناس إلا وأنا أمير المؤمنين ..

علقمة : كلا يا خداش إن خالداً لا يريد أن تسيل فيه دماء المسلمين .. إنه يريد أن يتيح له عمر مناقشته أمام المسلمين ليرى أيهما أحب إلى الناس وأقرب إلى قلوبهم .

خداش : ما إخال عمر يرضى أن يتيح له هذه الفرصة .

علقمة : هذا ما سنعرفه الآن من أبي عمرو بن حفص .

خداش : أولا تراه قد أطال المكث عند عمر ؟

علقمة : لعله وجد عمر مشغولًا في شؤون أخرى فانتظر حتى يكلمه في مطلب خالد .

خداش : أصارحك القول يا علقمة لو أني كنت مكان عمر لرددت مطلب خالد رداً قبيحاً ولأوجعت رسوله ..

علقمة : قبحك الله .. من أنت حتى تقول لو كنت مكان فلان وفلان ؟

خداش : إنما هذا مثل أضربه لك .. كيف أرضى أن أرى خصمي يثير الناس علي وأنا قادر على منعه فلا أمنعه ؟

علقمة : صه .. هذا حس قادم .

خداش : الحمد لله .. هذا أبو عمرو بن حفص . **(يقومان نحوه)**

علقمة : ماذا وراءك يا أبا عمرو ؟

أبو عمرو : **(يتلفت يمنة ويسرة)** خير ..

علقمة : قبل الرجل مطلب ابن عمك ؟

أبو عمرو : نعم .. قال لي قل لأبي سليمان يأت إلى المسجد حين يسمع الصلاة جامعة .

علقمة : كنت أظنه أحصف من ذلك فأما إذ رضي فإني أسعد الناس .

أبو عمرو : (**يتلفت**) لقد تركت أمير المؤمنين وهو يتهيأ للخروج فلا يرينكما هنا. انصرفا إلى جماعتكما من بنى عامر وانتظروا حتى تسمعوا النداء فأقبلوا حينئذ مسرعين ..

علقمة : وأنت أماضٍ أنت إلى خالد ؟

أبو عمرو : نعم .

علقمة : فليكن الله معه .

(يخرج أبو عمرو من جهة اليمين) .

علقمة : هذا يوم له ما بعده .

خداش : إن يرد الله يعد للشعر منزلته وسلطانه ! **(يخرجان من ناحية اليسار)**

(يدخل عمر وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ومن ورائهم أسلم).

ابن عوف : ما كان لك يا أمير المؤمنين أن تجيب خالداً إلى ما طلب ..

عثمان : أجل يا أمير المؤمنين كان الحزم أن تدعوه إليك فى منزلك فيناقشك بحضورنا كما يشاء وتناقشه ..

عمر : كلا إنه يريد أن يناقشنى أمام الناس .

ابن عوف : بل يريد أن يثير الناس عليك .

عمر : ما يكون لى أن أرد طلبه وإلا كنت ملكاً جباراً ، ومعاذ الله أن أكونه .

ابن عوف : أما إذ أجبته إلى ما طلب فلا تأمر بالنداء حتى تضرب أولًا على أيدى الذين يعملون مع خالد على إثارة الفتنة والشغب . هذا أبو سفيان قد بلغنى أنه ضالع فيها مع بنى هاشم يحرضهم عليك ..

عمر : أبو سفيان ! أهون بأمر ينهض به أبو سفيان .. لقد أذله الله يوم أعز الإسلام فما هو وذاك ؟

عثمان : لآتينك يا أمير المؤمنين بأبى سفيان لتعرف ما عنده ..

عمر : دعنا منه يا عثمان ..

عثمان : لا والله لآتينك به أجره جراً إليك ..

(يخرج منطلقاً)

ابن عوف : وهؤلاء بنو أبيه من بنى مخزوم فافضضهم عنه واحبسهم حتى تحول بينهم وبين ما عسى أن يكونوا قد دبروه من مكيدة أو فتنة فى الناس .

عمر : هؤلاء أخوالى يا ابن عوف .. فدعنى وأخوالى فإنى أعرف بهم منك .

ابن عوف : وهذا علقمة بن علاثة سيد بنى عامر بلغنى أنه تعهد لخالد بأن يجمع له قبائل عامر بن صعصعة كلها وأنت تعلم يا أمير المؤمنين أنهم أخوال خالد وأنهم ذوو وفر وعدد وبأس .

عمر : ويحك يا ابن عوف أوَقد نسيت أن هؤلاء مسلمون فوالله ليمنعنهم إسلامهم أن يطيعوا علقمة إلا فى خير ..

ابن عوف : يا أمير المؤمنين ينبغى أن تحتاط لدرء الفتنة إن أبيت إلا أن يناقشك خالد أمام جموع المسلمين، فإنك لا تدرى ما عسى أن يحدث فى هذه الجموع فقد ينعق فيها ناعق فيتبعونه دون بصر ولا بصيرة ..

عمر : إن كنت تخشى الفتنة يا عبد الرحمن فلنواجهها اليوم ولنقض عليها فى المهد قبل أن تشب عن الطوق ..

أبو سفيان : يا أمير المؤمنين أأنت أمرت عثمان أن يسحبنى على وجهى إليك ؟

عمر : نعم .. ما هذا الذى بلغنى عنك ؟

أبو سفيان : ماذا بلغك عنى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إنك تحرض على .

أبو سفيان : أنا أحرض عليك ؟ معاذ الله يا أمير المؤمنين وماذا يحملنى على ذلك ؟ لقد وليت يزيد ومعاوية ابنى أبى سفيان وجعلتهما أميرين بالشام فماذا يريد أبو سفيان أكثر من ذلك ؟

عمر : قاتلك الله يا شيخ السوء ما يعنيك إلا نفسك وحظ نفسك .. إنى ما وليتهما إلا لكفايتهما وليس من أجلك أو من أجل أنهما ابناك ..

أبو سفيان : فإنى شاكر بعد يا أمير المؤمنين وذاكر فضلك ..

عمر : ويلك أى فضل لى عليك ؟ إنما الفضل من عند الله يا رجل ..

أبو سفيان : الفضل من الله يا أمير المؤمنين ولكن جاءنى من قبلك .

عمر : دعنى من هذا .. ألم تتصل ببنى هاشم ؟ ألم تناج خليلك العباس بن عبد المطلب فى هذا الأمر ؟

أبو سفيان : بلى يا أمير المؤمنين إنى نصحتهم ألا يفعلوا وقلت لهم أتريدون أن تخرجوها من بنى عدى ليتلقفها بنو مَخْزوم ؟

عمر : يا أبا سفيان اتق الله فى المسلمين .. لا تكن آخر الناس إسلاماً وأول الناس سعياً إلى الفتنة فى الإسلام .. إنى

وهبتها لك اليوم من أجل شيبتك ، ولكن والله لئن بلغنى أنك سعيت فى هذا الأمر بعد لأجعلنك نكالًا لغيرك فلا تلومن إلا نفسك .. انصرف إن شئت .

أبو سفيان : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين (**يخرج**)

ابن عوف : أرأيت يا أمير المؤمنين كيف أن بنى هاشم قد تناجوا فى الأمر يرون أنفسهم أحق به من بنى مخزوم ومن غيرهم .

عثمان : أجل يا أمير المؤمنين لتكونن فتنة فى الناس إن لم تتداركها بحزمك وعزمك .

عمر : والله إن بنى هاشم لأحق الناس لولا مخافة أن يظنوا أن الأمر فيهم أبداً فيستحيل فى أيديهم ملكاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ، وإن الله لا يرضى أن يكون فى الإسلام بيت كبيت كسرى أو قيصر .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين قد رأيت الخطر يتهددنا من كل صوب أفلا تؤجل مواجهة خالد إلى حين ؟

عمر : كلا يا ابن عوف .. إن الشر إن لم تحسمه فى حينه عظم واستشرى . (**ينادى**) أسلم .. أين أنت يا أسلم ؟

أسلم : (**صوته**) لبيك يا أمير المؤمنين .. (**يدخل**)

عمر : مرهم فلينادوا الصلاة جامعة ..

أسلم : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين (**يخرج**) .

أصوات : (**تنطلق من نواح مختلفة**) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة !

(**تبتعد شيئاً فشيئاً حتى تضمحل**) .

عثمان : يا أمير المؤمنين إنك ظننت أننا نخشى عليك ولذلك أبيت أن تسمع لناولكنا إنما نخشى على الإسلام أن ينتقض حبله وعلى المسلمين أن يصيروا فوضى يضرب بعضهم رقاب بعض ..

عمر : هون عليك يا عثمان .. والله لئن أراد المسلمون تولية خالد مكانى ، وأجمع على ذلك رأيهم ، ليكونن لهم ما أرادوا ، فإن الأمر شورى بينهم كما أمر الله ..

عثمان : وهناك بعد يا أمير المؤمنين ذلك الخطر الذى أنذرك به أبو عبيدة وعمرو بن العاص أن يغزونا الروم الذين فى مصر من بحر القلزم بالسفن .

عمر : لا تخف يا عثمان .. فقد وضعنا على سواحلنا رجالًا من أهل البأس والثقة يحرسونها لا ينامون ولا يغفلون فلن تؤخذ على غرة إن شاء الله .

(يتوافد الناس إلى المسجد ويدخل خالد بن الوليد فى نفر من بنى مخزوم فيجلس فى الجانب الأيسر من الصف الأول تجاه المنبر ويدخل على والزبير وطلحة والعباس وغيرهم من كبار الصحابة فيجلسون فى الجانب الأيمن ويرقى عمر المنبر فتهدأ الأصوات) .

عمر : (**يخطب**) الحمد لله أحمده حمداً كثيراً وأصلى وأسلم على رسوله الذى بعث بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً وعلى آله ، أما بعد ، أيها الناس فقد سألنى خالد بن الوليد أن أجمعكم اليوم ليناقشنى أمامكم وأناقشه . وقد أشفق بعض

ذوى الرأى من ذلك على كلمة المسلمين أن تفترق ، فنصحونى ألا أقبل ولكنى استخرت الله فقبلت .. لا بطراً — يعلم الله — ولا رياءً ولا استخفافاً بالفتنة أو استدراراً لها .. ولكنى نظرت فوجدتنى بين أمرين .. فإما أن أصدع بالحق ولا أخشى الفتنة ، وإما أن أخشى الفتنة فلا أصدع بالحق .. فرأيت أن أصدع بالحق فإن الحق من الله ، والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يجنبنا الفتنة فإن الفتنة من الشيطان .. أيها الناس لقد أمرت بخالد بن الوليد فنوقش فى حمص على رؤوس الأشهاد ليكون عبرة لغيره من ولاة الأمصار . وأريد اليوم أن أجعل نفسى حجة على كل من يلى هذا الأمر بعدى فلا يأبى أحدهم أو يستنكف أن يناقشه أحد من رعيته على رؤوس الأشهاد أبداً .. (**ينزل من على المنبر**) .

أبو عمرو : (**ينهض من مجلسه**) ائذن لى يا أمير المؤمنين فى الكلام فإنى أنا أيضاً من رعيتك ..

عمر : تكلم يا أبا عمرو .. قل ما عندك ..

أبو عمرو : والله ما أعذرت يا عمر فلقد نزعت عاملًا استعمله رسول الله ﷺ ووضعت لواء رفعه رسول الله ﷺ وأغمدت سيفاً سله الله وقطعت الرحم وحسدت بنى العم .

عمر : (**ينظر إليه مبتسماً كأنه يرحمه لصغر سنه**) يا ابن أخى لا تثريب عليك إنك قريب القرابة حديث السن مغضب فى ابن عمك .. وهذا ابن عمك بيننا ليشكونى إلى الناس

كما شكانى إلى المسلمين فى كل مكان ، وهو ألحن بحجته منك فليقل هو ما يريد .. هلم ادن منى يا أبا سليمان ليسمع الناس مقالتك ..

(يقوم خالد من مجلسه حتى يقف بإزاء عمر أمام المنبر) .

(تسمع حركة من ناحية الصفوف الخلفية وإذا شاب يتخطى الناس حتى يدنو من عمر)

عمر : مسور بن مخرمة .. ما خطبك ؟

مسور : هذا كتاب لك يا أمير المؤمنين من عبد الله بن الأرقم .

عمر : **(يفض الكتاب ويتصفحه فيتغير وجهه قليلًا ثم يتجلد ليخفى ما فى وجهه)** اجلس يا بنى حتى نسمع ما يقوله خالد بن الوليد ..

طلحة : يا أمير المؤمنين خبرنا أولًا ماذا فى الصحيفة ..

عمر : سأتلوها عليكم بعد أن نفرغ من قضية أبى سليمان ..

الزبير : بل خبرنا يا أمير المؤمنين هل نزل الروم بأرض الساحل ؟

أصوات : خبرنا يا أمير المؤمنين .. نريد أن نعرف ما فى الصحيفة ..

عمر : لا تراعوا أيها المسلمون فإن أحداً لم ينزل بأرض الساحل وإنما وقفت بضع عشرة سفينة فى عرض البحر تجاه ثغر ينبع فأسرع عبد الله بن الأرقم بإنذارنا كما أمرناه .

الزبير : لا ريب أنها سفن الروم تريد أن تنزل جنودهم فى أرض الجزيرة .

طلحة : ماذا ننتظر يا أمير المؤمنين ؟ لنسر إليهم فلنقاتلهم ..

خالد : يا أمير المؤمنين إنى قد نزلت عن مطلبى اليوم فلنؤجله إلى يوم آخر ودعنى أتول تأديب هؤلاء الروم إن شئت .

عمر : الآن يا خالد وقد جمعنا الناس ليسمعوا شكواك ومظلمتك لا والله ليسمعن منك اليوم وليسمعن منى حتى يتبين لهم وجه الحق فيحكموا لك أو يحكموا عليك .

خالد : الآن يا أمير المؤمنين والعدو على سواحلنا ؟

عمر : ذلك أحرى أن تعجل بيوم الفصل ولا تؤجله حتى يكون المسلمون على بصيرة من أمرهم .. فدعنا يا خالد نمض فيما جمعنا الناس من أجله ، حتى إذا انتهينا من ذلك سرنا إلى هؤلاء الروم وقد اجتمع أمرنا ، واتفقت كلمتنا ، وأيس الشيطان أن يفرق بيننا ، فمنحنا الله أكتافهم إن شاء الله ..

طلحة : يا أمير المؤمنين ما بقى لك من عذر بعد أن نزل خالد عن مطلبه فإنما جمعتنا اليوم من أجله ..

الزبير : أجل يا أمير المؤمنين لا ينبغى أن ينـاقش بعضنـا بعضاً والبلاد فى خطر ..

عمر : ويحكم أتريدون أن تديرونى عن رأيى ؟ لا والذى نفس عمر بيده لو قيل لى إن الـروم قد بلغـوا وادى القـرى ما نهضت لهم حتى تنتهوا مما بينى وبين خالد .. ويحكم إنى إنما أستدفع الخطر بما أصنع ..

على : يا أبا سليمان .. قد رأيت أنها عزيمة من أمير المؤمنين ليس منها بد .. فخذ فيما أردت أن تناقش أمير المؤمنين فيه حتى تفرغ وشيكاً لأمر هؤلاء الروم .

خالد : يا معشر المسلمين إنى ليحزننى أن أسمع أن الروم قد حدثوا أنفسهم بالنزول فى ساحلنا ليغزونا فى عقر دارنا ، وما كانوا ليجرؤوا على ذلك لو أن أمير المؤمنين قد تركنى أدرب فى أرض الروم كما شئت حتى أقرع أبواب القسطنطينية على هرقل !

عمر : ما كان ذلك ليمنع الروم من غزو جزيرة العرب فإنهم لا يغزوننا من أرضهم بل من مصر وقد أشفقت على المسلمين أن يقحم بهم فى المهالك ..

خالد : سبحان الله أن كان مثلى يقود الجيش إلى الهلكة فمن ذا يقوده إلى العزة والنصر ؟

عمر : ومن هذا الزهو أشفقت عليك يا خالد وعلى المسلمين .

خالد : لو كنت مكانى يا عمر ما ملكت الزهو .

عمر : إذن لحاسبت نفسى ولعرفتها قدرها .. لولا الإسلام يا خالد لكان منتهى الشرف عند أحدنا أن يؤذن له على أحد عبيد قيصر أو كسرى من العرب ..

خالد : هذا حق لا أحد منا ينكره ..

عمر : لو استشعرته حقاً لطامنت من زهوك ولعلمت أن الله هو الذى ينصر دينه .. لا أنت ..

خالد : ما ضر يا عمر أن ينصر الله دينه على يدى وعلى أيدى المؤمنين معى .. ولكنك تحسدنى يا عمر والحسد شر من الزهو .

ابن عوف : (**معترضاً**) معاذ الله .. أمير المؤمنين يحسدك ؟

خالد : اكفنى هؤلاء يا أمير المؤمنين إن كنت تريد حقاً أن أناقشك .

عمر : دعه يا ابن عوف يقل ما عنده فقد أذنت له : لقد علمت يا خالد أنك تظن بى هذا الظن ، بل عسى أن يكون كثير من المسلمين قد ظنوا بى مثل الذى ظننت .. والله يغفر لك ولهم ذلك . والله لقد قالت لى نفسى غداة أردت أن أعزلك : لا تفعل يا عمر وإلا ظن الناس بك الحسد ، فهممت أن أنصاع لأمرها لولا أن قلت لنفسى ماذا أنت قائل لربك غداً إن خشيت الناس وهو أحق أن تخشاه ؟ ويحك يا أبا سليمان على أى شىء أحسدك ؟ على مناقبك أم معايبك ؟ أما مناقبك ففى سبيل الله ولإعلام كلمة الله ومن أجلها وليتك ، وأما معايبك فمن آثار الجاهلية ومن أجلها عزلتك ..

خالد : بل غرت منى يا عمر .

عمر : الغيرة أخت الحسد .

خالد : لقد خشيت أن أنازعك هذا الأمر ..

عمر : أما هذا فنعم . لقد خشيت يا خالد أن تشق عصا المسلمين فيضرب بعضهم رقاب بعض ..

خالد : يا عمر أليس لى دين يمنعنى من ذلك ؟ أوَ تظن يا عمر أنى إذ تأخر إسلامى عن إسلامك لا أخلص للإسلام إخلاصك ؟

عمر : معاذ الله يا أبا سليمان ولكن الشيطان يوسوس للمؤمن كما يوسوس للكافر .. وليجدن سبيله إليك من زهوك واستعلائك وفتنة الناس بك ..

خالد : والله لو كان لى أن أنازعك الأمر لفعلت ولما أعوزنى الأعوان والأنصار ..

عمر : صدقت يا خالد ولكنى احتطت لدين الله والمسلمين .. وحق على من ولى أمر المسلمين أن يحتاط لهم ..

خالد : تحتاط لهم من وهم كاذب ؟

عمر : كلا ليس ذلك بوهم كاذب .. لقد أعلنته فى ملأ من الناس بالشام حين دعاك أحدهم إلى الفتنة فقلت : أما وابن الخطاب حى فلا .. أليس هذا ما قلته ؟

خالد : بلى ..

عمر : فماذا أردت إلى ذلك ؟

خالد : هذا قول صريح لا يحتاج إلى بيان ..

عمر : سننتظر حتى يموت ابن الخطاب فتقوم حينئذ بالفتنة ؟

خالد : ليس لك أن تحاسب الناس فى حياتك وبعد مماتك ..

عمر : ويلك إنى لا أحاسبك من أجل نفسى بل من أجل المسلمين .

خالد : سيكون للمسلمين راع يهتم بأمرهم من بعدك فهذا من شأنه هو لا من شأنك .

عمر : كلا بل من شأنى .. لقد سمعت ناعق الفتنة فى عهدى فحق على ألا اتركه حتى أمسك بعنقه فلا يزعج المسلمين

من بعدى بنعيقه،ولقد جاءك أمرى وأنت فى الشام أن تكذب نفسك فلم تفعل .

خالد : ما كنت لأقول قولًا ثم أعلن فى الناس أنى كنت كاذباً فيما قلت .

عمر : رحم الله امرءاً روجع إلى الحق فرجع .. ولكن بلغنى أنك استشرت أختك فاطمة بنت الوليد فأشارت عليك بألا تفعل .. ويحك يا أبا سليمان .. النساء تستشير ؟!

خالد : رب امرأة يا عمر خير من رجل .

عمر : صدقت ولكن هذه تعيش بعد فى جاهليتها فهى ترانى دائماً ابن حنتمة بنت عمها هاشم بن المغيرة ولا ترانى أمير المؤمنين .

خالد : كلا ما كان لفاطمة شأن فى ذلك ولقد كذبك من بلغك ..

عمر : إذن فاكذب نفسك الساعة أمام الناس كما قلته أمام الناس .. أعلن لهم أنك لا تنوى الفتنة وعمر حى ولا بعد أن يموت عمر ..

خالد : كلا والله لا تتحدث العرب أبداً أن خالد بن الوليد يقول القول ثم يكذبه .

عمر : جاهلية !! جاهلية !! جاهلية !! يعنيك يا خالد ما تقول العرب عنك غداً ولا يعنيك ماذا أنت قائل لربك غداً ..

خالد : واعجباً لك يا عمر .. أليس للمسلمين إذا قضى ابن الخطاب نحبه أن يختارونى لولاية هذا الأمر ؟

عمر : معاذ الله لا يختارك المسلمون أبداً وفيهم السابقـون من المهاجرين والأنصار .. إن المسلمين يا خالد لا يرضون أبداً أن يروا على منبر رسول الله ﷺ ملكاً يجيز الشعراء ويمنع الفقراء — يفعل هذا وبينه وبين الله غيره فكيف إذا لم يكن بينه وبين الله أحد !

خالد : وإذا فعلوا يا عمر ؟ إذا اختاروني وفيهم السابقـون من المهاجرين والأنصار ؟ أتقوم أنت من موتك لتحول دون ذلك ؟

عمر : ليسوا بفاعلين إلا إذا أكرهوا على ذلك بالسيف وإن فى سيفك لرهقاً يا خالد ..

خالد : (**ثائراً**) فى سيفى رهق ؟! أيها المسلمون لطالما اتهمنى عمر بذلك ، ولو كنت كما زعم لما توالى نصر الله لى فى كل معركة أخوضها . أجل إن فى سيفى لرهقاً ولكن حينما تدعو الحاجة إلى الرهق . وإلا فإنى أحرص الناس على نفس مؤمنة أن تلقى منيتها إلا فيما يوهن جانب العدو أو يشد من عزائم المسلمين .. ذلك ما فعلته يوم مؤتة .. أتذكرون يوم مؤتة ؟ يوم اندق فى يدى تسعة أسياف فما صبرت فيها إلا صفيحة يمانيـة .. فى ذلك اليـوم سمانى رسول الله ﷺ سيف الله .. فهل تعلمون ماذا فعلت ذلك اليوم وقد رأيت مائة ألف أو أكثر قد أحاطوا بثلاثة آلاف من المسلمين وأوشكوا أن يبيدوهم على بكرة أبيهم ؟ لم أتقدم بهم لقتال العدو كما فعل زيد بن حارثة ، ولم أهجم

بهم هجمة الليث كما فعل جعفر بن أبى طالب ، ولم أستمت بهم كما فعل عبد الله بن رواحة ولكنى داورت بهم جهدى حتى سللتهم من المعركة فأنقذتهم من الهلكة وقفلت بهم إلى المدينة ليحثو أهلها فى وجوهنا التراب ويقولوا : أنتم الفرار فيقول رسول الله ﷺ .. (بل أنتم الكُرَّار إن شاء الله) ..

عمر : أيها الناس إن رسول الله ﷺ أثنى على خالد يوم مؤتة إذ أنقذ المسلمين من الهلكة ، ولكنه أعرض عنه يوم بنى جذيمة وقال : (اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد) مرتين .. ثم بعث علىّ بن أبى طالب يُودِى لهم قتلاهم الذين فتك بهم خالد وهم مسلمون .. وإن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة .. نثنى على خالد بما هو أهله ما كان على الطريق ، فإذا حاد حاسبناه وعاتبناه ، فإذا لم يستقم قومناه وأنفه راغم .. فما جعل الله أحداً أعظم من الحق وإن كان عظيما .. وإن الله قد أذهب تفاخر الجاهلية وخيلاءها كما أذهب أصنامها وأوثانها فلا والله لا أوتى برجل يريد أن يكون صنماً يعبده الناس إلا حطمته .

خالد : أيها الناس إن أمير المؤمنين عزلنى فى المرة الأولى عن إمارة الجيش فى الشام ، زاعماً أن الناس افتتنوا بى فخشى أن أفتن بالناس .. فليت شعرى ماذا كان أمير المؤمنين يريد منى أن أصنع ؟ أأضن على المسلمين بكفايتى فى الحرب أن أتعمد ألا أكسب لهم النصر فى المعارك حتى لا أكون صنماً يعبده الناس كما زعم أمير المؤمنين فيكون عليه أن يحطمه ؟

عمر : يا خالد إنى عزلت المثنى بن حارثة الشيبانى يوم عزلتك ، لأن الناس فتنوا به كما فتنوا بك ، ولقد كان المثنى أول سهم رماه الله فى صدر فارس .. فلم يشكنى إلى الناس فى كل مكان ، ولم يدخل مسجد رسول الله وقد غرز أسهماً فى عمامته مختالًا مباهياً بما صنع ، ولم يتوعد بالوثوب على منبر رسول الله بعدى .. ولقد شهد وقعة الجسر وأبو عبيد أمير عليه فلم يغير ذلك من جهاده شيئاً . ولما دارت الدائرة على المسلمين وقف يحمى الناس على الجسر حتى عبروه ، ولولاه لهلكوا جميعاً ، ثم لقى الله مجاهداً فى سبيله زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ..

خالد : لو كان المثنى من قريش لكان له شأن آخر ..

عمر : من قريش ! أوقد غرَّك أنك من قريش ؟ ألم تعلم أن قريشاً هى التى كذبت رسول الله ﷺ وقذفته بالحجارة وأخرجته من مكة وقاتلته فى المدينة ؟ ويلك أتظن المسلمين اختاروا أبا بكر لأنه من قريش ؟ إذن والله لكانوا اختاروا العباس بن عبد المطلب أو أبا سفيان بن حرب أو الحارث بن هشام فكل هؤلاء أوجه من أبى بكر وأخلق بالإمارة .. ويلك إنما كان هذا الأمر فى قريش لأن منها أبا بكر وأبا عبيدة وأمثالهما من الرعيل الأول .. ويلك هذه العنجهية الجاهلية فيك هى التى أردت أن أستأصلها منك . ويلمك رجلًا من رجال الإسلام يا ابن الوليد لو لم تكن هذه فيك !!

خالد : أتريد الحق يا عمر ؟ إنك لا تطيق أن ترى رجلًا يمتاز على الناس كالغرة فى جبهة الفرس الأدهم .

عمر : أما والله يا خالد لقد صدقت .. إنى لأكره الغرة إن دلت العدو على الفرس ..

خالد : تلك غرة أخرى .. فأما الغرة التى أعنى فإنها تدفع العدو عن الفرس ..

عمر : ذاك عدو آخر .. فأما العدو الذى أعنى فإنه يرمى الفرس فى غرته فيرديه ! .

خالد : من ذا تعنى ؟

عمر : أعنى العدو الأكبر .. أعنى الشيطان .. الشيطان يا خالد يحاربنا فى كل مكان وفى كل حين .. ومن حيث نشعر .. ومن حيث لا نشعر .. وفى صالح عملنا وفى سيئه .. وإنه لأهدى إلى مقاتلنا من فارس والروم .. أتدرى ما مقاتلنا يا خالد ؟ هى الغُـرَر والحجـول ! . هى الغـرر والحجول ! . هى الغرر والحجول ! . إلا من عصم الله .

خالد : بل تخشى يا عمر أن يظهر هؤلاء عليك فيغلبوك على أمرك ..

عمر : صدقت .. أخشى والله أن يظهر على ويغلبنى على أمرى من لا يتقى الله فى المسلمين .

خالد : عجباً لك .. كأنك تعتقد أن ليس على ظهرها من يعنيه أمر المسلمين سواك .

عمر : أجل يا خالد .. إن حقاً على من ولى هذا الأمر ألا يتكل على أحد وأن يعمل كأن ليس على ظهرها من يعنيه أمر المسلمين سواه ..

خالد : هذا من حرصك على أن تجمع السلطان كله فى يدك .

عمر : يا ليت لى سبيلًا إلى ذلك فلا يفوتنى من شؤون المسلمين فى كل مصرٍ من أمصارهم شىء . يا ليتنى أستطيع أن أكفى كل عامل يعمل لنا عمله . إذن لاستراح بالى واطمأنت نفسى .

خالد : والله لقد جاوزت القصد وتكلفت .. إنك لست مسئولًا عن ذلك .

عمر : بلى والله إنى لمسئول .. ألست أنا الذى وليتهم ؟ والله لأسألن بين يدى الله يوم القيامة لو بلغنى أن عاملًا لى قد أعطى المال للشعراء ومنعه الفقراء فتركته ولم آخذ بناصيته !

خالد : بالله إنك فى أمرى غير مجمِل يا عمر ..

عمر : ويحك يا خالد أترى لو قام بها وال غيرك كنت أتركه دون أن آخذ بناصيته ؟ والله لو تركت ذلك لأحد لكرامته عندى لتركته لك .

خالد : بل أردت إرغامى وإذلالى لتشفى ما فى صدرك من وَحَر .. وإلا لأمرت رسولك فسألنى وحدى ولم يشهر بى أمام الناس ، وينزع قلنسوتى ، ويحل عمامتى ، ويعقل بها يدى من خلفى .

عمر : يا خالد إنك فعلتها على ملأ من الناس . فكان جزاؤك من جنس عملك .. لو أنك أعطيت الأشعث فى السر لحاسبتك فى السر .. ولكنك أعلنتها مزهواً بأن ملكاً من ملوك كندة فى الجاهلية قد جاء ينتجعك من العراق فمدحك بشعره فأجزته كما كان ملوك العرب يجيزون شعراءهم .

خالد : يا أمير المؤمنين إنما الأمم بأشرافها ووجوهها ، أفتقيم الدنيا وتقعدها من أجل أنى أعطيت من فضل مالى لأشراف العرب ووجوههم ؟

عمر : ويحك أشراف العرب ووجوههم ليسوا اليوم ملوك كندة ولا ملوك غسان ولا المناذرة ..

خالد : فمن هم ؟

عمر : هم يا أبا سليمان الأنصار والمهاجرون ألا تعرفهم ؟

خالد : إنهم لم ينتجعونى ولو فعلوا ما حرمتهم .

عمر : ويلك أتريد من هؤلاء أن ينتجعوك ؟ إن عليك أنت أن تنتجعهم إن بينهم لضعفة ومساكين ، وقد أمرتك أن تحبس مال الله على هؤلاء فأعطيته لذوى الجاه والغنى واللسان .

خالد : سبحان الله إنك تذكر مال الله وأنا أعنى خويصة مالى وأنا حر فيه .

عمر : ويحك إن الذى يبدد ماله على سنة الجاهلية لغير أمين على مال الله أن يبدده فى غير موضعه .

خالد : أو ما كنت تخشى يا ابن الخطاب أن تأخذنى العزة بالإثم فأبطش يومئذ برسولك وأعلن عصيانك والخروج عليك ؟

عمر : كلا ما كنت لتفعل ذلك يا أبا سليمان وأنا حى .

خالد : والله لقد راودتنى نفسى على ذلك فماذا كنت فاعلاً لو فعلت ؟

عمر : إذن لوجدتني يا ابن الوليد أسرع إليك من رجع الصدى ، فاستعنت الله عليك حتى يحكم بينى وبينك .

خالد : إذن لضاقت بك أرض الشام كما ضاقت بهرقل .

عمر : هيهات هيهات .. إنما نصرت إذ نصرت بالحق ولم تنصر بالباطل فاكفف من غُربك ، واتق الله فى نفسك ، فإن طاف بك طائف من الشك فاذكر ماذا صنعت فى بدر وأحد والخندق !

خالد : دع عنك هذا فقد كان معكم يومئذ رسول الله ﷺ .

عمر : ومعى اليوم صحابة رسول الله وصالح المؤمنين .

خالد : وما يدريك يا عمر ألا يكون هؤلاء معى عليك ؟ فإنهم قد كرهوا شدتك ، وضاقوا بعهدك ، ولولا خوفهم منك لصارحوك برأيهم فيك .

عمر : أحقاً يا صحابة رسول الله هذا الذى قاله خالد ؟ (**يسكتون**) .

خالد : فَرَقهم منك ألجمهم عن الكلام .

عمر : يا صحابة رسول الله أنشدكم الله إلا ما صدقتمونى القول .

(ينهض سعيد بن زيد)

سعيد : أجل يا أمير المؤمنين قد كرهنا شدتك وإن لم نضق بعهدك . إنك قد أخشيتنا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليك أبصارنا فلو لنت للناس قليلاً يا عمر !

عمر : إنى لا أريد رأيك وحدك .

سعيد : كلا هذا ليس رأيى وحدى .. هذا رأى على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

عمر : ويحهم كيف سكتوا عنى ولم يذكرونى ؟ عزمت عليهم إلا ما أنابوا عنهم أحدهم فصارحنى بما يرون ..

(يومئ الجماعة إلى ابن عوف لينوب عنهم)

ابن عوف : (**ينهض**) أنا أتكلم عنهم يا أمير المؤمنين .. لِن للناس يا عمر فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته حتى يرجع ولم يكلمك ..

عمر : حسبى الله ونعم الوكيل .. (**يبتهل خاشعاً دامع العينين**) اللهم إنى قد لِنت للناس حتى خشيتك فى اللين ، ثم اشتددت حتى خشيتك فى الشدة ، اللهم إنك تعلم أنى منك أشد فَرَقاً منهم منى فأين المخرج ؟ أين المخرج ؟ كيف ألين للناس دون أن أخشى الله أن يغريهم ذلك بالتساهل والتواكل ؟ وكيف أشتد عليهم دون أن أخشى الله أن أخيفهم فتمنعهم هيبتى أن يكلمونى فى حاجاتهم ؟

ابن عوف : أفٍّ لهم من بعدك يا عمر ! (**يجلس**) .

عمر : يا معشر المسلمين من يعلم منكم لى مخرجاً من هذا فليشر به على فإنى والله لا أعرف لى مخرجاً من ذلك .

خالد : أنا أعرف لك مخرجاً من ذلك يا عمر ..

عمر : **(فى استبشار)** فأدركنى به يا أبا سليمان جزاك الله صالحة .

خالد : اعتزل هذا الأمر ودع المسلمين يختاروا رجلاً غيرك .

عمر : **(يتغير وجه عمر كأنه فوجئ بما لم يكن فى حسبانه)** والله ما أردت بهذا وجه الله يا خالد .

خالد : وهل أردت وجه الله إذ عزلتنى عن الشام ؟

عمر : أنت الذى تقول : إن عمر ولانى الشام حتى إذا صارت بثينة وعسلاً عزلنى وولاها لغيرى ..

خالد : أجل قلت هذا القول للمسلمين فى كل مكان .

عمر : أنشدك الله يا خالد أتعلم أنى نزعت من يدك البثينة والعسل لأستأثر بهما لنفسى أو ذوى قرباى ؟

خالد : كلا إنى لم أقل ذلك ..

عمر : فأنشدك الله مرة أخرى هل تعلم أن أبا عبيدة متهالك على ذلك ؟

خالد : معاذ الله إن أبا عبيدة ما علمت وعلم الناس لأزهد الناس فى الدنيا وأرغبهم فى الآخرة .

عمر : فأى وجه أردت إذ عزلتك يا خالد غير وجه الله سبحانه ؟

خالد : برهانك على ذلك !

عمر : أى برهان تريد ؟ .

خالد : اعتزل هذا الأمر .

عمر : ليتنى أستطيع أن أعتزل هذا الأمر وأريد بذلك وجه الله .

خالد : ما يمنعك ؟

عمر : لو فعلت لأدركت به حظ نفسى فى الراحة والسلامة وما هكذا يراد وجه الله ..

خالد : هذه قضية لا ينبغى أن تحتكم فيها إلى نفسك ، إن كنت حقاً تلتمس فيها وجه الحق ..

عمر : إنها سريرتى يا خالد ومن أدرى بها بعد الله منى ؟

خالد : ربما خيل إليك ذلك من فرط حرصك على إمارة المسلمين .

عمر : (فى خوف وإشفاق) إن يكن هذا الذى تقوله يا خالد حقًّا فيا ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى .

خالد : هؤلاء صحابة رسول الله الذين توفى وهو عنهم راض ، فلم لا تستبرىء لنفسك فتستفتيهم فى أمرك ؟

عمر : يا صحابة الرسول لقد نصحنى خالد وصدق . إنكم وجوه المسلمين وألسنتهم فأفتونى فى أمرى .. إن كان خير المسلمين فى بقائى أميراً لهم بقيت ، وإن كان خيرهم فى اعتزالى اعتزلت ..

أبو عمرو : يا أمير المؤمنين اعتزل خيراً لك وللمسلمين .

أصوات : (**تتجاوب بها أرجاء المسجد من كل ناحية**) : اسكت يا صبى بنى مخزوم .. ما أنت وذاك ثَكِلَتْك أمك ! .. كلا يا أمير المؤمنين إن خير المسلمين فى بقائك !.. لا يصلح لهذا الأمر غيرك !. أجل لا يصلح لهذا الأمر غيرك !

عمر : يا بنى مخزوم هل ينطق هذا الفتى أبو عمرو بن حفص بلسانكم ؟

صوت : نعم يا أمير المؤمنين ..

الحارث : (**بن هشام**) كلا يا أمير المؤمنين إنما ينطق عن نفسه وعن الشيطان . لا والله لا نكون آخر الناس إسلاماً وأولهم سعياً إلى الفتنة فى الإسلام .. إن أبا سليمان سيف الله وفارس المسلمين ، ولكن أمر المسلمين لا ينهض به خير منك يا عمر ولا أكفأ منك ولا أقوى منك .. ولئن ساءنا أنك عزلت أبا سليمان إن ذلك لمن شأنك وأنت المسؤول أمام الله فى ولايته وفى عزله .

خالد : ما أسرع ما تغيرت علينا يا حارث من أجل ابنتك أم حكيم .

الحارث : يا خالد إن تكن أم حكيم ابنتى زوجاً لأمير المؤمنين فإن فاطمة بنت الوليد أختك زوجى .. وإنها لتحرضنى عليه ما لا تحرضنى أم حكيم عليك .. ولكنها كلمة حق أقولها غير محاب له ولا ظالم لك ، ولا ناظر إلا إلى خير المسلمين ..

خالد : ما كان هذا رأيك فيه من قبل إذ كنا بالشام ..

الحارث : أجل لقد كنت أقع فى ابن الخطاب كلما ضمنى مجلس وأتمنى موته إلى أن سمعنى أبو عبيدة ذات يوم فقال : ويحك يا أبا عبد الرحمن إذا مات عمر رق الإسلام .. ما أحب أن لى ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأن أبقى بعده ..

وسترون ما أقول إذا بقيتم فإن ولى وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس ولم يحتملوه وإن ضعف عنهم قتلوه .

عمر : أوَقال أبو عبيدة ذلك يا ابن هشام ؟

الحارث : إى والله يا أمير المؤمنين ..

عمر : (**فى رقة**) يرحم الله أبا عبيدة . إن من نكد الدنيا أن تزهد فى الأمر ويظن بك الحرص عليه .. شد ما لقيت منكم يا معشر قريش ، ولما لقيت من نفسى أشد .. أما والله لوددت أنى وإياكم فى سفينتين فى لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً فلن يعجز الناس أن يولوا رجلًا منهم فإن استقام اتبعوه وإن جَنِف قتلوه .

طلحة : وما عليك يا أمير المؤمنين لو قلت إن تعوج عزلوه ؟

عمر : لا .. القتل أنكل لمن بعده .. أيها الناس إنى أحذركم من قريش .. وأحذر قريشاً من نفسها .. ألا إن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده .. ألا فأما وابن الخطاب حى فلا ، إنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار !

خالد : يا أمير المؤمنين ما ينبغى أن نحبس الناس أطول مما فعلنا وعسى أن يكون غزاة الروم قد نزلوا من سفنهم بالساحل فاصرف الناس وجهزهم لقتالهم ..

عمر : لا والله لا أفعل يا خالد حتى أعلم أن قد أمرنا واتفقت كلمتنا وأيس الشيطان أن يفرق بيننا ..

خالد : قد وضح اليوم أن سابقة الإسلام لا يَعْدِلُها شىء عند المسلمين ولو جئتهم بهرقل فى قفص ، وإن مثلى ومثلك لكما قال الشاعر :

يا لك من قنبرة بمَعمَـــــــــرِ ..
خلا لك الجو فبيضى واصفـــرى ..
ونقِّـــرى ما شئت أن تنقِّـــرى ..

(يدخل يزيد بن أخت النمر مسرعاً يتخطى رقاب الناس حتى بلغ إلى عمر) .

يزيد : السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلام يا يزيد ورحمة الله .. ماذا وراءك يا ابن أخت النمر ؟

يزيد : هذا كتاب لك من عبد الله بن الأرقم ..

(يناوله لعمر فيفضه عمر ويتصفحه) .

(تسرى همهمة إشفاق فى أرجاء المسجد) .

عمر : أبشروا يا معشر المسلمين فإن السفن التى وقفت فى عرض البحر تجاه ينبع ليست من سفن الروم بل من سفن الحبشة وإنها قد أقلعت بعدما تزودت من ساحلنا بحاجتها من الماء العذب .

أصوات : الحمد لله .. الحمد لله .. حمداً لك اللهم .. الحمد لله الذى صرف عنا كيد العدو .

عمر : الحمـد لله إذ حبسنـا عن المسير حابس .. هات الآن ما عندك يا خالد إن بقى عندك شىء ..

خالد : لا يا أمير المؤمنين ما بقى عندى شيء ..

عمر : يا معشر المسلمين أثنوا على أخيكم خالد لشجاعته وصراحته وطاعته ، فقد كان فى وسعه أن يشق عصا المسلمين وهو بالشام ، ولكنه كظم غيظه وصبر حتى قدم إلينا بالمدينة فصارحنى وناقشنى أمامكم لتقولوا كلمتكم فى وفيه .. ولقد أراد الله به خيراً إذ لم تؤيدوه فيما نازعته نفسه إليه .. إذن والله ليكونن هذا الفارس المغوار أعجز من هرة قد حبست فى قفص !! (**يعود إلى المنبر فيقف عليه**) اللهم إنى غليظ فليِّنّى ، وإنى ضعيف فقوِّنى ، وإنى شحيح فسخِّنى .. أيها الناس ما أنا إلا رجل منكم ولولا أنى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم .
أيها الناس إن الله قد ابتلاكم بى وابتلانى بكم ، وأبقانى فيكم بعد صاحبى فوالله لا يحضرنى شيء من أمركم فيليه أحد دونى ، ولا يتغيب عنى فآلو فيه عن اختبار أهل الجزء والأمانة ، ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساؤا لانكِّلَن بهم . إلا إنما مثل العرب كمثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده .. أما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق !!
أيها الناس .. إننى كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، فكنت بين يديه سيفاً مسلولًا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى .. فلم أزل

مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عنى راض ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد .. ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتى بلينه فأكون سيفاً مسلولًا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عنى راض فالحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد .. ثم إنى وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين .. فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض . ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر ، حتى يذعن بالحق وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف،ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها .. لكم على ألا أجتبى شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه .. ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه . ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسُدَّ ثُغُوركم ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك ، ولا أجمركم فى ثغوركم وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال .. فاتقوا الله عباد الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى ، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ..

(ستــار)

المشهد السابع

فى بيت أم حكيم زوج عمر بالمدينة
يرى عمر واقفاً عند الباب وهو مفتوح كأنه يرقب شيئاً من بعيد .

أم حكيم : (**تدنو منه**) ماذا ترقب يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أولٰئك الصبيان يلتقطون البلح من أصول النخل .. ويحهم يتعلمون السرقة وهم أغيلمة .. أين أهلوهم ؟ كيف تركوهم ؟

أم حكيم : وماذا عليهم أن يلتقطوا ما ألقت الريح ؟

عمر : لعلهم أسقطوه من عثاكيله قبل ذلك بالحجارة .. انظرى ذلك صبى منهم قذف رأس النخلة بحجر .. (**ينادى بأعلى صوته**) يا أصيبية يا أصيبية .. ويلكم كفوا عن النخل !!

أم حكيم : (**تضحك**) لقد هربوا يا أمير المؤمنين فَرَقاً من صوتك ..

عمر : لكن واحداً منهم بقى هناك يلتقط البلح بعد ..

أم حكيم : لعله أصم يا أمير المؤمنين لا يسمع ..

عمر : بل أحب أن يستأثر بالبلح دونهم بعدما تركوه .

أم حكيم : (**تضحك**) كأنما طردت أنت الآخرين من أجله هو ..

عمر : (**ينادى**) يا غلام ! . يا غلام ! .

أم حكيم : ما أشك الساعة أنه أصم .

عمر : بل يتصامم ويتغافل .. (**ينادى بأعلى صوته**) يا غلام ! . يا لاقط البلح ! . يا لاقط البلح ! .

الصبى : (**صوته من بعيد**) لبيك يا أمير المؤمنين ..

عمر : تعال .. أقبل إلىّ ..

الصبى : (**صوته**) سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ..

عمر : لم يشأ أن يلبى ندائى حتى ملأ حجره ..

أم حكيم : لكنه والله غلام شجاع .. لو كنت مكانه لهربت .

عمر : لا تعجلى حتى يصل إلينا ..

أم حكيم : أتخشى بعد أن يهرب من نصف الطريق ؟

عمر : مثل هذا الغلام الأريب لا شىء يعجزه ..

أم حكيم : لا يا أمير المؤمنين إنه آت إليك حقاً .

عمر : إى والله إنى به لأسعد .

(**يظهر الصبى على الباب**) .

الصبى : السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

عمر : إنى لا أردّ السلام يا غلام على من يسرق أموال الناس ..

الصبى : يا أمير المؤمنين ما سرقت والله مال أحد .. إنما هذا ما ألقت الريح ..

عمر : أرنى أنظر فإنه لا يخفى على (**ينظر فى حجر الصبى ويقلب ما فيه من البلح**) .

الصبى : كيف وجدت يا أمير المؤمنين ؟

عمر : صدقت .. هذا ما ألقت الريح .. لا جناح عليك ..

الصبى : السلام عليك يا أمير المؤمنين ؟ ..

عمر : (**يضحك وتضحك أم حكيم**) وعليك السلام ورحمة الله .. ما اسمك يا بنى ؟

الصبى : اسمى يا أمير المؤمنين .. سنان .

عمر : سنان ابن من ؟

الصبى : حنانيك يا أمير المؤمنين . لا تشكنى إلى أبى فإنه قاس غليظ القلب ..

عمر : لا تُرَع فلن أشكوك إليه ..

الصبى : إياك أن تخلف وعدك فأنت أمير المؤمنين .

عمر : كلا لن أخلف وعدى ..

الصبى : أنا سنان بن سلمة بن المحبق الهذلى ..

عمر : أتراك أنت وليد يوم حنين ؟

الصبى : نعم أنا هو يا أمير المؤمنين ..

عمر : ويحك أتعرف قصة ذلك ؟

الصبى : نعم يا أمير المؤمنين ، كان أبى يقاتل مع رسول الله يوم حنين إذ بشروه بى فقال:لسنان أذب به عن رسول الله أحب إلى مما بشرتمونى . فسمانى رسول الله سناناً ..

عمر : بخ بخ يا سنان .. والله إنك لشجاع صدوق ..

الصبى : لكنى لا أحب العراك مع الصبيان يا أمير المؤمنين ..

عمر : ذلك خير لك.. فإنك إن عاركتهم لا تأمن أن يقطعوا ثيابك أو يجرحوك .

الصبى : يا أمير المؤمنين أترى أولئك الصبيان ثم ؟

عمر : نعم ما بالهم ؟

الصبى : والله لئن انطلقت لأغاروا على فانتزعوا ما معى .

عمر : أليس معهم من البلح مثل الذى معك ؟

الصبى : لا يا أمير المؤمنين .. أنا سبقتهم إلى المكان ثم فروا عنه لما سمعوا صوتك وبقيت أنا ألتقط ..

(يضحك عمر وأم حكيم)

أم حكيم : لكن كيف خافوا من صوت أمير المؤمنين ولم تخف أنت ؟

الصبى : خافوا لأنهم لصوص ينوون السرقة ولست كذلك .

عمر : **(يتمثل معجباً بحكمة الصبى)**

والستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر

أتحب يا غلام أن أوصلك إلى مأمنك ؟ .

الصبى : نعم يا أمير المؤمنين جزيت الخير ..

أم حكيم : ابعث معه أسلم يا أمير المؤمنين ..

الصبى : كلا يا أمير المؤمنين .. أسلم ليس بمجزئ عنك .. إنهم يترصدوننى ولن يخافوا إلا منك ..

عمر : **(يشد أذن الغلام فى رحمة وتدليل وهو يضحك)** قاتلك الله يا سنان .

أم حكيم : ربما يجىء عبد الله بن عباس الآن يا أمير المؤمنين ..

عمر : إذا جاء ابن عباس فقولى له ينتظرنى فإننى راجع على التوّ ..

الصبى : لن يغيب أمير المؤمنين عنكم طويلاً فإن بيتنا جد قريب على مرمى حجر .

(**يخرج عمر والصبى**)

أم حكيم : أرأيت يا أسلم مثل هذا الصبى قط ؟ .

أسلم : لا والله ما رأيت أشجع ولا أنجب ولا أحكم .

ابن عباس : (**صوته**) يا آل أمير المؤمنين .. يا آل أمير المؤمنين ..

أم حكيم : ادخل يا ابن عباس ..

ابن عباس : (**يدخل**) السلام عليكم ..

أم حكيم : وعليكم السلام .. اجلس يا ابن عباس .. إن أمير المؤمنين آتٍ عما قريب ..

ابن عباس : لعلى بكرت قليلًا على أمير المؤمنين ؟

أم حكيم : لا والله فقد كان ينتظر مجيئك وإنما عرضت له حاجة فخرج .. صبى من صبيان الحى خشى أن يغير الصبيان عليه ويأخذوا ما معه من البلح .. فخرج أمير المؤمنين ليبلغه مأمنه .

ابن عباس : ليس ذلك ببدعٍ من أمير المؤمنين ..

أسلم : ها هو ذا قد أقبل ..

عمر : (**يدخل**) مرحباً بابن عم رسول الله .. أتدرين يا أم حكيم ما فعل الصبى ؟

أم حكيم : ماذا فعل يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إنه خدعنى .. ما كان خائفاً من الصبيان ، وما كان بحاجة إلى أن ابلغه مأمنه ..

أم حكيم : وكيف يا أمير المؤمنين عرفت ؟

عمر : ما كدت أوصله إلى بيته حتى اختلط بالصبيان وفرق فيهم البلح وقال لهم وأنا أسمع .. يا معشر الصبيان .. من منكم مثلى ؟ رسول الله سمانى وأمير المؤمنين أوصلنى إلى بيتى !!
(**يضحكون ملياً ثم يخرج أسلم وتخرج أم حكيم**) هات الآن ما عندك .. ماذا فعلت ؟

ابن عباس : هيأت كل شيء يا أمير المؤمنين ..

عمر : هل وافقت خالتك ميمونة أم المؤمنين ؟

ابن عباس : بل سرها يا أمير المؤمنين أن اخترت بيتها لذلك .

عمر : وكلمت علقمة بن علاثة وخداش بن زهير ؟

ابن عباس : نعم .

عمر : وخالد بن الوليد ؟

ابن عباس : رأيت خيراً من ذلك يا أمير المؤمنين أن أجعل خالته أم المؤمنين هى التى ترسل فى طلبه فإنه لا يعصى لها أمراً .

عمر : أصبت .. هذا أفضل ..

ابن عباس : وقالت لى أم المؤمنين إنها سترسل فى طلب أخته فاطمة بنت الوليد أيضاً .

عمر : هذه أصل البلاء .

ابن عباس : لذلك تريد أم المؤمنين أن تلومها وتبكتها ..

عمر : متى اتعدت لهم ؟

ابن عباس : مع علقمة وخداش عقب صلاة العصر .. أما خالد فسيحضر بعد ذلك بقليل ..

عمر : بوركت يا ابن عباس .. هذا والله ما نريد ..

إذا كنت فى حاجـة مرسلًا

فأرسل حكيمـــاً ولا توصه

ابن عباس : إنه لرأيك أنت يا أمير المؤمنين ..

عمر : أجل ولكن ما خير رأى لا يُصِبْه حسن تدبير .. ؟

(ستـــار)

المشهد الثامن

فى بيت أم المؤمنين بنت الحارث وعقب صلاة العصر .
يرفع الستار عن ميمونة أم المؤمنين وعندها أم حكيم وهما تنظران تارة إلى الباب الداخلى عن اليمين وتارة إلى الباب الخارجى عن اليسار وقد لاح عليهما الاهتمام الشديد .

أم حكيم : (**تنظر من كوة**) يا أم المؤمنين .. هذا ابن عباس قد أقبل بالرجلين الحمد لله إذ سبقهم أمير المؤمنين ..

ميمونة : لا تخافى على ابن عباس فهو يحسن التدبير .. مرحباً بهم .. سأفتح لهم الباب .. (**تفتح الباب الأيسر فيدخل ابن عباس**) مرحباً بك يا ابن أختى أين صاحباك ؟

ابن عباس : يا علقمة ويا خداش إن أم المؤمنين أذِنَتْ لكما فادْخُلا .. (**يدخل علقمة وخداش**) .

علقمة : السلام عليك يا أم المؤمنين .. يا مفخرة بنى عامر بن صعصعة .

ميمونة : وعليكما السلام .. مرحباً بكما فى بيت رسول الله ﷺ اجلسا .

علقمة
خداش : ﷺ .

خداش : والله ليتباشرن قومنا إذا رجعنا إليهم أن أختهم ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين قد كرَّمَتْنا فدعتنا إلى بيتها بيت رسول الله ﷺ ..

ميمونة : كلا أنا ما دعوتكما وإنما دعاكما ابن أختى خالد بن الوليد.

علقمة : فأين هو يا أم المؤمنين ؟

ميمونة : (**تنادى**) خالد .. خالد ..

عمر : (**صوته**) لبيك يا أم المؤمنين ..

ميمونة : هذان صاحباك قد حضرا ..

(يدخل عمر فى زى خالد وقد لاث عمامته على طريقة خالد) .

عمر : مرحباً مرحباً .. بعلقمة بن علاثة وخداش بن زهير .. اجلسا .

أم حكيم : ألا ندخل نحن يا أم المؤمنين فلعل خالى يريد أن يتحدث معهم فى شأن من شأنه ..

ميمونة : صدقت يا أم حكيم .. هلمى (**تخرجان**) .

ابن عباس : ها أنذا أوصلتهما إليك فائذن لى يا خالد ..

عمر : إلى أين يا ابن عباس ؟ ألا تجلس قليلًا معنا ؟

ابن عباس : دعنى يا أبا سليمان أجمع علم رسول الله ﷺ من أصحابه قبل أن يذهب بذهابهم ..

عمر : طُوبى لك يا ابن عباس .. إنى لأرجو أن تكون ربانى هذه الأمة .. (**يخرج ابن عباس**) الحمد لله .. نحن الآن وحدنا ..

خداش : لم دعوتنا هنا يا أبا سليمان ؟ هلّا فى بيتك أو بيت أختك ؟
عمر : هنا ويلك أصرف للعيون وأنفى للظنون .. أم المؤمنين من قومكما وهى خالتى وخالة عبد الله بن عباس ..
خداش : لكن أم حكيم هذه .
عمر : ما بالها ..؟
خداش : أليست زوج أمير المؤمنين ؟
عمر : بلى ولكنها ابنة أختى فاطمة بنت الوليد ..
علقمة : لو كنا نعلم أننا سنجدها هنا ما جئنا ..
عمر : ماذا تخافان منها يا علقمة ؟
علقمة : لا نريد أمير المؤمنين أن يعرف أنك اتصلت بنا أو أننا اتصلنا بك .
عمر : ماذا عليكما ؟ إنكما من قوم أمى .
علقمة : قد بلغه أننا كنا نحرضك عليه ونجمع القبائل لنصرتك ..
عمر : ليس عنده على ذلك أى دليل ..
علقمة : ذلك أحرى أن ننقطع عنك فنزيل ما عنده من ارتياب بنا أو سوء ظنٍّ .
خداش : لقد ألقى فى روعى الآن أنها قد تكون عيناً علينا من قبل زوجها .
عمر : كلا هذا لا يكون .
خداش : لِمَ لَا ؟
عمر : أمُّ حكيم أبرُّ بخالها من ذلك ..
علقمة : رُبَّما تذكر لزوجها أنها رأتنا معك عن حسن نية ..

عمر : اطمئنا فإنى سآمرها ألا تذكر لزوجها شيئاً ولن تعصى أمرى ..

علقمة : ما كان لك أن تدعونا اليوم بعدما اجتمعنا بك أمس ..

عمر : لا تخافا فلن يعلم إن شاء الله باجتماعنا أمس ولا باجتماعنا اليوم .. خبّرانى الآن هل أستطيع أن أعتمد على قومكما وعلى سائر قبائل عامر بن صعصعة ومن لفّ لفّها ليقوموا بنصرتى ويدخلوا المدينة مطالبين بحقى ؟

علقمة : عجباً لك يا أبا سليمان .. ألم تخبرنا أمس بأنك عدلت عن الفتنة وأن لا حاجة بك إلى استنصار القبائل ؟

عمر : بلى ولكن بدا لى اليوم ألّا حق لى فى العدول عن المطالبة بحقى .. إن عمر ظلمنى وأراد إذلالى وإهوانى ..

ولا يقيم على ذُلّ يراد به

إلا الأذلّانِ عير الحى والوتـــد

خداش : بوركت يا أبا سليمان .. الآن أحييت فى نفسى الآمال .

علقمة : اسمع منى يا أبا سليمان .. فإنى ناصح أمين .. أمّا إن عمر قد ظلمك فقد ظلمك وكان فى وُسْعك أن تستنصر القبائل عليه أول ما قدمت ولكنك لم تفعل ، وآثرت أن تناقشه أمام المسلمين .. وقد أنصفك الرجل فاستجاب لرغبتك ، فناقشته وناقشك على سواء ، فإذا قلوب المسلمين التى كنّا نظنُّها معك عليه ، قد صارت معه عليك . فإذا استنصرت القبائل اليوم فإنما تستنصرها على المسلمين لا على عمر . ووالله يا خالد لا ينصرك الله عليهم أبداً .

عمر : ما يدريك لعلهم يعودون فيؤيدوننى إذا رأوا القبائل قد جاءت لنصرتى .

علقمة : هيهات والله ليذُبُنَّ عن مدينتهم وليقاتلُنَّك ومن معك قتال المرتدين عن دين الله ..

عمر : عجباً لك يا علقمة لقد كنت تحرضنى على الفتنة .

علقمة : أجل عندما كنت أرجو أن يؤيدك المسلمون ويخذلوه .. أما اليوم وقد أيدوه وخذلوك فلا ..

عمر : وماذا أصنع يا علقمة ؟ أأصبر على ظلمه ؟

خداش : ونحن أنصبر على شحه ؟

علقمة : الصبر على ظلمه وشحه خير من إراقة دماء المسلمين فى غير طائل .

عمر : أهذا لباب رأيك اليوم يا علقمة ؟

علقمة : نعم هذا لباب رأيى ورأيك أمس ، وما يكون لنا أن نغير رأينا كل يوم .

عمر : وترضى لى هذا الضيم يا ابن علاثة ؟

خداش : وترضى لنا هذا الحرمان .

علقمة : هم قوم لهم علينا حق بأمر الله فنؤدى لهم حقهم وأجرنا على الله .

خالد : (**صوته**) يا أم المؤمنين .. يا أم المؤمنين ..

عمر : ادخل يا أبا سليمان .

(يدخل خالد ومعه فاطمة أخته فيدهشان لرؤية عمر ويدهش علقمة وخداش فيرددان البصر بين عمر وخالد) .

خالد : السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلام يا أبا سليمان ورحمة الله .. ادخلى يا فاطمة إلى أم المؤمنين (**تغيب فاطمة داخل البيت**) .

خالد : (**ينظر إلى علقمة وخداش فيفهم كل شىء**) أوَقد فعلتها يا عمر ؟

عمر : ما أردت إلا خيراً يا خالد .. أردت أن أختبرهما لأعرف ما عندهما وما عندك ..

خالد : فماذا وجدت يا ابن الخطاب ؟

عمر : ما وجدت عندك وعند علقمة إلا خيراً ووجدت السوء كله عند هذا الشاعر الخبيث ..

خالد : ليس لك يا عمر أن تتبع هذا السبيل لاستخراج أسرار الناس .

عمر : إنما أردت أن أحمى المسلمين بذلك من شر مستطير ..

علقمة : ما كان لك يا أمير المؤمنين أن تفعل هذا .. ماذا كنت تفعل بى لو أنى قلت فيك كلاماً سيِّئاً وأنا أظن أننى بين يدى خالد بن الوليد ؟

عمر : ما كنت لأعاقبك أو أحاسبك على ذلك فإننا لا نحاسب الناس على ما فى نفوسهم ..

خالد : (**فى غضبه واستيائه بعد**) يا أم المؤمنين .. يا أم المؤمنين ..

(**تدخل ميمونة ومعها فاطمة وأم حكيم**)

ميمونة : أهلا بك يا خالد ..

خالد : ما هذا الذى صنعت يا خالة ؟

ميمونة : قل يا أم المؤمنين ..

خالد : إنى لا أكلِّم أم المؤمنين الساعة وإنما أكلم خالتى أخت أمى .. كيف تواطأت مع ابن الخطاب على ؟

ميمونة : يا ابن أختى إن ابن الخطاب هذا هو أمير المؤمنين .. وقد أردت أنت الفتنة فكيف لا أتواطأ معه عليك ؟ إن الفتنة من الشيطان ولا ينبغى لسيف الله أن ينقلب سيفاً للشيطان ..

خالد : هو الذى أغمد سيف الله وشهر سيف الشيطان .

ميمونة : لا تظلمه يا خالد .. إنه ينظر بعين لا تنظر أنت بها .. إنك حسبته يحسدك أو يغار منك أو ينفس عليك .. لأنك لا تستطيع أن تؤمن بالغاية التى يسعى إليها عمر أو بالتقوى التى ألزم بها نفسه .

خالد : والله ما إخاله إلا اتخذ هذه التقوى ذريعة لظلمى واضطهادى ..

ميمونة : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته) .. أتذكر يا خالد من قال هذه الكلمات ؟

خالد : نعم قالها رسول الله ﷺ .

ميمونة : وأين قالها ؟

خالد : فى بيتك هذا .

ميمونة : ومتى ؟

خالد : يوم تلاحيت مع عبد الرحمن بن عوف فبلغني أن رسول الله غضب مني فجئت أستعتبه .

ميمونة : ويحك يا ابن أختى أو تحسب ابن عوف أكرم على رسول الله ﷺ من عمر ؟

خالد : (**بعد صمت يسير**) يا أماه إنى لا أنكر فضل عمر ولا سابقته ولا مكانته عند رسول الله ﷺ ، ولكنى وجدته يتبعنى بالأذى منذ أيام رسول الله حتى يومنا هذا فبالله يا أماه ماذا أصنع ؟

ميمونة : إنك قست عمر بنفسك فتوهمت غير الحق .. ما كان عمر يرى فيك إلا رجلًا أخطأ ، فكان أجهر الناس نكيراً عليك أو رجلًا أصاب فكان أعظمهم صوتاً فى الإشادة ببلائك وفضلك ..

خالد : إنه ليس بأفضل من أبى بكر ، أفما كان يسعه ما وسع أبا بكر ؟

ميمونة : لا أستطيع أن أجيبك فى هذا يا خالد بخير مما قال فيهما رسول الله ﷺ . (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجاره ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ من تبعنى فإنه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ . ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم إنك أنت العزيز

الحكيم ﴾ . ومثلك يا عمر مثل نوح قال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا ﴾ ، ومثلك يا عمر كمثل موسى قال : ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

خالد : وهذا الذى صنعه اليوم فى بيتك يا أمَّاه .. والله لو أردت الفتنة لأشعلتها وأنا فى الشام ..

ميمونة : فقد أردت أن تشعلها وأنت فى مدينة رسول الله يا خالد ولكن الله سلم ..

خالد : إنى قد حلفت لك يا أماه أنه ليس عندى لأمير المؤمنين إلا الطاعة .

ميمونة : فقد أراد أمير المؤمنين أن يتأكد من ذلك وقد فعل فسره ما سمع .

عمر : إى والله يا أبا سليمان لهذا الذى سمعته عنك من علقمة اليوم أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ..

خالد : يا أمير المؤمنين لا أبرِّئ نفسى .. الحق أقول لك إنى كنت قد اعتزمت أن أخلعك وأحل مكانك ، ولكنى رأيت الله قد أراد غير ذلك فلا والله لا أريق دماء المسلمين أبداً من أجل أن يعزل عمر أو يولى خالد ..

عمر : والله يا خالد إنك على لكريم وإلى لحبيب ولن تعاتبنى بعد اليوم .. وأما أنت يا علقمة فقد اعترفت لى أنك كنت تحرضه على الفتنة .

علقمة : لكنى حرضته بعد ذلك على الطاعة .

عمر : لما خاب أملك فى المسلمين ..

علقمة : يا أمير المؤمنين لقد كنت كافراً فأسلمت ، ثم كنت مرتداً فثبت إلى الإسلام .. افتحاسبني اليوم على كفرى وردتى بعد ؟ (**يصمت عمر قليلًا كأنه أفحم**) .

عمر : وأنت يا ابن زهير ؟ ماذا قلت آنفاً عنى ؟

خداش : (**فى خوف**) يا أمير المؤمنين ما كنت أعلم أننى بين يديك .

عمر : ماذا قلت عنى ويلك ؟

خداش : قلت إنك شحيح ولم أعد الحقيقة .. إنى استأذنتك يا أمير المؤمنين أن أنشدك قصيدتى التى حبرتها فى مدحك فلم تأذن لى .

عمر : خبرنى يا خداش أأنت قدمت المدينة تمدحنى وتأخذ عطائى ؟

خداش : نعم يا أمير المؤمنين .. ما قدمت إلا لذلك .

عمر : تريد من مالى أم من مال المسلمين ؟

خداش : سيان عندى من مالك أو من مال المسلمين ؟

عمر : إن كان من مالى فلى عطاء فى الديوان مثلك أنفقه على أهلى ، فأنفقه على أهلك دون أهلى ؟

خداش : لا يا أمير المؤمنين فاجعله من مال المسلمين ..

عمر : لو لم يكن لك عطاء فى الديوان لأمرتهم فأثبتوا اسمك ولكن اسمك مثبت فماذا تبغى بعد ؟ .

خداش : أبغى فضل سيبك يا أمير المؤمنين .

عمر : هل ترضى أن أنقص من عطائك لأزيد فى عطاء غيرك ؟

خداش : لا يا أمير المؤمنين ..

عمر : فكيف تبغى أن أنقص من عطاء غيرك لأزيد فى عطائك ؟ ألأنك صاحب لسان ؟

خداش : أجل يا أمير المؤمنين أنا شاعر والشاعر يوصل ويكرم .

عمر : ويلك أتريد أن تمدحنى بكلام كذب فأعطك من أموال المسلمين ؟ ويلك ألم تعلم أن الإسلام قد رفع قدر المسلم ونزهه أن يمدح أخاه بما فيه وبما ليس فيه ليستولى منه على ما لا يستحقه ؟ ويلك .. أمن أجل قصيدة لم تنل عليها أجراً تحرض المسلمين بعضهم على بعض ؟ والله لئن لم تنته عن ذلك لأقطعن لساناً لا تذكر به الله ولا تتلو به القرآن ، ولا تستعمله إلا فى اللغو والباطل ..

أعرابى : (**صوته من الخارج**) يا أم المؤمنين .. أنا أبو البنات يا أم المؤمنين . (**يظهر على الباب ومعه بناته**) من ؟ أمير المؤمنين ؟

ميمونة : ويلك يا أبا البنات ألا تستأذن أولًا قبل أن تدخل ؟

الأعرابى : وجدت بابك مفتوحاً ، وما كنت أعلم أن أمير المؤمنين عندك .

ميمونة : (**تناوله دراهم فى يده**) انصرف الآن ودع أمير المؤمنين فى مجلسه .

الأعرابى : لا والله يا أم المؤمنين لا أنصرف حتى أرتجز بين يديه .. الحمد لله إذ لقيته اليوم .

علقمة : يريد أن ينشدك شعراً يا أمير المؤمنين .. يريد أن يمدحك .

عمر : مه يا أعرابى .. انصرف لشأنك ..

الأعرابى : يا عمر الخير جزيت الجنة .. يا عمر الخير جزيت الجنة ..

خداش : يا أمير المؤمنين ما يكون لك أن تسمع له ولا تسمع لى ، فإنى والله أشعر منه .

عمر : ويحكم إنه إنما يدعو الله أن يجزينى الجنة .

الأعرابى : يا أمير المؤمنين أهؤلاء وزراؤك ؟ والله ما أراهم يفضلونى فى شىء .

عمر : (**يضحك**) لا تشتم الناس وهات ما عندك ..

الأعرابى : يا عمر الخير جزيت الجنة ..

جَهِّزْ بنيّاتى واكسهنّه

أقسمت بالله لتفعلنه

(**يتضاحكون**)

عمر : فإن لم أفعل يكون ماذا ؟

الأعرابى : أقسم بالله لأمْضِينّه .

عمر : فإن مضيت يكون ماذا ؟

الأعرابى : والله عن حالى لتسألنه ..

يوم تكون الأعطيات جُنة ..

والواقف المسؤول بينهنه ..

إما إلى نار وإما جَنة .

عمر : (**يردد متأثرا فيما يشبه البكاء**)

يوم تكـــون الأعطيـــات جُنـــة
والواقـــف المسؤول بيَنهُنـــه
إمـــا إلى نار وإمـــا جَنـــة .

(**يخلع قميصه ويرميه له**) خد قميصى هذا لذلك اليوم لا لشعرك.

الأعرابى : (**يأخذ القميص**) هذا قميص واحد يا أمير المؤمنين وهن ثلاث.

عمر : امض يا شيخ فوالله ما عندى قميص غيره ..

الأعرابى : ما عندك غيره .. إذن عليهن لأقسمنه ، (**يخرج مسرعاً كأنما يخشى أن يسترد عمر منه قميصه**) .

علقمة : هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين فننصرف ؟

عمر : انتظر يا علقمة .. خبرنى أنت ماذا أقدمك على المدينة ؟

علقمة : كانت لى حاجة عندك ..

عمر : كالحاجة التى جاء من أجلها خداش ؟

علقمة : معاذ الله .. إنك تعلم أننى أجود العرب وأننى حين نافرت عامر بن الطفيل قال لى لا أنافرك على الكرم .. أنت رجل سخى فكيف تظن بى يا أمير المؤمنين ما ظننت ؟

عمر : لا غرو فقد كانوا فى الجاهلية يهبون وينهبون ..

علقمة : كلا يا أمير المؤمنين لست من أولـٰـئك .. إنى أهب ولا أستوهب ، وأُمدح ولا أَمدح .

عمر : علام إذن ذهبت إلى قيصر ؟

علقمة : إنما ذهبت أطلب عنده ميراث قريب لى مات فى أرض الرّوم ، ولما سألنى آأنت ابن عم عامر بن الطفيل غضبت وقلت لا أقيم فى أرض لا أعرف فيها إلا بعامر .

عمر : يا علقمة تلك شمائل جاهلية قد نسخها الإسلام .. إن الله لا يحب المتكبرين .. فاذكر لى ما حاجتك ..

علقمة : ما بقى لى وجه يا أمير المؤمنين بعد الذى كان .

عمر : بل على ذلك يا علقمة ..

علقمة : كان لى مال فى أرض حوران اغتصبه بعض ولاة الروم منى فتعيننى يا أمير المؤمنين على استرداده ..

عمر : حباً وكرامة يا علقمة . سأكتب لك كتاباً إلى أبى عبيدة ليعينك على ذلك .

علقمة : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين .. والله لئن تم لى ذلك لأقيمن بحوران ولأرابطن فيها فقد مللت حياة البادية فى نجد ..

عمر : افعل يا علقمة فذلك خير لك ولعلى أوليك حينئذ حوران وما حولها .

علقمة : أحقاً يا أمير المؤمنين تجعلنى أميراً على حوران ؟

عمر : نعم إن بلغنى إنك صلحت فيها واستقمت ..

علقمة : يا عمر الخير جزيت الجنة ! (**يتضاحكون**)

(**يخرج علقمة وخداش**)

ميمونة : والآن يا أمير المؤمنين الا تعيد خالداً إلى عمله بقنسرين ؟

عمر : حباً وكرامة إن قبل أبو سليمان عملنا وشرطه ..

خالد : كلا لا أقبل له عملًا أبداً ..

ميمونة : فيم يا خالد يا ابن أختى ؟

خالد : إنه لا يريد أن يخلِّىَ بينى وبين عملى .

ميمونة : كيف ؟

عمر : إنى شرطت عليه ألا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بإذنى ..

خالد : وأنا لا أقبل ذلك .. إما أن يستأمننى فيستعملنى على الثقة والأمانة وإلا فشأنه بعمله ..

ميمونة : يغفر الله لكما ألا تتفقان بينكما على حد قوام ؟

عمر : لا والله بعد العشرة آلاف التى أجاز بها الأشعث لا أوليه إلا على هذا الشرط ..

خالد : وأنا والله بعد تشهيره بى فى مسجد حمص لا ألِىَ له عملًا أبداً إلا إن أطلق يدى وتركنى مسؤولًا أمام ربى لا أمامه هو ..

عمر : كل من يلى لى عملًا فهو مسؤول أمام ربه وأمامى .

خالد : أوقد جعلت نفسك شريكاً لله يا عمر ؟

عمر : لو غيرك قالها يا خالد !. إن الله واحد لا شريك له ولكن الله سيحاسبنى على عملى كلِّه ، ولن تغنى عنى يا خالد من الله شيئاً إذا سألنى غداً كيف استعملت ابن خالك على الثقة بعدما صارحك بأنه لا يقبل أن تحاسبه على عمله وبعدما بلوته من قبل فلم تحمده ؟ لو شئت يا خالد لقلت إنك أحرى أن يقال فيك ذلك .. أنت لا تريد أن تحاسب على شيء أو تسأل عن شيء .. والله تبارك وتعالى يقول عن نفسه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ .

ميمونة : والله لا أدرى ماذا أقول وماذا أصنع ؟
فاطمة : أريحى نفسك يا أم المؤمنين من هذا العناء فإن ابن حنتمة لا ينسى ضبه على خالد أبداً ..
عمر : والله ما أفسد خالدا على إلا هذه السَّليطةُ بنت الكنانيّة ..
فاطمة : أأسكت لك يا عمر وأنا أراك تمعط فروته شعرة شعرة ؟
ميمونة : (**تنهرها**) مه يا فاطمة فإنه صاحب رسول الله وأمير المؤمنين .
فاطمة : وهل كان يثبت لأخى لولا هذه السابقة ؟
ميمونة : وهو بعد زوج ابنتك .
فاطمة : لو كان الأمر لى ما كان ..
ميمونة : لقد جاوزت حدك يا بنت الوليد ، فأحرّجُ عليك فى مجلسى هذا أن تتكلمى إلا بخير .
فاطمة : فإنى لن أفتح فمى يا أم المؤمنين بخير ولا بشر ..
عمر : (**يضحك**) جزاك الله صالحة .. فلقد كفيتنى بلاء كبيراً .
ميمونة : فلنرجع عوداً على بدء .. ألا تجد لنا من مخرج يا أمير المؤمنين أصلحك الله .. ؟
عمر : إن شاء أبو سليمان جعلته على الجند فى قنسرين دون المال .
خالد : لا والله إن ارتضيت ذلك كان إقراراً منى بالخيانة والعجز .
عمر : فإننى سأعلن فى الناس أننى ما عزلتك لخيانة أو عجز .
خالد : الفعل يا أمير المؤمنين أصدق وأبلغ من القول .

ميمونة : فاقترح أنت يا خالد ما عندك لعلكما تتفقان على شيء ..

خالد : ما إخال أمير المؤمنين يوافق لى على شيء ..

عمر : إنه يُسِيء بى الظَّنَّ يا أمَّ المؤمنين ..

ميمونة : ويلك يا ابن أختى أتسيء الظَن بمن كان رسول الله ﷺ يحسن الظن به ؟

خالد : والله يا أماه إنى لأريد أن أحسن الظن به فلا يتيح لى هو ذلك .

عمر : ويحك يا خالد إنك لن تستطيع إلى ذلك سبيلًا ما بقيت ترجو منى أن أصانعك فى أمور لا مكان فيها عندى للمصانعة .

أم حكيم : أو لا تريد يا أمير المؤمنين أن تسمع من خالى اقتراحه ؟

عمر : بلى يا أم حكيم فليقل خالك ما عنده ..

أم حكيم : هل لك يا خال أن تقول ما عندك ؟

خالد : (**يستجيب لرغبتها كأنه يعزها خاصة**) يا أمير المؤمنين دعنى أعود إلى العراق لأتمم فتح فارس ثم أغزو بعدها الترك والصين .

عمر : لا يا أبا سليمان ، وددت لو أن بيننا وبين فارس سدًّا لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم .. حسبنا من العراق السواد .

خالد : دعنى إذن أواصل غزو الروم حتى أفض على هرقل عاصمته القسطنطينية ثم نحمل الإسلام إلى ما وراءها من أمم الأرض ..

عمر : لا يا خالد لا نريد القسطنطينية ولا ما وراءها .. حسبنا ما فتح الله علينا من ملك هرقل .

خالد : إنى لا أحسن القرآن ولكنى أحفظ قوله تعالى : ﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ . فدعنا يا أمير المؤمنين نتمم فتح الأرض كلها من مشرقها إلى مغربها للإسلام ..

عمر : يغفر الله لك يا أبا سليمان .. إن عمر لأهون عند الله من أن يتم ذلك كله فى عهده .. لو شاء الله ذلك لأتمه فى عهد رسوله ..

خالد : فما معنى الآية إذن يا أمير المؤمنين ؟

عمر : معناها والله أعلم أن الله سيظهر الإسلام والدين كله بالحجة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة على مر الأيام وكرور الأجيال ..

خالد : إذن فدعنى يا أمير المؤمنين أفتح لك مصر فإنها مادة الروم وقوتهم ومنها وثوبهم إن أرادوا على جزيرة العرب ..

عمر : أما هذه فوددت والله لو أجبتك إليها يا خالد ، ولكن عمرو بن العاص قد كلمنى فيها من أمد بعيد ، وهو أعرف بمصر منك .

خالد : فدعنى ألحق به وأقاتل تحت لوائه ..

عمر : يا أبا سليمان إن عمراً يحب الإمارة ، وأنت فى الحرب ما أنت ، ولك من الصيت فيها ما ليس لغيرك ، فلن يحبك عمرو ولن يأمنك ..

خالد : فماذا أصنع يا أبا حفص ؟

عمر : أقم بيننا لنفيد من رأيك ومشورتك .

خالد : ويحك يا ابن الخطاب كيف يعيش ابن خالك إذا لم يشهد زحف الزُّحُوف .. ويجل بين الصفوف ، ويسمع قعقعة السيوف ؟

(ستـــار)

المشهد التاسع

قاعة الاستقبال فى القصر الكبير بالقسطنطينية .

يرفع الستار عن هرقل ومارتينه وعندهما سرجيوس والمقوقس بطريق الإسكندرية والأطربون وتيودور من قواد الروم بمصر ، وقد بدا على هرقل الحزن والتضعضع .

مارتينه : الحمد لله .. لقد كنا نتمنى أن يدوم الشتاء ولا يهل الربيع فاليوم تستطيع أن تقول مرحباً بالربيع ..

هرقل : لا تعجلى يا حبيبتى حتى نستيقن من صحة الخبر ..

مارتينه : ما بقى الآن من شك يا مولاى فى أنه عذب وأهين وشهر به فى حمص ، ثم عزل من ولاية قنسرين وأبعد عن الجيش..

سرجيوس : أجل .. هذه معجزة من السماء .. هذا الرجل قد اجترأ على الله إذ أعلن فى آمد أنه سيفتح القسطنطينية فى الربيع ، ليقضى على البقية الباقية من مآثر المسيحية فانظروا كيف عاقبه الله ؟ عاقبه على يد أميره عمر نفسه .

(تنظر مارتينه إلى الأطربون خلسة كأنها تقول له تكلم).

الأطربون : إن المعجزات لا تحدث كل يوم يا مولاى القيصر ، فلننتهز هذه الفرصة الذهبية وإلا ضاعت منا إلى الأبد .. يجب أن نغزو جزيرة العرب فى الحال ..

تيودور : أجل .. هذا هو السبيل الوحيد لقهر العرب وإخراجهم من سورية وفلسطين .

سرجيوس : وللقضاء على دينهم الجديد فى مهده .

الأطربون : لو كنتم أطعتمونى من قبل ، وغزونا جزيرة العرب فى نفس الوقت الذى جردنا فيه الحملة على الشام ، لكنا قد انتهينا من هؤلاء العرب فى أواخر الخريف الماضى ..

سرجيوس : لا تتحسر على ما فات يا أطربون ، فلعل الله صرفنا عن ذلك ليهىء لنا وقتاً أصلح .. من كان يدور له ببال أن قائدهم الأكبر الذى سحقنا فى اليرموك ثم هددنا بغزو القسطنطينية يبعد فى لمحة عين عن الميدان وينزل به مثل هذا الهوان ؟

الأطربون : إنى لا أتأسّف على ما فات ولكنى أخشى أن تسوِّفوا فيما يجب علينا أن نبادر بعمله فى الحاضر ..

هرقل : ما بالك صامتاً يا قيرس ؟ أليس عندك ما تقوله ؟

المقوقس : بلى يا مولاى القيصر ، ولكنى أخشى أن يؤول رأيى على غير حقيقته ..

مارتينة : إذن فقد اتهمت نفسك قبل أن يتهمك غيرك ..

المقوقس : لا والله يا مولاتى القيصرة ، ولكنى رأيت القوم متحمسين فأشفقت على حماستهم أن يطفئها صوت الحكمة والعقل ..

هرقل : (يتمتم) صوت الحكمة والعقل ..

الأطربون : إنى لأعرف يا مولاى القيصر ماذا يريد أن يقول : إنه يخشى على مصر من العرب .

مارتينة : يخشى على مصر ولا يخشى على القسطنطينية ؟

المقوقس : كلا .. أنا لا أخشى على مصر من العرب بل أخشى علينا نحن الروم من القبط ..

هرقل : كيف ؟

المقوقس : إن القبط يكرهوننا يا مولاى ، فإذا رأونا فى حرب مع العرب فى أرض مصر فسينضمون إليهم لا محالة .

تيودور : لكنا لا نريد أن نحارب العرب فى أرض مصر بل فى أرضهم هم فى جزيرة العرب ذاتها .

المقوقس : أتظن العرب يتركون مصر إذا جاءهم الغزو من سواحلها ببحر القلزم .

الأطربون : إن العرب سيغزون مصر فى يوم قريب أو بعيد ، وإن لم يأتهم الغزو من سواحلها لا مناص من ذلك فلنسبقهم اليوم قبل أن يسبقونا ..

سرجيوس : أجل هذا هو الرأى وحق السيد المسيح ..

مارتينة : أتريد يا قيرس أن ننتظر حتى يسبقنا العرب إلى غزو مصر ؟

المقوقس : معاذ الله يا مولاتى ولكن العرب لن يغزوا مصر فى الأمد القريب وإلى أن يحين ذلك يكون لدينا متسع من الوقت لنستميل أهلها القبط إلينا ونسترضيهم ونتحبب إليهم حتى إذا جاء العرب لغزو مصر كان القبط معنا عليهم لا معهم علينا .

سرجيوس : وكيف نستميلهم إلينا يا قيرس ؟

المقوقس : الأمر يسير .. نرفع عنهم الاضطهاد الدينى ونمنحهم حرية العقيدة .

سرجيوس : أتريد يا قيرس أن تهدم فى يوم واحد ما بنيناه فى أعوام ؟

المقوقس : هذا خير من أن نفقدهم جميعاً ونفقد مصر ..

سرجيوس : الحمد لله الذى كشفك اليوم لنا يا قيرس .

المقوقس : ما تعنى يا سرجيوس ؟

سرجيوس : قد ظهر اليوم ما كنت تبطن .. إنك تحن إلى قومك القبط ..

المقوقس : هذا ما كنت أخشاه يا مولاى القيصر .. ألم أقل لك ؟

سرجيوس : أتريد أن تنكر أن أصلك من القبط ؟ أتظننا لا نعلم ذلك ؟

المقوقس : أنا لا أنكر أن أصل أسرتنا من القبط ، ولكن والدى ترك مصر من زمن بعيد ، وأقام فى القوقاز ، واعتنق المذهب الملكانى ، وعمل سنين فى خدمة الدولة هناك فوُلدتُ أنا ملَكانيا ونشأت ملكانياً ودرست اللاهوت على المذهب الملكانى وتدرجت عليه فى سلك الإكْلِيروس ، فأنا رومىّ قلبا وقالبا لا تربطنى بالقبط إلا صلة الكراهية ، إذ اضطهدتهم ما لم يضطهدهم غيرى . هل تعرفون أحدا من الروم اضطهد القبط مثلى ؟ أفبعد هذا كله يأتى من يتهمنى فى ولائى للدولة وولائى لقيصر ؟

سرجيوس : إنى لا أتهمك فى ولائك للدولة ولا فى ولائك لقيصر ولكنى أتهمك فى ولائك لدين الدولة ..

المقوقس : دين الدولة ينبغى أن يكون فى خدمة الدولة .

سرجيوس : إن لم تحافظ الدولة على دينها ذهب دينها وذهبت هى على الأثر .

المقوقس : وإن لم تحافظ الدولة على نفسها ذهبت هى وذهب دينها على الأثر .

سرجيوس : محافظة الدولة على دينها محافظة على نفسها ..

المقوقس : هذا إذا لم تكره الناس على دينها ، بل تركتهم أحراراً فى دينهم وإلا انقلب الناس عليها وعلى دينها معاً .. انظروا إلى هؤلاء العرب إن من أسباب غلبتهم أنهم لا يفرضون دينهم على الناس فرضاً .

سرجيوس : ونحن لم نفرض على الناس ديناً جديداً غير دينهم ، وإنما جمعناهم على مذهب واحد فى المسيحية ليكونوا أمة واحدة .

المقوقس : فهل استطعنا أن نجعلهم أمة واحدة ؟ أم زدنا بينهم العداوة والبغضاء حتى صار أهل كل مذهب يرون المجوسية أقرب إلى قلوبهم من المذهب الآخر ؟

مارتينة : عجباً لك يا قيرس وأين كنت من قبل ؟ لماذا لم تنبهنا إلى هذه الحقيقة إلا اليوم ؟.

المقوقس : لقد كنت مؤمناً مثل البطريق سرجيوس بإمكان جمع النصارى على مذهب واحد ، فنفذت هذه السياسة فى مصر بكل همة ونشاط ، وقمعت كل معارض لها بكل حزم وشدة ، وكنت أعلل نفسى بأن الضحايا وإن كثروا لا يعدون شيئا مذكوراً فى جنب تلك الغاية النبيلة المقدسة

إلى أن لاح هؤلاء المسلمون فى الأفق ، فإذا هم يكتسحون بلادنا وبلاد كسرى فى وقت واحد ، وإذا سر قوتهم ألا إكراه فى الدين وأن الناس سواء ، فأدركت حينئذ أننا كنا لأنفسنا ظالمين إذ أردنا أن نفرض مذهبنا على الناس .

الأطربون : هذا كلام خطير إن سمعه المصريون منك فلن تستطيع أن تحكمهم بعد ذلك ..

المقوقس : أعرف ذلك يا أطربون ولذلك كتمته فى نفسى ولم أكاشف به غير مولاى القيصر وصفوة رجاله فى هذا المجلس المُوَقَّر .. ولوددت والله لو أبقيته سراً بين ضلوعى فأسلم من قوارص النقد ، لولا أن مولاى القيصر سألنى عن رأيى فرأيت من واجبى أن أقول له ما عندى ..

الأطربون : لكنك مخطىء يا سيدى البطريق ، إن كنت تحسب أن فى وسعنا أن نزيل عداوة القبط لنا فى بضعة شهور .

تيودور : ولا فى بضع سنين ..

الأطربون : بل إنهم سيعدون توددنا إليهم ضعفاً فينا وخوفاً من العرب .

مارتينة : (**تنظر إلى المقوقس**) ولا سيما إذا كان الذى يتودد إليهم اليوم هو نفس الحاكم الذى كان يضطهدهم أمس ..

المقوقس : ربما كان الأرطربون على صواب .. إن حقد القبط علينا قد أصبح من العسير علاجه فى وقت قريب ..

الأطربون : (**فرحاً**) اقتنعت الآن ؟

المقوقس : نعم .

هرقل : (**كمن ينتبه من غفلة**) اقتنعت بماذا يا قيرس ؟

المقوقس : بأن علينا أن نغزو جزيرة العرب فى الحال ..

هرقل : ألا تخشى على مصر من العرب ؟

المقوقس : بلى يا مولاى وذلك أحرى أن يدفعنا إلى أن نتغدى بهم قبل أن يتعشوا بنا ..

هرقل : والقبط ألا تخشى علينا منهم ؟

المقوقس : بلى يا مولاى القيصر ولكن لا حيلة لنا فيهم .. إن كانوا معنا أثبناهم وإن كانوا علينا عاقبناهم .

سرجيوس : الآن وقد اتفقت آراؤنا يا مولاى فلنعزم ولنتوكل على الله ..

هرقل : (**ينظر إلى مارتينة فى شىء من العتب**) هذا ما أردته يا مارتينة ؟

مارتينه : لا غرو يا مولاى .. أريد لك النصر .. إلى متى يغلبنا هؤلاء العرب ؟ لقد آن لنا أن نغلبهم وننتصر عليهم .

سرجيوس : أجل يا مولاى القيصر .. لقد عذَّبَنا ربُّنا على ذنوبنا بما فيه الكفاية وقد آن لربِّنا أن ينظر إلى أمة المسيح نظرة عطف وغوث ، فيُديل لها من أعدائها العرب ، كما أدال لها من قبل من أعدائها الفرس وكأن السماء أرادت أن ترهص لنا بذلك إذ أنزلت ضربتها الأولى على رأس خالد لتتبعها بضربة ثانية على رأس عمر فى عقر داره بجزيرة العرب ..

المقوقس : ثم تتوالى الضربات على رؤوسهم بعد ذلك فى كل مكان ..

سرجيوس : يا حامىَ المسيحية يا محرر قبر المسيح يا منقذ الصليب

الأعظم ، اعزم عزمتك واضرب ضربتك وروح القدس معك ..

هرقل : (**يتهلل ويمتلئ بالقوة والعزة**) فلتكن مشيئة الله ..

سرجيوس والمقوقس : ولينصرك الله يا قيصر ..

الجميع : ولينصرك الله يا قيصر ..

مارتينة : اجعل القيادة يا مولاى للأمير قسطنطين ..

هرقل : أجل .. فلتكن القيادة للأمير قسطنطين ..

سرجيوس : (**فى غير نيّة**) فليؤيد الله قسطنطين ولينصره .

الجميع : فليؤيد الله قسطنطين ولينصره ..

مارتينه : (**تعلو وجهها كآبة تحاول أن تسترها**) اكتموا هذا السر يا قوم .. حذار أن يتسرب إلى أعدائكم ..

هرقل : أجل يجب أن يؤخذوا على غرة .. انصرفوا الآن إن شئتم .. وابقَ أنت قليلا يا سرجيوس ..

(**يخرج المقوقس والأطربون وتيودور**) .

هرقل : (**يصفق فيحضر الحاجب**) أحضروا لى الأسير العربى حذافة .

الحاجب : سمعا يا مولاى (**يخرج**) .

مارتينة : (**فى اهتمام**) ماذا تريد أن تصنع به يا مولاى ؟

هرقل : أريد أن أطلق سراحه ..

مارتينة : ليتركنا ويعود إلى بلاده ؟

هرقل : نعم ليعود إلى عمر فيطمئن بال عمر ..

سرجيوس : هذا توفيق ثالث من الله يا مولاى القيصر .. (**تدخل أيفانيا**)

هرقل : أهلا أيفانيا .. أهلا يا بنتى العزيزة (**يوسع لها إلى جانبه**) .

أيفانيا : كيف أنت يا أبى ؟

هرقل : بحمد الله أنا اليوم منتعش سعيد .. وكيف حالك أنت ؟

أيفانيا : أنا يا أبى فى غاية الشقاء ..

هرقل : (**فى عطف**) مازلت يا بنتى تتحسرين على عرش الشام ؟

أيفانيا : وهل كنت لولاه أقبل أن يتزوجنى هذا اللاجىء الشريد الطريد ؟

هرقل : هونى عليك فليس فى الدنيا كلها قصر أجمل من قصرك على القرن الذهبى ..

أيفانيا : وهذا الشريد الطريد معى فيه ؟

هرقل : اعتبريه كأنه غير موجود فى قصرك ..

أيفانيا : لا سبيل إلى ذلك يا أبى إنه يدس أنفه فى كل شىء ويغار على من أصدقائى ويحاول أن يمنعهم من التردد على فى القصر ..

هرقل : الغيرة يا بنتى دليل الحب ..

أيفانيا : أنا لا أريد حبه .. ماذا أصنع بحبه ؟ أنا فى غنى عن حبه ..

مارتينة : لا حق لك يا أيفانيا .. ينبغى أن تذكرى أنه عربى ، والعرب شديد والغيرة على نسائهم ..

أيفانيا : بل ينبغى أن يذكر هو أننى رومية ولا أطيق غيرته العمياء ولا كبرياءه المزعجة ..

هرقل : أيتكبر هو عليك ؟ .

أيفانيا : بل يتكبر علينا نحن الروم جميعاً ويحتقرنا ويسمينا العلوج .

هرقل : أو قد اجترأ أن يقول لك ذلك ؟

أيفانيا : لا يا أبي ولكنى سمعته ذات يوم يقول لربيعة صاحبه إنه يخشى على أخواته وبناته أن يتزوجهن علوج الروم .

هرقل : ويل له .. أيقيم عندنا ويشتمنا ويحتقرنا ؟ قسماً بالله لأطلبن أخته لأحد أعوانى .. فليرفض طلبى إن كان يقدر ..

أيفانيا : افعل يا أبي فإنك تؤدبه بذلك أحسن تأديب ..

مارتينة : اصبرى قليلًا يا أيفانيا فسينتهى قريباً سبب شقائك وحزنك .

أيفانيا : أحقاً يا سيدى البطريق ؟

سرجيوس : نعم بإذن الله ..

أيفانيا : وافقت الكنيسة على طلاق منه ؟

مارتينة : كلا يا أيفانيا .. لست أقصد الطلاق ..

أيفانيا : فأى شىء تقصدين ؟

مارتينة : اقصد عرش الشام يا أيفانيا .. إننا سنقهر العرب قريباً بإذن الله فنسترد من أيديهم الشام ..

(يدخل ثلاثة من الجنود يسوقون عبد الله بن حذافة) .

ابن حذافة : ماذا تريد منى بعد يا هرقل ؟ هل بقى عندك لون جديد من العذاب لم تجربه فىَّ ؟

هرقل : لا ترع يا ابن حذافة .. لا نريد عذابك اليوم بل نريد إكرامك .

ابن حذافة : (**ينظر إلى المرأتين**) عذابكم والله أهون عندى من إكرامكم !

هرقل : (**يفطن إلى مراده فيضحك**) كلا يا ابن حذافة .. لا نريد شيئاً مما تكره إنما أريد أن أسألك ..

ابن حذافة : إن كنت تريد أن تسألنى عن عمر كعادتك فاعلم أن الدين ليس دين عمر .. إنه دين الله أرسل به محمداً فآمن به ألوف من المسلمين منهم عمر ..

هرقل : لا تعجل يا ابن حذافة فلن أسألك اليوم عن عمر .. ألم تقل لى ذات يوم إن الإسلام دين السلام ؟

ابن حذافة : بلى يا هرقل .

هرقل : فإنى سأطلق سراحك اليوم لتكون لنا رسول خير وسلام إلى عمر .

ابن حذافة : بعد عهدك الذى نقضته معه يا هرقل ؟

هرقل : إنك ذكرت لى ذات يوم آية فى كتابكم تأمركم بقبول السلم ممن يعرضها عليكم .. أوقد نسيتها يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : لا والله ما نسيتها يا هرقل : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ .

هرقل : فما يمنعك أن تزيل ما فى نفسه علينا وتصلح ما بيننا وبينه ؟

ابن حذافة : وتطلق جميع إخوانى الذين أسروا معى فى قيسارية ؟ .

هرقل : ما شأنك بهؤلاء ؟ إنى سأطلقهم فيما بعد ..

ابن حذافة : لا والله لا أعود إلى عمر وحدى أبداً ..

هرقل : (**بعد صمت يسير**) وتضمن لنا أن يرضى عنا عمر ويكف عن غزو أرض الروم ؟

ابن حذافة : إن كنت تشك فى ذلك يا هرقل فخير لك ألا تطلق سراحنا ..

هرقل : إنى سأجيبك إلى طلبك على شرط أن تقبل رأسى آية على صدقك ومودتك ..

ابن حذافة : حباً وكرامة يا قيصر .. (**يدنو من هرقل فيقبل رأسه وتميل مارتينة برأسها إليه ليقبله فيعرض عنها فى أدب**) كلا .. هذا ليس فى الشرط ..

(ستـــار)

المشهد العاشر

فى قصر بلاخرتاى على القرن الذهبى .

قاعة استقبال فاخرة تطل من جهة على حديقة غناء ومن جهة أخرى على البحر ..

يرفع الستار فنرى جَبَلة وعنده ربيعة بن أمية بن خلف يتنادمان على الشراب فى ركن من القاعة .

ربيعة : (**يصب فى قدحه من الباطية**) أصفى من عين الديك .. (**يريد أن يصب فى قدح جَبَلة فيمنعه جبلة**) .

جبلة : لا يا ربيعة .. حسبى ما شربت اليوم ..

ربيعة : ما خطبك يا أبا الملوك ؟ إنك لم تشرب بعد غير قدحين ..

جبلة : فهما حسبى اليوم .

ربيعة : ألا تريد أن تفرج عن همومك ؟

جبلة : إن همومى لا تستطيع أن تفرجها الخمر .

ربيعة : إذن فلن يفرجها شيء أبداً ..

جبلة : أجل .. ليس إلى تفريجها من سبيل ..

ربيعة : هوّن عليك يا جبلة فإنك فى نعمة لا يستطيع أن يحلم بها أحد ..

جبلة : (**يتنهد**) فى نعمة يا ربيعة ؟ أهذه نعمة ؟

ربيعة : ويحك هذا القصر الذى أنت فيه لا نظير له فى الدنيا .. البحر يصفق بأمواجه عن يمينك ، والبلابل تغرد على غصون الشجر عن شمالك .. وتمثال أفروديت على كتب منك واقفة عارية تنادى فى الليل وفى النهار أن حى على الحب حىّ على النعيم !!

جبلة : أكثرت من الخمر يا ربيعة حتى بدأت تهذى ..

ربيعة : لا والله .. لا واللّاتِ والعُزى لا وحق يسوع ما هذَيت . أم تريد أن تمنعنى خمرك ؟ (**ينادى**) جارية .. أنت يا جارية .. أدركينى باطية .. تملأ ثمانية من خمر صافية .. على الهموم قاضية .. لا تبقى منها باقية ..

(**تدنو منه إحدى الجوارى فتقدم له باطية من الخمر**) .

جبلة : والله لقد أصاب عمر إذ نفاك .

ربيعة : كلا ما نفانى أحد .. أنا نفيت نفسى إلى هذه الأرض العامرة ..

جبلة : أما نفاك عمر إلى خيبر ؟

ربيعة : بلى ولكنى أنا قصدت ذلك .. كانت خيبر أروى لعطشى من مدينة محمد ..

جبلة : فعلام تركت خيبر ؟

ربيعة : تركتها لما هى أروى منها .. لمدينة قسطنطين .. (**يوالى الشرب**) .

جبلة : (**يتنهد**) ويل الشجى من الخلى ..

ربيعة : والله ما أنا بالخلى يا جبلة وإن عندى لهمومى ..

ولكنـــــــى أداويها بأقـــداح وأكـــواب
وغيد عنـد أفـروديت تشفـــى كل أوصابى
كأنى ثم ألـــــــقيها إذا ألقـــيت أثـــوابى

جبلة : وما همومك يا ربيعة إلى همومى ؟

ربيعة : أنت التى جسمتها على نفسك ، ولو هوّنتها لهانت ..

جبلة : ويلك كيف تريدنى أصنع ؟

ربيعة : هل رأيت شيئاً بعينك ؟

جبلة : اللهم لا .

ربيعة : إذن فليس لك أن تتهمها بغير بينة ..

جبلة : إنها صارت تستقبل الفتيان فى جناحها من دونى ..

ربيعة : فادخل إلى جناحها لترى ..

جبلة : ليس لى أن أدخل جناحها إلا بإذنها ..

ربيعة : فاستأذنها ..

جبلة : لن أرى شيئاً إذا استأذنتها .

ربيعة : ذلك خير لك ..

جبلة : قبحك الله .. لقد زدتنى همّاً وبلبالًا ..

ربيعة : لا غرو يا جبلة .. فإنها نار لا يزيدها الفكر إلا اشتعالًا وليس يطفئها إلا النسيان ..

جبلة : وكيف السبيل إلى ذلك ؟

ربيعة : تذكر أنها أيفانيا ابنة هرقل ، وليست سعدى بنت الحارث ابن أبى شَعِر ..

جبلة : ماذا تعنى ؟

ربيعة : عدها كأنها خليلة لك من بنات الروم فيهدأ بالك ..

جبلة : لكنها امرأتى يا ربيعة ..

ربيعة : عدها كأنها ليست امرأتك ..

جبلة : كيف يا ربيعة ؟ إنك تستطيع أن تغالط غيرك ولكنك لا تستطيع أن تغالط نفسك ..

ربيعة : بلى تستطيع ذلك لو أردت .. وهذا الشراب من وسائله .. اشرب يا أبا الملوك اشرب .. (**يريد أن يصب له فى قدحه**) .

جبلة : اعفنى يا ربيعة ..

ربيعة : عزمت عليك إلا ما شربت ..

جبلة : لا والله عما قريب يزورنى عبد الله بن حذافة السهمى ولا ينبغى أن أستقبله وأنا مخمور ..

ربيعة : الأسير الذى ارتمت عليه الملكة فصدها عنه ؟

جبلة : مَهْ !

ربيعة : لحاه الله ما أخيبه .. أىَّ روح وريحان وجنة نعيم أضاع !

جبلة : صه .. إياك أن تروى هذا لأحد ..

ربيعة : لا تخف يا أبا الملوك فإن أسرارك عندى فى حرز حريز .. ولكن ماذا يصنع هذا الخائب عندك ؟

جبلة : استأذن قيصر أن يرانى قبل أن يعود إلى المدينة فأذن له .

ربيعة : أنا ماض إذن يا جبلة ..

جبلة : لم لا تبقى يا أبا أمية حتى يجىء فتراه ؟

ربيعة : كلا لا أريد أن تقذى عينى برؤية وجه مسلم .

جبلة : ويلك .. إنى لأحتقر نفسى كلما رأيتنى أمامه .. لو رأيته وهو يعلم أن حياته فى يمين قيصر فيأبى إلا أن يخاطبه باسمه المجرد من كل لقب وكأنه يخاطب أى علج آخر من علوج الروم لأكبرته ولأحببته ..

ربيعة : عنجهية رعاة الغنم !

جبلة : بل عزة رعاة الأمم !!

(يدخل الحاجب مسرعاً) .

الحاجب : مولاى .. الضيف العربى قد حضر !!

جبلة : أهلًا وسهلًا به .. دعه يدخل (**يخرج الحاجب ويتبعه ربيعة ليخرج**) إلى أين يا ربيعة ؟

ربيعة : إلى فردوس أفروديت .. (**يخرج**) .

(يدخل عبد الله بن حذافة فيستقبله جبلة مرحباً) .

ابن حذافة : ويلك يا جبلة إن قصرك هذا لأجمل من القصر الذى يقيم به هرقل ..

جبلة : أجل ذاك قصرهم القديم .. وهذا قصر جديد ..

ابن حذافة : متاع الحياة الدنيا وللدار الآخرة خير عند ربك ثواباً وخير أملا .

جبلة : (**يومئ إلى الأريكة**) أجلس يا ابن حذافة .. مالك ؟

ابن حذافة : لا أجلس على هذا الحرير ..

جبله : فيم يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا .

جبلة : صلى الله عليه وسلم .

ابن حذافة : أمطه عن الأريكة إن شئت أن أجلس عليها .

جبلة : هذا لا يماط عنها ولكنى سأضع هذا البساط عليه (**يضع بساطاً من الصوف على الأريكة فيجلس ابن حذافة هو ويجلس إلى جانبه**) يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه .

(**تدخل جارية بجام شراب فتقدمه لابن حذافة**)

ابن حذافة : ما هذا .

جبلة : اشربه يا ابن حذافة .. فإنه عصير التوت وليس بخمر .

(**يشربه ابن حذافة**) .

ابن حذافة : جزاك الله خيراً يا جبلة .

(**يرفع السجف الذى يفصل القاعة عن البهو فإذا جوار ثمان يرقصن فى غلائلهن وبأيديهن الدُفُوف والمزاهر فيبهت ابن حذافة قليلا ثم يلتفت إلى جبلة غاضباً**) ما هذا يا جبلة ؟

جبلة : نقِّ قلبك يا ابن حذافة .. فلا يضرك ما ترى ولا ما تسمع .

ابن ربيعة : ويلك إنك تعرف ما أحب وما أكره ، فإن كنت تريد أن تلقانى عندك بما أكره فإنى .. (**يهم بالقيام فيمسكه جبلة**)

جبلة : (**مقاطعاً**) انهن جوارىَّ وملك يمينى من عهد الشام وهن يغنيننى ويسليننى ويذكرننى ببلدى فأى حرج فى ذلك ؟

ابن حذافة : امنعهن وإلا انصرفت عنك ..

جبلة : (**يومئ لهن فيتوقفن عن الرقص وينسحبن**) هأنذا قد صرفتهن عنك .

ابن حذافة : أحسنت يا جبلة .. إنك تعلم ما كابدته أنا عند هرقل فاعذرنى فإنى أخشى الفتنة على نفسى وعلى دينى .. أم تريد ويحك أن تفخر عند هرقل بأنك قد استطعت أن تغوينى من حيث عجز هو عن ذلك ؟

جبلة : لا والله يا ابن حذافة ما أردت إلا أن أدخل السرور على قلبك .

ابن حذافة : إن أردت أن تدخل السرور على قلبى فأخلنى حتى أتحدث إليك وحدك .

جبلة : هات ما عندك فليس بيننا أحد .

ابن حذافة : (**يتلفت حوله**) بلغنى أن قيصر قد تغير عليك .

جبلة : أفلهذا رغبت فى زيارتى ؟

ابن حذافة : نعم .. لا تبتئس يا جبلة فلعل الله قد أراد بك خيراً فى ذلك .

جبلة : أى خير يا أبا حذافة ؟

ابن حذافة : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟

جبلة : أبعد الذى قد كان ؟

ابن حذافة : قد ارتد الأشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام ...

جبلة	: شتّان ما بينى وبين الأشعث .. الأشعث لم يلحق بقيصر مثلى ولم يتزوج ابنته .
ابن حذافة	: قد بلغنى أنك لست معها علىّ وفاق فلم لا تطلقها ؟
جبلة	: أطلقها وهى ابنة قيصر ؟
ابن حذافة	: ولم لا ؟ وقد هجرتك ونشزت عنك ..
جبلة	: وكيف أعيش بعد ذلك ؟
ابن حذافة	: تعنى الرزق الذى يجريه عليك قيصر ؟
جبلة	: نعم .
ابن حذافة	: سنفرض لك عطاء فى ديوان المسلمين ..
جبلة	: فهل أجد عندكم مثل هذه العيشة ؟
ابن حذافة	: هذه عيشة الملوك يا جبلة .. وليس فى الإسلام ملوك .. ولكنك ستعيش بيننا حراً كريماً لا يتعبدك أحد ولا يمن عليك أحد .
جبلة	: ليلطمنى أعرابى جِلف من بنى فزارة ..
ابن حذافة	: ذلك الحق يا جبلة ، ولا غضاضة على أحد أن يؤخذ منه الحق .. ألا تحب يا جبلة أن تقيم فى أرض تسود فيها كلمة الحق ؟
جبلة	: (**يتنهد فى أسى**) تلك آفة الملوك يا ابن حذافة .. لا يستطيعون إن عزلوا أن يعيشوا عيشة الملوك ولا عيشة السوقة فيضيعون بين ذلك . لقد طلبت من عمر أن يولينى على الشام فأبى ، ولو فعل لكفانى هذا الهوان .

ابن حذافة : ما كان لعمر أن يوليك شيئاً من أمور المسلمين ، وأنت ترى بعد أنك ملك عليهم وهم سوقة ..

جبلة : أتضمن لى يا ابن حذافة أن عمر يقبلنى إن عدت إليه ؟

ابن حذافة : نعم .

جبلة : بعد كل الذى صنعت فى حملة الشام ؟

ابن حذافة : نعم .. إنه لا يملك أن يردك .

جبلة : ويزوجنى إحدى بناته ؟

ابن حذافة : ويزوجك إحدى بناته .

جبلة : تضمن لى ذلك ؟

ابن حذافة : نعم .

جبلة : وأين يسكننى عمر إن زوجنى ابنته ؟ فى خصٍّ كالخصّ الذى يقيم هو فيه ؟

ابن حذافة : ويحك يا جبلة ستكون رجلًا من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ..

جبلة : يا ليتنى أستطيع ذلك يا ابن حذافة ..

ابن حذافة : وما يمنعك ؟

جبلة : المصير الذى كتب على ..

ابن حذافة : كلمة واحدة تقولها يا جبلة ويتغير هذا المصير ..

جبلة : هيهات يا ابن حذافة .. إنى أعرف بنفسى منك ولكن لى رجاء إليك فحبَّذا لو قبلت ..

ابن حذافة : ماذا تريد يا جبلة ؟

جبلة : أن تتزوج ابنتى وردة وتحملها معك إلى المدينة ..

ابن حذافة : إن لى زوجاً تنتظرنى فى المدينة ..

جبلة : فلتكن وردة هى الثانية ..

ابن حذافة : أأغيب عن امرأتى كل هذه المدة ثم أقدم عليها بضرة ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا ..

جبلة : فاحملها معك وزوجها لكفء لها من فتيان العرب ..

ابن حذافة : أما هذا فحباً وكرامة ..

جبلة : انتظر حتى أدعوها لك (**يخرج ثم يعود بعد قليل ومعه وردة**) يا بنيتى هذا عمك عبد الله فسلمى عليه ..

وردة : مرحباً بك يا عم ..

ابن حذافة : حياك الله يا وردة ..

جبلة : إنه يريد الرجوع إلى المدينة وقد رجوته أن يحملك معه فيزوجك هناك لمن هو جدير بك من فتيان العرب ..

وردة : امرأتك الرومية يا أبى هى التى أوعزتْ إليك ؟

جبلة : وردة .. إنك تعلمين أنى لست معها اليوم على وفاق ..

وردة : فعلام تريد أن تقصينى عن القسطنطينية لترمينى فى صحراء العرب ؟ .

جبلة : إنها ليست صحراء يا وردة .. إنها مدينة عامرة ذات مزارع ونخيل .

وردة : أنسيت يا أبى ما كنت تحدثنى عنها ؟ ألم تقل لى إن أمير المؤمنين يقيم فى خص حقير لا ترضاه أنت لخدمك وعبيدك ؟ فإن كان هذا حال أميرهم فماذا يكون حال غيره من الناس !؟

جبلة : يا هذه إنما ذلك عمر بن الخطاب لزهده فى الدنيا ..

وردة : كلا بل تريد أن تقصينى عنك .. تريد أن تقبرنى كما قبرت أمى من قبل ..

(تنشج باكية)

جبلة : لا والله إنك لأغلى الناس عندى يا وردة وما كنت لأصبر على فراقك لولا خوفى عليك ..

وردة : تخاف على مماذا ؟

جبلة : أن يتزوجك علج من علوج الروم ..

وردة : فما بالك تريد أن تزوج عمتى عالية لواحد منهم ؟!

جبلة : **(فى أسى)** قيصر هو الذى أكرهنى على ذلك ..

وردة : أكرهك ؟

جبلة : طلبها منى لذلك الرومى فلم أستطع أن أرد طلبه ، وأخشى يا وردة أن يكرهنى فيك أيضاً ، وإن عاراً واحداً لأهون من عارين ..

وردة : لو كان هذا رأيك حقاً لما تركت أمى تموت كمداً لتتزوج هذه العلجة .

جبلة : ويلك أهكذا تخاطبين أباك ؟

وردة : **(تبكى)** ما حيلتى ؟ لقد فرقت بينى وبين أمى فلا والله لا أدعك تفرق بينى وبين قبرها أزوره كل يوم ..

جبلة : اغربى عن عينى .. **(تخرج وردة)** **(يخالط صوته البكاء)** سمعت يا ابن حذافة ؟ حتى ابنتى لا تطيع أمرى .

ابن حذافة : هون عليك .. أبقيها عندك ولا تحملها على مخالفة أمرك ..

جبلة : (في ألم) إنها لا تبالي أن يتزوجها علج منهم .. .

ابن حذافة : إن الإسلام يا جبلة قد أراحنا من هذه العصبية الجاهلية ..

جبلة : ماذا تعني ؟

ابن حذافة : الناس عندنا سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

جبلة : أفكنت تقبل أن تزوج ابنتك أو أختك لرومي ؟

ابن حذافة : نعم إذا أسلم .

جبلة : آه لو ترك لنا الإسلام شيئاً نعتز به ولم يسو بين الملوك والسوقة ولا بين العرب والعجم .. إذن لكنت اليوم من رجاله المخلصين .

ابن حذافة : ويلك يا جبلة إن محمداً لم يرسل إلى العرب وحدهم .. بل أرسل إلى البشر كافة ، والله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ .

جبلة : إذن فياليتني كنت راعياً من رعاة البادية فيرفعني الإسلام ويسويني بمن فوق لا بمن تحتي ..

ابن حذافة : ويحك يا جبلة إن الإسلام إذا سواك بمن فوقك لقد سواك بمن تحتك كذلك ..

جبلة : تلك هي المحنة التي ليس لي بها يدان .. فبالله عليك يا ابن حذافة إن سألوك عني فقل لهم إني سعيد في بلاد الروم أعيش في هذا القصر المنيف كما يعيش قيصر الروم بل أكرم

وأعز .. احك لهم ما رأيت عندى من الجوارى الحسان والكراسى الذهب ، والطنافس الحرير ، والطيور المغردة والطيور التى تنفض على رأسى من ريشها المسك والعشير .. احك لهم كل ذلك ولا تحك لهم شيئاً مما رأيت من ذلى وهوانى وعذابى فى هذه الديار التى أنا عنها غريب .. (**ينشج باكياً**)

ابن حذافة : أما إنك لتبكى يا جبلة ..

جبلة : كيف لا وأنا أعلم أين أجد سعادتى فلا أستطيع إليها سبيلا .

ابن حذافة : السبيل مفتوحة أمامك ..

جبلة : هيهات .. لو شاء الله أن يهدينى لهدانى .. فحسبى يا ابن حذافة أن أرى دولة العرب تعلو وتعز ويخفق لواؤها فى العالمين . وسواء على بعد ذلك أن أكون مسلماً أو لا أكون من المسلمين ..

ابن حذافة : ويلك يا جبلة .. ألا تعنيك آخرتك ؟

جبلة : آخرتى ؟ دع عنك آخرتى يا ابن حذافة .. إن الذى لا دنيا له لا آخرة له ..

« ستار »

علي أحمد باكثير : (١٩١٠ ــ ١٩٦٩)

ولد علي أحمد باكثير في مدينة « سورا بايا » بإندونيسيا ، من أبوين عربيين من حضر موت ، وأرسل وهو دون العاشرة إلى حضر موت حيث نشأ وتلقى ثقافة إسلامية ، ثم غادرها ليتجول في عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة ، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام يتنقل بين مكة والمدينة والطائف .

وقد بدأ حياته الأدبية بنظم الشعر ، فنظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره . ونظم هذه القصيدة « ذكرى محمد » وهو في الخامسة والعشرين ، وبعد الشعر اتجه إلى كتابة القصة المسرحية .

وقدم باكثير إلى مصر سنة ١٩٣٤ ، والتحق بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠ .

واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم نقل بعدها إلى « مصلحة الفنون » وقت إنشائها ، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وحصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ ــ ١٩٦٣) حيث أنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن عمر بن الخطاب ، وهي من أروع ما كُتب حتى الآن .

مؤلفاته القصصية : سلامة القس ، وإسلاماه ، ليلة النهر ، الثائر الأحمر ، سيرة شجاع .

مؤلفاته المسرحية : إخناتون ونفرتيتي ، قصر الهودج ، أوزوريس ، الفرعون الموعود ، مسمار جحا ، دار ابن لقمان ، شيلوك الجديد ، قطط وفيران ، عودة الفردوس ، مأساة أوديب ، إله إسرائيل ، سر الحاكم بأمر الله ، سر شهر زاد ، هاروت وماروت ، السلسلة والغفران ، شعب الله المختار ، الدكتور حازم ، إمبراطورية في المزاد ، جلفدان هانم ، أبو دلامة ، الدنيا فوضى . ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية ، إن لم يكن أعظمهم .

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا

- الشيماء
- فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
- أوزوريس
- نظام البردة ـ ذكرى محمد ﷺ
- من فوق سبع سموات
- التوراة الضائعة
- إله إسرائيل
- دار ابن لقمان
- قطط وفيران
- هاروت وماروت
- جلفدان هانم
- الفلاح الفصيح
- حبل الغسيل
- هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز)
- مسرح السياسة
- الدودة والثعبان
- مأساة زينب
- أحلام نابليون
- قضية أهل الربع
- الوطن الأكبر
- حرب البسوس
- الفارس الجميل
- همام فى بلاد الأحقاف

ـ الملحمة الكبرى الإسلامية الكبرى (عمر) ، أقوى وأمتع ما كتب باكثير ، وتقع فى ١٨ جزءا كالتالى :

(١) على أسوار دمشق .
(٢) معركة الجسر .
(٣) كسرى وقيصر .
(٤) أبطال اليرموك .
(٥) تراب من أرض فارس .
(٦) رستم .
(٧) أبطال القادسية .
(٨) مقاليد بيت المقدس .
(٩) صلاة فى الإيوان .
(١٠) مكيدة من هرقل .
(١١) عمر وخالد .
(١٢) سر المقوقس .
(١٣) عام الرمادة .
(١٤) حديث الهرمزان .
(١٥) شطا وأرمانوسة .
(١٦) الولاة والرعية ـ فتح الفتوح .
(١٧) القوى الأمين .
(١٨) غروب الشمس .

* * *

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ـ ٨٥
الترقيم الدولى : 7 - 158 - 11 - 977

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

٧

سِرُّ المقوقس

ملحمة عمر

سر المقوقس

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

المشهد الأول

فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة .

عمر فى جماعة من الصحابة بينهم أهل الشورى وهم ينصتون إلى حديث عبد الله بن حذافة الذى قَدِم من أرض الروم .

ابن حذافة : وهكذا يا أمير المؤمنين ، أطلَقَ هرقل سراحى وسراحَ أصحابى لنكون رسُلَ خير وسلام إليك ..

عثمان : فقد وجب عليك يا أمير المؤمنين أن تُجيبه إلى ما طلب ..

عمر : ليت شعرى أيريد هرقل السلامَ حقاً ؟

ابن حذافة : ذلك الظن به يا أمير المؤمنين ، فقد كانت حملةُ الشام وبالًا عليهم ، وما إخالُه كان يُطلق سراحنا ونحن ثمانون أسيراً بغير فداء ولا مُبادلة ، لو لم يكن يريد السلامَ حقاً وصِدْقا ..

عثمان : فاكتب إلى عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين ، ليعْدِل عن غزو مصر .

الزبير : كلا ، لا تفعل يا أمير المؤمنين حتى تتأكد من صدق قيصر .

عثمان : مر عمرًا فلينتظر حتى يتبينَ لك صدقُ قيصر أو كذبُه ، فليس ما يحمله على التسرع والتهور ..

الزبير : أننتظر حتى يغزونا هرقل بسفنه من بحر القلزم ؟

عثمان : لو كان يريد ذلك حقاً ما أطلقَ هؤلاء الأسرى توددًا إلى أمير المؤمنين ..

الزبير : ما يدريكَ لعله ما أطلقهم إلا خديعةً لأمير المؤمنين ..

طلحة : أجل يا أمير المؤمنين قد خدعكَ مرة من قبل ، فلا يخْدعنَّك مرة أخرى .

عمر : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟

على : قال الله تبارك وتعالى لرسوله : ﴿ وإن جَنحُوا للسَّلْمِ فاجنَحْ لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم ۝ وإن يريدُوا أن يخْدَعُوكَ فإن حسْبَكَ الله ﴾ .

عمر : أصبت يا ابن أبى طالب .. والله لا أرد يدًا مدَّها قيصر إلىّ بِسلْم أبدًا .. وإن خان عهده مرة بعد مرة .. خبرنى يا عبد الله بن حذافة ، هل لقيت ابن عمك عمرو بن العاص فى طريقك ؟

ابن حذافة : نعم يا أمير المؤمنين .. لقيته بقيسارية ، ووجدتُه يحشد الجيش ويتأهب للمسير إلى مصر ..

عمر : فهلَّا أخبرته أن قيصر يرغب فى السلم ، وأنه أطلق سراحكم من أجل ذلك ؟

ابن حذافة : قد فعلت يا أمير المؤمنين ، وقلت له لعلَّ أمير المؤمنين

يبدو له إذا ما بلَّغته رسالة قيصر ، فيكتب إليك بخلاف ما كتب من قبل ..

عمر : فماذا قال ؟

ابن حذافة : قال لأمضِيَنَّ كما أمرنى أمير المؤمنين ، حتى يجيئنى منه كتاب آخر .

عثمان : فاكتب إليه يا أمير المؤمنين على الفور ..

عمر : أخشى ألّا يُدْرِكَه كتابى إلا وقد دخل فى مصر .. إنى أعرف حرص عمرو على غزوها ..

عثمان : اكتب إليه أن يرتدَّ عنها ، ولو كان قد دخل ..

الزبير : كلا يا عثمان ، إن كان قد دخل فى أرضها فليتوكل على الله ، وإلا ظن الروم بنا الضعف فجرَّأهم ذلك علينا ..

على : هذا هو الرأى يا أمير المؤمنين ..

عمر : فاكتب إليه يا على بذلك ، وليمض به رسولٌ جَلْدٌ ..

على : (**يقوم من مكانه**) سأفعل يا أمير المؤمنين ..

عثمان : على الفور يا أمير المؤمنين ..

عمر : أَجَلْ على الفور .. دونَكَ خاتمى فَخُذْه (**يناول عليًا خاتمه فيخرج على**) .

ابن حذافة : هذا حسان بن ثابت يا أمير المؤمنين ... (**يدخل حسان ابن ثابت وهو أعمى يقودُه صبى**) .

عمر : مرحبًا بحسان . هلمَّ يا شاعر رسول الله ، اجلس قريبًا منى .. أتدرى لماذا بَعثْنَا إليك من حائطك ؟

حسان : (**يجلس بقرب عمر**) يا أمير المؤمنين إنى أشُم فى مجلسك هذا ، أنفاسَ الأحبة من آل جَفنة ..

عمر : رحم الله يعقوب إذ وجد ريح يوسُف .. هذا عبد الله ابن حذافة السهمى قد جاء بمعونة لك ، وهَدية من جَبَلة ابن الأيهم .

ابن حذافة : (**يدنو من حسان**) خمسمائة دينار وكسوة ، خُذْها يا أبا عبد الرحمن . (**يضع الكيس والهدية بين يدى حسان**) .

حسان : (**يتحسس الكيس والهدية**) قد علمتُ أنه لن ينسانى .. هل لقيته يا أبا حذافة ؟

ابن حذافة : نعم .

حسان : فكيف وجدته ؟

ابن حذافة : وجدته قد تعجل فانية اشتراها بباقية .. ووجدته مع ذلك نادمًا على ما كان منه ، ويتمنى لو عاد إلى الإسلام ..

حسان : فما الذى يمنعه ؟

عمر : الشِقوةُ التى غلبت عليه ..

حسان : (**يبكى**) واأسفا على ابن الأيهم ..

عمر : خفّض عليك يا ابن الفريعة .. لقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ إنكَ لا تَهْدِى من أَحْبَبْتَ .. ﴾ .

ابن حذافة : يا أبا عبد الرحمن .. إنما رضيتُ أن أحملَ هذه الأمانة إليكَ لأراك تضحك ، لا لأراك تبكى .. هوّن عليك ، فإنه يقيم فى قصرٍ أفخمَ وأجملَ من القصر الذى يقيم فيه قيصر نفسه ..

حسان : أحقاً يا ابن حذافة ؟ حدّثنى ..

عمر : لو بكرت قليلًا يا حسان ، لسمعته وهو يقُصُّ علينا عن جَبَلة وعن قيصر وعن أرضِ الروم ..

ابن حذافة : ألا تحب يا أمير المؤمنين أن أُكملَ لكم حديثى عن أرض الروم ؟

عمر : وعندك ما تقصُّه بعد ؟ لقد حدثنا منذ مَتَع الضحى ، وها نحن أولاء قد قاربنا أُذان الظهر .. فهلا كنت أوجزْت ؟

ابن حذافة : لقد والله أوجزت يا أمير المؤمنين ..

عمر : أوجزت ! .. فكيف لو أسهبْتَ ويلك ؟

ابن حذافة : لو أُسهبت يا أمير المؤمنين لكَبِرَ الصغار قبل أن أفرُغ من حديثى ، واكْتَهَلَ الشبان ومات الشيوخ ..

(يضحك الحاضرون)

عمر : قاتلك الله .. ما تخليت عن دعابتكَ ..

ابن حذافة : وهل يتخلى أحدٌ عن خير ما فيه ؟

عمر : كلا ، ليس ذلك خيرَ ما فيكَ يا أبا حذافة ..

ابن حذافة : بلى يا أمير المؤمنين ، لولا هذه التى تُنْكرُها علىّ لما أطقْت الصبر على سجن ملك الروم وألوان عذابه ..

عمر : لكنها هى التى جعلتك تقول لرجال سريتِكَ ذاتَ يوم وقد أوقَدُوا نارًا : ادخلوا هذه النار .. أوقد نسيتَ ذلك يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : لا يا أمير المؤمنين ما نسيتُ .. لقد أردت يومئذ أن أختبر طاعتهم لى .

عمر : ويلك ! فلقد هموا أن يطيعوكَ إذْ كنت أميرهم ..

ابن حذافة : لو فعلوا لظلوا فيها إلى يوم القيامة .. إنما الطاعة فى المعروف .. هكذا قال لنا رسول الله ﷺ حين بلغه أمرُنا ، فلامهم هم ولم يَلُمْنى ..

عمر : ويْحك ! لقد حبسْتَ الناس عن أشغالهم وحبستنى عن شغلى (**ينهض**) أيها المسلمون ، إن عبد الله بن حذافة كما سمعتم قد قبّل رأس قيصر من أجل إخوانه من أسرَى المسلمين فى أرض الروم ، فحقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسه ، وأنا أبدأ .

(يدنو من ابن حذافة فيقبّل رأسه)

(ينهض الحاضرون ويلتفون حول ابن حذافة ليقبلوا رأسه) .

ابن حذافة : (**يصيح**) يا أمير المؤمنين أغثْنى !!

عمر : ما خطبك ؟

ابن حذافة : هؤلاء إن تتابعوا على رأسى بشفاهِهِم ، لا يدعُونَه حتى يُحيلوه مثل رأسك !!

عمر : (**يضحك فيضحك الجميع**) قاتلك الله يا ابن حذافة .. أيها المسلمون كُفوا إذن عن رأسه .. وليمض كل امرئ إلى شغله .. (**يخرج عمر وينفض الحاضرون**)

حسان : (**يستوقف ابن حذافة**) على رسلك يا أبا حذافة .. هل خرج أمير المؤمنين ؟

ابن حذافة : نعم ..

حسان : اسمع رعاك الله ..

إن ابـــن جفنـــةَ من بقيـــةِ معشرٍ
لم يَغْذُهـــم آباؤهُـــم باللُّـــومِ
لم ينْسَنـــــى بالشام إذ هو ربُّهـــا
كلا ولا متـــــنصرًا بالــــــرومِ
يُعطـــى الجزيـــلَ ولا يراهُ عنـــده
إلا كبـــعْضِ عطيـــةِ المذمـــومِ

ابن حذافة : (ممازحًا) إن كنت تريد أن تكلِّفنى بحمل هذه الأبيات إليه ، فإنى غير عائد إلى القسطنطينية ..

حسان : كلا يا أبا حذافة ، وإنما هى أبياتٌ هجمَتْ علىّ فأَحْبَبْتُ أن أسمعها لك . إن جَبَلة لخليلى وما كان ليُخلّ بى . أفلم يقل لك شيئاً حين سلَّمَك الهدية ؟

ابن حذافة : بلى قال لى : إن وجدته حيًّا فادْفعها إليه ، وإن وجدته ميتًا فاطرح الثياب على قبره ، وابْتَغْ بهذه الدنانيرِ بُدْنا فانحَرْها على قبره ..

حسان : ليتك وجدتنى ميتًا ففعلتَ ذلك ! .

ابن حذافة : ويحك يا ابن الفريعة ! أتريد أن تُرهقنى نصبًا ؟ أترانى فارغاً فأشترى البُدْنَ ثم أنحرُها على قبرك ؟

حسان : يا عبد الله ما كان ذلك ليتعِبَك ..

ابن حذافة : يا شاعر رسول الله ، أما والله لو سمعها ابن الخطاب منك لأوجَعكَ بالدِّرَّة ..

حسان : إنما قلتها لك خاصة يا أبا حذافة ، فاكتمْها عليّ ..

ابن حذافة : أفكان يَخْفى على أمير المؤمنين لو أنى نحرتُ البُدْنَ على قبرك ؟ يا ناكرَ الجميل أتريد أن تقعَ دِرَّةُ عُمَرَ على ظهْرى أنا من دُونك ؟

حسان : الحمد لله إذ وجدتنى حياً ، فكُفِيتَ ذلك ..

ابن حذافة : أجل الحمد لله ..

« ستــار »

المشهد الثاني

فى الطريق بين رفح والعريش . إلى العريش أقرب بعد عبور مهبط السيل ..

يرى عمرو بن العاص ورومانوس ويونس واقفين يتطلعون فيما حولهم ، وتسمع قريبًا منهم حمحمة خيولهم .

عمرو : أتعلمُ يقيناً يا أبا الروم أن هذه البقْعة من أرض مصر ؟

رومانوس : أجل نحن فى أرض مصرَ منذ عبَرْنا مهبط السيل ذاك ..

عمرو : الحمد لله .. الآن اطمأنّ قلبى .. فليحملْ رسول أمير المؤمنين إلينا ما يحمل ..

يونس : (**يهوى على الأرض فيلثمها**) واشوقاه إليك !!

عمرو : ماذا تصنع يا يونس ؟

يونس : قد وجب أن ألثمها أيها الأمير ..

رومانوس : يا لجنُونك ! .. ماذا تلثم من تراب ؟

يونس : هذا ليس كأى تراب يا أبا الروم . هذا أرض أرمانوسة !

عمرو : دعه يا أبا الروم وشأنه ، فوالله لا جناح عليه بعد اليوم .. خبّرنى يا يونس .. هل رآك ذلك الرجل صاحب الزاحلة الدهْمَاء ؟

يونس : لحقني من بعيد ولكنه لم يعرفني إذ أوهمته أنني من الروم ، ثم سلكت طريقا آخر حتى سبقته ..

عمرو : لله أنت من رائد جيش ..

رومانوس : لا غرو فقد خرّجه خالد بن الوليد وضرار ابن الأزور .

عمرو : والله لئن صحَّ يا يونس أن الذى أنذرْتَنا به هو رسولُ أمير المؤمنين ، لأجعلنّ لك عندى جائزةً سنية ..

يونس : اجعل جائزتى يا أمير الجيش أن تكون لى أرمانوسة ..

عمرو : لتكُونَـنَّ لك إن شاء الله يا يونس .. (**ينظر جهة الشمال**) ويلَهُم ما بالُهُم وقفوا فى العُـدْوَةِ الأخرى لا يتحركون ؟ (**ينادى بأعلى صوته**) وردان ! يا وردان !!

وردان : (**صوته من بعيد**) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : ما بالُكُم واقفين هناك ؟ ألم آمركم أن تلحقوا بنا على الأثر ؟

وردان : أيها الأمير ، إن المكان هنا أصلح لنزول الجيش من المكان هناك ..

عمرو : ما أنت وذاك ؟ مرهم جميعاً يعبروا مهبط السيل إلينا ..

وردان : أيها الأمير .. مهبِطُ السيل يفصل بيننا وبين العريش ، فخير لنا أن ننزل دونَه ولا نعبره حتى يبيّتَنا العدوُّ على غِرة .

عمرو : (**مغضباً**) يا عبد السُّوء .. أيُّنا الأمير أنا أم أنت ؟

ابن عمرو : (**صوته من بعيد**) يا أبت لقد صدق وردان .. الرأى رأى وردان ..

عمرو : (**يزداد غضباً**) أنت أيضاً يا ابن ريْطَة ؟ أنت والعبد ؟ يا عبد الله ابن أبى سرح ، يا ابن أبى سرح !!

ابن أبى سرح : (**صوته**) لبيك أيها الأمير ؟

عمرو : أنت على الجيش مكانى .. مرْهُم جميعاً يلحَقوا بنا على الفور ..

ابن أبى سرح : سمعًا وطاعة أيها الأمير ..

عمرو : اسمع يا ابن أبى سرح .. إن اعترضك أحدٌ فاقتله ..

ابن عمرو : (**صوته**) وعلام نعترض ؟ التبعةُ كلُّها عليك .

رومانوس : اعذُرْهما يا أمير الجيش ، فإنهما يجهلان قصدك .

عمرو : وهل كان بوُسْعى أن أعلن لهما قصدى على رءوس الأشهاد ؟ لقد أمرتهما أمرى وعليهما السمع والطاعة ..

رومانوس : طبْ بالًا ، فهاهم أولاء يعبرون مهبِط السيل .

يونس : انظر أيها الأمير .. (**يشير إلى جهة الجنوب**) هذا رجل من القِبْط قد أقبلَ ! .

عمرو : بل هذا صاحبنا أبو رافع قد تزيّا بزيِّهم ..

يونس : أبو رافع ؟

رومانوس : أجل إنه هو .

عمرو : هلم يا مولى رسول الله ، ترى ماذا وجدت ؟

أبو رافع : (**صوته**) أبشِرْ يا أبا عبد الله .

عمرو : أفْصِحْ يا أبا رافع .

أبو رافع : (**يدخل**) وجدت مدينة العريش خالية من حامية الروم ، ليس بها منهم أحدٌ ..

عمرو : الحمد لله .. هذا فأل حسن ..

رومانوس : من أين لك هذه الثياب يا أبا رافع ؟

أبو رافع : ابتَعْتُها من سوق العريش .

رومانوس : ولم يحاول أن يمنعك من دخولها أحد ؟

أبو رافع : من ذا يمنعنى ؟ ليس فيها غير القبط .. يا أبا عبد الله ، ألا تُعْطينى الرسالة التى كتبتها للبطريق بنْيامين ، لأحملها إليه ؟ ..

عمرو : (**فرحًا**) أعرَفْتَ اليوم أين مقرُّه ؟

أبو رافع : لا ، إن أحدًا لا يعرف أين هو ، ولكنى سأبحث عنه فى كل مكان حتى أجده ..

عمرو : ألا تؤجل مسيرك إلى الغد ؟

أبو رافع : يا أبا عبد الله خيرُ البر عاجله .

عمرو : ألا تودِّع أمَّ رافع قبل مسيرك ؟

أبو رافع : لقد ودعتها أمس ، ولا أحب أن أودعها مرة أخرى .

عمرو : خذها إذن وتوكل على الله (**يُخرج الرسالة من بين ثيابه ويناولها لأبى رافع**) .

أبو رافع : أوصيك بأم رافع خيرًا يا أبا عبد الله .

عمرو : طبْ بالًا فهى عندى وأم عبد الله بمنزلة واحدة ..

أبو رافع : جزاك الله صالحةً .. أستودعكم الله .

عمرو : أستودعك الله . (**يخرج أبو رافع**) (**ينادى**) يا عبد الله بن أبى سرح ..

ابن أبى سرح : (**صوته من مكان قريب**) لبيك أيها الأمير .

عمرو : رتِّب الناس على منازلهم فى هذا السهل ، واجعل خيام النساء فى الوسط .

ابن أبى سرح : (**صوته**) حبًا وكرامة ..

(**يدخل عبد الله بن عمرو ووردان**) .

ابن عمرو : ما هذا الذى صنعت يا أبَه ؟ أليس لك دين ينهاك عن هذه السفاهة أو مروءة ؟

عمرو : ألأنى دعوتك ابن رَيْطة ؟

ابن عمرو : لا ، فأنا ابن ريطة حقًا ، ولقد والله أنجبت ولولا هى لكنت قميئًا ، ولكن لأنك شتمت وردان وسميته العبد .

عمرو : أوليسَ هو عبدى ؟

ابن عمرو : (لا يقل أحدكم هذا عبدى وهذه أمتى ، وليقل فتاى وفتاتى) .. هكذا أدَّبنا رسول الله ﷺ .

عمرو : يا بُنَىَّ إن وردان يعرف منزلته عندى ، وليس لك أن تدخل بينى وبينه .

ابن عمرو : فلا تشتُمْهُ إذن أمام الناس .

عمرو : هو الذى دفعنى إلى ذلك ، وهو يعرف ذلك ..

ابن عمرو : أمن أجْل أنه أشار عليك بالرأى السديد ؟

عمرو : ويلك ! ما علمُك أنت بالرأى السديد من غيره ؟ ألأنَّك أسلمت قبلى ؟

ابن عمرو : أما والله إن ذلك لفضلٌ كبير ..

عمرو : يا عُدَىَّ نفسه .. أفلا طلبت إلى أمير المؤمنين فولّاك إمارة الجيش مكانى ؟

ابن عمرو : يا أبت لا أحد ينازعك إمْرة الجيش ، ولكن عليك ألا تَحْقِرَ مشورة أحد من المسلمين .

عمرو : يا بنى .. فقّه الناس فى دينهم إن شئت .. ولكن دعنى وسياسة أمرى .. إنما تعطى مشورتك فى الحرب حين تستشار لا حين تؤمر ، وإلا ضاع الناس .

ابن عمرو : ذاك لو كنا فى حرب ولم نخض حرباً بعد ..

عمرو : بل نحن فى حرب منذ فصلنا من قيسارية .

ابن عمرو : لكن قتالًا لم ينشب بعد .

عمرو : وكأن قَدْ ؟

ابن عمرو : ليس لك أن تستبد برأيك وإلا ضاع الناس .

عمرو : أنت كنت المستبدَّ برأيك إذ عطَّلت أمرى عن النَّفاذ ، وليس ذلك من حقك ..

ابن عمرو : يا أبت ألا تجعل حكماً بينى وبينك ؟ إنك فضَّلت مكانًا على مكان هو خير للمسلمين منزلًا ، وأسلم لهم عاقبة ، وأبعد من عدوهم منالًا ، مع ما قد نالهم من الجهد والكلال . فلو أنزلتهم هناك لأرحْتَهم من اجْتياز مجرى السيل وهم لُغُوب .

عمرو : أتقبل يا هذا أن نحتكم إلى السابقين من صحابة رسول الله ، ممن هم أفضل منى ومنك ؟

ابن عمرو : نعم ..

عمرو : علىّ بأبى ذرٍّ وأبى أيّوب وأبى الدَّرْداء .

الثلاثة : (**أصواتهم**) ها نحن أولاء يا أمير الجيش (**يدخلون**)

عمرو : أوَقَد سمعتم يا صحابة رسَول الله ما دار بينى وبين عبد الله ابن عمرو ؟

الثلاثة : نعم .

عمرو : فماذا ترَوْن ؟

أبو الدرداء : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يكون اللَّعَّانُون شفعاءَ ولا شهداءَ يوم القيامة) .

أبو أيوب : وقال النبى ﷺ : (ليس المؤمنُ بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الفاحش ولا البذىء) .

أبو ذر : وبلغ رسول الله ﷺ ذات يوم أننى عَيّرت فتاىَ بأمه الأعجمية ، فغضب النبىُّ وقال : (يا أبا ذَر ، إنك امرؤٌ فيك جاهلية) ..

عمرو : أستغفر الله مما قلتُ وأتوبُ إليه . ولكن ما تقولون فيما زعم عبد الله بن عمرو أنى أرهَقْتُ المسلمين اليوم باجتياز مجرى السيل .. فهل وجدتم فى ذلك من رهق أو مشقة ؟

الثلاثة : لا والله ما وجدنا شيئًا من ذلك ، ولقد خرجْنا ومعنا نساؤنا لنجاهد فى سبيل الله ونحتمل كلَّ ما يصيبنا من ظمأ ومخْمصة ومشقة ..

عمرو : أليس لى عليكم السمع والطاعة فى كل ما آمركم أو أنهاكم ؟

الثلاثة : بلى علينا أن نطيعك فى المنشط والمكره والعُسْر واليسر ، إلا أن تأمرنا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة .. على ذلك بايَعْنا رسول الله ﷺ .

يونس : (**يدنو من عمرو**) الرجل قد جاء أيها الأمير . (**ينسل خارجاً كأنه يكره أن يراه الرجل**)

عمرو : جزاكم الله خيرًا يا صحابة رسول الله ، فى هذا بَلاغٌ ..

الرجل : (**يدخل**) السلام عليكم ورحمة الله ..

عمرو : وعليك السلام ورحمة الله .. من تكون يا أخا العرب ؟ أتريد أن تنضمَّ إلينا فى قتال الروم بمصر ؟

الرجل : ويحك يا ابن العاص ألا تعرفُنى ؟ أنا عقبة بن عامر .

عمرو : عقبة بن عامر الجُهَنى .. مرحبًا بك يا أخا جهينة ..

عقبة : أنا رسول أمير المؤمنين إليك .

عمرو : مرحبًا برسول أمير المؤمنين .. ويحك يا عقبة أتدرى ماذا ظنّك رائِدى إذ رآك اليوم فى الطريق ؟

عقبة : ماذا ظنَّنى ؟

عمرو : لقد ظنَّك جاسُوسًا للروم علينا ، فأنذرَنى بك ..

عقبة : جاسُوساً للروم ؟ أَلَمْ يعرْف من هيئتى أنى عربىٌّ .

عمرو : يغفر اللهُ لك يا عقبة ! وهل يتخذ الروم جواسيسهم علينا إلا من العرب ؟

عقبة : صدقت يا عمرو .. لكن أين رائدُك هذا ؟ أريد أن أراه .

عمرو : يونس .. تعال يا يونس ...

يونس : لبيك أيها الأمير .. (**يدخل**) .

عقبة : سبحان الله .. هذا عين الفتى الأشْقر الذى سمعته يرطُن فظننته أنا عيناً للروم أو ربيئة .

يونس : أجل ، لقد رَطَنْتُ له بالرومية لأوهِمَه أنى من الروم ، فلا يقصِدُنى بسُوء .

عمرو : ما رأيت كاليوم عجباً .. لقد كنتُ على أن أنزل الجيش هناك بالعدوة الأخرى ، لولا خوف من الجاسوس الذى أنذرنى به يونس اليوم ..

رومانوس : أيها الأمير ، لعل الله قد أراد لنا فى ذلك خيرًا ..

عمرو : الحمد لله الذى أبدَ لَنا بجاسوس الروم رسول أمير المؤمنين ..

عقبة : خذ .. هذا كتاب أمير المؤمنين .

عمرو : (**يفض الكتاب**) كيف تركت أمير المؤمنين .. وأهل المدينة ؟

عقبة : تركتهم جميعاً بخير ، وتركتُ أمير المؤمنين وهو يتجهَّزُ للحج .

عمرو : عجباً ! أتدْرى يا عقبة ما فى هذا الكتاب ؟

عقبة : لا يا عمرو ، وإنما أمرنى أمير المؤمنين ألا آلو جُهْدًا فى الإسْراع به إليك .

عمرو : أيها الناس .. أصْغُوا إلىّ لأقرأ عليكم كتاب أمير المؤمنين .. (**تهدأ الأصوات**) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص . أما بعد إن أدركك كتابى هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع إلى موضعك ، وإن كنت قد دخلت فامْضِ لوجْهك ، واعلم أنّى مُمِدُّكَ والسلام .

أيها الناس .. أيكم يفتينى عن علم ؟ أنحن فى أرض مصر الآن أم فى أرض فلسطين ؟

رومانوس : أنا أيها الأمير أُفْتيك عن علم .. قد خرجنا من أرض فلسطين فنحن الآن فى أرض مصرَ ..

عمرو : إذن نسير فى سبيلنا كما أمرنا أمير المؤمنين ..

الجميع : الحمد لله .. على بركة الله ..

عمرو : أيها المسلمون .. فى أى يوم نحن ؟

الجميع : نحن فى العاشر من ذى الحجة .. هذا يوم عيد الأضْحَى ..

عمرو : يا صحابة رسول الله .. أليْسَ رسول الله ﷺ كان يُحِبُّ الفأل ؟

أبو الدرداء : بلى كان ﷺ يحب الفأل الحسن .

عمرو : فأىُّ فأل أحسن مما نحن فيه ؟ كان أول يوم نبلغ فيه أرض مصر يوم عيد .. هذا بَشير النصر إن شاء الله ، وأوَّل الفتح !!

« ستــار »

المشهد الثالث

فى بيت الهاموك حاكم دمياط

هيلانة : كلا ، لا تأذن له يا هاموك . يجب أن يبقى عندنا ولو يوماً آخر .

الهاموك : ماذا أصنع له يا عزيزتى هيلانة ؟ إنه لا يحب دمياط ، فهو يرى البقاء عندنا كأنه سجن .

المقوقس : لا والله لا أجد الراحة والأنس إلا عندكم هنا فى دمياط ، بعيداً عن متاعب السياسة وأعباء الحكم .

الهاموك : لعل طعامك يا هيلانة هو السبب .

هيلانة : طعامى يا قيرس أصبح لا يعجبك ؟

المقوقس : لا والله يا أختى ، مازال الطعام الذى آكله من يدك أشهى طعام فى الدنيا إلىّ .

هيلانة : فما الذى يعجلك إذن ؟ إننا لم نقض شوقنا بعد منك .

المقوقس : يا هيلانة يا أختى العزيزة ، لو أقمت عندكم شهرًا بأكمله لكان عندى مثل يوم واحد . ولقد والله اختلست هذه الأيام الثلاثة التى قضيتها عندكم اختلاساً .

الهاموك : استكثرتها علينا يا قيرس ؟

المقوقس : معاذ الله ! ولكن ما كان لى أن أبرح حصن بابليون يوماً واحدًا فى مثل هذا الوقت العصيب .

هيلانة : بِتْ هذه الليلة عندنا ، وسافر غدًا فى أول الصباح .

المقوقس : لا أستطيع يا هيلانة . يجب أن أكون مساء غد فى حصن بابليون .

هيلانة : أين شطا وأرمانوسة ليمنعاك ؟

المقوقس : كلا لن يمنعانى . إنهما يعلمان عذرى .

الهاموك : ها هما قد أقبلا .

(يدخل شطا وأرمانوسة) .

هيلانة : أين كنتما ؟ ألا تعلمان أن خالكما سيرحلُ عنا عصرَ هذا اليوم ؟

أرمانوسة : كلا يا خالى .. ينبغى أن تُؤجّل سفرك .

المقوقس : لا أستطيع يا أرمانوسة .

أرمانوسة : ولو ليوم واحد ؟

المقوقس : ولو ليوم واحد .

أرمانوسة : من أجل شطا يا خالى ومن أجلى .

شطا : أجل يا خالى ، من أجلنا نحن الاثنين .

المقوقس : كنت أنتظر منكما أن تكونا عوناً لى لا عوناً علىّ .

شطا : تكلّمى يا أرمانوسة .

أرمانوسة : تكلم أنت يا شطا .

شطا : اعلم يا خالى واعلم يا أبى واعلمى يا أمى ، أن أرمانوسة بنت أرمانوس وشطا بن الهاموك ، قد اتفقا على أن يُعقَدَ زواجهما فى الكنيسة اليوم .

الثلاثة : **(فى صوت واحد)** اليوم ؟

شطا : اليوم أو غدًا أو بعد غدٍ كما تحب يا خالى .. قبل سفرك على كل حال .

هيلانة : فليكن بعد غد يا ولدى حتى نستعدَّ .

أرمانوسة : أو غداً يا خالتي ، حتى لا نؤخّر خالى كثيراً عن سفره .

الهاموك : ما بالك لا تجيب يا أخى البطريق ؟

المقوقس : ماذا أقول ؟ هذه مفاجأة غير منتظرة .

شطا : هذا هو الحل الوحيد لمشكلتنا .

أرمانوسة : ودومنتانوس ، هل نسيتما دومنتيانوس ؟

شطا : هذا الرومىّ الدخيلُ هو الذى دفعنا إلى ذلك !

الهاموك : تريديا ولدى أن تتحدَّاهُ ؟

شطا : نعم .

المقوقس : وهل فكَّرتما فى أمرى حينما قرَّرتُما ذلك ؟ ألم تعلما أن ذلك سيعرِّضُنى لسخط قيصر ونِقْمَته ؟

أرمانوسة : ليس لقيصر أن يتحكَّم أيضاً فى شئوننا الخاصة . أنا لست أمةً له فيهبُنى لدومنتيانوس .

المقوقس : وما حيلتى أنا يا بنتى ؟ لقد طلبك بنفسه لدومنتيانوس ، فهل كان فى وُسْعى أن أرفُض طلبه ؟

شطا : نعم ، كان عليك أن ترفُضَ طلبه .

أرمانوسة : أو تقول له على الأقل إن الأمر فى يدى أنا .

المقوقس : يا ولدىَّ العزيزين ، إنكما لا تعلمان فى أى وَضْع كنت أنا ذلك اليوم . لقد اتَّهمَنى البطريق سرجيوس علنًا فى

مجلس قيصر بأنى أحِنُّ إلى قوْمى القبط ، وأنى أمالِئهُم على الروم . كل ذلك لأنى طالبْتُ برفع الاضطهاد الدينى عن القبْط ومنْحِهم حرية العقيدة ، لئلا ينضمُّوا إلى العرب إذا جاءوا يغزون مصر .

الهاموك : وكيف تخلَّصت من تلك التهمة يا قيرس ؟

المقوقس : قلت لهم : هل تعرفون أحدًا من الروم اضْطَهد القبطَ مِثْلى قط ؟ فكأنما ألقَمْتهم حجراً .

الهاموك : صدقت ! والله إنك لبارعٌ .

المقوقس : أفكان فى وسعى يومئذ أن أرد طلب هرقل ؟ إذن لأثرت الشُّبْهة على نفسى ومكنت سرجيوس والأطربون وتيودور وغيرهم من بلوغ ما يَشْتهون . وإذن لحيل بينى وبين هذا العمل الذى أقوم به اليوم سرًا لتحرير القبط من ظلم الروم ، والمحافظةِ على حقوقهم عند العرب .

أرمانوسة : والله يا شطا إن خالنا لمعذور .

شطا : أجل ، كان له عذره فى القسطنطينية يومذاك ، ولكن ما عذره اليوم ؟ ماذا يخشى اليوم من قيصر ؟ أيخشى أن يعزلَه ؟

المقوقس : نعم .

شطا : ألست تقول إنك تريد أن تكفِّر عن سيئاتك التى ارتكبتها فى حق القبط ؟

المقوقس : بلى ، ومن أجل ذلك أخشى أن يعزلنى هرقل ويقصينى من

مصر ، ويُوَلّى أمرها لأحد قواده الروم ، وربما لدومنتيانوس نفسه .

شطا : (ثائرًا) إذن والله لا ينجو منى أبدًا . لأقتُلنَّه ولو كان بين رجاله .

اهاموك : ماذا تقول يا ولدى ؟ أفَقَدْتَ عقلَك ؟

المقوقس : كنت أظن يا شطا أنك مثلى تكره الروم جميعاً ، فإذا أنت تكره دومنتيانوس وحده .

شطا : كلا لست أكرهه وحده . إنى أكرههم جميعاً . أشتَهى أن أُغمض عينى ثم أفتحها فلا أرى رومياً واحداً على أرض مصر !

المقوقس : إذن فعلينا أن نعمل بحكمة وأناة ، ولا نتهوّر أو نتسرّع فنخسر كل شيء . إنى أمْلك سلاحين ماضِيَيْن فى معركة تحرير القبط هما ثقةُ قيصر وحكمُ البلاد . فكيف تريد منى أن أعلنَ زواجك بأرمانوسة فأخْسر هذين السلاحين الماضيين ؟

هيلانة : اسمع كلام خالك يا شطا ، فإنه أعرف بهذه الأمور منك .

المقوقس : كلا ، إنى أريد أن يقتنع شطا بكلامى لا أن يطيعنى طاعةً عمياء .

شطا : ماذا ترين يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : ثِقْ يا ابن خالتى أنى سأكون لك ولن أكون لغيرك أبداً . وسأنتظرُك مهما يطُلّ الانتظارُ .

شطا : وتبقَيْن هنا عند أمى ؟

أرمانوسة : وخالى يا شطا من ذا يعنى به فى بيته ؟

شطا : لن يطمئن قلبى إلا إذا بقيتِ هنا فى دمياط .

أرمانوسة : أخائف علىّ بعد من دومنتيانوس ؟

شطا : نعم ، من يدرى ؟

أرمانوسة : لا تخف يا شطا ، فإنى أستطيع أن أحمى نفسى .

شطا : إنه يُجيد الغزل ، وأنت تحبين كلمات الغزل !

أرمانوسة : اطمئن يا ابن خالتى .. هذه تدخل من إحدى أذنى وتخرج من الأخرى .

شطا : مازلت أخاف عليك يا أرمانوسة .. من شىء آخر ..

أرمانوسة : من أى شىء ؟

شطا : من حكمة خالى وأُناته !

المقوقس : (**يضحك**) اطمئن يا بنى ، فإن حكمتى وأُناتى ستكونان دائماً لك لا عليك . لا بأْسَ يا أرمانوسة ، ابقى هنا عند خالتك وإن كان بيتى فى أشدّ الحاجة إليك . إن ابن خالتك مُحِبٌّ ، والمحب دائماً ينتحل الأعذار لتكون حبيبته إلى جانبهَ .

أرمانوسة : كلا يا خالى ، إنه لن يقيم معنا فى دمياط .

الثلاثة : (**فى صوت واحد**) ماذا تقولين ؟

أرمانوسة : اسألوه .

شطا : أجل إنى راحلٌ .

الثلاثة : إلى أين ؟

شطا : إلى الفرما .

هيلانة : ماذا تصنع هناك ؟ هناك الحرب . العرب هناك يحاصرونها .

الهاموك : أتريد أن تقاتل معهم ؟

هيلانة : إياك يا ولدى أن تفعل . ليس لى غيرُك يا شطا ، فلا تجعلنى أثكلك .

شطا : كلا يا أماه لن أشترك معهم فى القتال ، ولكنى سأدلُّهم وأرشدُهم وأعاونُهم جَهْدى ، وأدعو الناس إلى مُعَاونتهم بكل سبيل .

الهاموك : وأى فرق بين ذلك وبين القتال ؟ ويلك ! ماذا يكون مصيرى إذا بلغ القيصر أن ابن عامله على دمياط قد انضمَّ إلى أعدائه الغزاة ؟

شطا : اطمئن يا أبى ، فلن يعلم أحدٌ أننى ابنك . سأتَّخذُ لى اسماً آخر لا يمتُّ إلى الهاموك بصلة .

الهاموك : مثلك يا بنىّ لا يمكن أن يخفى أمره هناك ، وللروم عيون وجواسيس فى كل مكان .

شطا : إذن فأيقن يا أبى أن أمرى لن يبلغ قيصر ، إلا وقد شغلته أنباء أخرى أفدح وأخطر .

الهاموك : ماذا تعنى ؟

شطا : أعنى انتصار هؤلاء العرب وهزيمة الروم .

الهاموك : وما يُدريك ؟

شطا : عجباً ! أوَ تشُكُّ يا أبى بعد فى ذلك ؟ ألم تر ما حدث للروم فى الشام ؟ وكيف نفخ فى أهل مصر روح الأمل فى الخلاص ؟ انظر إلىّ .. ماذا ترى يدفعنى إلى مساندة هؤلاء العرب ، وأىُّ شىء يربطنى بهم ؟

الهاموك : اسأل نفسك .

شطا : لا شىء غير الحقد على الروم والرغبة فى الخلاص من حكمهم . هذا وأنا ابن الهاموك عامل قيصر على دمياط ، وابن أخت المقوقس واليه على مصر ، فما ظنُّك بالذين لا يدينون لقيصر إلا بالظلم والاضطهاد من سواد هذا الشعب ؟

« ستــار »

المشهد الرابع

بهو فى حصن بابليون .

المقوقس وعنده قواد الروم فى مصر كأنه يعقد معهم مجلساً حربياً للتشاور .

الأطربون : واحسرتاه على يوم القلزم .

المقوقس : ما مضى فات يا أطربون .

الأطربون : كلا يا سيدى البطريق ، تلك زلّةٌ لا ينبغى أن ننساها أبداً .

المقوقس : لا يستطيع أحد أن يجزم بأنها كانت زلة .

الأطربون : بل كانت زلةً كبيرة .

المقوقس : تذكر أن طلائع الجيش العربى كانت قد جاوَزَتْ العريش يومئذ فى طريقها إلى الفَرَما .

الأطربون : وتذكر أن سفُنَنا وعليها ثلاثون ألفاً كانت متأهِّبَةً يومئذ للإقلاع من القلزم . فلو تركتُمونا لبلغنا ساحل بلادهم قبل أن يبلغ جيشهم الفرما ، وإذن لربَّما سقطت عاصمتهم فى أيدينا قبل أن تسقُطِ الفَرَمَا فى أيديهم .

المقوقس : وما يدريك يا أطربون ماذا كان مخبُوءاً لكم فى صحراء بلادهم ؟

الأطربون : بل كنا سنجدها خاليةً من المقاتلين ، لأن هؤلاء موزَّعون فى بلاد الشام والجزيرة والعراق .

المقوقس : أجل ، لقد أجمعنا على هذا الرأى فى مجلس قيصر ، ولكن ما كان يدور ببالنا يومئذ أنهم سيسبقوننا إلى غزو مصر . أما وقد دخلوا أرضنا فليس من الحكمة أن نتركهم فى أرضنا ونقاتلهم فى أرضهم .

تيودور : هذا واضحٌ جداً يا أطربون لا جدال فيه .

الأطربون : وماذا كان يمنعكم من قتالهم وقد بقى عندكم ثمانون ألف مقاتل ؟

تيودور : أكنت تريد أن نسْحَبَ حامياتنا من مسالحها ؟

أودوقيانوس : أوَمَا تخْشى عليها من القبط ؟

الأطربون : ماذا عساهُم أن يفعلوا وليس معهم سلاحٌ ؟

أودوقيانوس : سلاحهُم فى قلوبهم التي يأكلها الحقدُ علينا أكلًا . ألَمْ تَرَ ماذا فعلوا فى الفرما ؟ ما كان العرب ليقدروا عليها ويقتحموا أسوارها المنيعة ، لولا معاونة أهلها القبط .

الأطربون : أوَقد صدّقتُم هذه الفرية التى اختلقْتموها بأنفسكم ، لتتنصّلُو من تبعة الهزيمة ؟ لقد حاصرها العرب شهراً كاملًا فصبر حماتُها على اللأواء فى انتظار وصول مددٍ منكم ، فلما يَئِسوا من المدد يَئِسوا كذلك من النصر فخرجوا مستقتلين ، فوثب العربُ إلى باب المدينة فملكوه عليهم ثم اقتحموه .

تيودور : يخيَّل إلى أن الأطربون يريد أن يعزُوَ كلَّ هزيمة لحقتنا أو تلحقنا ، إلى مخالفتنا لرأيه السديد .

الأطربون : أجل ، ما كانت الفرما لتسقط في أيدى العرب لو أنكم عملتم برأيي ولم تتركوها بغير مدد .

تيودوز : ليس الرأى أن نقاتل هؤلاء العرب في الصحراء ، فلو أرسلنا المدد إلى الفرما لباد ذلك المدد ولسقطت الفرما كذلك .

الأطربون : هذه كانت الزلة الثانية .

تيودور : عجباً لك يا أطربون . أو تَعُدّ كل رأى يخالف رأيك زلة ؟

أودوقيانوس : وأعجب من ذلك أنه عارض مسير الجيش للقاء العدو في بُلْبِيْس .

تيودور : أجل ، ما زلت يا أطربون تحرّض على حرب العرب تارةً في بلادهم وتارةً في الفرما . فلما أزمعْنا أن نُلاقِيهم دون بلبيس ، قلت انتظـروا حتـى نبـعث إليهم رسلا ليفاوضوهم .

الأطربون : سترون غداً أن ذلك هو وجهُ الصواب .

تيودور : لا غَرْوَ أن تقولَ ذلك لأننا عملنا برأيك .

الأطربون : إنكم لا تعرفون قائدهم عمراً هذا . إنه يقاتل بالمكر والدَّهاء أكثر ممّا يقاتل بالسيف .

تيودور : لهذا تركنا لك أن تتولّى أمرهَ لنرى ماذا أنت فاعل .

الأطربون : سترون غداً ما أنا فاعل .

المقوقس : خبرني يا أطربون ، أليس عمروٌ هذا هو صاحبُك الذى خدعك في حصن أجْنادين ؟

الأطربون : (**في شيء من الامتعاض**) بلى هو بعينه .

أودوقيانوس : خدعك .. كيف خدعك ؟

المقوقس : قصة مشهورة ، ألم تسمع بها قط يا أودوقيانوس ؟

أودوقيانوس : لا والله .

المقوقس : حضر عمرو هذا ذات يوم عند الأطربون فى حصن أجنادين يفاوضه ، فعرف الأطربون أنه أمير جيش العِرب ..

الأطربون : كلا يا سيدى البطريق ما عرفته ، ولكن أحسست من حديثه وسلوكه أنه هو الأمير ، أو من يرجع الأمير إلى رأيه ومشورته .

أودوقيانوس : ولماذا لم تقطع رقبته ؟

الأطربون : بعثت فى أثره من يقتله عند الباب .

أودوقيانوس : فكيف بقى حياً حتى اليوم ؟

الأطربون : (**يفقد صبره**) أوه ! احْكِ له القصة يا سيدى البطريق .

المقوقس : لم يشْعُرْ الأطربون إلا بهذا الماكر يرجِعُ إليه ويقول له .. ماذا قال لك يا أطربون ؟

الأطربون : سيقاطعنى هذا العتلّ الثقيل .

أودوقيانوس : كلا لن أتفوّه بكلمة .

الأطربون : قال لى إنى اقتنعْتُ بحديثك ، ولكن الأمر ليس لى وحدى فنحن عشرة يرجع إلى رأينا أمير الجيش ، فإن شئت جئتُك بهم جميعاً حتى تكلمهم بمثل ما كلمْتَنى فتقنعهم كما أقنَعْتنى ، فإنى لا أستطيع إقناعهم وحدى . فأمرْتُ بالكفِّ عنه حتى يجيء بالتسعة الباقين فأقتلهم جميعاً .

أودوقيانوس : تلك هى الزلة الكبرى يا أطربون . لو كنتُ مكانك لقتلته ولما انتظرت التسعة الباقين .

الأطربون : الآن بعدما علمت أنه خدعنى ؟

أودوقيانوس : ما كان لك أن تأتِيَها ، وأنت عندنا من الموصوفين بالدَّهَاء والمَكْر .

الأطربون : (**ساخرًا فى حنق**) يا عزيزى أودوقيانوس لم يهبْنى الله ما وهبك من الذكاء والفطنة .

أودوقيانوس : إذن فلا تتشامخْ علينا بحكاية هذه القصة ، فإنها تدلُّ على نقيض ما تزعمه لنفسك .

الأطربون : أتريد يا هذا أن تستفزَّنى ؟ إن كلماتك الجوفاء هذه أهون عندى من ذلك .

أودوقيانوس : (**للمقوقس وتيودور**) خبرانى أنتما ، هل تعتقِدَان أن هذا القائد العربى رجلٌ داهية ؟

الاثنان : لا شك فى ذلك .

أودوقيانوس : فكيف إذن وافقتما على إسناد قيادتنا فى حربه إلى الأطربون ؟

تيودور : إنه يعرف الرجل خيرًا منا جميعاً ، فقد كان خصمه فى فلسطين .

أودوقيانوس : المهم أن يغلب خَصْمَه لا أن يعرفه .

المقوقس : لا تستطيع أن تغلب خصمك إلا إذا كنت تعرفه حقَّ المعرفة .

(يدخل جورج قائد الحصن)

جورج : الأسقفان يا سيدى البطريق قد حضرا من بلبيس .

المقوقس : مرحباً بهما .. أدخلهما يا جورج .

جورج : أبا مريم .. حنّا .. ادخلا .

(يدخل أبو مريم وحنا)

المقوقس : خبرانى كيف لَقِيَكما القائد العربى ؟

أبو مريم : حيانا ولقينا أحسن لقاء .

تيودور : وأين لقيكما ؟

أبو مريم : فى خيمة ضربت له خارج بلبيس حيث عسكر برجاله .

المقوقس : أبلّغْتُماه رسالتى ؟

أبو مريم : نعم .

المقوقس : فماذا قال ؟

أبو مريم : قال إن عظيمكم المقوقس ليعلمُ أننا ما جئنا لنستجدى منكم ، وإنما ندعوكم إلى الإسلام . فمن أجابنا فمثْلُنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . قلنا له : ومن لم يجبكم ؟ قال : قاتلناه حتى يحكم الله بيننا وبينه . ثم أخذ يحدثنا أن نبيَّهم محمدا أعلَمَهم أنهم سيفتحون بلادنا ، وأوْصاهم بنا خيرًا لرحمهم فينا وأن لنا بذلك إن أجبناهم ذِمَّةً إلى ذِمَّةٍ .

تيودور : أىَّ رَحِمٍ يَعْنى ؟

أبو مريم : يعنى أن هاجر أم إسماعيل من القِبْط — وإسماعيل أبو العرب — فهاجر أم العرب .

تيودور : فماذا قلتما له ؟

أبو مريم : أتذكر يا حنا ماذا قلنا له ؟

حنا : نعم قلنا له : هذه قرابة ما أبعدها !

(يقهقهون ضاحكين ما عدا المقوقس وجورج)

المقوقس : ثم ماذا ؟

أبو مريم : ثم سألناه أن يُمْهِلَنا حتى نعود إليه بما استقرَّ عليه رأيكم ، فأبى أن يُمْهلنا غير ثلاثة أيام ، فراجعْناه فى المُهْلة فأعطانا يومين آخرين .

أودوقيانوس : إذن فقد انقلبتما رسولَيْن لأقربائكما العرب !

الأسقفان : معاذ الله ! إنما نحمل جواب العرب على رسالتكم .

أودوقيانوس : لا لوم عليكما .. اللوم على من اقترح أن نفاوضَهم حيث كان يجبُ أن نقاتلهم .

الأطربون : أمُتَعَطِّشٌ أنت إلى قتالهم يا أدوقيانوس ؟

أودوقيانوس : نعم .

الأطربون : فاستعدّ للسير معنا الليلة !

الجميع : الليلة ؟

الأطربون : أجل

المقوقس : فيم العجلة يا أطربون ؟ إن لدينا أربعةَ أيام غير اليوم للتفكير والتدبير .

الأطربون : يا سيدى البطريق ، إنى قد فكّرتُ ودبّرتُ من قبل .

أبو مريم : لكن هذا الذى جئنا به يعتبر هُدْنةً ، ولا يصح فى خلالها أن يعتدى أحد الطرفين على الآخر .

الأطربون : أنتما لا يصح لكما ذلك . فأما نحن فلم نرتبط لهم بشىء .

حنا : ليتنا ما طلبنا مدَّ الهدنة ، مادمتم تريدون المسارعة بالقتال .

الأطربون : كلا ، إن هذا الذى فعلتماه لأفضلُ شيء فعلتماه فى حياتكما كلها . لقد بثثتما الطمأنينة فى نفوسهم فلنُبيّتنهم الليلة بغتة وهم لا يشعرون .

أودوقيانوس : مرْحَى يا أطربون . الآن أدركت أنك أصلح من يقودنا فى حرب هذا الرجل .

أبو مريم : هذا غدر لا يليق بنا نحن أتباع السيد المسيح .

الأطربون : أليس ذلك أفضلَ من أن ندع هؤلاء يقْضُون على دين المسيح فى مصر ؟

أبو مريم : كلا إنهم لن يقضوا على دين المسيح فى مصر ، كما لم يقْضُوا عليه فى الشام .

الأطربون : ماذا تقول ؟ أأنت مع العدو وعلينا ؟

حنا : (**كأنه يسرع لنجدة رفيقة**) إن أبا مريم يقصِدُ أن دين المسيح لا سبيل إلى القضاء عليه أبدًا ، لا فى مصر ولا فى غير مصر .

أبو مريم : أجل هذا ما أردْتُ أن أقوله .

الأطربون : لا تحاوِلَا أن تخدعانى فإنى لا أُخْدع .. أنتما خائنان .

أودوقيانوس : أجل هذه خيانة .

المقوقس : رويدك يا أطربون ! رويدك يا أودوقيانوس ! لا حقَّ لكما أن تمسَّا رجال الدين . إن قيصر نفسه ليحترمهم .

أودوقيانوس : قيصر لا يحترم الخائنين !

المقوقس : إن الذى يدعو إلى آداب المسيحية ومُثُلها العليا ، لا يمكن أن يُعتبرَ من الخائنين .

الأطربوْن : لسنَا الآن فى كنيسة فنستمع إلى نصائحهما الدينية . نحن الآن فى حرب مع هؤلاء الغزاة ، فما دخولهما فيما لا شأن لهما به ؟

المقوقس : إن عليهما أن يبشّرا بآداب المسيح حيثما كانا ، داخل الكنيسة وخارجها . ولكما أن تعملا بها أو لا تعملا بها ، هذا شأنُكما أنتما ، ولكن ليس لأحدٍ أن يمنعهما عن القيام بواجبهما أو يلومهما على ذلك .

الأطربون : يا سيدى البطريق ، أوَلستُم قد أسندْتم القيادة إلىّ فى حرب هذا الثَّعْلَب العربى ؟

المقوقس : بلى .

الأطربون : فإنى لا أقبل أىَّ اعتراض لا من رجال الدين ولا من غيرهم . لى عليكم السمع والطاعة ، ولكم على الغلبة والنصر .

« ستار »

المشهد الخامس

دير فى جبال صحراء قوص .

يُرى البطريق بِنْيامين وهو كهْل فى الخامسة والخمسين جميل الهيئة ذو مَهَابة ووقار وعنده القس شُنُودَة والراهبة إنجيلا .

إنجيلا : يا أبانا البطريق ، هذه فرصة ساقها الله إلينا للانتقام من هذا الخلْقِيدُونى المخادِع ، فكيف نُضَيِّعُها ؟

بنيامين : إنجيلا يا أختاه ، دعى الانتقام جانباً وانظرى إلى ما فيه خيرُ جماعتنا القبط .

إنجيلا : خير جماعتنا فى إزاحة عدوّهم هذا المقوقس الطاغية .

بنيامين : اليوم يا إنجيلا ؟ بعدما اختلف الوضعُ ؟

إنجيلا : الوضعُ لم يختلف ، فهو هو عدونا الأكبرُ دائماً أبداً .

(يدخل القَسُّ ميخائيل)

ميخائيل : بالباب زائر عزيز يا أبانا البِطْريق .

بنيامين : من هو ؟

ميخائيل : القائد سنوتيوس .

بنيامين : سنوتيوس القُصَيْرىّ ؟

ميخائيل : نعم .

بنيامين : أهلًا به ! قل له يدخل .

(**يخرج ميخائيل ثم يعود ومعه سنوتيوس متنكرًا فى غير زيّهِ الرَّسْمِىّ**) .

بنيامين : (**مُرَحِّبًا باسطًا ذراعيْه**) أهكذا يرْتَدِى قُوَّادُ الروم اليوم ؟

سنوتيوس : عما قريب يا أبانا البطريق .. عما قريب .

شنودة : لا نريد بقاءَهم فى بلادنا ألبَتّة ، لا بزيهم الرسمى ولا بغَيْره .

سنوتيوس : لا تعجل يا أب شنودة . ما زالَ دونَنا خطوبٌ وأهوالٌ قبل أن تستريح عظام أمى فى قبرها .

إنجيلا : وما شأن المرحومة أمك فى هذا الصدد ؟

سنوتيوس : ألا تدْرين ما شأنها أيتها الأخت المبجَّلة ؟ إنها لما وضعَتْنى من بطنها سمَّتْنى شنودة ، ولم تسمِّنى سنوتيوس .

(**يضحكون**) فاحمدْ ربَّك يا أب شنودة إذ بقيت كما سمَّتْك أمُّك .

بنيامين : إنك دائمًا مَرِح تفيضُ بالبهجة يا سنوتيوس .

سنوتيوس : أجل يا أُبانا البطريق ، حتى لأخشى أن يجىء يومُ الخلاص فلا أجد ضحكةً أطلِقُها مع الضاحكين .

ميخائيل : لا تَخفْ يا سنوتيوس . سأُعيرُك يومئذ ضَحِكاتى .

سنوتيوس : وأنت يا أب ميخائيل ؟ أتبكى يومئذ وتنتحِبُ ؟

(**يضحكون**)

بنيامين : قل لى يا سنوتيوس ، ماذا جاء بك عندنا فى مثل هذا الوقت العَصِيب ؟

سنوتيوس : (فى جد واهتمام) إن الرجل يعرف مَقَرَّكَ !

بنيامين : مَنْ ؟

سنوتيوس : قيرس

الجميع : (فى ارْتِياعٍ) قيرس ؟

بنيامين : (فى ثباتٍ) كيف ؟ عرف ؟

سنوتيوس : لا أدْرى .

إنجيلا : وأنت يا أبانا البِطْريق تدافعُ عنه وتأبى أن تمسَّه بسُوء . أعْلِن لهم خيانَتَه قبل أن يبعثَ زبانِيَتَه للقبْضِ عليك .

سنوتيوس : ماذا تعنى الأخت إنجيلا ؟

إنجيلا : وقعت فى أيدينا وثيقةٌ تُدينه بالخيانة والتواطُؤ مع هؤلاء العرب .

سنوتيوس : هل لى أن أرى الوثيقة ؟

بنيامين : أرها له يا شنودة .

شنودة : (يناولها لسنوتيوس) رسالة كتبها إلى أرمانوسة ابنة أخته .

إنجيلا : بخَطِّ يده .

سنوتيوس : (يتصفح الرسالة) كيف وصلت هذه إليكم ؟

بنيامين : الفضلُ لصاحبنا فى حصن بابليون .

سنوتيوس : القائدُ جورج ؟

بنيامين : نعم .

إنجيلا : ما رأيك فيها أيها القائد ؟

سنوتيوس : يا لَها من وثيقةٍ .

إنجيلا : أليس علينا أن نرفعها إلى قيصر ، لينال هذا الخَلِقيدُونى جَزاء ما اجترحَتْ يداه ؟

سنوتيوس : ذاك لو كنا ظفرْنا بها من قبلُ .

إنجيلا : واليوم ؟

سنوتيوس : كلا يا أختاه . إن الوضع قد تغيّر اليوم .

إنجيلا : أنت أيضاً تقول هذا القول ؟

سنوتيوس : هذه الوثيقة تؤيد لى صدقه وإخلاصه فيما بعثنى اليوم من أجله .

الجميع : هو الذى بعثك ؟

سنوتيوس : نعم .

بنيامين : إلىَّ أنا ؟

سنوتيوس : نعم .

بنيامين : عرف أنك على صلة بى ؟

سنوتيوس : لا أدرى ، ولكنه عيَّن لى مكانك وكلَّفنى أن أحمل هذه الرسالة إليك (**يناوله رسالة**) .

بنيامين : (**يفضّ الرسالة ويتصفَّحُها**) عجيب !

الجميع : ماذا فيها يا أبانا ؟

بنيامين : (**يتلو الرسالة**) إنى أريد أن أُكفِّر عن السيئات التى ارتكبْتُها فى حق قومى القبط . فهل لك يا أخى البطريق الصالح أن تعاوِنَنى على ذلك ، وعلى تحْرير قومِنا من ظلم الروم وطغيانِهم والمحافظة على حقوقهم عند العرب ؟ (**يضع الرسالة بين أيديهم فيتصفحونها مَدْهُوشين**) .

إنجيلا : لا ريب أنه يريد أن يخدعك ويكيد لك .

ميخائيل : كلا يا إنجيلا ، لو أراد ذلك لأوسل زبانيته فقبضوا على أبينا البطريق ، ولما بعث برسالة كهذه تدِينُه هو بخيانَةِ قيصر الروم .

إنجيلا : إن له أساليب فى المكر والخديعة لا يعرفها حتى الشيطان .

بنيامين : أنت لقيته يا سنوتيوس وواجَهْتَه ، أفتراه صادقًا فيما زعم من النّدم والرغبة فى التوبَةِ والتكفير ؟

سنوتيوس : أغلبُ الظن أنه صادقٌ ..

إنجيلا : أغلب الظن ..

شنودة : هذا لا يكفى يا سنوتيوس ..

ميخائيل : هبُوا أنه غير صادق فى ذلك ، أفلا يكْفِينا أنه قد انقلب على سادته الروم وصار يسْعى للقضاء على سلطانهم فى مصر ؟

إنجيلا : ليكون السلطان فيها لسادته الجدد .

ميخائيل : هذا حق ، ولكن سلطان العرب على كل حال أهْوَنُ علينا من سلطان الروم . إنهم لن يضطهدونا فى العقيدة وهذا وحده غُنْمٌ لنا كبير .

سنوتيوس : صدقت يا أب ميخائيل . هذا هو الرأى .

بنيامين : أين الرجل الذى عهدت به إليك يا شنودة ؟

شنودة : موجود يا أبانا البطريق .. أنزلته فى بيت زكريا أخى .

بنيامين : اذهب فأحضرْه الآن .

شنودة : أدخلُ به هنا عندك ؟

بنيامين : نعم ، ما بقى من داعٍ للتخوُّف منه الآن .

(يخرج شنودة)

إنجيلا : أليس الاحتياط فى أمره أفضل بعد ؟

بنيامين : الآن بعدما عرف المقوقس مقرىَّ ، وجاءنى القائد سنوتيوس برسالة من عنده ؟

سنوتيوس : مَنْ يا أبانا هذا الرجل الذى تتحدثون عنه ؟

بنيامين : رجلٌ أمرُهُ عجيب .. عربى يرْتدى الزىَّ القبطى ويزعم أن أصله من القبط ، ويحملُ لى رسالة من قائد العرب .

سنوتيوس : رسالة باسْمِك أنت ؟

بنيامين : نعم .

ميخائيل : ولا يعترف فيها ببطريق للقبط سواه .

سنوتيوس : وكيف اهتدى إلى هنا ؟

ميخائيل : سألناه هذا السؤال فحكى لنا قصة عجيبة .

سنوتيوس : كيف ؟

ميخائيل : قال إن شيخاً كبيرًا من أتْباع أبينا البطريق فى أنْصِنا ، هو الذى دلّه وأوصاه أن يأخذ حِذْرَه من عيون الروم .

سنوتيوس : وكيف عرف هو ذلك الشيخ ؟

ميخائيل : سألناه هذا السؤال ، فحكى لنا قصة أعجب وأغرب .

سنوتيوس : كيف ؟

ميخائيل : قال عن نفسه إنه كان من نقيوس ، فسُبى وهو غلام فى غزو الفرس لمصر وبيع فى أرض العرب ، فكان من حظه

أن مَلَكه النبىُّ فأعتقه النبىُّ . ثم حدثنا أن مولاه النبى اصطفى جاريةً مصرية تدعى مارِيَةَ القبطية فتزوّجَها ، وأن مارية هذه هى التى ذكـرَتْ له اسم هذا الشيـخ ووصفَت له مكانه فى قرية حفن ، وناشَدَتْه إذا ما دَخَل مصرَ أن يبلّغ سلامَها إليه .

سنوتيوس : حقا إنها لَمِن أعجب القَصَص .

إنجيلا : من يدرى ؟ لعله اخترعَها من خياله .

بنيامين : أما زِلْتِ يا إنجيلا فى رَيْب من أمره ؟

إنجيلا : نعم ، يَريبنى فى صدقه أن لسانه يتعثَّرُ باللغة ولا ينطلقُ بها .

ميخائيل : هذا لأنه كان قد نَسِيَها إذ أقام فى بلاد العـرب خمساً وعشرين سنةً ، ولكنَّ نطقَه لها نطق سليم لا يمكن أن يصدر إلا من قبطى صميم .

بنيامين : صه ! ها هو ذا شنودة قد أقبل به .

(يدخل شنودة ومعه أبو رافع فى زى القبط) .

بنيامين : أهلًا أبا رافع .

أبو رافع : الحمد لله إذ وَثِقْتَ بى آخر الأمر ، فأذِنْت لى بالمُثُول بين يديك .

بنيامين : سامِحْنِي يا أبا رافع فيما قَضَتْ الضرورةُ باتّباعه معك ، فإنى أتَنَقَّلُ هكذا من مخْبَإٍ إلى مخبأ منذ عشر سنين . ولولا خوْفى على شُعْلة العقيدة التى أحملُها أن يطفِئَها هرقـل وأعوانُه ، لسلمت نفسى إليهم فاسترَحْت من هذا العذاب الطويل .

أبو رافع : أيها الحبْرُ الجليل ما أجمل هذا التواضُعَ منك . ولا غرْوَ فإن الله تبارك وتعالى يقولُ عنكم فى كتابه العزيز : ﴿ ولَتَجِدَنَّ أقْرَبَهم مَودَّةً للذين آمنُوا الذين قالوا إنا نَصَارَى ، ذلك بأن منهم قِسِّيسِينَ ورُهْبَانًا وأنهم لا يستَكْبِرُونَ ﴾ .

بنيامين : أهذا فى الكتاب الذى أُنزل على نبيكم محمد ؟

أبو رافع : نعم .

بنيامين : ما أحسنه من قولٍ كريم .

أبو رافع : أبشِرْ يا بنيامين . عما قريبٍ تظهرُ على أعدائك وتعود إلى أهل مِلَّتِك وأوْليائك .

« ستار »

المشهد السادس

جانب من معسكر المسلمين خارج بُلْبيس يرى على ضوء النار الموقدة للتدفئة فى المكان شاب راقد على فراشه فى الأرض وعليه أربطة تدل على أنه من الجرحى وقد جلست قريباً منه أم ذر كأنها تسْهرُ عليه ، وفى ركن من المكان ترى أم الدرداء قائمة تصلى . الوقت آخر الليل .

أم الدرداء : (**تسلم من صلاتها**) يا أم ذَرّ ، ألا توقظين أمَّ أيُّوب الساعة لتحلَّ محلك وتستريحى أنت ؟

أم ذر : بعد قليل يا أم الدَّرْدَاءِ .

أم الدرداء : قد آن لك أن تأخذى قسْطَك من النوم .

أم ذر : أحسب أن النومَ قد طار من عينى يا أختاه .

أم الدرداء : ويحك ما الذى أطاره ؟

أم ذر : سرَحَ بى الخيالُ فتذكرتُ إذ كنا بالشام عام أول ، ومعنا أمُّ حَرَام بنت مِلْحان . والله لقد اشْتَقْتُ إلى أم حرام .

أم الدرداء : إى والله إن بنا لشوقاً إليها ، ولكن ماذا أذكرهَا ببالِك الساعة ؟

أم ذر : لا أدْرى .. لعلها تذكرُنا هى الساعة وهى تَتَهَجَّدُ فى بيتها بالمدينة .

أم الدرداء : يقول أبو الدرداء إنه يتوقَّع أن يلحق بنا عبادةُ بن الصَّامِتِ عما قريب .

أم ذر : ومعه أم حرام أم وحده ؟

أم الدرداء : لو أراد المجيء وحده لكان قد لحق بنا من قبل . ولكنه لا ريْب انتظر أم حرام حتى تَتَعَلَّى من نِفاسِها ليأتىَ بها معه .

أم ذر : والطفل الرضيع ؟

أم الدرداء : ستعهدُ به إلى أختها أم سليم ، كما فعلت بأخيه من قبل .

أم ذر : عسى الله أن يأتىَ بها قريباً يا أم الدرداء ، فيجتمع شملُنا مرة أخرى .

أم الدرداء : إن شاء الله . هيا اذهبى الآن فأيقِظِى أم أيوب .

أم ذر : بعد قليل .

أم الدرداء : لا والله لأذهبنَّ أنا لإيقاظِها (**تخرج**) .

أم ذر : (**تنظر إلى شطا**) ويْحَ هذا الشاب القبطى ! ترى ماذا تَصْنع أُمُّه ؟

(**تعود أم الدرداء ومعها أم أيوب وهى تَفْرُك عينَيْها من النُّعاس**)

أم أيوب : هيا اذهبى أنت يا أم ذر فنامى .

(**يدخل أبو ذر وأبو الدرداء وأبو أيوب**) .

أبو ذر : هيه كيف أنتم ؟

أم ذر : الحمد لله .

أبو الدرداء : وكيف جريحُكم ؟

أم الدرداء : ويحه ! .. لا هو يفهم كلامنا ولا نحن نفهم كلامَه .

(يعطى كل واحد منهم لزوجته مُدْيَةً أو خِنْجَرًا) .

الثلاث : ويحكم ما الخطب ؟

الثلاثة : لا خَطْبَ ، ولكن الأمير يتوقع غدرَ العدوِ فى كل لحظة .

(يظهر قيس بن أبى العاص السهمى ووردان) .

قيس : أجل ، أعطاهم عَهْدًا بالهُدْنة وهو يعلم أنهم سيغْدِرُون .

أبو ذر : جئتُما لتحرسَا معنا ؟

قيس : نعم ، هذا ما أمرنا به الأمير .

وردان : والله إن النوم لفى عيوننا لا نستطيع أن نغلبَه .

أبو أيوب : لقد أمركم أن تنامُوا بالنهار لتَسهرُوا بالليل ، فهلّا فعلتم ؟

قيس : يا صاحب رسول الله ، إن الله جعل الليل لباساً والنهارَ مَعاشاً .

أبو ذر : ويحكما ! .. أوَقد شقَّ عليكما سَهرُ ليلة واحدة ؟

قيس : لا والله ما بنا ذلك ، وإنما يعزُّ علينا أن نقف أمام هذه المدينة خمسة أيام لا حق لنا فى اقتحامها ، ثم لا نأمَنُ نحن غدْرَهم خلال ذلك طَرْفَة عَيْن .

أبو ذر : أوليس قد أمْضى أميرُنا معهم ذلك !

قيس : بلى .

أبو ذر : فقد وجب علينا أن نلتزمَ به .

أبو أيوب : هلم بنا .

أم أيوب : إلى أين تذهبُون ؟

أبو أيوب : إلى حيث نحرسُ المسلمين لننذِرَهم إن كان كون .

قيس : سنبيت بالعراءِ يا أم أيوب .

أبو ذر : لِيَبْقَ المسلمون فى خيامهم يا قيس ، فيكون لنا بذلك أجرٌ عند الله عظيم .

قيس : ما كنا لنُحْمَل على ذلك ، لولا هذا العهْد الذى أعطاه لهم .

أبو أيوب : يا ابن أبى العاص ليس الجهادُ هو القتال وحده . إن أفضلَ الجهادِ هو هذا . هو أن تَبيتَ ليلك ساهرًا على المسلمين وأنت فى العَرَاء وهم فى الخِيام .

أبو ذر : هلم يا رِفاقُ .

(يخرج الخمسة)

(تقعد أم أيوب حول الجريح ، وتواصل أم الدرداء صلاتها ، وتخرج أم ذر لتنام) .

(يهتز شطا الجريح وتعروه البرداء) .

أم أيوب : ويحه ماذا به ؟ **(تجس جبينه)** يالله من وَقْدة الحُمَّى .

(تلقى عليه من الأغْطِية ثم تعمَدُ إلى الموقد فترمى الحطب فيه) .

شطا : **(يهذى)** أرمانوسة .. أرمانوسة !

أم أيوب : ويحه ! .. لا أدرى ماذا يريد .

أم الدرداء : **(تسلّم من صلاتها)** دعيه فإنه يَهْذِى من الحمى .

(تدخل ريطة زوجة عمرو بن العاص)

ريطة : هذا أيضاً يَهْذِى بأرمانوسة ؟

أم أيوب : نعم ، أتعرفِين يا أم عبد الله ماذا يريد ؟

ريطة : يريد أرمانوسة .

أم أيوب : وما أرمانوسة ؟

ريطة : هذا اسم ابنة أخت المقوقس . أتعرفين يونس بن مرقص ؟

أم أيوب : ذلك الفتى الدمشقى صاحب رومانوس ؟

ريطة : نعم .

أم أيوب : ما بالُه ؟

ريطة : كان يهذى باسمها أيضاً إذ كان جَريحاً عندنا .

أم أيوب : وسألتموه عنها ؟

ريطة : أخبرنى زوجى أن يونس كان قد رأى أرمانوسة هذه فى بيت المقدس ، فشَغَفَتْه حُبّاً .

(تسمع حركة وضجة من بعيد) .

أم أيوب : وى ما هذا ؟

ريطة : هذه هيصة ! لا ريْب أن كونـــــــاً كان ! **(تهم بالخروج) .**

(يدخل عمرو بن العاص وهو شاكى السلاح ومعه ابن أبى سرح ورومانوس ويونس وعبد الله بن عمرو) .

ريطة : ما الخطب يا أبا عبد الله ؟

عمرو : لا تُرَعْن . إن الروم قد غَدرُوا بنا ، ولكنا كنا قد توقَّعْنا ذلك منهم فلم يأخذونا على غِرة **(للرجال)** دونكم هذا الجانب الذى فيه النسوة والجرحى فاحرسوه ولا تبرحُوه أبداً مهما يكنْ الأمر .

(يخرج مسرعاً) .

شطا : (**يستيقظ من الضجة والجلبة وصهيل الخيل**) ما هذا ؟
أوقد هجم العدو ؟
(**يحاول الجلوس فلا يستطيع**) .

رومانوس : ابقَ يا بنى على فراشك .

شطا : أوقد غَدَرَ الروم ؟

رومانوس : نعم ، وكنا نتوقع ذلك فلم يأخذُونا على غرة .

شطا : (**يتمتم فى حقد وغضب**) تباً لهم ! جبناء ! أنذال !

« **ستـــار** »

المشهد السابع

ميدان فى مدينة بلبَيس ، يرى عمرو بن العاص فى خيمة له وأسرى الروم يعرضون عليه واحداً بعد واحد ، يدخل بهم الجند من باب ويخرجون بهم من باب آخر ، وعنده عبد الله بن عمرو وابن أبى سرح ووردان يساعدونه .

ابن عمرو : لا تُتْعب نفسك يا أبى ، فلن تجدَه فى الأسرى .

ابن أبى سرح : أجل ، لا بد أنه كان فيمن فروا من الميدان .

وردان : أو فى القتلى .

عمرو : ويلكم ! ألم أنذركم تلك الليلة بأنه سيفعلها ؟

الثلاثة : بلى .

عمرو : أفلم تكذّبوا جميعاً ما ظننت ؟

الثلاثة : بلى .

عمرو : فكذلك أُلقِى فى رُوعى اليوم أن اللعين استأسَرَ بين الأسرى ، ليجدَ منى غفلة فيغتالَنى . إنى أعرف كيدَه .

ابن عمرو : يا أبتا إنهم جميعاً مقيّدون فى الحصن الكبير وعليهم حراسٌ ، فماذا تخاف ؟

عمرو : (محتدًا) يا ابن ريطة ليس الخوف ما بى ، ولكنى لا أرضى أن يكيد لى فلا أُخبطَ كيدَه .

ابن عمرو : أكلُّ هذا الرَّهقُ يا أبى من أجل أن تُرِيَنا مكرَك ودهاءَك ؟

عمرو : (**يكظم غيظه**) اللهم ارزُقنى حِلْماً . ويلكم إن كنتم تعبتُم فأخبرونى لآتى بغيركم .

ابن أبى سرح : كلا يا أبا عبد الله ، إن كنت ترغبُ فى المُضِىِّ فإنّا ماضون .

(**يستأنفون عرضَ الأسرى واحداً بعد واحد**) .

عمرو : (**يرَى أسيرًا طويل القامة يُعرض عليه**) نحّوا هذا الطويلَ المائق ويلكم ! ألم آمركم ألا تعرضوا علينا غير الربعة والقصير ؟

ابن عمرو : يا أبى لعله طال منذ رأيته آخِرَ مرة !

عمرو : مثلك يا عبد الله ؟ إذن لهان أمرهُ . ويلك شغَلْتنى بأحاديثك شغلك الله . على رسْلكم أعيدوا عرضَ هذا علىّ !

(**يعودون بأسير كان قد مرّ أمامهم**) .

وردان : أحسبَهُ هو يا أبا عبد الله .

عمرو : إى ورَبِّى إنه لهو يا وردان . أعيدوا سائرَ الأسرى إلى حصْنِهم . هلم يا أطربون !

(**يحرك الأسير يديه كأنه لا يعرف ماذا يقولون ليخدَعَهم عن نفسه**) .

وردان : (**يتمتم**) لكن وجْهَه كان بلا شَعْر .

عمرو : انزعْ يا وردان لِحْيَته .

وردان : أنزعها ؟ كيف ؟

عمرو : خذ بلحيته فاشدُدْها تخرجْ فى يدك .

(ينزع وردان اللحية فتخرج فى يده)

الأطربون : أجل أنا هو يا عمرو ، عدوُّك أمس وعدوك اليوم .

عمرو : لا أكادُ أصدقُ عينى . الأطربون حاكمُ الروم فى فِلَسْطِين وقائد الروم فى مِصْرَ ، يؤخَذُ أسيراً فى ميدان القتال !

الأطربون : وأىُّ بأسٍ فى ذلك ؟

عمرو : **ألا ترى فى ذلك من عارٍ عليك ؟ هلا قاتلت حتى قُتِلت كما يفعل الأبطال ؟**

الأطربون : تبارزُنى يا عمرو ؟

عمرو : الآن وأنت أسيرى ، ماذا يحملُنى على ذلك ؟

الأطربون : جبُنْتَ إذن .

عمرو : جبان واحد يا أطربون ، لا يضير أربعة آلاف شجاع بطل !

الأطربون : ذاك لو لم يكن هو الأمير عليهم .

عمرو : صدقت يا صاحبى ، ولكنى مع ذلك لا أتركُ عدوى يأسِرُنى فى الميدان كما فعلت .

الأطربون : وأى بأس فى أن أؤسر ؟ لست أول بطل يأسره عدوه .

عمرو : ذاك لو كنت الأسير المُعْلَم يا أطربون ولم تكن الأسير النَّكِرَة ، بل كنت أحد رجلين .. فإما جَبُنْت عن الموت أو عجزت عن الفَوْت .

الأطربون : كذبت ، إنك تعلم يا عمرو أن ليس فى جندك من يقدرُ أن يأسِرَنى .

عمرو : فهأنتذا قد أسروك .

الأطربون : كلا ما أسرونى ، ولكنى استأسرْت .

عمرو : عجباً ! ترى ما حَملك على ذلك ؟ لعلك تريد أن تُسْلم إن شاء الله فتكون منا ؟

الأطربون : معاذ الله أن أدعَ دينى لدينك .

عمرو : فما جعلك تستأسر ؟

الأطربون : أردت أن أبرَّ قسمى الذى أقسمْتُه ونحن فى فلسطين .

عمرو : أردت أن تقتلنى غِيلَة ؟

الأطربون : أجل .

عمرو : ما هكذا يصنع الرجل الشجاع . لو شئت لقصدتنى ساعة البَأس فقتلتنى أو قتلتك .

الأطربون : بارزْنى !

عمرو : الآن وقد أصبح فى ملكى أن أقتلك ؟

الأطربون : إذن فاقتلنى وعجّل ، فإنى لم أعُد أحتملُ إذلالك !

عمرو : وماذا أصنع أنا بقتلك !؟

الأطربون : ألم تُقْسم أنت أن تقتلنى كذلك ؟

عمرو : فى الميدان يا صاحبى لا صبْراً وأنت فى الأسْر ، فإنّا لا نقتُل الأسْرَى .

الأطربون : فماذا أنتم صانِعُون بهم ؟

عمرو : سنفادى بهم ، وما أحسَبُ قومَك يبخلُون عليك بدفْع الفِدْية عنك .

الأطربون : (**يستشيط غضباً**) أنتم لصُوصٌ لا همَّ لكم إلا السلبُ والنهبُ .

عمرو : (**ينظر إليه ملياً**) خبِّرْنى يا هذا أأنت رومى صريح ؟

الأطربون : نعم .

عمرو : فما مقامُك ومقامُ قومك فى أرض القبط ؟ أليس لتَنْهَبوا أرزاقَهم ثم تضطهدُوهم بعد ذلك فى عَقيدَتِهم ؟

الأطربون : لا وحياة السيد المسيح لا أدعهم يدفعون لكم عنى أى فدية .

عمرو : إذن أطلقُ سراحَك .

الأطربون : تطلق سراحى ؟

عمرو : نعم .

الأطربون : دون فِدْيَة ؟

عمرو : لتعلم أن المال ليس همَّنا كما تزعم وكما تظن .

الأطربون : (**ينظر إليه فى ارتياب**) ... ؟

عمرو : ولأمر آخر يا صاحبى تهْفُو نفسى إليه ، فهل لك أن تحقِّقَه لى ؟

الأطربون : ما هو ؟

عمرو : أن ألقاك مرة أخرى فى الميدان فأقتلك .

الأطربون : لا تحاول خِدَاعى . لا أصدِّق شيئاً مما تقول حتى تنفِّذَه .

عمرو : (**لرجاله**) اذهبوا بهذا الأسير فأطلقوا سراحه .

الأطربون : وحدى يا عمرو ؟

عمرو : إنى أمرت لابنة أخت المقوقس بهَوْدَج يحملُها ، ورجالٍ يخْفِرُونها فى الطريق . أفتريد يا أطربون أن تكون مثل أرمانوسة ؟

الأطربون : (**يكظم غيظه**) أنا لا أريد من رجالك بل من رجالى . إنى إن رجعت إلى الروم وحدى كان ذلك سُبّة لى عندهم .

عمرو : كم رجلا تريد ؟

الأطربون : ستةً أو سبعةً .

عمرو : أطلقوا معه عَشَرَةً من رجاله .

الأطربون : شكراً .. إلى اللقاء يا عمرو .

عمرو : فى الميدان !

(يخرج الأطربون مع حراسه)

ابن عمرو : ما هذا الذى فعلت يا أبى ؟ تطلق سراحه وقد أمكنك الله منه ، ثم لا يكفيك هذا حتى تطلق معه عشرة من رجاله ؟

عمرو : يا بنى دعنى وسياسة أمرى .

ابن عمرو : لقد أضعت على المسلمين فِدْيَتَهم .

عمرو : ستعلم غداً يا ابن ريطة أنى كسبت بذلك للمسلمين أضعاف ما أضعت .

(يدخل قيس بن أبى العاص السهمى)

عمرو : ما وراءك يا قيس ؟

قيس : شطا وأرمانوسة قادمَان ليستودِعَا منك .

عمرو : أعدَدْت لسفرهما يا قيس ؟

قيس : كل شيء .

عمرو : واخترت الرجال الذين سيرافقونك ؟

قيس : نعم ، خمسة عشر رجلا كما أمرت .

عمرو : أحسنت . (**ينهض لاستقبال القادمين**) . (**تدخل أرمانوسة وشطا وعليه آثار الضعف وهو يتوكأ على عصا ، ومعهما ريطة وخولة بنت الأزور وروما نوس ويونس**) .

عمرو : هل أعدَدْتَ كتابَ المقوقس يا رومانوس ؟

رومانوس : نعم أيها الأمير .

عمرو : هل لك أن تقرأه على ؟

رومانوس : (**ينشر الكتاب**) أما بعد ، فإن ابن أختك شطا بن الهاموك قاتلنا فى الفرمَا مع الروم . فما أغْنى عنهم منا شيئاً فحاقَتْ بهم الهزيمة وتم لنا النصرُ والفتحُ ووقع هو فى أيدينا أسيراً ، ثم وردَت إلينا أرمانوسة ابنة أُختك لتشْفَع له فأطلقْنا لها سراحَه من أجلك أنت ، وسيرناهما إليك محروسين مخفورين والسلام .

عمرو : أحسنت يا أبا الروم . أعْطِ الكتاب لقيس بن أبى العاص .

(**يسلمه رومانوس**)

أرمانوسة : لله أنت أيها الأمير . ما رأيتُ أوسع حيلةً منك .

شطا : أجل ، ما بقى الآن على أبى ولا على خالى من خوف .

عمرو : ونحن بعد يا شطا لن نَنْسى بلاءَك معنا أبداً .

شطا : وددت أيها الأمير لو أنى قاتلت معكم أيضاً فى معركة بلبيس .

عمرو : إن الفرما أهم عندنا من بلبيس ، فالذى يَصْحَر لنا لا يُعْجِزنا ، ولكن الذى يحتمى بالحصون والأسوار هو الذى لا سبيل لنا إليه ، وقد استطعتَ أن تخرجهم لنا من أسوار الفرما فكنت أنت الذى أتحت لنا النصر .

شطا : يا أمير العرب إنى إنما قمت بذلك فى سبيل قومى القبط ، عسى أن تَرْعَوا حقَّهم حينما يدالُ لكم من الروم .

عمرو : ذلك يا شطا ما نحن فاعلون إن شاء الله .

قيس : أتأذنُ لنا أيها الأمير ؟

عمرو : امضُوا على بركة الله .

يونس : أيها الأمير ، إن قيس بن أبى العاص لم يشأ أن يقبلنى بين رجاله .

عمرو : اقبله يا قيس .

قيس : أيها الأمير ، ألا تَرَى هؤلاء الفتيان ؟ إنهم جميعاً يريدون مثله ولا أستطيع أن أقبلَه وأرفُضَهم .

عمرو : (**للفتيان**) ويلكم ماذا تريدون ؟

الفتيان : نريد أن نسير مع قيس لنحرس الهوْدَج .

عمرو : لا قيسُ بحاجة إليكم ولا الهودجُ .

أرمانوسة : (**كأنها تدرك ما يدورُ بينهم من حديث**) يا أمير العرب ما يمنعُك أن تأذنَ لهؤلاء ؟

عمرو : قد اختار قيس رجالَه ، وليس فيهم هؤلاء .

الفتيان : فما بالُ يونس أيها الأمير ؟

عمرو : كلا ما أنتم كيونس . إن يونس يدافع عن الهودج حتى الموت إن كان كون .

الفتيان : ونحن أيضًا أيها الأمير !

عمرو : (**بلهجة حاسمة**) كلا ، لا ينبغى أن يزيد عددهم على خمسة عشر وإلا ظُنَّ بهم أنهم طليعةُ جيش . امضُوا على بركة الله.

(**يخرج قيس وشطا وأرمانوسة ويونس**) .

ريطة : أرأيت يا أبا الروم كيف ذهبت بألْبَاب فتياننا بنتُ فرعون ؟

رومانوس : لا ضيرَ يا أم عبد الله ، كما ذهبت بلبّ أبى الروم بنت بنى أسد !

خولة : (**معاتبة فى دلال**) رومانوس . أقْصِرْ يا رومانوس !

رومانوس : والذى نفْسى بيده إنى لأقولُها مخلصاً من صَميم قلبى . تلك إرادة الله إذ هيأنا لفتْح العالم ووعدنا أن يُظهِرَ دينَه على الدين كله . أن يُنْشِىءَ من مختلف شعوب الأرض على اختلاف ألوانها وألْسِنَتِها أمةً جديدة هى أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس .

(**ينظر الجميع إلى رومانوس معجبين**)

عمرو : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم ! لقد نعتك أمير المؤمنين بالحكمة ، ولقد والله صدق أمير المؤمنين .

« **ستـــار** »

المشهد الثامن

معسكر المسلمين فى قرية أم دُنين على النيل من الغرب وعلى خليج تراجان من الشرق ، وحيث يقوم الحصن الرومانى الذى استولى عليه المسلمون .

الوقت أول الليل . يرى جماعة من نساء المسلمين جالسات حول موقد نار . وأم رافع جالسة بينهن وهن منهمكات فى إصلاح زينتها وتسريح شعرها وتضفيره وتزجيج حواجبها .

أم ذر : أسْرِعْن قليلًا يا نساءَ المسلمين قبل أن يستيقظ الرجال من نومهم .

ريطة : دعينا نُحسِنْ زينتها يا أم ذر . إن هذه ليلة أم رافع وأبى رافع !

أم ذر : لو أقللْتُنَّ من الحديث لأمكنكن أن تحسن زينتها وتسرِعْن كذلك .

ريطة : ويحك يا أم ذر ! وهل يطيبُ لنا العمل إلا بالحديث ؟

أم ذر : لو ذكرتُنَّ الله كان أفضل لكن ..

ريطة : للحديث وقتٌ ، ولذكر الله وقت . وهذه صفية بنت أبى عبيد من قومى فأنا أسألها عن أهلى ومعارفى فى ديار ثَقِيف . فهل ترَيْن بذلك من بأس ؟

أم ذر : لاَ بأس إن شاء الله يا أم عبد الله . أَلَا تعلمْن أين ذهبت أم حرام بنت ملحان ؟

صفية : أنا رأيتُها سارت فى هذا الوجه !

أم ذر : ومعها أم أيوب وأم الدرداء ؟

صفية : نعم .

أم ذر : كيف ، تركْننى وأنا بالأشْواق إلى أم حرام وحديث أم حرام ؟

(**يتضاحكن**)

أم ذر : ماذا يضحِككُنَّ ؟

ريطة : أنت أيضا تُحِبِّين الحديثَ يا أم ذر !!

أم ذر : (**تضحك**) ويحكُنّ ! وهل أنا إلا واحدة منكن ؟ (**تهم بالخروج**) .

ريطة : إذا وجدْتِ أم حَرام وصاحبتَيْها ، فادعِيهِن ليشتركْن معنا فى عملنا وحديثنا .

أم ذر : أجل والله إنه لعمل صالح (**تخرج**) .

ريطة : وحديث صالح !

صفية : خبرينى يا أم عبد الله .. أكثيراً ما يأمرهم أبو عبد الله بنوم النهار وأول الليل ؟

ريطة : لا يا صفية . إنما ذلك عندما يتوقّع غدرَ العدو أو مكيدتَه .

صفية : ماذا يخشى اليوم وقد استولى على هذا الحصن وطرد العدو منه ؟

ريطة : إن العدو قد هدَمَ أسوارَه قبل أن يُخْلِيَه .

صفية : ولكن حالنا اليوم بعد الاستيلاء عليه خير من حالنا قبل ذلك .

ريطة : والله لا أدرى يا صفية . إذا جاء أبو عبد الله فاسأليه . أم رافع ! ما بالك صامتةً لا تنبِسين بكلمة ؟

أم رافع : ماذا أقول يا أم عبد الله ؟ إنى والله لخَجْلى .

ريطة : خجلى ! مِمَّ يا هذه تخْجلين ؟ أوقد خُيّل إليك أنك حقاً عَرُوسٌ مجلوَّة ؟

أم رافع : أنتنَّ اللواتى جعلتُنَّنى كذلك فأشْعَرتُنّنى بذلك .

(تدخل ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب)

ريطة : يا ابنة عمّ رسول الله ، ما هذا الذى بيدك ؟

ضباعة : قليل من الحنَّاء عجنته لأم رافع .

ريطة : لقد كملت إذن .. عروس مجلوة حقاً لا يُعوزُها إلا أن نزفَّها بالدّفُوف إلى أبى رافع . تعالى يا صفية ، ضفِّرى أنت شعرَها وأنا أحنّيها .

ضباعة : كلا يا أم عبد الله ، أنا التى سأحنّيها .. مُدِّى قدمَيْك يا سلمى .

أم رافع : لا والله لا أمد لك قدميّ أبدًا ..

ضباعة : فِيمَ يا سلمى ؟ أتخشَيْن ألا أحسن خِضَابَك ؟ إنى والله لأُحْسِنُه خيراً من المواشطِ .

أم رافع : ما يكون لى أن أدعك تُخضِبين لى .

ضباعة : ويلك يا سلمى ! أى بأسٍ فى ذلك ؟

أم رافع : أنا مولاة رسول الله ﷺ وأنت ابنةُ عمّه ، فأنا مولاتك .

ضباعة : ويلك ! ألم تعلمى أن مولى القوم منهم ؟ هكذا قال رسول الله ﷺ .

ريطة : دعينى أنا أخْضب لها يا أم كريمة .

ضباعة : لا والله .

ريطة : أنا أيضاً أحسن الخِضَاب .

ضباعة : ويحك يا أم عبد الله ! ألم تسمعِى ماذا قالت ؟ فكيف توافِقينَها على ذلك ؟ تزعم أنها مولاة رسول الله ثم لا تعمل بهَدْى الرسول .

ريطة : صدقت يا ضباعة . مدّى لها قدميك يا أم رافع .

أم رافع : لا داعى إلى الحنّاء يا أم كريمة .

ضباعة : مدى قدميك وإلا فوالله لأفرِغَنّه على رأسك .

ريطة : كلا يا ضباعة ، لا تفسِدى ما كنا نصلح فيه منذ المغرب .

أم رافع : يا مولاتى .

ضباعة : ويلك ليس هذا من أجلك أنت بل من أجل أبى رافع . قدميك !

(تمد أم رافع قدميها فتأخذ ضباعة فى خضابها) .

(تدخل الصواحب الأربع أم ذر وأم الدرداء وأم أيوب وأم حرام) .

أم ذر : ألم تَنْتَهين من عملكن ؟ وى ! ما هذا ؟ تخضبنها بالحناء ؟

ضباعة : حتى تكمل زينتها يا أم ذر .

أم ذر : ضباعة ، من أين أتيت بهذا الحناء ؟

ضباعة : جئت به معى من المدينة . أتحبين أن أخضب لك ؟

أم ذر : لا يا ابنة عم رسول الله . نحن فى جهاد لا فى عُرْس .

ضباعة : أما أنا فلا أتركه أبداً . إن زوجى المقداد يحبه ولا يطيق أن يرانى بدون خضاب . وإلا عيَّرنى بالتَّفَل ، وطَفِقَ يذكر لى نساء حضرموت وحبهن للزينة والتطرية .

أم ذر : ويحه أيذكر نساء حضرموت بعد ، وعنده ابنة عم رسول الله ؟

ضباعة : كلا يا أم ذر ، لست أدَعُ له سبيلًا إلى ذكرهن .

أم أيوب : هل لى فى قليل منه ؟

ضباعة : خذى يا أم أيوب .

أم أيوب : لأنامِلِى فحسب .

أم حرام : وأنا أيضاً يا أم كريمة .

أم الدرداء : أنت ما زال أثرُ الخضاب فى يدك يا أم حرام .

أم حرام : لا بأس .. جديد على دارس . إن عُبادة يحب لونه ورائحته .

ضباعة : خذى يا أم حرام .

أم الدرداء : وأنا أيضاً يا أم كريمة .

ضباعة : خذى يا أم الدرداء . إنكن يا نساء الأنصار تحببن الحناء .

ريطة : لعلك يا أم ذر تحبين أن تأتى بهن الساعة ؟

ضباعة : خذى يا أم ذر .

أم ذر : أنا لست أريده الساعة ، ولكن إن بقى عندك شىء من الحناء فأعطينى منه .

ريطة : ماذا تصنعين به يا أم ذر ؟

أم ذر : أدخره عندى حتى يتم لنا الفتح فاخْتَضب به .

ريطة : إذن فسينتظر أبو ذر طويلًا بعد !

(**يتضاحكن**)

أم أيوب : أحقاً يا أم عبد الله أننا سنعبُرُ هذا البحر إلى الضفَّة الأخرى ؟

صفية : معاذ الله .

ريطة : مَنْ أنبأك يا أم أيوب ؟

أم أيوب : سمعت .

صفية : كفانا الله شرَّ ذلك .

ريطة : فيم التعوّذُ يا صفية ؟ إن يُرِدْ الله لنا أن نعبره فسنعبره .

أم الدرداء : ألم يبلغك ما فعل المسلمون يوم فتحوا أبْيض كسرى ، إذ سبحُوا بخيولهم فى البحر ؟

صفية : ويوم الجسر يا أم الدرداء ، ألم يبلغك ما حدث يوم الجسر ؟ (**تدمع عيناها**)

ريطة : يرحم الله أباك يا صفية . لقد اختار الله له الشهادة كما اختار لغيره النصر .

صفية : وأكره شىء إلى أمير المؤمنين ، أن يركب أحد بالمسلمين البحر .

(يظهر رومانوس مقبلًا من خلف الشجرة وإذ يسمع الحديث يتوقف عن المسير) .

أم حرام : يغفر الله لأمير المؤمنين ! إن رسول الله ﷺ لأرأف بالمسلمين من عمر . وكان ﷺ يزورنى كلما ذهب إلى قباء ، فقالَ ذات يوم فى بيْتى ثم استيْقظ وهو يضحك وقال : (**عُرِض علىَّ أناسٌ من أمتى يركبُون ظهْر البحر الأخضر ، كالملوك على الأسِرة . فقلت : يا رسول الله ادْ عُ الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت من الأوَّلين**) .

(يتقدم رومانوس وخلفه يونس)

رومانوس : السلام عليكن .

ريطة : وعليك السلام يا أبا الروم .. ماذا وراءك ؟

رومانوس : قد آن لكنّ أن تأوين إلى داخل الحِصْن .

ريطة : سمعاً يا أبا الروم . هلم يا نساء المسلمين .

(ينهضن ليخرجن)

رومانوس : بالله يا أم حرام ، أعيدى علىّ حديث رسول الله الذى روَيْتِه الآن .

أم حرام : **(عرض علىّ أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر ، كالملوك على الأسرّة . فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت من الأولين) .**

رومانوس : جُزيتِ الخيرَ يا أم حرام .

ريطة : هيا بنا إلى الحصن .

(تخرج النسوة واحدة بعد واحدة)

رومانوس : (ليونس) سمعت حديث النبى يا يونس ؟

يونس : نعم .

رومانوس : لقد كنت أقول لنفسى دائماً : إن الإسلام لا ينبغى أن يخاف من البحر . كيف يخاف دينُ الله من بحْر الله ؟ فالحمد لله إذ سمعت اليوم هذا الحديث ! .. ويلك أمازلت تحمل هذا الصليب فى صدرك ؟ ألم أقل لك أن ترميه عنك ؟

يونس : هديّة منها يا أبا الروم أحمِلُها على سبيل الذكرى ، فأىُّ بأسٍ فى ذلك ؟

رومانوس : هذه شارةٌ لا يحملها إلا النصارى .

يونس : إنها ليست عندى غير تذكار من أرمانوسة .

رومانوس : يونس .. إياك أن تَحِنَّ إلى دينك القديم .

يونس : معاذ الله يا أبا الروم .

(**يقبّل الصليب**) .

رومانوس : وتقبله يا يونس بعد ؟

يونس : إنَّما أشَمُّ فيه ريحَ أُرمانوسة !

رومانوس : يا ليتك تسْلُو حبها يا يونس . لا ينبغى يا ولدى أن تحب بلا أمل .

يونس : حيث يوجد الحب يا أبا الروم يوجد الأمل .

رومانوس : إنك تعرف شطا بن الهاموك ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وتعرف أنه قاتل الروم معنا فى الفَرَما حتى جُرِحَ ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وأنه معنا حتى اليوم وهو فى حصن بَابِلْيُون ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وأنه ابن خالة أرمانوسة ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وأنه يحبها وأنها تحبُّه ؟

يونس : نعم نعم ..

رومانوس : فكيف بالله تحلمُ بها بعد ؟

يونس : سمعت يا أبا الروم بيودوقيا ؟

رومانوس : نعم .

يونس : وعلمت أن أباها قتلها فى مَرْج الدِّيباج ؟

رومانوس : نعم .

يونس : وأن المسلمين صلُّوا عليها ودَفنُوها فى قبرٍ هناك ؟

رومانوس : نعم .

يونس : فقد كنت أحلم بها زمناً بعد ذلك .

رومانوس : كنت تحلم بلقائِها فى الجنَّة يا يونس .

يونس : أليس الله بقادر يا أبا الروم أن يُهْبِطَ الجنة إلى الأرض ؟

رومانوس : يونس .. إننا على أبواب عالم جديد ، ونحن يا يونس بُناة ذلك العالِم الجديد ، فلا ينبغى أن ندع هذه الصغائِرَ تشْغَلُنا عن ذلك الهدف الكبير .

يونس : (فى أسى) ويل الشَّجىِّ من الخَلىِّ !

رومانوس : ها هم أولاء قد أقبلوا .

(يخفى يونس الصليب بين ثيابه)

(يدخل عمرو وابن عمرو وعبد الله بن عمر والمقداد ابن الأسود وعبادة بن الصامت) .

عمرو : آه لو جاءنا مدَدُ أمير المؤمنين اليوم ، إذن لانكشَفَتْ عنا هذه الغُمَّة .

المقداد : ليس لنا أن نعتمد اليوم على هذا المدد .

عمرو : ألم تخبرنى يا أبا عمرو ، أن أمير المؤمنين قد عهد إلى الزبير ابن العوام أن يندب الناس ليكونوا معه فى المدد الكبير إلى مصر ؟

المقداد : بلى .

عبادة : وكان ذلك قبل أن تفصل من المدينة بزمن .

عمرو : فما الذى أخر قدوم الزبير حتى اليوم ؟

المقداد : القحْطُ الذي حدَّثْتُك عنه يا أبا عبد الله ، والذى بدأ يشتدّ فى بلاد العرب .

عمرو : ذلك أحْرَى أن يدفعهم إلى التعجيل بالرحيل .

المقداد : والظَّهْرُ يا عمرو ! أليس يحتاجُ هذا المددُ إلى الظَّهر ؟

عبادة : أجل ، لا ريْب عندى أن الذى عاقَهُم عن المسير إنما هو قِلَّة الظهْر وصعوبة الحصول عليه .

عمرو : (**يشير إلى النيل**) انظروا .. إنى لا أخاف إلا من هذا البحر ..

المقداد : أن يجيئَك العدو منه ؟

عمرو : بالليل ونحن نائِمون أو غافلون .

عبادة : فقد نمنا اليوم بالنهار ، فلن ننام طول الليل .

عمرو : لكن عددنا قليلٌ ، فكيف نحرس هذا البحر الطويل ؟

المقداد : قاتلهم الله ! لقد هدَمُوا الأسوارَ التى كانت حول الحصن .

ابن عمرو : أهذا حصن أمُّ دِنِين الذى كبَّدْتَ المسلمين ما كبَّدتَهم من أجله ، وقلْتَ لنا إننا هالِكون إن لم نستَوْلِ عليه ؟

عمرو : أجل . لو لم نستول عليه لكنا بعرض هلكة .

ابن عمرو : فهل كفانا الآن شر الهلكة ؟ هل وجدنا فيه الأمن الذى نبتغيه ؟

عمرو : أجبه يا أبا الروم ، فإن صدرى يضيقُ بجداله .

ابن عمرو : إن كنت لا تريد أن تستشيرنا ، فعلام جمعتنا ؟

عمرو : أجبْه يا أبا الروم .

رومانوس : يا أصحاب رسول الله ، ينبغى أن تعلموا أنَّا بإزاء ثعْلب ماكرٍ حُوَّلٍ قُلَّب .

ابن عمر : تعنى الأطربون ؟

رومانوس : أجل . فأميرنا يسير وراءه خطوةً خطوة ، ليحبِطَ ما يكيد وينقُضَ ما يُبْرِم .

ابن عمرو : لو كان قتله يوم بلبيس لأراح المسلمين من شرّه ، ولكنه أطلق سراحه دون فِدْية فأضاع على المسلمين فديته ، واستبقى لهم عداوته ومكره وغدره حتى اليوم .

عمرو : يا بنى ! إنى لأُوثرُ أن أقاتِلَ الرجل الداهيةَ الواسع الحيلة على أن أقاتِلَ الرجلَ الخامل البليد . فعسى أن أستخرج

ما فى رأس الداهيَة فأتّقى مكايده ، بخلاف الخامل البليد الذى لا تعرف أين تجده وأين لا تجده .. ثم إن إطلاقَ سراحه على تلك الصورة قد غضَّ من مَقامِه عند الروم وجعلَهم لا يكُفُّون عن تعْيِيره بأنه ليس لى بنِدّ .. وسيحمله هذا على المبالغَةِ فى ضُروبِ الكيد والحيلة ، فيقع بذلك فى مزالِقَ تُودِى به إن شاء الله !

ابن عمر : لله أنت يا أطربون العرب !

عمرو : أتدرون إلى إلام كان العلجُ يريد أن يدفَعَنا ؟

القوم : إلى إلام ؟

عمرو : إلى حيث يريد أن يدفعنا عبد الله ابن عمرو .

ابن عمر : إلى الرِّيف ؟

عمرو : أجل ، لنجِدَ أنفسَنا بين الترع والقِنىّ وقد حِيل بين بعضِنا وبعض ، فيتخطَّفونا من كل جانب ، ويبلُغوا منا ما يشتَهُون .

ابن عمرو : فهلا سلكْتَ بنا سبيلًا آخر غير الريف وغيرَ أم دنين .

عمرو : لم يكن أمامنا دون هذين غير الصحراء نعود إليها ونلوذُ بها ، أن يأتِينا المَدَدُ من أمير المؤمنين .

ابن عمرو : إذن لكانَتْ أهْدى سبيلًا من أم دنين .

ابن عمر : كلا يا عبد الله بن عمرو ، لا ينبغى أن ننكِصَ على أعْقابِنا فنُجرّىءَ علينا العدو .

ابن عمرو : فقد جرأنا العدو علينا الآن بما قلّ من عددنا على أثر هذه المعركة التى قُتِل منا فيها خلقٌ كثير .

رومانوس : إن قُتِلَ فيها كثير منا فقد قتل فيها منهم أكثر . ولا يُجرِّىء العدو عليك مثل فِرارك .

ابن عمرو : إنّا نريد يا أبى أن نعرف الآن ماذا نحن فاعلون بعد أن استولينا على أم دنين ؟

المقداد : أجل يا أبا عبد الله .

عمرو : إنى ما جمعتكم إلا لذلك . لا محيص لنا من العبُور إلى الضّفة الأخرى .

ابن عمرو : أفكان استيلاؤنا على أم دنين من أجل أن نتخذَها معْبراً إلى الضفة الثانية ؟

عمرو : أجبه يا رومانوس .

رومانوس : كلا لم يكن ذلك هدفنا فى أول الأمر ، ولكن لما وجدناهم هدموا الأسوار وأدركنا أن الأطربون يريد أن يبيّتنا من جهتى البر والبحر فى وقت واحد ، رأينا أفضل لنا أن نعبُرَ إلى الضفة الثانية فنخرج من هذه الورْطة التى نحن فيها ، ونشغل جندنا بالقتال فى أرض سهلة .

عبادة : وما يدريكم أنها أرض سهلة ؟

عمرو : قد مرّ بها أبو رافع حين صعد إلى أعْلى الوادى وحين هبط راجعاً ، فحدّثنا أنها أرض سهلة خصْبة يقال لها الفَيّوم ، كثيرة الغِياض والآجام تحيطُ بها أرض صحراوية نستطيع أن نلجأ إليها عند الضرُورة .

عبادة : ولكن كيف نعبر هذا البحر ؟ من أين تأتون بالسفن ؟

عمرو : إن أراد الله بنا خيراً وفَّق أبا رافع فى مهمته .

رومانوس : لقد تأخر أبو رافع أيها الأمير . كان ينبغى أن يعود إلينا عند سقوط الليل .

عمرو : صدقت . آه لو كنت أحسِنُ الرومية .

ابن عمرو : ماذا كنت تصنع يا أبى ؟

عمرو : لانطلقْت أبحثُ عنه .

صوت : (**يسمع من خلفهم**) أنا أحسنُ الرومية أيها الأمير .. (**يراع الجميع**)

عمرو : ابنُ حذافة ! . ويلك أكنت تسمع حديثنا ؟

ابن حذافة : (**يدخل**) نعم كنت مختبئاً خلفكم أتسمَّع .

عمرو : ويلك ! ما حملك على ذلك ؟ هلا انْضمَمْت إلينا من أول الأمر ؟

ابن حذافة : لكى تعلموا أن للشجر آذاناً تسمع .

عمرو : صدقت .

ابن حذافة : أين أذهب لأبحث عن أبى رافع ؟

ابن عمرو : ها هو ذا أبو رافع قد أقبل !

عمرو : الحمد لله .

أبو رافع : (**يدخل**) أبشِرْ يا عمرو .

عمرو : ماذا وراءك ؟ هل لقيتَ الأُسقُفَ صاحب بنيامين ؟

أبو رافع : نعم ، أتدرى ماذا قال لى ؟ قال لى : لو أمرنا البطريق بنيامين أن ننقُل لكم حجر المقطّم كله لنقلْناه .

عمرو : والسُّفُن ؟

أبو رافع : ستكون هنا الليلة فى الثلث الأخير من الليل .

الجميع : الليلة ؟

أبو رافع : نعم .

عمروٌ : كم عدد السُّفُن ؟

أبو رافع : كثير .. جميع البحارة فى هذه الناحية سيأتون بسفنهم فتحملُكم وخيولكم إلى البر الآخر .

عمرو : هات رأسك يا مولى رسول الله أقبله (**يقبل رأس أبى رافع**) يا قوم قبلوا رأس هذا الذى أنقذ المسلمين !

ابن حذافة : (**يعترض دون أبى رافع**) على رِسْلكم يا قوم . تكفيه قبلَةُ الأميرِ . دعُوه ينطلقْ إلى أهله فإنه لم يلْقَهَا منذُ أربعة أشهُر .

القوم : ويحك يا ابن حذافة . نريد نحن أيضاً أن نقبّلَ رأسه .

ابن حذافة : إن ابيْتُم إلا أن تعْبَثُوا برأس ، فدونكم رأسى قد تطوَّعْت به لكم فقبّلوه !

(**يضحكون**)

« **ستـار** »

المشهد التاسع

بهو كبير فى حصن بابليون ..

يرى المقوقس وعنده الأطربون وتيودور وغيرهما من قواد الروم .

الأطربون : جمعتنا اليوم أيضاً لنفاوض وفد العرب ؟

المقوقس : نعم ، يجب قبل حضورهم أن نتفق على شىء . أطيعونى يا قوم والذى يُحْلَفُ به ، لو أن هؤلاء استقبَلُوا الجبالَ لأزالوها وما يقوى على قتالهم أحد .

الأطربون : أتدعونا إلى التسليم لهم ؟

المقوقس : بل إلى الصُّلح الذى عرَضُوه . إنهم يحاصروننا من كل جانب وقد ملكُوا علينا مدينة مصر ، فنحن فى الضيِّق وهم فى السَّعَة . ولولا هذا المدُّ لاقتحموا خنادقنا التى تحمى الحصن . وهذا المد لن يبقى طويلًا فإنه يوشك أن ينحَسِرَ .

أودوقيانوس : إذا انحسر جعلنا فى الخنادق حَسَكَ الحديد .

المقوقس : أطيعونى يا قوم ، لئن لم نغتَنِمْ صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل ، لم يُجيبُونا بعد اليوم إذا أمكنتْهم الأرضُ فانْتَشَروا من موضعهم إلى حيث يريدون .

الأطربون : لعلك اشترطت أن يحضُرَ عمرو على رأسهم هذه المرة ؟ .

المقوقس : ما اشترطت ولكن رَجوْتُ .

الأطربون : لماذا لم تشترط ؟

المقوقس : لا يصح .

الأطربون : وهل يصح له أن يبعث ذلك العبْدَ العِمْلَاقَ على رأس وفده ، ليُرْهبَك بطوله وسواده ؟

المقوقس : قد رأيت يا أطربون كيف أنكرت عليهم ذلك يومئذ فأخْجلونى بجوابهم ، إذ قالوا إن الرجل عندهم بصلاحه وكفايته وأمانته وليس بلونه أو منظره أو هَيْئَتِه . ثم أخجلنى ذلك الأسودُ حين تحدث معى فبَهَرَنى بعقله وحكمته وحِلمه وتُؤدَتِه .

الأطربون : والله لا أدرى علام نجتمع بهؤلاء بعد ؟ ليس لديهم غير الثلاث الخِصالِ التى يرددونها : الإسلام أو الجزية أو القتال .

المقوقس : فلْنَخْتَرْ اليوم أفضلَها لنا وأهونَها علينا .

الأطربون : لا شكَّ أن أهونَها الإسلامُ !

المقوقس : معاذ الله يا أطربون . لا ندعُ دينَنا وندخلُ فى دين غيره .

الأطربون : لم لا ؟ إنه لن يكلِّفَنا شيئاً بل سيمنحُنا أشياء .

دومنتيانوس : أيها المسْتَخِفُّ بدين المسيح ، لأرفعَنّ أمرَك إلى القيصر .

الأطربون : (فى جزع) رويدك يا دومنتيانوس وحياة قيصر ليس هذا عن استِخْفافٍ .

دومنتيانوس : تيودوسيوس . لِمَ تنظر شَزْرًا إلىَّ ؟

تيودوسيوس : (فى استخذاء) شزراً ؟ لا والسيد المسيح .

دومنتيانوس : ما خطبك ؟

تيودوسيوس : لا شيء يا أخي لا شيء .

دومنتيانوس : (**للأطربون**) هيه ماذا قصدت إذن ؟

الأطربون : أن نعلن لهم إسلامنا رَيْثما يخرجون من أرضنا ، ثم نعودُ إلى ديننا بعد ذلك .

المقوقس : كلا يا أطربون . من ارتَدَّ عن دينه لحْظةً فقد ارتدَّ إلى الأبد .

الأطربون : ومن ذلَّ لعدوه مرة فقد ذل له إلى الأبد .

المقوقس : إن ذُلًّا يا أطربون أهونُ من ذل .

الأطربون : بل الذل درجة واحدة .

المقوقس : كلا ، لأن تدفَعُوا لهمْ فى العام دينارًا أو دينارين وأنتم آمِنون على دينكم وعلى أنفسكم وأموالكم وذراريكم ، خيرٌ من أن تصِيرُوا عبيداً تباعُوا وتمزَّقُوا فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهلوكم وذراريكم .

الأطربون : أليس خيراً من ذلك يا سيدى البطريق أن نقْبُرَهم فى أرض مصر ، أو نخرجهم منها صاغِرين ؟

المقوقس : بلى ، لو كان لكم بهم طاقة . ولكنكم قاتلتُمُوهم فغلبوكم فى كل مرة .

الأطربون : ما كانوا ليغلِبُونا لو لم يكن بيننا المخذّلون والمعوّقون ودعاة الهزيمةِ والتسليمِ .

المقوقس : من ذا تعنى يا أطربون ؟

الأطربون : أعنى مَنْ أعنى !

المقوقس : أسألكم بالله يا قوم ، أخذَّلْتُكم عن الخروج للقاء العدو فى عَيْنِ شمس أم حرَّضْتكم عليه ؟

الجماعة : بل حرَّضتَنا أشدَّ تحْريض .

المقوقس : والأطربون أكان فى المُحَرِّضين أن فى المُخَذِّلين ؟

الجماعة : كان فى المخذلين .

الأطربون : أتسمُّون ذلك تخذيلًا يا قوم ؟ إنما كنت أدعوكم إلى مطاوَلَتهم حتى يكلّوا أو يملّوا أو يحدث فى خلال ذلك أمر .

المقوقس : عجباً لك يا أطربون ! إنك تعرفُ هؤلاء العرب من عهد الشام ، أفتراهم من الذين يكلّون أو يملّون ؟

الأطربون : قلت : أو يحدث فى خلال ذلك أمر .

المقوقس : أىُّ أمر يحدث ؟

الأطربون : ما كانت لتحيقَ بنا تلك الهزيمة المُنْكَرة على كل حال .. الهزيمة التى لم يُسْمَع بمثلها من قبل .

تيودور : لو كنت أنت الذى قدْتَ المعركة يا أطربون ، لما بالَغْت فى تَهْويل هذه الهزيمة . إنها ليست بأُكبَرَ من هزيمتك فى بلبيس من قبل .

الأطربون : ما خسِرْنا فى معركة بلبيس غير ألِف قتيلٍ وثلاثةِ آلافِ أسيرٍ . فكَمْ خسرتم فى معركة عين شمس ؟ سبعة آلاف قتيلٍ غير ألوف الأسْرى ، وغير مدينة مصر التى سقطَتْ فى يد العدوّ بغير قتال ، وغير أثْريب ومُنُوف وما بعد أثْريب ومُنوف .

دومنتيانوس : كلا لن أدَعهم يستولُون بعدهما على شِبْر واحد . لأُرابِطَنّ بنقْيوس فلأُحولَنّ دون تقدم العدو صوبَ الشمال .

تيودوسيوس : أتريد أن تترك الفيّوم وتذهب إلى نقيوس ؟

دومنتيانوس : أريد ؟ إنى قد تركت الفيوم وأنا فى طريقى إلى نِقْيُوس .

تيودوسيوس : دون أن تستأذِنَنى ؟

دومنتيانوس : وهل استأذَنْتَنى أنت إذ تركتَ الفيومَ لِتَشْتَرِكَ فى هزيمة عين شمس ؟

تيودوسيوس : ما خطبك اليوم يا دومنتيانوس ؟ أنت حاكمُ المدينة وأنا حاكم الإقليم كله .

دومنتيانوس : احكم المدينة أنت أيضاً ، فقد نزلْت عنها لك .

تيودوسيوس : أنت لا تملك ذلك .

دومنتيانوس : هل يملك قيصر ذلك ؟

تيودوسيوس : قيصر يملك كلَّ شىء .

دومنتيانوس : إذن فسأكتب إلى قيصر فيوافِقُنى على ما أريدُ .

(يسكت تيودوسيوس)

الأطربون : أتراني يا تيودور قد بالغْتُ فى تهويل هزيمتكم فى عين شمس ؟ لقد أصبح العدوّ بفَضْلها يُحيطُ بنا من كل جانب من الجنوب ومن الشمال ومن الشرق .

أنستاسيوس : لو أنصفْتَ يا أطربون لاعترفْتَ بأن هزيمة عين شمس كانت من عملِ يدِك .

الأطربون : من عمل يدى ؟ ما سمعت والله فِريةً أجرأ ولا أوضحَ . لقد كنتما أنت وتيودوسيوس على الخيل يوم المعركة ، فهل كنتُما تتلقيَّانِ الأوامر منى أم من تيودور .

الاثنان : بل من تيودور .

الأطربون : فكيف يزعمُ أنستاسيوس أن الهزيمةَ من عمل يَدِى ؟

أنستاسيوس : أنت غَزلْتَ خيُوطَها يوم هزيمتك فى بلبيس ، ثم نسَجْتَها يوم هزيمتك فى أمِّ دِنين ، ثم فصَّلْتَها وأكملْتها يوم تركت عَمْرًا يعْبُرُ بجيشه وخيله من الضِّفَّة إلى الضِّفَّة مرتين .

تيودور : مَرْحَى يا أنستاسيوس !

تيودوسيوس : لقد أصبت كبِدَ الحقيقة !

الأطربون : رُويدكم . لو كان صاحبكم هذا يُجيدُ فن القتال كما يجيدُ فنَّ الكلام ، لرُبَّما أنقذكم من الهزيمة ذلك اليوم .

أنستاسيوس : أنا أدْمَغُك بالحقيقة ، وأنت تروغُ منها بالسُّخْرية !

الأطربون : لقد جمعتم إلى العجز والضَّعف الجهالة والغرور . وإلا لأدركتم ما انطوت عليه معركة أم دنين من عبرة وعجب . لقد خسِرَ عمروٌ فيها من رجاله ما لم يخسر فى سائر معاركه مجتمعة .

تيودوسيوس : ومع ذلك تركته ينتزع منك الحصن وكان فى وسعك أن تمنعه .

الأطربون : يا هذا لقد رأيته فى ضعفٍ وقِلةٍ من رجاله يومئذ ، ورأيته يستميتُ للاستيلاء على الحصن فعرفت أنه يريد التحصُّن به ريثما يأتيه المددُ المنتظر ، فرأيْتُ أن أُخلِّيَه له بعدما

هدمت الأسوار من حوله لأتركهُم ليلة أو ليلتين ثم أبيّتهم من البر والبحر معاً ، فأُبيدَهم على بَكْرة أبيهم .

تيودور : فهل أبدْتَهم على بكرة أبيهم يا أطربون ؟

تيودوسيوس : أم خدعك وعبر بجيشه وخيله إلى الضفة الغربية ؟

الأطربون : ما كان ليفعل ذلك لو لم يكن له بيننا جاسوس ، هو الذى أنذره .

أودوقيانوس : أجل هذا حق ، وإلا فكيف استطاع أن يتصل بنقيب الملّاحين حتى حشد له جميع تلك السفن ؟

المقوقس : من الإنْصاف يا قوم أن تعرفوا للأطربون فضله ودهاءَه فى هذا الذى رسم وقدّر ، وأن تَعْذُرُوه فيما أَخْطأه من النجاح .

أنستاسيوس : حقاً لا بأسَ أن نعذُرَه فى هذه المرة الأولى ، ولكن كيف نعذره فى المرة الثانية !

تيودوسيوس : آه لو حيلَ بين عمرو وبين المدد الكبير الذى جاءه ، إذن لكان لنا معهم شأنٌ آخر .

أنستاسيوس : فرصةٌ لا تعوَّض ، أضاعها الأطربون إلى الأبد .

تيودور : انظروا إلى غفْلته إذ تهيَّب الحامية التى تركها عمرو بحِصْنِ أم دنين ظنّاً منه أنها حاميةٌ قوية ، ثم اتَّضح فيما بعد أن ليس فى الحصن سوى ثلاثة رجال وثلاث نساء .

الأطربون : كلا والله ما تهيّبت تلك الحامية ولو شئت لهاجَمْت الحصن فاستردته ، ولكنى تركته عمداً لأوهِمَ عَمْرًا أننى اتَّقيْتُ مهاجمة الحصن هَيْبة لمن فيه فيرجع حين يرجع

من خلاله . فإذا هو يعبر من مكان آخر فى النيل ، وإذا قصده من وضع الحامية القليلة فيه أن يُوهِمَنى بأنه محتاجٌ إلى الحصن ليعبر فى الرجعة من خلاله . وهكذا تَرَوْن يا قوم أن هذا الرجل كالثَّعْلب ، بل هو أمكر .

تيودور : إذن فلا لوم علينا فى هزيمة عين شمس . لقد كان الثعلب يحاربنا بكل دهائه ومكره . ألم تَرَ كيف أوهمنا أنه يقاتلنا بجميع جيشه ، فلما اشْتبكنا معه فى القتال إذا كتيبتان له تنقضَّان علينا فجأة إحداهما من الجبل والأُخرى من أم دنين .

الأطربون : أيها القائد الأعلى هذه ليست من المكرِ والدهاء فى شىء ، ولكنها براعةٌ فى أساليب الحرب وفنون القتال .

تيودور : (فى غيظ) هذا عيبُك يا أطربون .. تزعم لنفسك الامتيازَ على غيرك دائماً حتى فى الهزائم .

الأطربون : أيها القائدُ الأعلى . إن الهزائم لتتفاوت أيضا كما تتفاوت أقْدارُ الرجال . (**يدخل أحد الحجاب**)

الحاجب : معذرة أيها السادة ، هذا السجّان يستأذِنُ عليكم .

المقوقس : دعه يدخل . (**يدخل السجان**) ماذا وراءك ؟

السجان : النّقِيب الخائن يا سيدى البطريق يريد أن يعترف .

المقوقس : نقيب الملّاحين ؟

السجان : نعم .

المقوقس : (**ينظر فى وجوه الحاضرين**) ماذا تَرَوْن أيها السادة ؟

الأطربون : هاتوه هنا لنسمع جميعاً اعترافه .

المقوقس : أحضره هنا .

(**يخرج السجان**) .

أودوقيانوس : عجباً .. لقد وُضع فى العذاب عشرين يوماً فلم يتفوَّه بكلمة واحدة . تُرَى ماذا دهاه اليوم ؟

الأطربون : من حسن الحظِّ أنكم لم تقتلوه ، وإلا لمضى بِسرِّه إلى الأبد .

أودوقيانوس : أجل ، لقد كان خطأً منا أن قتلنا الأول .

الأطربون : تُرى من يكون الجاسوس الذى اتخذه عمرو ؟

أودوقيانوس : لا شك أنه من هؤلاء القبط .

دومنتيانوس : لم لا يكون من الرُّوم يا أودوقيانوس ؟

أودوقيانوس : كلا يا أخى هذا محال .

دومنتيانوس : لم لا ؟ أليس من الروم ذلك الذى اخْتطف خطيبتى أرمانوسة فى طريق بلبيس ، وفرَّ بها على جواده ؟

(**ينظر إلى الأطربون**) .

الأطربون : يا أخى قد شرحت لك هذا الأمر من قبل . أنا أوعزت إليه بذلك لمّا رأيت القتال قد نشب بيننا وبين أولٰئك العرب ، لأحمِيَها من خطر المعركة .

دومنتيانوس : هيه أوَقَدْ ظننْتنى صدقت أكذوبتك ؟ إنما دَبَّرت اختطاف أرمانوسة من القافلة لتلصق التهمة بحُماتِها العرب . ولولا ذلك الفارس العربى الذى استنقذها من المجْرم الرومى ، لكان الله وحده يعلم ماذا كان يكون مصيرُ أرمانوسة ؟

المقوقس : رويدك يا دومنتيانوس . هذا أمْرٌ قد مضى وانقضى فلا ينبغى أن تثيره مرة أخرى . والحمد لله إذ سَلِمَت أرمانوسة من السُّوء .

دومنتيانوس : والله لولا خاطرك يا خالى البطْريق لرفعت هذا الأَمرَ إلى القيصر .

المقوقس : كلا يا ولدى .. لقد أوضح الأطربون أنَّه لم يكن يريد بها إلا خيرًا ، ومن حقه علينا أن نصدِّقه .

الأطربون : شكرًا يا سيدى البطريق .

(يعود السجان ومعه رجل كَهْلٌ من القبط عليه آثار العذاب) .

المقوقس : اسمك مَتّى ؟

الرجل : نعم .

المقوقس : قلْ ما عندك .

متى : إنكم وعدتُمونى بإطلاق سَراحى إن أخبرتُكم باسم الذى أوعَزَ إلى بما فعلتُ ؟

الأطربون : نعم .

متى : أتحلِفون لى بذلك ؟

الأطربون : نعم أحلف لك بذلك .

متى : احلفوا أنتم جميعاً .

أودوقيانوس : أيها الكلْبُ . ألا تصدّق السيد الأطربون ؟

متى : أبونا البطريق الأكبر بنيامين هو الذى أمرنى بذلك ، وليس لى أن أعْصِىَ أمرَه .

أودوقيانوس : ألم أقل لكم إن هذا كلَّه من عمل ذلك البطريق ؟ لقد تركناه بُرْهة فاغترّ واطمأنّ . فلنستأنف البحث عنه بكل سبيل حتى نجده فنقطع رأسه .

تيودوسيوس : أجل لا فائدة من ضرب الحيَّةِ ما لم يَقطع رأسها .

أنستاسيوس : أعلنوا جائزة كبيرة لمن يأتيكم برأسه .

المقوقس : كلا يا قوم ، أتريدون أن تثيروا القبط علينا ثورة عمماً والعدو بين ظهرانينا ؟ إذن لا نثبت لهم ساعة من نهار .

تيودوسيوس : ألا ترى كيف يحرّض علينا القبط ؟

المقوقس : هذا دأبه منذ كان ، وقد كنا نتغافل عنه أحياناً إيثارًا للعافية وما يغزو البلاد أحد ، فكيف وبيننا اليوم هؤلاء الغزاة ؟

(**ينظر إلى الأطربون كأنه يدعوه إلى الموافقة**) .

الأطربون : لقد صدق السيد البطريق .. دعونا نسأل هذا الرجل من الذى أبلغه أمر البطريق بنيامين ؟

أودوقيانوس : (**للرجل**) أجب .

متى : قد أخبرتكم باسم الذى أمرنى ، وليس علىّ أن أخبركم باسم آخر .

الأطربون : إذن فخذوه وعذبوه حتى يموت .

متى : أترجع فى كلامك ؟ ألم تحلف لى بذلك ؟ أم أنت ممن لا يؤمنون بالله ؟

الأطربون : إنك لم تخبرنى بعد باسم أحد .

متى : قلت لك البطريق بنيامين .

الأطربون : إنك لم تزدنا علماً ، فنحن نعلم أنه عدونا الأول وأنه هو الذى يثير الناس علينا منذ كان . فإن كنت تريد الحياة فأخبرنا باسم الذى أبلغك أمر بنيامين .

متى : كلا لا أفعل أبداً .. عذبونى ما شئتم أو اقتلونى إن شئتم ، فلن تسمعوا من فمى ذلك الاسم أبداً أبداً أبداً ..

الأطربون : سوقوه معى إلى البحر ، فإنى أعرف كيف أستلّ ذلك الاسم من لسانه .

أودوقيانوس : هلمُّوا أيها السادة اشهدوا معنا هذه التجربة .

(ينهض الجميع ويخرجون خلف متى ما عدا شطا ودومنتيانوس) .

دومنتيانوس : ألا تحب أن تشهد التجربة معهم ؟

شطا : إنى اشمئزُّ من ذلك .

دومنتيانوس : وكذلك أنا .. أين أرمانوسة ؟ أريد أن أراها .

شطا : سأدعوها لك إن شئت **(يهم بالخروج)** **(تدخل أرمانوسة)** .

دومنتيانوس : أهلا نوسة !

أرمانوسة : **(فى احتجاج ودلال)** ما هذا ؟ اسمى أرمانوسة !

دومنتيانوس : وقتى قصير يا نوسة لا يتسع لاسمك كله .. يكفينى بعضه .

أرمانوسة : لو كنت تحبنى حقاً لما ضقت باسمى .

دومنتيانوس : يا ليتنى كنت ابن خالتك فأكون دائماً معك **(ينظر إلى شطا)** إذن لزدت فى طول اسمك ولما دعوتك إلا أرمانوسة بنت أرمانوس .

(ينسلّ شطا خارجاً فى ضيق وغيرة) .

أرمانوسة : كلام جميل ! آه لو كان سلوكك مثل كلامك .

دومنتيانوس : كلامى تسمعينه الآن لا حرج ، ولكنّ سلوكى لا سبيل لك إلى معرفته إلا إذا تزوّجْتنى .

أرمانوسة : الآن صار كلامك مثل سلوكك !

أدوقيانوس : كلاهما مهذَّب ؟

دومنتيانوس : آه من صوتك العذب . يغفر كلَّ ذنب ويمسح كل عَتْب .

أرمانوسة : متى جئت من الفيوّم ؟

دومنتيانوس : الساعة على الفور .

أرمانوسة : تريد أن ترابط فى نقيوس ؟

دومنتيانوس : أكنت تسمعين حديثنا ؟

أرمانوسة : من خلف تلك الستّارة .

دومنتيانوس : لماذا لم تدخلى وتشهدى المجلس ؟

أرمانوسة : لا أحب أن يغار بعض الناس .

دومنتيانوس : من ؟

أرمانوسة : خطيبى ؟

دومنتيانوس : إياى تعنين ؟

أرمانوسة : وهل لى خطيب غيرك ؟

دومنتيانوس : لعل لك حبيباً غيرى .

أرمانوسة : لا يصح أن يكون حبيبى غير خطيبى .

دومنتيانوس : أين صليبى ؟

أرمانوسة : صليبك ؟

دومنتيانوس : الصليب الذى أهديته إليك ؟

أرمانوسة : (**تدرك من عينه أنه قد عرف كل شىء**) قدمته ليونس .

دومنتيانوس : يونس ؟

أرمانوسة : ذاك الفارس العربى الذى أنقذ حياتى لك .

دومنتيانوس : لى أنا أم لشخص آخر ؟

أرمانوسة : تبّاً لك .. ماذا تقول ؟

دومنتيانوس : أرينى الصليب الثانى الذى عندك .

أرمانوسة : (**تخرجه من باطن صدرها**) هذا ؟

دومنتيانوس : صليب شطا ابن خالتك ؟

أرمانوسة : نعم ، أهداه إلى حين زرتهم فى دمياط .

دومنتيانوس : كان هذا الصليب معك أيضاً يوم القافلة ؟

أرمانوسة : فِيمَ كلّ هذه الأسئلة ؟

دومنتيانوس : أجيبى .

أرمانوسة : نعم كان معى .

دومنتيانوس : (**يتنفس الصعداء**) إلى الآن لم تكذبينى فى شىء .

أرمانوسة : (**فى ارتياع**) وكيف عرفت ؟

دومنتيانوس : المحب يعرف عن حبيبه كل شىء .

أرمانوسة : الحمد لله .

دومنتيانوس : (**فى ثورة مكبوتة**) إذن فلماذا تخلصت من صليبى واحتفظت بهذا الصليب ؟

أرمانوسة : (**تلحقها روعة ثم تتماسك**) أنت تغار من شطا يا دومنتيانوس . صرّح بما فى نفسك .

دومنتيانوس : أجل . أنت تحبينه .

أرمانوسة : ابن خالتى فكيف لا أحبه ؟

دومنتيانوس : بل تريدين أن تتزوجيه .

أرمانوسة : دومنتيانوس ! إن كنت استبطأت زواجنا وأردت أن تَتنصّل من الخِطبة ، فصارِحْنى .

دومنتيانوس : (**ينظر إليها ملياً**) لماذا اخترت صليبى فأعطيته ليونس ؟

أرمانوسة : لأنى نذرت ذلك اليوم أن أهب له أعزَّ شىء عندى .

دومنتيانوس : (**بين التصديق والتكذيب**) أعز شىء عندك .

أرمانوسة : أجل ، ألست تراه جديراً بذلك ؟

دومنتيانوس : إذن فتعالى معى إلى نقيوس .

أرمانوسة : لأرابط معك فيها وأتعرض فيها لأخطار الحرب ؟

دومنتيانوس : (**فى اهتمام**) بل لنكون قريباً من الإسكندرية ، فنبْحر منها إلى القسطنطينية .

أرمانوسة : القسطنطينية .

دومنتيانوس : هذا سِرٌّ بيني وبينك .. أنا لا أخاف أحدًا ، ولكننى لا أريد أحداً أن يعرف . لقد ضاق صدرى بهذه البلاد وأهلها الذين يُكِنُّون لنا الحقد ، وبهذه الحرب التى لم نكسب فيها ولا معركة واحدة . لقد وضح الأمر يا أرمانوسة . لم يبق للروم مقام فى مصر ، فلنرحل عنها قبل أن يفوت الأوان فنجد أنفسنا عبيداً للعرب . إنك

تعرفين مكانتي عند قيصر فلن يؤاخذني على شيء .. إن العمر يمضي يا أرمانوسة فدعينا نعش على ضفاف البُسْفُور في سلام .

أرمانوسة : أنت تحب البسفور يا دومنتيانوس ، وأنا أحب النيل .

دومنتيانوس : لكنِ النيل كما تَرَيْن ليس فيه سلام .

أرمانوسة : غداً يسود على ضفافه السلام (**تنظر من الشباك**) هاهم أولاء قد عادوا ومعهم وفْدُ العرب .

دومنتيانوس : أجل .. أليس عجيبًا أن يغلبنا هؤلاء البدو ؟

(تنسحب أرمانوسة ويخرج دومنتيانوس ليلحق بالقوم) .

(يدخل المقوقس والآخرون ومعهم عشرة من وفد العرب يتقدمهم رومانوس وعبادة بن الصامت وعبد الله ابن عمرو وأبو رافع . فيرحب بهم المقوقس ويدعوهم إلى الجلوس فيجلسون) .

المقوقس : أين أميركم عمْرُو بن العاص ؟ لماذا لم يحضر معكم كما وعد ؟

رومانوس : إن أميرنا حريص على أن يتم السلام بيننا وبينكم ، ولذلك لم يحضر .

المقوقس : وكيف ذلك ؟

رومانوس : قد وصل إلى علمه أن فيكم من أعدَّ له مكيدة لاغتياله (**ينظر إلى الأطربون فيطرق الأطربون**) .

المقوقس : معاذ الله ! نحن المسيحيين لا نستحِلّ الغدر .

رومانوس : لولا حرصه على السلام لحضر .

المقوقس : ولو حضر لما وجد بيننا غير السلام . أيكم أمير الوفد ؟

رومانوس : أنا اليوم أمير الوفد .

المقوقس : رومى يرأس وفد العرب .. هذا عجيب .

رومانوس : ليس بعجيب عند المسلمين . إن الإسلام قد سوَّى بيننا ، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

الأطربون : (**يومئ إلى عبادة**) ألم يكن هذا أمير وفدكم فى المرة السابقة ؟

رومانوس : بلى .

الأطربون : فقد قيل يومئذ إنه أفضلكم ، وأنه المقدَّم عليكم .

رومانوس : أجل ، إنه لأفضلنا رأياً وعلماً وأقدمنا صحبة للنبى .

الأطربون : فكيف لم تجعلوه رئيسكم اليوم ؟

رومانوس : إن أميرنا بلغه أنكم تنظرون إلى الألوان وتؤثِرون بعض الأجناس علىٍ بعض ، فانتخب لكم هذا الوفد لتختاروا الجنس الذى يعجبكم واللون الذى يروق لكم . وقد ظن أنكم تميلون إلى الجنس الرومى واللون الأبيض ، فاختارنى رئيساً للوفد . فإن لم أعجبكم فاختاروا من شئتم من هؤلاء فيكون هو الرئيس الذى يمضى معكم الاتّفاق . (**ينظر الجميع مشدوهين فاغرى الأفواه**) . (**يواصل حديثه**) هذا وهزر من الفرس ، وهذا أصْحبة من الحبشة ، وهذا وردان من الأرمنَ ، وهذا أبو رافع من القبط .

الجميع : من القبط ؟

رومانوس : أجل من القبط من مدينة نِقْيوس . وهذا عبد الله ابن أمير المؤمنين .

الجميع : ابن أمير المؤمنين !

رومانوس : كأىّ واحد منا لا فرقَ بينه وبين أحد من المسلمين ، وهؤلاء الأربعة عبادة وأبو ذر وأبو الدرداء وأبو أيوب من كبار صحابة النبى عليه السلام . وأنا كما تعرفون كنت حاكماً على بُصْرى لقيصر ، فهدانى الله لدينه فصرت من المسلمين .

المقوقس : هل لك يا رومانوس أن تختار لى رئيسكم ؟

رومانوس : حباً وكرامة .. هذا عبادة بن الصامت الذى اختاره أميرنا من قبل .

المقوقس : أحسنت يا رومانوس .

رومانوس : والآن أيها السيد البطريق علام عوّلتم ؟

المقوقس : رأينا أن نمضى الاتفاق معكم ، ولكن بشرط .

رومانوس : ما هو ؟

المقوقس : أن يكون نفاذه معلَّقاً على رضا القيصر به . وإلى أن يجىء جواب القيصر من أرض الروم تتوقف الحرب بين الفريقين ويبقى كل فريق حيث هو .

(يتسارّ عبادة وررومانوس هنيهة) .

رومانوس : قد قبلنا أيها البطريق ، على أن يكون نفاذه معلَّقاً كذلك على موافقة أمير المؤمنين .

« ستــار »

المشهد العاشر

القصر الكبير بالقسطنطينية .

يرى هرقل جالساً مع مارتينة على العرش وعنده سرجيوس والمقوقس وأودوقيانوس ودومنتيانوس .

سرجيوس : ألم تقل عن المسلمين إنهم لو أرادوا أن يزيلوا الجبال لأزالوها .

المقوقس : بلى قلت ذلك .

سرجيوس : كأنك ترى أن دينهم هو الدين الحق .

المقوقس : لو كنت أرى ذلك لأسلمت ، ولما وقفت هذا الموقف المهين .

سرجيوس : هذه كلمة كبيرة لا يقولها عنهم إلا من يؤمن بدينهم .

المقوقس : أو مَنْ يؤمن بقوّة إيمانهم . لقد شهدت يومئذ حادثاً لن أنساه مدى الحياة ، وهو الذى أنطقنى هذه الكلمة .

مارتينة : اقصصْ علينا ما حدث يا قيرس .

هرقل : أجل ما حدث .

المقوقس : كنت يا مولاى القيصر أطلع من أعلى الحصن ذات يوم على الأرض التى أمامنا ، فإذا رجل طوال أسود يصلى فى العراء بخشوع ، وحصانه واقف بقربه كأنه يصلى معه ، وإذا جماعة من حرس الحصن قد خرجوا ليغتالوه وهو

ساجد . فهممت والله أن أصيح بهم ليكفُّوا عنه ، وإذا هو قد هبَّ فوثب على حصانه فى سرعة البرق وشهر سيفه فى وجوههم فولّوا مدبرين ، وجعلوا يلقون مناطقهم وحليتهم فى طريقه ليشغلوه بها عن طلبهم ، فما نجّاهم منه إلا الحجارة التى أُلقيت عليه من مجانيق الحصن .

مارتينة : حادث رائع حقاً وددت لو شهدته معك !

المقوقس : انتظرى يا مولاتى حتى أكمل لك القصة .

مارتينة : هل بقى منها شىء ؟

المقوقس : بقى منها ما هو أروع . لما رآهم دخلوا الحصن ورأى الحجارة تقذف عليه ، عطف جواده فسار به هوناً حتى بلغ ذلك الموضع الذى كان يصلى فيه فنزل عن فرسه وعاد إلى صلاته وخشوعه ، ولم يلتفت إلى ما أُلقى فى طريقه من المناطق الثمينة والحلية ، ويخرج رجالنا إلى متاعهم يجمعونه فتركهم ولم يلق إليهم بالًا وقد غاب فى صلاته عمَّا حوله .

سرجيوس : إنما قلت هذه الكلمة لرجالنا ، لتقنعهم بقبول الصلح مع العرب .

المقوقس : أجل ، لقد كنت حريصاً على عقد هذا الصلح لأنه يعطينا هدنة نتنفّسُ فيها الصُّعداء ، ولا يلزمنا آخر الأمر بشىء إلا بعد عرضه على مولاى القيصر وموافقته عليه .

سرجيوس : هذا كان رأيك أنت وحدك . أما الآخرون فكان لهم رأىٌ آخر فى هذا الصلح .

المقوقس : علام إذن وقَّعوا عليه ؟

سرجيوس : أجب يا أدوقيانوس .

أودوقيانوس : كانوا مكرهين على ذلك ، إذ كانوا يعلمون أنك باطش بهم إن لم يفعلوا .

المقوقس : فهم إذن جبناء . والله لئن خافوا بطشي وأنا شيخ كبير أعزل لا سلاح لى إلا السلاح الذى فى أيديهم ، إنهم من بطش أعدائهم لأخوف !

مارتينة : لقد اتضح الآن أن المقوقس ليس مسئولًا وحده عن الصلح الذى عقده مع العرب ، فإما أن تعاقبهم جميعاً يا مولاى القيصر أو تسامحهم جميعاً .

سرجيوس : هذا ما كنت أخشاه . لقد سحركم ببيانه حتى أوهمكم أنه برىءٌ وأن الآخرين هم المذنبون . وإنه ساحر يقلب الحقَّ باطلًا والباطل حقاً من حيث لا تشعرون .

المقوقس : إنى أعيذ مولاى القيصر ألا يُميِّز بين الحق والباطل . إنها إذن لكارثة .

هرقل : أكنت تريد منى يا سرجيوس أن أحكم عليه بالموت ، دون أن آذن له بالمثول بين يدى لأسمع ما عنده ؟

سرجيوس : إذن للقى جزاءه يا مولاى قبل أن ينفث فينا سحره .

المقوقس : بل خشيت على باطلك أن تنسفه صولة الحق .

سرجيوس : إذن فهات ما عندك يا أدوقيانوس .

أودوقيانوس : (**يخرج رسالة من بين ثيابه فيناولها له**) هاك يا سيدى البطريق .

هرقل : ما هذا ؟

سرجيوس : هذا دليل الخيانة الذى لا ينقضه سحر ساحرٍ . لقد أطلعنى عليه أودوقيانوس لأرفعه إلى مولاى القيصر ، فقلت له : اطْوِه عندك فما ينبغى لمثل هذه الفضيحة الشائنة أن تنسب جِهاراً إلى رجل كبير المقام من رجال الكنيسة ،وإلا ضاعت عقيدة الناس فى الكنيسة . ولكن الخائن تمادى فى غيِّه ، فلتحلّ به الفضيحة ولتنزل عليه اللَّعنة . (**يناول الرسالة لهرقل**) هذا يا مولاى كتاب من قائد العدو بعثه إلى قيرس .

هرقل : (**ينظر فى الرسالة**) علىَّ بالترجمان العربى . (**يخرج الحاجب ثم يعود بالترجمان العربى**) اقرأ هذا الكتاب (**يناوله الرسالة**) .

الترجمان : من عمرو بن العاص أمير العرب إلى المقوقس عظيم القبط . أما بعد ، فقد أتانى كتابك وفهمت ما فيه ، وقد وافقت على مطلبك الذى طلبت فاسْعَ سَعْيك حتى تحملهم على الاتفاق معنا على دفع الجزية ، ولك علىَّ عهد الله حينئذٍ أن أجعل لك ملك القبط مستقلًا عن سلطان الروم ، وأن أوالى من والاكَ ، وأعادى من عاداك . والسلام .

هرقل : ما تقول فى هذا يا قيرس ؟

المقوقس : مولاى ، قسماً بالكتاب المقدس ما جاءنى هذا الكتاب ولا أعلم شيئاً عنه . وقد رأيت تحاملهم علىَّ فليس بعسير عليهم أن يزوّروه .

سرجيوس : مَنْ ذا يستطيع أن يزوّر مثل هذا الكتاب بلغتهم ؟
هرقل : ماذا ترى فى الكتاب يا ترجمان ؟ هل يمكن أن يزوّره أحد من الروم ؟
الترجمان : كلا يا مولاى ، هذا أسلوب عربى مبين لا يمكن أن يكتبه غير عربى .
المقوقس : إذن فلعل قائد العرب وهو ذو كيد عظيم ، قد كتب هذا الكتاب ليكيد لى به عندك فتعزلنى فيخلو له الجوُّ . فاسأل يا مولاى من جاء به كيف وصل إليه ؟
أودوقيانوس : وقع فى يد الأطربون يا مولاى فأرسلنى به إليك .
المقوقس : وكيف وقع فى يده ؟
أودوقيانوس : بصُر الأطربون ذات ليلة برجل من القِبْط يتسلَّلُ نحو مقرِّك فى الحصن ، فارتاب به فأمسكه فوجد معه هذا الكتاب .
المقوقس : فعلام لم يخبرنى به ؟
أودوقيانوس : رأى أن يرفعه إلى قيصر ليعاقبك على خيانتك .
هرقل : الآن أدركت لماذا أمضيت ذلك الصلح مع العرب .
المقوقس : مولاى هذه مكيدة دبّرها الأطربون ورفاقه .
سرجيوس : تارة تقول دبَّرها قائد العرب وتارة تقول دبرها الأطربون .
هرقل : الآن ثبتت عليك خيانة الدولة يا قيرس .
سرجيوس : وخيانة الدِّين كذلك . لقد أراد أن يسلِّم مصر لأعداء دين المسيح .

(تنظر مارتينة إلى دومنتيانوس نظرة ذات معنى) .

دومنتيانوس : مولاى القيصر ، هذا الكتاب مزور على البطريق قيرس .

أودوقيانوس : (يثور فى وجهه) كذبت . إنك تدافع عنه من أجل حبِّك لأرمانوسة . آثرت حبَّك لهذه القبْطية على الولاء لقيصر .

دومنتيانوس : وإذا أعلنت لكم الآن أننى أصبحت لا أحبُّها ، وأن كل شىء بينى وبينها قد انتهى ؟

أودوقيانوس : كلا إنك لم تزل تحبها ولكنهم هم الذين رفضوك ، فأردت بدفاعك هذا أن تستميلهم إليك .

هرقل : ويل لك يا قيرس ! ألم آمرك بأن تزوجها لدومنتيانوس ؟ أفعصيت أمرى ؟

المقوقس : معاذ الله يا مولاى أن أعصى أمرك .

أودوقيانوس : قد عصى أمرك يا مولاى فيما هو أعظم .

هرقل : فلم لم تزوِّجوها له حتى اليوم ؟

المقوقس : لولا غزو العرب للبلاد لكان هذا الزواج قد تمَّ منذ شهور ، ولكن أرمانوسة لم تشأ أن تقيم عرسها والبلاد فى مأتم .

أودوقيانوس : بل أبت هى أن تتزوَّجه لأنها تريد أن تتزوَّج ابن خالتها شطا ابن الهاموك .

هرقل : ويل لها ! كيف جرؤت على ذلك ؟ كيف جرؤت على تحدِّى أمرى ؟

دومنتيانوس : كلا يا مولاى القيصر ، إنها لم تأب أن تتزوجنى ولكنى علمت أن ابن خالتها هذا كان يحبُّها فرأيت أن أتركها له ، فهو أحقُّ بها منى .

هرقل : دعنى إذن منها ، لا شأن لى بما بينك وبينها ، ولكن كيف زعمت أن هذا الكتاب مزوَّر ؟

دومنتيانوس : عندى الدليل على ذلك يا مولاى القيصر .

أودوقيانوس : هيهات !

هرقل : ما دليلك ؟

دومنتيانوس : الرجل العربى الذى كتبه .

هرقل : ماذا تقول ؟

دومنتيانوس : قد أحضرته معى يا مولاى ، فهل أدعوه ليدخل ؟

هرقل : أسرع به .

(يخرج دومنتيانوس ثم يعود ومعه ربيعة بن أميَّة بن خلف وهو سكران يتطوَّح) .

ربيعة : هل أنا الساعة فى حضرة القيصر ؟

دومنتيانوس : أجل يا ربيعة .

ربيعة : عِمْ صباحًا يا قيصر الروم يا أعظم ملوك الأرض . تريد أن أخبرك بالحقيقة ؟ احْمِنى أولًا من بطش هذا الرجل وأعوانه .

(يومئ إلى أودوقيانوس) .

هرقل : قد حميتك يا ربيعة . فهل تعرف هذا الرجل ؟

ربيعة : هو الذى أمرنى فكتبت له جواب عمرو بن العاص إلى المقوقس .

هرقل : هذا الكتاب ؟ **(يُريه الرسالة) .**

ربيعة : نعم هذا هو .

هرقل : هذا خطُّك أنت ؟

ربيعة : نعم يا مولاى القيصر .

دومنتيانوس : عندك الأصْلُ الذى باللُّغة الرومية ؟

ربيعة : نعم (**يخرجه من بين ثيابه**) .

هرقل : (**للترجمان**) خذه منه ووازن بينه وبين الكتاب .

الترجمان : (**ينظر فى الكتابين**) طِبْق الأصل يا مولاى .

دومنتيانوس : أتدرى يا مولاى القيصر خطُّ من هذا ؟

هرقل : خطُّ مَنْ ؟

دومنتيانوس : خط أخى أودوقيانوس فهو الذى زوّر هذا الكتاب .

أودوقيانوس : بل أملاه الأطربون علىَّ فكتبته كما أملاه .

مارتينة : أهكذا يا أودوقيانوس تستغلّ قرابتك منى ومكانتك عندى فى مثل هذا العمل الشَّائن ؟

أودوقيانوس : مولاتى القيصرة ، لم يبق عندى من شك أن البطريق قيرس يعمل من أجل القِبْط ويخون قيصرَ فى سبيلهم ، ولذلك أبغضتُه ورأيْتُ حقاً علىّ أن أسْقِطَه بأىِّ سبيلٍ .

سرجيوس : وأنا أيضاً لم يبْق عندى من شك أن البطريق قيرس قد خان الدين المسيحى فى مصر من أجل قومه القبط .

المقوقس : لن أستنكف بعد اليوم من نسبتى إلى القبط . أنا قبطىٌّ صميم أقولها بملء فمى على رءوس الأشهاد !

سرجيوس : أرأيت يا مولاى القيصر كيف أقرَّ على نفسه بالخيانة .

المقوقس : الخيانة يا مولاى القيصر هى ما كنت فيه ، إذ كنت أضطهد القبط من أجل أن أحملهم على المذهب الذى

ابتدعه سرجيوس ، فملأت قلوبهم بذلك حقدًا عليك وعلى سلطانك .

سرجيوس : بل خنت القيصر وخنت الدين المسيحيَّ من أجل قومك القبط .

المقوقس : أما خيانة قيصر فما أهونها من تهمة لا برهان عليها إلا هذا الكتاب المزوّر ، وأما خيانة الدين المسيحى فبينى وبينها بُعْدُ ما بين السماء والأرض !

« ستــار »

المشهد الحادي عشر

خيمة عمرو بن العاص أمام حصن بابليون .

يرى عمرو واقفاً يتطلع إلى الحصن ومعه وردان وأبو رافع وشطا بن الهاموك متنكرًا فى زى عربى وقد حبسوا أنفاسهم كأنما يتوقعون أن يسمعوا شيئاً .

عمرو : اللهم أيّد الزبير بنصر من عندك . اللهم انصرْه ومن معه .

شطا : لو كنت أذنت لى أيها الأمير لصعدت معه رائدًا له .

عمر : كلا يا شطا .. يكفى أن أريته السبيل ونحن هنا بحاجة إليك .

شطا : إنى أُشفق عليهم من السلالم المسدودة والسراديب المضلة .

عمرو : لا تخف ، فإنَّ معهم رومانوس وهو يعرف هذه الأمور .

أبو رافع : إن بالحصن لمستضعفين من القبط يعذبهم الروم ، فإن يرد الله بهم خيرًا يُنجِّح مهمة الزبير ورفاقه .

عمرو : أحسنت يا أبا رافع . هذه أرْجَى كلمة سمعتها اليوم .

أبو رافع : أما إنهم لمن أجلنا يعذَّبون .

شطا : أجل .. لا تنس أيها الأمير ما وعدتنى به إذا تحقَّق لكم النصر .

عمرو : فى الأطربون ؟

شطا : نعم فهو رأس البلاء .

صوت : (**يسمع من جهة الحصن**) الله أكبر !

شطا : اسمع أيها الأمير !

عمرو : هذا صوت الزبير قد كبَّر من فوق الحصن ، فكبروا معه .

(**يكبر الأربعة فيتعالى التكبير من كلِ مكان**) .

وردان : انظر يا أبا عبد الله الباب الصغير قد فُتح !

شطا : عجباً .. لكنى دلَلْتُهم على الباب الكبير .

أبو رافع : صَه .. هذا رجل رومى قد خرج .

شطا : هذا جورج قائدُ الحامية .

عمرو : (**صائحاً**) إياكم أن تمسُّوه بسوء .. إنه مُسْتأمَنْ .

أبو رافع : وأين ذهب الزبير ورفاقه ؟

وردان : مازالوا يكبرون داخل الحصن .. ألا تسمعون أصواتهم ؟

جورج : (**صوته**) أنا جورج قائدُ الحصن أعرضُ عليك الصلح يا أمير العرب .. هلى لى أن أتقدم إليك ؟

عمرو : تقدم .

شطا : أخشى أن يعرفنى أيها الأمير .

عمرو : اختبىء خلف الخيمة إن شئت .

شطا : لا تقبل منه شيئاً إلا إذا تعهَّد لك بتسليم الأطربون .

(**يتوارى شطا خلف الخيمة**)

وردان : انظروا ! الباب الكبير فُتِح !

أبو رافع : ذاك الزبير وصحبه .

الزبير : (**صوته**) هلمـــوا أيها المسلمـــون . ادخلـــوا أيها المسلمون ..

عمرو : (**بأعلى صوته**) على رسلك يا أبا عبد الله ..

الزبير : (**صوته**) ويحكم ما تنتظرون ؟ يا عمرو بن العاص ما تنتظر ؟

عمرو : رويدك يا حوارى رسول الله ، هذا قائدهم جورج يعرِضُ علينا الصلح .

الزبير : (**صوته**) الصلح وقد فتحنا الباب عَنْوة ؟

عمرو : ماذا تعرض علينا أيها القائد ؟

جورج : أن يجلو الروم جميعاً عن الحصن .

عمرو : وعن الجزيرة ؟

جورج : وعن الجزيرة . على أن يأخذوا معهم ما يشاءون من الأمتعة ؟

عمرو : دون الذخائر والأسلحة .

جورج : هذه ضمن الأمتعة .

عمرو : كلا لا نقبل .

جورج : فليكن ما تريد .

عمرو : دون الذخائر والأسلحة .

جورج : دون الذخائر والأسلحة .

(**يدخل الزبير ورومانوس**)

الزبير : الصلح يا عمرو وقد علونا السور وأثمنا الحرس وفتحنا الباب عنوة ؟

عمرو : (**ينتحي بالزبير جانبا فيناجيه بصوت خافض**) دعنى أعانقك يا حوارى رسول الله وأقبّل رأسك . إن الله قد رزقنا الفتح بفضل شجاعتك .

الزبير : دعنى من هنياتك يا عمرو . الصلح وقد أهلك الله قيصر ؟

عمرو : ذلك أحْرَى أن نقبل الصلح . لقد كان قيصر هو الذى رفضه .

الزبير : الآن وقد ملكنا عليهم الباب ؟ لقد كانوا يتوارون أمام هذه الأسوار فها نحن أولاء قد فتحنا الباب لنناجزهم القتال .

عمرو : أليس خيراً من ذلك يا أبا عبد الله أن يكفونا قتالهم ، ويجلوا من الحصن ويتركوه لنا بما فيه ؟

الزبير : ربما يريدون أن يخدعوك .

عمرو : (**مبتسماً**) أما هذا يا أبا عبد الله فسأكفيكموه . إننا سنرابط على هذا الباب الذى فتحته ولن نبرحه حتى يتم جلاؤهم عن الحصن .

الزبير : لكن لو استولينا على الحصن عنوة كان ذلك أهْيب لنا فى صدورهم .

عمرو : كلا يا أبا عبد الله . كنا سنقاتلهم وهم فى حصونهم ، وسنفقد كثيراً من رجالنا ونحن إليهم قليلُو العدد ، وأمير المؤمنين لا يقدر أن يمدَّنا الآن فى هذا القحط الشامل ببلاد العرب .

الزبير : ويحك يا ابن العاص ! متى كنا نقاتلهم على القلَّة والكثرة ؟ إنما نقاتلهم على النيَّة والإيمان .

عمرو : إننا نريد أن نفرغ من هذا الحصن لننساح بعده فى سائر القطر فنفتح مدنه كما فتحنا أثريب ومنوف .

الزبير : هذا الحصن هو رأس القطر ، فإن انتزعناه منهم بالقهر والغلبة دان لنا سائر القطر .

صوت : (**يرتفع من خلف الخيمة**) أيها المسلمون أين أميركم عمرو بن العاص ؟

عمرو : انظر يا وردان من هذا ؟

(**يخرج وردان ثم يعود**) .

وردان : هذا رسول أمير المؤمنين .

عمرو : مرحباً برسول أمير المؤمنين .. تقدّم يا أخا العرب .

(**يظهر الرسول**)

الرسول : السلام عليك يا أمير الجيش .

عمرو : وعليك السلام ورحمة الله .. أين الرسالة ؟ (**يتناول الرسالة فيفضّها ويتصفحها فيربدّ وجهه قليلًا ثم يستنير ، ويقدم الرسالة للزبير**) .

الزبير : (**يتصفحها فيربدّ وجهه**) أنت أميرنا يا ابن العاص ، فافعل ما ترى فيه صلاح المسلمين .

عمرو : بوركت يا حواريّ رسول الله .. لا عدمتك .. (**يلتفت إلى جورج ويقبل عليه**) ألست ترى أيها القائد أنكم قد تأخرتم فى طلب الصلح ؟ فهلّا عرضتموه علينا قبل اليوم ؟

جورج : ما كان فى وسعنا ذلك أيها الأمير .

عمرو : ماذا كان يمنعكم ؟

جورج : الأطربون وجماعته . إنهم ما زالوا حتى الآن يعارضون فى الصلح .

عمرو : فماذا أنتم صانعون بهم ؟

جورج : إذا وافقتم أنتم الآن ، رجونا أن ينضمّ الجنود إلينا وينفضّوا عنهم .

عمرو : وإن لم نوافق ؟

جورج : اتحدنا معهم لنواصل قتالكم .

عمرو : بعدما ملكنا عليكم الباب الكبير ؟

جورج : إن بالحصن أبواباً أخرى أيها الأمير .

عمرو : وتسلمون إلينا الأطربون ؟

جورج : كأنّك لا تريد أن يتمَّ الصلح بيننا أيها الأمير ..

عمرو : بلى ، ولكن لا بُدّ من تسليم الأطربون .

جورج : إنك إذ تطالبنا بتسليمه ، إنما تؤيّد رأيه ورأى أنصاره فى معارضة الصلح .

عمرو : كلا ، لا أدع هذا المجرم يفلت من عقابه اليوم أبداً .

جورج : أيها الأمير إن كنت تعده مجرماً ، فإنه يعدك كذلك .. هكذا الحرب ..

عمرو : كلا ، إنا لا نعده مجرماً لأنه حاربنا ، ولكن لأنه عذّب هؤلاء المستضعفين من القبط وقطع أيديهم ومثّل بهم ، فلا والله لا أقبل صلحا يعفيه من العقوبة ويخليه من التبعة .

جورج : ليس لك أن تكلفنا ما لا قبل لنا به .

عمرو : فليعلم الجميع أن هذا الصلح لا يشمل الأطربون ولا يحقن دمه .

جورج : إذن يتعصب له أنصاره ويتشبثوا بمعارضة الصلح .

عمرو : إذن نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

(تسمع جلبة من ناحية باب الحصن وضوضاء) .

جورج : ما خطبكم ؟ ماذا جرى ؟

صوت : هذا الأطربون قد جئنا به ليوقع الصلح معك .

الأطربون : (**صوته**) ويلكم يا خونة يا جبناء ! ليعاقبنَّكم القيصر على خيانتكم .

عمرو : أهؤلاء رجاله ؟

جورج : نعم .

عمرو : الحمد لله . (**يدخل خمسة من الرجال الأشداء يسوقون الأطربون بينهم وقد شهروا سيوفهم لتهديده**) . هيه يا أطربون ؟ كيف رأيت عاقبة الغدر والبغى ؟

الأطربون : لا تفرح كثيراً يا عمرو .. لولا هؤلاء الحمقى ما لوّثت يدى بتوقيع الصلح معك .

عمرو : أخبره يا جورج بالشرط الذى اشترطته لعقد الصلح معكم .

جورج : إنه اشترط علينا تسليمك أنت يا أطربون إليه .

الأطربون : تسليمى أنا ؟ هذا لا يكون .

عمرو : إذن فلا صلح .

الأطربون : ذلك ما نريد .

الرجال : ما حملك على هذا أيها الأمير ؟

عمرو : سلوا القبط الذين عذبهم فى الحصن وقطَّع أيديهم ونكل بهم أىَّ تنكيل ؟ إنه مجرم ولا صلح بينى وبين المجرمين .

الرجال : **(ينظر بعضهم إلى بعض)** ... ؟

الأطربون : ويلكم ماذا أنتم فاعلون ؟

الرجال : لا بدَّ لنا أن نعقد الصلح .

الأطربون : وتقبلون تسليمى ؟

الرجال : لا مناص من ذلك .

الأطربون : **(يخطف خنجراً من بعض أصحابه فيغمده فى صدره ويقع على الأرض)** بيدى أنا لا بيدك يا عمرو . لن تنالنى يدك إلا جثة هامدة ...

(يموت)

أحدهم : يا لك من شقى .. أفى يوم عيد الفصح المقدس تقتل نفسك ؟

عمرو : احملوا جثَّته إلى من عذّبهم من القبط ليروا كيف انتقم الله لهم منه . واذهب أنت يا رومانوس مع القائد جورج فاكتب معه كتاب الصلح .

(يحملون جثة الأطربون ويخرجون بها . ثم يخرج جورج ورومانوس) .

(يظهر شطا من خلف الخيمة)

عمرو : كيف رأيت يا شطا ؟

شطا : الحمد لله أيها الأمير .. الحمد لله الذى انتقم لخالى المقوقس منه .

عمرو : أين أنت يا أمير الجيش .

عمرو : الحمد لله لقد جئت فى وقت عظيم .. لتحملن إلى أمير المؤمنين إن شاء الله بشرى فتح بابليون .

الرسول : أعان الله أمير المؤمنين ! إنه عن ذلك لفى شغل .

عمرو : ألم يزل الحال شديداً ؟ ألم تظهر بوادر الفرج بعد ؟

الرسول : بل تضاعف الجدب والقحط حتى صارت الأرض كلها حَرَّة سوداء كأنما احترق سطحها احتراقا ، فهى تسفى رمادًا فى الوجوه .

الزبير : لا حول ولا قوة إلا بالله .

عمرو : خذ يا أبا رافع اقرأ كتاب أمير المؤمنين على المسلمين .

أبو رافع : (يتناول الرسالة) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص بمصر . سلام عليك أما بعد ، أفترانى هالكا ومن قبلى وتعيش أنت ومن قبلك .. فياغوْثاه يا غوثاه يا غوثاه .

الجميع : يا غوثاه يا غوثاه .

عمرو : ما ترون يا قوم ؟ إنى أريد أن أبعث إلى أمير المؤمنين بغوث عظيم .

الزبير : عجّل يا أبا عبد الله إن استطعت .

عمرو : ماذا ترى يا أبا رافع ؟ هل عندك من سبيل ؟

أبو رافع : نعم كفيت يا ابن العاص . لنأخذنَّ من أهل مصر وعين شمس ومنوف وأثريب ما نريد من القمح ، على أن يحسب ذلك من خراجهم لعامهم هذا .

عمرو : بوركت يا مولى رسول الله . انطلق إليهم فى الحال فاتّفق معهم على ذلك . وأنت يا رسول أمير المؤمنين ارجع من غدك إلى أمير المؤمنين فبشره بفتح بابليون ، وقل له أتاك الغوث ، فلبِّثْ لبِّثْ .. لأبعثنَّ إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندى .

« ستار الختام »

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .

٢١ ـ الدنيا فوضى .
٢٢ ـ أوزوريس .
٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ـ دار ابن لقمان .
٢٥ ـ قطط وفيران .
٢٦ ـ هاروت وماروت .
٢٧ ـ جلفدان هانم .
٢٨ ـ الفلاح الفصيح .
٢٩ ـ حبل الغسيل .
٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ـ إلـٰه إسرائيل .
٣٤ ـ الزعيم الأوحد .
٣٥ ـ الدودة والثعبان .
٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ـ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٠١٥٨ ـ ١١ ـ ٩٧٧